



جَامِعَةُ طَرَابُلُسَ - لُبْنَان
كُلِّيَّةُ الشَّرِيعَةِ وَالدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ
قِسْمُ الدِّرَاسَاتِ الْعُلْيَا
شُعْبَةُ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ

الْأَقْوَالُ الْمُخْتَارَةُ لِشُرَاحِ الْمُصَنِّفَاتِ الْحَدِيثِيَّةِ
فِي أَحَادِيثِ الْيَوْمِ الْآخِرِ - دِرَاسَةٌ مَوْضُوعِيَّةٌ
أَطْرُوحَةٌ لِنَيْلِ دَرَجَةِ الْعَالَمِيَّةِ "دَكْتَوْرَاهُ" - تَخْصُصُ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ وَعِلْمِهِ

إِعْدَادُ الطَّالِبِ:

إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَبْدِ

إِشْرَافُ:

أ. د. نَعِيمُ بْنُ أَسْعَدِ الصَّفْدِيِّ أ. د. عَلِيُّ بْنُ نَائِفِ بَقَاعِي
أَسْتَاذُ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ بِالْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ - غَزَّة عَمِيدُ كَلِيَّةِ الشَّرِيعَةِ وَالدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِجَامِعَةِ طَرَابُلُسَ

لَجْنَةُ الْحُكْمِ وَالْمُنَاقَشَةِ:

رَئِيسًا وَمَشْرَفًا فَضِيلَةُ الْأَسْتَاذِ الدَّكْتَوْرِ / عَلِيُّ بْنُ نَائِفِ بَقَاعِي
مَشْرَفًا خَارِجِيًّا فَضِيلَةُ الْأَسْتَاذِ الدَّكْتَوْرِ / نَعِيمُ بْنُ أَسْعَدِ الصَّفْدِيِّ
مُنَاقِشًا فَضِيلَةُ الْأَسْتَاذِ الدَّكْتَوْرِ / صَالِحُ بْنُ يَوْسُفِ مَعْتُوقِ
مُنَاقِشًا فَضِيلَةُ الدَّكْتَوْرِ / مُحَمَّدُ مَجِيرُ بْنُ مُحَمَّدِ الْخَطِيبِ الْحَسَنِيِّ

١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

إلى نور الهدى، ومصباح الدُّجى، حبيبي، وقُدوتي، وإمامي مُحَمَّدٍ رسول الله ﷺ.
وإلى والِدَيَّ العزيزين الكريمين، اللَّذَيْن ربياني صغيراً، واكتنفاي بعطفهما، وغمراني بحبهما، فأَسأل الله تعالى أن يبارك فيهما، ويمد في طاعته أعمارهما، ويختم لهما بالخاتمة الحسنة.
وإلى زوجتي الغالية، التي تجشمت معي الصُّعاب والمشاق، وتحملت البعد والفرق، فجزاها الله خيراً، وولَدَيَّ الحبيبين، قرّة عيني: "محمّد"، ومهجة قلبي: "يوسف"، نفع الله تعالى بهما.
وإلى أشقائي، وشقيقتي، ونُسبائي، وزملائي، وأصدقائي، وإخواني الكرام في مسجد الشيخ الرضوان، أخصُّ منهم بالذكر إمام المسجد شيخنا الحبيب: "جَاد الله سالم" - حفظه الله تعالى -.
وإلى أمتي الغالية، التي ينبض قلبي بحبها، ويحترق شوقاً إلى عزّها ومجدها.
وإلى ذُرّة بلاد الشّام: فلسطين الجريحة؛ بقدسها الطاهرة السّليبية، وغزّتها الحُرّة الجيدة، وضفّتها الأيّّة العتيدة، ويافا، وحيفا، وعكا، وعسقلان خير رباط المسلمين.
وإلى طرابلس الشام، مدينة العلم والعلماء، وقلعة الإسلام والمسلمين.
وإلى الشهداء الأبرار، من بذلوا مهجهم رخيصةً في سبيل الله، فارتقت أرواحهم الطاهرة إلى العلياء، أخصُّ منهم: شيخ المجاهدين الإمام الشهيد: "أحمد الياسين"، وشيخنا العالم المُحدّث: "أ. د. نزار ريان"، وشقيق الروح وحبيب النفس: "أبو دُجانة عبد الرحمن"، - رحمهم الله تعالى -.
وإلى الجرحى البواسل، من سالت دماؤهم لرفعة دين الله، وأسرى المسلمين، المستضعفين في سجون الظالمين، والمجاهدين في سبيل الله، الذين يذودون عن حياض الأمة، ويحمون الدّين.
وإلى العلماء الريائيين، وطلبة العلم المخلصين، الذين ينفون عن دين الله تأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، وتحريف الغالين، وأخصُّ منهم بالذكر علماء بلادي فلسطين، وفي مقدمتهم فضيلة الشيخ: "عبد الكريم الكحلوت" مفتي غزة السابق - رحمه الله تعالى -، وفضيلة شيخنا المُحدّث المتميز: "أ. د. نافذ حمّاد" - حفظه الله تعالى -.
وإلى كلِّ مؤمنٍ غيور، آمن بالله واليوم الآخر، ورضي بالقرآن والسُّنة تشريعاً ودستوراً.

إلى كلِّ هؤلاء جميعاً أهدي هذا البحث

شُكْرٌ وَ تَقْدِيرٌ

انطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(١)، وإنا والله نريد الزيادة، ونسأل الله تعالى أن نكون من الشاكرين.

ولما كان الشكر حقاً لا بُدَّ من أدائه، ودِيناً لا بُدَّ من قضائه، فإني أتوجه بالشكر الجزيل للمشرفين الفاضلين: الأستاذ الدكتور نعيم أسعد الصَّفدي، والأستاذ الدكتور علي نايف بقاعي، عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - حفظهما الله تعالى -، اللذين تفضلاً أولاً بالموافقة على الإشراف على إعداد هذه الأطروحة، اللذين عايشاني جميع مراحلها خطوة خطوة، يوجهان ويُسدّدان، ينصحان ويُرشدان، وبذلاً في ذلك من وقتهما النفيس، وأعطياي من جهدهما وعلمهما ما لا يجازيهما عليه إلا الله ﷻ، فجزاهما الله عني وعن علم الحديث النبوي الشريف خير الجزاء.

ولا يزال الشكر موصولاً للعالمين الفاضلين: الأستاذ الدكتور صالح يوسف معتوق، والدكتور محمد مجير الخطيب الحسني - حفظهما الله تعالى -، حيث تكرّما بالموافقة على مناقشة هذه الأطروحة، فقدّما من غزير علومهما ما أثارها، فجعلها في أهبى حلّة، وأجمل ثوب، فجزاهما الله عني خير الجزاء.

ولا أنسى إسداء الشكر إلى جامعة طرابلس الغراء، مجلس أمناء، ورئاسة، وعاملين، أخصُّ بالذكر فضيلة الشيخ المحامي محمد رشيد رأفت الميقاتي، رئيس مجلس الأمناء - حفظه الله تعالى -، وفضيلة الأستاذ الدكتور رأفت محمد رشيد الميقاتي، نائب رئيس الجامعة - حفظه الله تعالى -.

ولا يفوتني أن أشكر كلّ من ساهم في إنجاح هذا العمل، وأسأل الله تعالى العليّ العظيم أن يجزل لهم جميعاً المثوبة والعطاء، إنّه على كل شيء قديرٌ، وبالإجابة جديرٌ.

(١) سورة إبراهيم: الآية ٧.

مُقَدِّمَةٌ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنُسْتَهْدِيهِ، وَنُؤْمِنُ بِهِ وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَآ مَضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَآ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَا بَعْدُ:

فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ ﷻ الْيَوْمَ الْآخِرَ بَثْوَابِهِ وَعِقَابِهِ نَهَايَةً لِهَذَا الْعَالَمِ الَّذِي نَعِيشُ فِيهِ، وَاللَّهُ ﷻ حَكْمٌ عَدْلٌ لَا يَظْلِمُ أَحَدًا، جَعَلَ الْجَنَّةَ ثَوَابًا لِمَنْ أَطَاعَهُ، وَجَعَلَ النَّارَ عِقَابًا لِمَنْ عَصَاهُ، وَأَخَذَ الْعَهْدَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَثِيبَ مَنْ أَطَاعَهُ وَأَلَّا يَظْلِمَهُ شَيْئًا، وَأَخَذَ الْعَهْدَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَجْعَلَ الْكُفَّارَ الْمَشْرِكِينَ فِي النَّارِ خَالِدِينَ مُخْلَدِينَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَحَقَّ وَعِيدٌ﴾^(١).

وَالْيَوْمَ الْآخِرَ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْإِيمَانُ بِهِ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، وَالَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ عَاقِبَتُهُ وَخِيْمَةٌ، وَمَصِيرُهُ إِلَى جَهَنَّمَ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى.

وَقَدْ كَابَرَ الْمُشْرِكُونَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ كَثِيرًا، وَنَاقَشُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيهَا طَوِيلًا، وَكَانَ أَحَدُهُمْ يَأْتِي بِالْعَظْمِ الْبَالِي فَيَفْتَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيَقُولُ: أَتَزْعَمُ أَنَّ رَبَّكَ يَعِيدُ هَذَا؟، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾^(٢)، وَقَالَ أَيْضًا: ﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾^(٣)، فَأَنْكَرَ الْكُفَّارَ الْيَوْمَ الْآخِرَ.

رَوَى الْحَاكِمُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، قَالَ: جَاءَ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِعَظْمٍ حَائِلٍ^(٤) فَفْتَنَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَيْبَعْتُ لَكَ هَذَا بَعْدَ مَا أَرَمَ؟ قَالَ: "نَعَمْ، يَبْعَثُ اللَّهُ هَذَا، يُمِيتُكَ، ثُمَّ يُحْيِيكَ، ثُمَّ يُدْخِلُكَ نَارَ جَهَنَّمَ"^(٥).

(١) سورة ق: الآية ١٤.

(٢) سورة الجاثية: الآية ٢٤.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٢٩.

(٤) أي متغير قد غيره البلى، وكل متغير حائل، فإذا أتت عليه السنة فهو محيل، كأنه مأخوذ من الحول السنة. (انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، مادة "حَوْلَ"، ٤٦٣/١).

(٥) المستدرک علی الصحیحین للحاکم، مع التلخیص للذهبي (٤٢٩/٢)، حديث ٣٥٦٥. وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين"، ووافقه الذهبي.

إن الكفرة العصاة لا يستطيعون أن يتحملوا التفكير في أن هناك يومًا آخرًا، وأن هذه الأعمال التي تعمل في الدنيا لا بد من الجزاء والحساب عليها، وأهل الشهوات لا يستطيعون أن يتحملوا في أدمغتهم وأذهانهم شيئًا اسمه اليوم الآخر؛ ولذلك فهم يسارعون إلى نفيه ويتكبرون ويستكبرون من الاعتراف به، وبعضهم يتناساه ويتغافل عنه ولا يفكر به نهائيًا؛ لأن التفكير في المصير أمر مؤلم، خصوصًا بالنسبة لأولئك العصاة الذين حادوا عن منهج الله ﷻ، والله الحكيم العليم يعلم أن البشر لا يستقيم لهم نظام، ولا تحكم أمورهم وعلاقاتهم وأعمالهم إلا باليوم الآخر الذي يكون وراء هذه الحياة الدنيا، فبدون اليوم الآخر فإن هؤلاء البشر، كما هو حادث عند كثير من الناس، سينطلقون مع شهواتهم في كل اتجاه، ويتكالبون على المتاع المحدود، متاع الحياة الدنيا، وترى المصارعة والتصارع بين الأفراد والأنظمة، والأجناس والطبقات يغير بعضهم على بعض، وينطلق الكل في الغابة كالوحوش الكاسرة يأكل القوي الضعيف، والظالم يأكل المظلوم وهكذا، لشيء واحد وهو أنهم لا يؤمنون باليوم الآخر، والله ﷻ يتلي البشر ليعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو في شك.

من أجل ذلك كلّه توجهت همتي لدراسة أحاديث اليوم الآخر وما يتعلق به من أحداث وأهوال، وبيان منهج أهل الحديث في التعامل معها والإيمان بها، فكانت هذه الدراسة بعنوان: "الأقوال المختارة لشرح المصنفات الحديثية في أحاديث اليوم الآخر - دراسة موضوعية في ضوء السنة النبوية".

أولاً: أهمية البحث وبواعث اختياره:

تكمن أهمية البحث في أمور عدة، منها:

١. تعلقه بموضوع من مواضيع العقيدة والأمور الغيبية وهو اليوم الآخر، ولا يخفى ما لليوم الآخر من أهمية ومكانة.

٢. لما في تذكُّر ذلك اليوم ومشاهدته العظيمة من حثّ على العمل الصالح، والمبادرة لفعل الخيرات وترك المنكرات، بل ما تكاسل المتكاسلون في عمل الصالحات سواءً الواجب منها والمسنون إلا بسبب الغفلة عن الآخرة والانشغال عنها، يقول ﷻ في وصف عباده

الصالحين: ﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾^(١)، وقال ﷺ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٢).

٣. لما ظهرَ في عصرنا اليومَ من المشكلاتِ المعقدةِ والأمراضِ المزمنةِ، التي نشأت عنها الأمراضُ النفسيةُ المتنوعةُ من القلقِ والاكتئابِ، اللذين يؤديان غالبًا إلى حياةٍ يائسةٍ، ومن أسبابِ ذلك: البعدُ عن الله تعالى، وعن تذكُّرِ اليومِ الآخرِ.

٤. لما شاع في زماننا اليومَ من كثرةِ المظالمِ في بعضِ المجتمعاتِ واعتداءِ الناسِ بعضهم على بعضٍ، من أكلِ لأموالِ غيرهم بدونِ وجهِ حقٍّ، وكذلك النيلِ من الأعراسِ، والحسدِ والتباغضِ، والفرقةِ والاختلافِ، وبخاصةِ بين بعضِ الدعاةِ وطلبةِ العلمِ، ولا شكَّ أنه لا شيءٌ مثلُ تذكُّرِ اليومِ الآخرِ، وتذكُّرِ الوقوفِ بين يدي الله ﷻ علاجًا لتلك الأمراضِ.

٥. ولما كان الركونُ إلى الدنيا والغفلةُ عن الآخرةِ من أعظمِ الأسبابِ في وهنِ النفوسِ وضعفها كان لا بدَّ من التذكيرِ المستمرِّ بذلك اليومِ، وما فيه من نعيمٍ أو جحيمٍ، لأنَّ في هذا التذكيرِ أكبرَ الأثرِ في نشاطِ الهممِ وعدمِ الاستسلامِ للوهنِ واليأسِ رجاءِ ثوابِ الله ﷻ وما أعدَّهُ للمجاهدين في سبيله الداعين إليه.

٦. ولما قلَّ في برامجِ الدعوةِ والتربيةِ الاعتناءُ بهذا الجانبِ العظيمِ من التربيةِ الذي له الأثرُ الكبيرُ في الاستقامةِ على الجادةِ، والدعوةِ إلى الله على بصيرةٍ، ولكن نرى من بعضِ المهتمينَ بالدعوةِ من يستهينُ بهذا الجانبِ العظيمِ حتى صارَ بعضهم يقللُ من أثرِ التذكيرِ بالآخرةِ بقوله: "إن هذا الأمرَ يغلبُ عليه الوعظُ، أو هذا مقالٌ عاطفيٌّ وعظيٌّ... إلخ"، مع أنَّ المتأملَ لكتابِ الله ﷻ وسنةِ رسوله ﷺ يرى بجلاءٍ جانبَ الوعظِ بارزًا بالربطِ بين الدنيا والآخرةِ والثوابِ والعقابِ، نسأل الله تعالى أن يهدينا جميعًا، وأن يوفِّقنا للاقتداءِ بالسنةِ والسيرِ على نهجها.

(١) سورة النور: الآية ٣٧.

(٢) سورة الزمر: الآية ٩.

٧. أن البعض كالفلاسفة وأضرابهم، وقفوا من حقيقة هذا اليوم موقفًا عجيبًا وخطيرًا، فأنكروا كل ما يتعلق بهذا اليوم، وجعلوا ذلك من باب التخيلات التي يراد بها تخويف العامة والدهاء، حتى تنساق لأوامر الرسل ﷺ، وتبع هؤلاء على قولهم بعض من ينتسب إلى الإسلام، من شعراء وغيرهم، حتى قال قائلهم^(١) في إنكار حقائق ذلك اليوم:

حَيَاةٌ تُمُّ مَوْتٌ تُمُّ بَعَثٌ
حديثُ خرافةٍ يا أمَّ عمرو

وآخرون أولوا حقائق اليوم الآخر بتأويلات تخرجها عن معانيها الثابتة.

٨. ولخلو المكتبة الحديثية من دراسة جامعة وناقدة لنصوص السنة في اليوم الآخر، فهذه الدراسة على درب علماء السلف الذين ألفوا أجزاءً حديثية في موضوعات شتى.

٩. جمعت الكتابات القديمة والحديثة كثيرًا من نصوص السنة دون تمييز بين الضعيف والصحيح والحسن، وأفادت منها جميعا دون تمييز، وهذه الدراسة تسهم في بيان هذه النصوص وتخرجها والحكم على أسانيدھا.

ثانيًا: أهداف البحث:

تتنوع أهداف البحث فيما يأتي:

١. دراسة السنة دراسة متأنية تستهدف خدمة الأمة الإسلامية من خلال دراسة حديثية قديمة معاصرة تناول نصوص الإيمان باليوم الآخر والإفادة منها.
٢. جمع الأحاديث المقبولة المتعلقة باليوم الآخر من الكتب التسعة، وبيانها، واستخراج ما فيها من فوائد، وإظهار ما فيها من معالم.
٣. تنبيه الأمة إلى الأحداث الجسام التي سيشهدها اليوم الآخر؛ فتعد العدة لذلك وتستعد.
٤. بيان اهتمام السلف بأحاديث اليوم الآخر، وحرصهم على نشرها وبيانها وتوضيحها.
٥. بيان منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع أحاديث اليوم الآخر وأهواله.
٦. الإسهام في ترتيب الحديث الشريف ترتيبًا موضوعيًا.

(١) القائل هو: دِيكُ الْجِنِّ عَبْدُ السَّلَامِ بْنِ رَغْبَانَ الْكَلْبِيُّ، وهو شاعر شِعْبيٌّ، مَاجِنٌّ، حَمِيْرٌ، خَلِيْعٌ، كما يقول الذهبي. (ديوان ديك الجن، ص ١٧٠، وسير أعلام النبلاء، للذهبي ١١/١٦٣).

٧. تقديم مادة علمية محققة مجموعة في مرجع واحد تسهل على الباحثين الرجوع إليها.

ثالثاً: منهج البحث وطبيعة عمل الباحث:

سيستعين الباحث بالمنهج الاستقرائي في جمع واستقراء نصوص السُّنَّة، ويستعين بالمنهج الاستنباطي أيضاً، ويتمثل عمل الباحث في النقاط الآتية:

١. تصنيف النصوص الحديثية، وترتيبها، وتفصيلها حسب مباحث الدراسة، والاختصار على الأحاديث المقبولة التي تدور بين الصحة والحسن، واستبعاد ما لم يصح أو لم يثبت.
٢. اختصار الحديث الطويل، والاختصار على موضع الشاهد منه.
٣. الانتقاء والاختيار من أقوال العلماء والشراح في التعليق على الأحاديث بما يفني بالعرض، والتوسع حسب الحاجة.
٤. تخريج الأحاديث الشريفة الواردة في البحث من الكتب التسعة، والتوسع عند الحاجة، والحكم عليها بأقوال الأئمة والعلماء المتقدمين، فإن لم يوجد لهم أحكاماً في ذلك سأقوم بدراسة السند والحكم عليه بما يناسب حاله من خلال شرائط القبول والرد المقررة عند أهل الحديث، مع الاستئناس بأقوال المعاصرين غالباً، أمّا إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما فالعزو إليهما أو إلى أحدهما كفيلاً بصحته.
٥. تخريج الحديث المكرر في أول مكان يرد فيه، والعزو لمكان تخرجه فيما بعد.
٦. التوثيق للكتب الستة بذكر اسم الكتاب والباب ورقم الحديث والجزء والصفحة، وفي باقي الكتب سأقوم بذكر رقم الحديث والجزء والصفحة.
٧. الاكتفاء بذكر الراوي الأعلى في متن الحديث، وأما بقية السند فسأذكره في الحاشية فقط عند دراسة الحديث الذي لم يحكم عليه السابقون.
٨. سأترجم للرواة المختلف فيهم وفق القواعد المقررة عند المحدثين، أمّا من اتَّفَقَ على توثيقه أو تضعيفه فلن أترجم له، إلا إذا دعت الحاجة إليه، وأمّا الصحابة رضي الله عنهم فكلهم عدول، ولذلك سأترجم للمغمورين منهم فقط، من خلال كتب الصحابة الخاصة بهم، وإذا تكرر ورود الراوي ستم الإحالة على موضعه الأول من الأطروحة، مع ذكر خلاصة القول فيه.

٩. سأترجم لبقية الأعلام غير المشهورين أيضاً، عند ورودهم في أول موضع من الأطروحة.
١٠. تفسير الألفاظ الغريبة من كتب غريب الحديث وشروحه، والتعريف بالأماكن والبلدان من خلال كتب البلدان.
١١. عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها، بذكر اسم السورة ورقم الآية في الحاشية السفلى.
١٢. ذكر المعلومات المتعلقة بالمراجع من ناحية الاسم والمؤلف والطبعة ودار النشر في قائمة المصادر والمراجع لعدم إقبال الحواشي بذلك، أما في الحاشية السفلى فالإكتفاء بذكر ما يدل عليه.
١٣. عمل فهرس تخدم الدراسة وتسهل الاستفادة منها.

رابعاً: الدراسات السابقة:

- حسب علمي وإطلاعي وبحثي في الموضوع، لا أعتقد أن المكتبة الحديثية قد استوعبت بين دفتيها مصنفاً ألف قديماً أو حديثاً، جمع نصوص السنة النبوية في اليوم الآخر، وحكم على أسانيدها، وذكر أقوال العلماء والشرّاح فيها؛ غير أنه قد تناول الموضوع بعض الباحثين سواء في بعض مباحث اليوم الآخر أو جميع ما يتعلق به، ولكن ليس من ناحية حديثية موضوعية لنصوص السنة، وإليك بعض ما كتب وألف في هذا الباب:
١. التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة: لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ)، ذكر فيه المؤلف كثيراً من أشرطة الساعة وأمور الآخرة، ولكن من غير بيان درجة الأحاديث الواردة من ناحية الصحة أو الضعف على الأقل، وهو مطبوع في جزأين.
٢. الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها: للإمام المفسر المحدّث عبد الله سراج الدين الحسيني ت ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، حيث وقف فيه الشيخ على الكثير من أحداث اليوم الآخر، مستشهداً بالآيات والأحاديث الدالة عليها، مع ذكر بعض أقوال العلماء عليها، وقد أفدت منه على الرغم من أني قد حصلت عليه متأخراً.

٣. "القيامة الصغرى"، و "القيامة الكبرى": كلاهما لعمر سليمان الأشقر، ضمن سلسلة العقيدة في ضوء الكتاب والسنة، حيث تناول الكثير من الباحث التي تخص اليوم الآخر من ناحية عقدية من غير نقد ودراسة للأسانيد أو الحكم عليها، أو ذكر أقوال الشراح فيها.
٤. اليوم الآخر في الأديان السماوية: وهو عبارة عن بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في العقيدة الإسلامية، للباحث يسر محمد سعيد مبيض، حيث إنه قد قام بعقد مقارنة بين الأديان السماوية في عقيدة الإيمان باليوم الآخر، فالبحت عبارة عن دراسة عقدية بامتياز، لا تستهدف ذكر اليوم الآخر في نصوص السنة النبوية والحكم على أسانيدها، كما سيقوم الباحث في هذا البحث.
٥. منهج المتكلمين في إثبات اليوم الآخر وأحداثه: وهو عبارة أيضًا عن بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في العقيدة الإسلامية، للباحث عمر موسى حسن الجراحرة، والموضوع تناوله صاحبه من ناحية عقدية لا من ناحية حديثة.
٦. اليوم الآخر في اليهودية والنصرانية والإسلام - دراسة مقارنة: للباحث سراج عثمان محمد غرابوس، وهو عبارة عن مقارنة بين الأديان الثلاثة في عقيدة الإيمان باليوم الآخر.
٧. الحوار في اليوم الآخر في القرآن الكريم: وهو عبارة عن رسالة ماجستير في القرآن الكريم وعلومه، للباحث عبد الخالق بن سليم القرشي، وهذه الدراسة متخصصة في التفسير وعلوم القرآن، كما هو واضح من عنوانها، ثم إنها لا تستهدف اليوم الآخر كموضوع متكامل، وإنما تركز على موضوع الحوار في القرآن الكريم، واتخذ الباحث الآيات التي تتحدث عن الحوار في اليوم الآخر نموذجًا لذلك.
٨. أحاديث العقيدة في مسند الإمام أحمد، أحاديث اليوم الآخر في الجنة والنار (ترتيب- تخريج - شرح ودراسة): وهو عبارة عن رسالة ماجستير، للباحث حسن بن محمد بن علي الباروقي، والموضوع وإن كان حديثًا إلا أنه يختلف عن دراستنا، بكونه لا يستوعب جميع نصوص السنة التي تتحدث عن اليوم الآخر، فصاحبه قد استهدف تخريج أحاديث الجنة والنار في مسند الإمام أحمد والحكم عليها فحسب، مع ترتيبها ووضع ترجمة لها وبعض التعليقات عليها، أما في دراستنا فسوف نسعى لاستقراء جميع نصوص السنة التي تتحدث

عن اليوم الآخر، مع الحكم عليها، وترتيبها في فصول ومباحث، ودراستها موضوعيًا؛ لتكون مادة خصبة سهلة في تناول العامة من الناس، فضلاً عن الباحثين وطلبة العلم.

٩. أحاديث العقيدة في مسند الإمام أحمد، أحاديث اليوم الآخر في البرزخ وأهوال القيامة (ترتيب - تخرّيج - شرح ودراسة): وهو عبارة عن رسالة ماجستير، للباحث علي بن سعيد بن علي العبيدي، والموضوع كسابقه، إلا إنه قد استهدف أحاديث البرزخ وأهوال القيامة في مسند الإمام أحمد فحسب.

ملاحظة: هاتان الرسالتان هما ضمن سلسلة، أشار بها أساتذة قسم الحديث الشريف في جامعة أم درمان بالسودان على طلبة الماجستير في القسم لدراسة أحاديث العقيدة في مسند الإمام أحمد والحكم على أسانيدھا.

١٠. دراسة في مسائل العقيدة في سنن الإمام الترمذي - القسم الثاني (اليوم الآخر، الإيمان بالقدر...): للباحثين عبد الرحمن البراك ويوسف الطريفي، وهي دراسة عقدية، أما دراستنا فهي حديثة.

١١. اليوم الآخر في ظلال القرآن الكريم: للباحث أحمد فائز، وهذه الدراسة وإن كانت تتناول موضوع اليوم الآخر، إلا أنها متخصصة في التفسير وعلوم القرآن، لا من جهة حديثة.

١٢. يوم القيامة ومشاهده في الكتاب والسنة - دراسة موضوعية تحليلية - للدكتور دوشي بن زيد بن علي الحارثي، وقد تعرض المؤلف لمشاهد يوم القيامة بشكل إجمالي، وقد غلب جانب الآيات القرآنية على الأحاديث، لدرجة أنه يصح أن يكون بحثاً في التفسير الموضوعي؛ لأنه غالباً لم يهتم بأقوال العلماء والشراح فيه.

١٣. الحياة الآخرة: للدكتور غالب بن علي عواجي، وهو كتاب تناول فيه مؤلفه أحداث اليوم الآخر ومواقفه، على درب العلماء الذين ألفوا في العقائد.

وغير ذلك من الكتب التي جمعت أبواباً متفرقة في هذا الموضوع لكنها لم تتناول الموضوع حسب نظرة شراح الحديث النبوي الشريف من جميع زواياه وجوانبه نقدًا وتعليقًا.

خامساً: خطة البحث:

ينقسم البحث بعد هذه المقدمة، إلى خمسة فصول - أحدها تمهيدي-، وخاتمة،

وفهارس عامة:

الفصل التمهيدي

اقتراب اليوم الآخر، وموقف المؤمنين والمشركين منه

المبحث الأول: اليوم الآخر والإيمان به وموقف المشركين منه.

المطلب الأول: تعريفه والإيمان به.

المطلب الثاني: أسماؤه والحكمة من كثرتها.

المطلب الثالث: وجوب الإيمان به وأهميته.

المطلب الرابع: موقف المشركين منه وإنكارهم له.

المطلب الخامس: الآثار المترتبة على إنكاره والغفلة عنه.

المبحث الثاني: الأدلة المادية على ثبوته وثمرات الإيمان به.

المطلب الأول: الأدلة المادية على ثبوته.

المطلب الثاني: ثمرات الإيمان به وآثاره.

المبحث الثالث: قرب قيام الساعة واستعداد المؤمنين لها.

المطلب الأول: قرب قيام الساعة.

المطلب الثاني: الاستعداد للآخرة.

الفصل الأول

القيامة وبعث الناس

المبحث الأول: القيامة ووقوعها بغتة ومقدار يومها.

المطلب الأول: حقيقة القيامة الصغرى.

المطلب الثاني: القيامة الكبرى ووقوعها بغتة.

المطلب الثالث: مقدار يوم القيامة.

المبحث الثاني: النفخ في الصور وبعث الناس من القبور.

المطلب الأول: النفخ في الصور.

المطلب الثاني: بعث الناس من القبور وأول من يبعث منهم.

المطلب الثالث: بعث الناس على أعمالهم ونياتهم.

الفصل الثاني

الحشر وأهواله

المبحث الأول: الحشر وصفة الناس فيه.

المطلب الأول: أرض المحشر ومكان الناس فيه.

المطلب الثاني: صفة الناس يوم الحشر.

المطلب الثالث: التفاضل بين الأمم والعباد يوم الحشر.

المبحث الثاني: اتباع الأمم يوم الحشر.

المطلب الأول: اتباع الأمم ما كانت تعبد.

المطلب الثاني: اتباع الأمم أنبياءها.

المطلب الثالث: المرء مع من أحب.

المبحث الثالث: الأهوال وأحوال الناس فيها.

المطلب الأول: شدة الموقف.

المطلب الثاني: أحوال الكفار.

المطلب الثالث: أحوال العصاة والمذنبين.

المطلب الرابع: أحوال المؤمنين.

الفصل الثالث

الحساب والشهادة والشفاعة

المبحث الأول: صفة الحساب والقواعد التي يحاسب عليها العباد.

المطلب الأول: وصف يوم الحساب.

المطلب الثاني: القواعد التي يحاسب على وفقها العباد.

المبحث الثاني: الشهادة على العباد.

المطلب الأول: شهادة الأعضاء والجوارح.

المطلب الثاني: شهادة الأرض وسائر المخلوقات.

المطلب الثالث: شهادة الأنبياء.

المبحث الثالث: ما يحاسب عليه العباد.

المطلب الأول: أول من يحاسب وأول ما يحاسب عليه العباد.

المطلب الثاني: ما يُسأل عنه العباد من الأعمال.

المطلب الثالث: الذين يدخلون الجنة بغير حساب.

المبحث الرابع: الشفاعة.

المطلب الأول: تعريف الشفاعة وشروطها.

المطلب الثاني: شفاعة النبي ﷺ وأقسامها.

المطلب الثالث: أنواع الشفعاء غير النبي ﷺ.

المطلب الرابع: الأسباب التي تحصل فيها الشفاعة وموانعها.

الفصل الرابع

الميزان والصراف والحوض

المبحث الأول: الميزان.

- المطلب الأول: صفة الميزان وحقيقته.
- المطلب الثاني: ما يوزن في الميزان والحكمة من ذلك.
- المطلب الثالث: الأعمال التي تثقل في الميزان.
- المطلب الرابع: وزن أعمال الكفار.

المبحث الثاني: الصَّراط.

- المطلب الأول: تعريف الصَّراط وصفته.
- المطلب الثاني: حال الناس أثناء المرور على الصَّراط.
- المطلب الثالث: القنطرة.
- المطلب الرابع: ذبح الموت على الصَّراط في الآخرة.

المبحث الثالث: الحوض.

- المطلب الأول: تعريف الحوض ووجوب الإيمان به.
- المطلب الثاني: وصف الحوض.
- المطلب الثالث: ورود الحوض.

الخاتمة:

وتحتوي على النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث.

الفهارس العلمية العامة:

- أولاً: فهرس الآيات القرآنية.
- ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية.
- ثالثاً: فهرس الرواة والأعلام المترجم لهم.
- رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.
- خامساً: فهرس الموضوعات.



الفصل التمهيدي

اقتراب اليوم الآخر وموقف المؤمنين والمشركين منه

المبحث الأول: اليوم الآخر والإيمان به وموقف المشركين منه.

المبحث الثاني: الأدلة المادية على ثبوته وثمرات الإيمان به.

المبحث الثالث: قرب قيام الساعة واستعداد المؤمنين لها.

المبحث الأول

اليوم الآخر والإيمان به وموقف المشركين منه

المطلب الأول: تعريفه والإيمان به.

المطلب الثاني: أسماؤه والحكمة من كثرتها.

المطلب الثالث: وجوب الإيمان به وأهميته.

المطلب الرابع: موقف المشركين منه وإنكارهم له.

المطلب الخامس: الآثار المترتبة على إنكاره والغفلة عنه.

المطلب الأول: تعريفه والإيمان به

أولاً: تعريف الإيمان:

الإيمان في اللغة ضد الكفر، وهو مصدر آمن، مأخوذ من مادّة (أ م ن) التي تدلُّ على

معان: منها:

الأمانة التي هي ضدُّ الخيانة، ومعناها سكون القلب.

والتّصديق الذي هو ضدُّ التّكذيب.

والأمان وضدُّه الخوف؛ لأنَّ العبد إذا آمن بالله، أمّنه الله وصار في أمانه، قال الله **وَعَلَى**

«الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ»^(١)، وإِنَّمَا قِيلَ

للمصدّق بالله مؤمن؛ لأنّه لما صدّقه استسلم له، وأمّن كلّ من كان على مثل تصديقه، فلم يستحلّ ماله ودمه وعرضه، فيكون المؤمنون بعضهم في أمان بعض^(٢).

وأما تعريف الإيمان اصطلاحاً، فقد اختلف فيه على أربعة أقوال، ألخصها فيما يأتي^(٣):

١. الإيمان فعل القلب فقط، أي تصديق الرّسول **ﷺ** في كلّ ما علم مجيئه به بالضرورة تصديقاً جازماً مطلقاً.

٢. الإيمان عمل اللّسان (إقرار) فقط بشرط حصول المعرفة بالقلب، فإن لم تحصل كان صاحب ذلك مؤمناً الظاهر كافر السريّة.

٣. الإيمان عمل القلب واللّسان أي الاعتقاد الجازم والإقرار بالشهادتين.

٤. الإيمان فعل القلب واللّسان وسائر الجوارح، وهو رأي أهل السنة والجماعة.

وقد اقتصر الجرجاني^(٤) على رأي الطائفة الثالثة عندما عرّف الإيمان بأنّه: "الاعتقاد بالقلب

(١) سورة الأنعام: الآية ٨٢.

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، "أمن"، (١/١٣٣-١٣٥)، لسان العرب، لابن منظور، "أمن"، (١/٢١١)، الصحاح، للجوهري، "أمن"، (٥/٢٠٧١)، النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، "أمن"، (١/٦٩).

(٣) انظر: عمدة القاري، للعيني (١/١١١)، وكشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي (١/١٣٧).

(٤) هو: علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني، من كبار العلماء بالعربية، ت ٨١٦هـ، ومن أشهر مصنّفاته التعريفات. (انظر: الأعلام، للزركلي ٥/٧-٨، ومعجم المفسرين، لعادل نويهض ١/٣٨٠).

والإقرار باللسان" (١).

أمّا ابن حجر فقد اقتصر على الطائفة الأولى عندما قرّر: "أنّ الإيمان هو تصديق الرّسول ﷺ فيما جاء به عن ربّه" (٢).

وقال الكفوي (٣): "الإيمان عرفاً: هو الاعتقاد الرّائد على العلم، وشرعاً: هو إمّا فعل القلب فقط أو اللسان فقط أو فعلهما جميعاً، أو هما مع سائر الجوارح" (٤).

وأما القول والتعريف المختار فهو رأي أهل السنة والجماعة، القائل: "هو تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان" (٥).

ثانياً: تعريف اليوم الآخر:

اليوم في اللغة: مقدار من الزمان أوله طلوع الشمس، وآخره غروبها، أو هو زمان ممتد من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس، وجمعه أيام، ويُذكر مفرده، وتأنيث جمعه أكثر، يقال: أيام مباركة، وفي التنزيل: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ (٦) (٧).

والآخر في اللغة خلاف الأول، ونقيض المتقدم، ومن أسماء الله تعالى الآخر، ومعناه الباقي بعد فناء خلقه (٨).

(١) التعريفات، ص ٤١.

(٢) فتح الباري (٤٦/١).

(٣) هو: أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، أبو البقاء، كان من قضاة الحنفية، حيث ولي القضاء في "كفه" بتركيا، وبالقدس، وببغداد، وعاد إلى إستانبول فتوفي بها سنة ١٠٩٤هـ، ومن أشهر مصنفاته: الكليات. (انظر: الأعلام، للزركلي ٣٨/٢).

(٤) انظر: الكليات، ص ٢١٣.

(٥) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز (٤٥٩/٢).

(٦) سورة البقرة: الآية ٢٠٣.

(٧) لسان العرب، لابن منظور، "يوم"، (٦٤٩/١٢)، الكليات، للكفوي، ص ٩٨١، المصباح المنير، للحموي (٦٨٢/٢).

(٨) انظر: مقاييس اللغة، "آخر"، (٧٠/١)، لسان العرب، "آخر"، (١٢/٤)، الكليات، ص ٦٢، المعجم الوسيط، "آخر"، (٨/١).

واليوم الآخر هو يوم القيامة، وسمي بذلك لأنه آخر انقراض الدنيا وآخر أيامها، أو آخر الأزمنة المحدودة، ولأنه لا يوم ولا ليل بعده، ولا يقال يوم إلا لما تقدمه ليل^(١).
"واليوم الآخر هو الذي بعد أيام الدنيا، والحد الفاصل بين الدنيا والآخرة الموت، فكل من مات انتقل من الدنيا إلى الآخرة، وهذه الآخرة فيها حياة برزخية، وحياة بعد البعث، ولكنها كلها على طريقة واحدة من ناحية أنها دار جزاء وليست دار عمل"^(٢).
"واليوم الآخر، هو يوم القيامة، وسمي آخرًا لأنه آخر مراحل بني آدم وغيرهم أيضًا، فالإنسان له أربعة دور، في بطن أمه، وفي الدنيا، وفي البرزخ، ويوم القيامة وهو آخرها"^(٣).

ثالثًا: تعريف الإيمان باليوم الآخر، كمصطلح مركب:

لقد تعددت تعريفات العلماء له، لكن كلها لا تخرج عن تعريف ابن تيمية، إذ يقول:
"الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت"^(٤).
ومن المعاصرين من أضاف إليه الأحداث والوقائع التي تسبقه؛ باعتبارها مقدمة له، ومقدمة الشيء جزء منه، فقالوا: "هو الاعتقاد الجازم بالأحداث والوقائع والحقائق التي تسبق قيام الساعة، وما بعدها، مما أخبر عنه الله ﷻ في كتابه، ونبيه ﷺ"^(٥).
وعرفه بعضهم بشكل تفصيلي بقوله: "أن تصدق بكل ما بعد الموت من عذاب القبر ونعيمه، وبالبعث بعد ذلك، والحساب والميزان، والثواب والعقاب، والجنة والنار، وبكل ما وصف الله به يوم القيامة"^(٦).

(١) انظر: فتح الباري (١/١١٨)، وعمدة القاري (٢/١٤٥)، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، لابن علان (١٨١/٥)، الطريق إلى الإسلام لمحمد الحمد، ص ٦٨.
(٢) انظر: شرح سنن أبي داود، للعباد (٢٧/٨١).
(٣) انظر: شرح الأربعين النووية، لابن عثيمين، ص ٤٨.
(٤) العقيدة الواسطية، لابن تيمية، ص ٩٥.
(٥) انظر: الإيمان حقيقته، حوارمه، نواقضه، لعبد الله بن عبد الحميد الأثري، ص ١٤٩، والإيمان، أركانه، حقيقته، نواقضه، لمحمد نعيم ياسين، ص ٤٣.
(٦) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، لصالح الفوزان، ص ٢٥٦.

وقال الشيخ أبو بكر الجزائري^(١): "إن المراد من اليوم الآخر أمران: الأول: فناء هذه العوالم كلها، وانتهاء هذه الحياة بكاملها، والثاني: إقبال الحياة الآخرة وابتدائها، فدل لفظ اليوم الآخر على آخر يوم من أيام هذه الحياة، وعلى اليوم الوحيد من الحياة الثانية، إذ هو يوم واحد لا ثاني له فيها البتة، فالإيمان باليوم الآخر مقتضى لتصديق بأخبار الله تعالى بفناء هذه الحياة الدنيا، وبما يسبقه من أمارات وما يتم فيه من أهوال، واختلاف أحوال كما هو مقتضى كذلك لتصديق الله تعالى في إخباره عن الحياة الآخرة، وما فيها من نعيم وعذاب، وما يجري فيها من أمور عظام، كبعث الخلائق، وحشرهم وحسابهم، ومجازاتهم على أعمالهم الإرادية الاختيارية التي قاموا بها في هذه الحياة الدنيا"^(٢).



(١) هو: أبو بكر، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر الجزائري، له جهود دعوية كثيرة، منها التدريس في دار الحديث، وفي الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وما زال له حلقتان في تدريس التفسير والحديث في المسجد النبوي إلى الآن. (انظر: الموقع الرسمي للشيخ على الإنترنت: <http://algzaeri.com/algzaeri/index.php>).
(٢) انظر: عقيدة المؤمن، ص ١٨٥.

المطلب الثاني: أسماءه والحكمة من كثرتها

لقد سمى الله تعالى هذا اليوم بعدة أسماء؛ تنويهاً بشأنه، وتنبهياً للعباد ليخافوا منه، قال القرطبي^(١): "وكلُّ ما عظم شأنه تعددت صفاته، وكثرت أسماءه، وهذا في جميع كلام العرب، ألا ترى أن السيف لما عظم عندهم موضعه، وتأكد نفعه لديهم وموقعه، جمعوا له خمس مئة اسم، وله نظائر؛ فالقيامة لما عظم أمرها، وكثرت أهوالها، سماها الله تعالى في كتابه بأسماء عديدة، ووصفها بأوصاف كثيرة"^(٢).

وقال الفيروز ابادي^(٣): "اعلم أنَّ كثرة الأسماء تدلُّ على شرف المسمَّى، أو كماله في أمر من الأمور، أما ترى أنَّ كثرة أسماء الأسد دلَّت على كمال قوته، وكثرة أسماء القيامة دلَّت على كمال شدته وصعوبته، وكثرة أسماء الداهية دلَّت على شدة نكابتها، وكذلك كثرة أسماء الله تعالى دلَّت على كمال جلال عظمته؛ وكثرة أسماء النبي ﷺ دلَّت على علو رتبته، وسمو درجته، وكذلك كثرة أسماء القرآن دلَّت على شرفه، وفضيلته"^(٤).

ومن أسماء اليوم الآخر على سبيل الذكر لا الحصر ما أورده ابن حجر، حيث قال: "قد جمع الغزالي^(٥) ثم القرطبي أسماء يوم القيامة فبلغت نحو الثمانين اسماً، فمنها: يَوْمُ الْجُمُعِ، وَيَوْمُ الْفَرَجِ الْأَكْبَرِ، وَيَوْمُ التَّنَادِ، وَيَوْمُ الْوَعِيدِ، وَيَوْمُ الْحُسْرَةِ، وَيَوْمُ التَّلَاقِ، وَيَوْمُ الْمَآبِ، وَيَوْمُ الْفُضْلِ، وَيَوْمُ الْعَرْضِ عَلَى اللَّهِ، وَيَوْمُ الْخُرُوجِ، وَيَوْمُ الْخُلُودِ، وَمِنْهَا يَوْمٌ عَظِيمٌ، وَيَوْمٌ عَسِيرٌ، وَيَوْمٌ مَشْهُودٌ، وَيَوْمٌ عَبُوسٌ قَمَطِرٌ، وَمِنْهَا يَوْمٌ تَبْلَى السَّرَائِرُ، وَمِنْهَا: يَوْمٌ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ

(١) هو: الإمام أبو عبد الله، مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بن فَرَحِ الْأَنْصَارِيِّ الْخَزْرَجِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ الْقُرْطُبِيِّ، من كبار المفسرين، وصاحب كتابي الجامع لأحكام القرآن، والتذكرة بأحوال الموتى والآخرة، ت ٦٧١هـ. (الأعلام للزركلي ٣٢٢/٥).

(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص ٥٤٤.

(٣) هو: مجد الدين، أبو الطاهر، محمد بن يعقوب بن محمد، الفيروز ابادي، اللغوي، الشافعي، الإمام الكبير الماهر في اللغة وغيرها من الفنون، ت ٨١٧هـ، ومن أشهر مؤلفاته: "لطائف ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز"، و"القاموس".

(انظر: التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، ص ٤٦٠-٤٦٢).

(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٨٨).

(٥) هو: زين الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ت ٥٠٥هـ، ومن أشهر مؤلفاته: إحياء علوم الدين.

(انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي ١/ ٦٢).

شَيْئًا، وَيَوْمَ يُدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ، وَيَوْمَ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ، وَيَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ
مَعْدِرَتُهُمْ، وَيَوْمَ لَا يَنْطِقُونَ، وَيَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ، وَيَوْمَ لَا يَكْتُمُونَ اللَّهُ حَدِيثًا، وَيَوْمَ لَا
مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ، وَيَوْمَ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ، وَيَوْمَ لَا رَبَّ فِيهِ، فَإِذَا ضُمَّتْ هَذِهِ إِلَى مَا ذُكِرَ فِي
الأصل، كانت أكثر من ثلاثين اسمًا، معظمها ورد في القرآن بلفظه، وسائر الأسماء المشار إليها
أخذت بطريق الاشتقاق بما ورد منصوصًا، كَيَوْمِ الصِّدْرِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ
أَشْتَاتًا﴾^(١)، وَيَوْمِ الْجِدَالِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾^(٢)، وَلَوْ تَتَّبَعَ مِثْلَ
هَذَا مِنَ الْقُرْآنِ زَادَ عَلَيَّ مَا ذُكِرَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(٣).



(١) سورة الزلزلة: الآية ٦.

(٢) سورة النحل: ١١١.

(٣) انظر: فتح الباري، لابن حجر (١١ / ٣٩٥)، وانظر: التذكرة، للقرطبي، ص ٢٣٢، وإحياء علوم الدين، لأبي حامد
الغزالي (٤ / ٥١٦).

المطلب الثالث: وجوب الإيمان به وأهميته

لا شك أن الإيمان باليوم الآخر أحد أهم أركان الإيمان التي لا يصح إيمان العبد إلا بها، ولقد كان النبي ﷺ يُعَلِّمُ أصحابه الكرام ويرسخ هذه العقيدة في قلوبهم بطرق شتى، ففي الصحيحين، واللفظ للبخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَبِلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ. قَالَ: مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ. قَالَ مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ. قَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا وَلَدَتِ الْأُمَّةُ رَبَّهَا وَإِذَا تَطَاوَلَ رِعَاةُ الْإِبِلِ الْبُهْمُ فِي الْبُنْيَانِ، فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ تَلَا النَّبِيُّ ﷺ ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾^(١) الْآيَةَ، ثُمَّ أَدْبَرَ، فَقَالَ: رُدُّوهُ، فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا، فَقَالَ: هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ. قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ - يعني البخاري - : جَعَلَ ذَلِكَ كَلِمَةً مِنَ الْإِيمَانِ^(٢).

فالنبي ﷺ في هذا الحديث ذكر أن الإيمان بلقاء الله أحد أركان الإيمان، وأكد على ذلك بقوله: "وتؤمن بالبعث"، وعاد ليؤكد على هذا المفهوم عندما سئل عن وقت قيام الساعة، وأخبر عن أشراطها؛ كي تتهيأ الأمة لهذا اليوم الرهيب.

وكان النبي ﷺ يقوم من الليل كثيراً، فيثني على الله عز وجل بما هو أهل لذلك، ويردد عباراتٍ تدل على إيمانه وإقراره باليوم الآخر، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ، قَالَ: "اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ،

(١) سورة لقمان: الآية ٣٤.

(٢) صحيح البخاري (١٩/١)، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، حديث ٥٠، وصحيح مسلم

(٣٩/١)، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، حديث ٩.

وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ...^(١) الحديث.

قال ابن حجر: "فيه الإقرار بالبعث بعد الموت، وهو عبارة عن مآل الخلق في الدار الآخرة بالنسبة إلى الجزاء على الأعمال"، وقال: "وإطلاق اسم الحق على ما ذُكِرَ من الأمور معناه أنه لا بد من كونها، وأنها مما يجب أن يصدق بها، وتكرار لفظ حق للمبالغة في التأكيد"^(٢).

إن الإيمان بالله واليوم الآخر أعظم أركان الإيمان، ولأهمية هذين الركنين يقرب الله بينهما كثيراً في القرآن كما قال سبحانه: ﴿ذَلِكُمْ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(٣)، ولطالما قرن النبي ﷺ بين الإيمان بالله ﷻ والإيمان باليوم الآخر إذا أراد أن يأمر بأمر أو ينهى عن آخر استعطافاً لقلب المسلم وتأكيداً أنَّ الإيمان لا يكتمل إلا إذا رضخ العبد لأمر نبيه ﷺ، فالإيمان بالله ﷻ وباليوم الآخر قرنا لا يفترقان إذا ذهب أحدهما ذهب الآخر، ومما يؤكد على هذا المعنى ما جاء في صحيح الإمام مسلم من حديث زَيْنَبِ بِنْتِ أَبِي سَلَمَةَ قَالَتْ: لَمَّا أَتَى أُمَّ حَبِيبَةَ نَعِيُّ أَبِي سُفْيَانَ، دَعَتْ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ بِصُفْرَةٍ^(٤) فَمَسَحَتْ بِهِ ذِرَاعَيْهَا وَعَارِضَيْهَا، وَقَالَتْ: كُنْتُ عَنْ هَذَا غَنِيَّةً، سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "لَا يَحِلُّ لِمَرْأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تُجِدَّ فَوْقَ ثَلَاثٍ إِلَّا عَلَى زَوْجٍ فَإِنَّهَا تُجِدُّ عَلَيْهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا"^(٥).

وجاء في حديث آخر يقرب فيه النبي ﷺ بين الإيمان بالله وباليوم الآخر، كما في الصحيحين، واللفظ للبخاري، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُقِمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمِتْ"^(٦).

(١) صحيح البخاري (٤٨/٢) كتاب التهجد، باب التَّهَجُّدِ بِاللَّيْلِ، حديث ١١٢٠.

(٢) انظر: فتح الباري، لابن حجر ٤/٣.

(٣) سورة الطلاق: الآية ٢.

(٤) الصُّفْرَةُ: لون الأصْفَرِ، ويراد به هنا: طيب لهُ لَوْنٌ، يُؤخذ من الزعفران، وقد قيل: أهلك النساء الأصفران: الذهب والزعفران. (انظر: الصحاح، للجوهري، "صفر"، ٧١٤/٢، والنهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، "وضر"، ١٩٦/٥).

(٥) صحيح مسلم (١١٢٦/٢) كتاب الطلاق، باب وُجُوبِ الْإِحْدَادِ فِي عِدَّةِ الْوَفَاةِ...، حديث ١٤٨٦.

(٦) صحيح البخاري (١١/٨) كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، حديث ٦٠١٨، وصحيح مسلم (٦٨/١)، كتاب الإيمان، باب الْحُتِّ عَلَى إِكْرَامِ الْجَارِ وَالضَّيْفِ وَلُزُومِ الصَّمْتِ، حديث ٤٧.

قال المباركفوري^(١): المراد يؤمن بالإيمان الكامل، وخصه بالله واليوم الآخر إشارة إلى المبدأ والمعاد، أي: من آمن بالله الذي خلقه وآمن بأنه سيجازيه بعمله^(٢).

وفي النهي أن تسافر المرأة لوحدها من غير ذي محرم وعظ النبي ﷺ النساء، وذكرهن الله واليوم الآخر، فذلك أدعى للوجل وأسرع للاستجابة للأمر، ففي صحيح الإمام البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: "لَا يَحِلُّ لِمَرْأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تُسَافِرَ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لَيْسَ مَعَهَا حُرْمَةٌ"^(٣).

فبين هنا أنه لا يجوز لامرأة كاملة الإيمان أن تسافر من غير أحد محارمها؛ وذلك خشية الفتنة على نفسها ودينها.

وهناك العديد من النصوص التي قرن فيها بين الإيمان بالله وباليوم الآخر استفتاحاً لأمر أو لنهي؛ كي تكون الموعظة أبلغ، والأمر أنجز، والنهي أجز، والاستجابة أكد من قبل الصحابة رضي الله عنهم والأمة من بعدهم.

ولعظمة هذا اليوم والإيمان به بين لنا النبي ﷺ، أن النجاة كل النجاة إنما تتأتى من خلال الإيمان بهذا اليوم والاستعداد له، ففي حديث عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة، قال: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ ﷺ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، فَأَتَيْتُهُمْ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ...، وفيه: أنه ﷺ، قَالَ: "إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنذِرُهُمْ شَرًّا مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ...". ثم قال: "فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُرْزَخَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ..." الحديث^(٤).



(١) هو: أبو الحسن، عبيد الله بن محمد بن عبد السلام الرحماني المباركفوري، ت ١٤١٤ هـ، ومن أشهر مؤلفاته: "مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، وتحفة الأحوذى". (انظر: تكملة معجم المؤلفين، لمحمد يوسف، ص ٣٦٨).

(٢) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي (١٠١/٦).

(٣) صحيح البخاري ٤٣/٢: كتاب تقصير الصلاة، باب في كم يقصر الصلاة، حديث ١٠٨٨.

(٤) صحيح مسلم (٣/١٤٧٢)، كتاب الإمارة، باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء، الأول فالأول، حديث ١٨٤٤.

المطلب الرابع: موقف المشركين منه وإنكارهم له

لقد غرَّب المشركون كثيراً، ومن لف لفيهم من الدهريين والملحدين، عندما ظنوا أنهم سيخلدون في هذه الحياة الدنيا، أو أنهم لن يبعثوا بعد الموت، وأنهم ما خلقوا إلا ليأكلوا ويشربوا ويتمتعوا، فأخذوا بجمع المال، وكنز الذهب والفضة، وادعوا الملك الذي لا يفنى، وقتلوا وسفكوا الدماء من أجل ذلك، وجابهوا أنبياء الله ورسله وأوليائه، لما دعوهم إلى الله وأمروهم بأن يؤمنوا بيوم الحساب والجزاء، فحاربوهم وكفروا بذلك؛ فكان الإعراض عن اليوم الآخر دينهم وديندهم؛ لأنهم أنكروه جملة وتفصيلاً، فقال تعالى: ﴿وَلَكِن قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾^(١)، ولقد بلغ بهم الطيش والزيف والضلال أن أنكروا البعث بعد الموت، حيث قال الله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾^(٢).

فكان من المنكرين: "جماعة زنادقة في الجاهلية"^(٣)، منهم: العاص بن وائل، وعقبة بن أبي معيط، والوليد بن المغيرة، وأبي بن خلف^(٤)، ففي الصحيحين عن خباب^(٥) رضي الله عنه، قال: "كُنْتُ قَيْنًا^(٦) فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ لِي دَيْنٌ عَلَى الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ^(٧)، قَالَ^(٨): "فَأَتَاهُ يَتَقَاضَاهُ، فَقَالَ: لَا

(١) سورة هود: الآية ٧.

(٢) سورة النحل: الآية ٣٨.

(٣) الزنديق: القائل ببقاء الدهر ودوامه، والزندقة الضيق، وقيل الزنديق منه؛ لأنه ضيق على نفسه، وزندقته أنه لا يؤمن بالآخرة ووحداية الخالق، وهذه الكلمة أصلها فارسي معرب، ليست من كلام العرب، فإذا أرادت العرب معنى ما تقوله العامة، قالوا: ملحد ودهري. (انظر لسان العرب، لابن منظور، "زندق"، ١٠/١٤٧).

(٤) انظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٦/٢٢٣).

(٥) هو: أبو عبد الله، الحَبَّابُ بْنُ الْأَرْثِ بْنِ جُنْدَلَةَ بْنِ سَعْدٍ، كان قَيْنًا يعمل السيوف في الجاهلية، وكان قدم الإسلام ممن عذب في الله وصبر على دينه، وكان فاضلاً من المهاجرين الأولين، شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد مع النبي ﷺ، ت ٣٧ هـ بالكوفة. (انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢/٤٣٨، الإصابة في تمييز الصحابة ٢/٢٢١).

(٦) هو: الحداد والصائع. (انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، "قين"، ٤/١٣٥).

(٧) العاص بن وائل السهمي: هو والد عمرو بن العاص الصحابي المشهور، وكان له قدر في الجاهلية، ولم يوفق للإسلام، وكان موته بمكة قبل الهجرة، وهو أحد المستهزئين. (انظر: فتح الباري، لابن حجر ٨/٤٣٠).

(٨) القائل هو: مسروق بن الأجدع، الراوي عن خباب رضي الله عنه في هذا الحديث.

أَعْطَيْكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَكْفُرُ حَتَّى يُمِيتَكَ اللَّهُ، ثُمَّ يَبْعَثَكَ، قَالَ: فَذَرْنِي حَتَّى أَمُوتَ ثُمَّ أُبْعَثَ، فَسَوْفَ أُوتَى مَالًا وَوَلَدًا، فَأَقْضِيكَ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا﴾^(١)»^(٢).

والعاص بن وائل ليس وحده الذي ينكر البعث بل هذا هو دين القوم، فانظر معي كيف استنكر أهل الجاهلية قول من يذكرهم بالبعث؛ فعند الإمام أحمد^(٣)، والحاكم^(٤)، من حديث سلمة بن سلامة بن وقش رضي الله عنه، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ بَدْرٍ، قَالَ: "كَانَ لَنَا جَارٌ مِنْ يَهُودٍ فِي بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ"^(٥)، قَالَ: فَخَرَجَ عَلَيْنَا يَوْمًا مِنْ بَيْتِهِ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ بَيْسِيرٍ، فَوَقَفَ عَلَيَّ مَجْلِسِ عَبْدِ الْأَشْهَلِ، قَالَ سَلَمَةُ: وَأَنَا يَوْمَئِذٍ أَحَدْتُ مَنْ فِيهِ سِنًا، عَلَيَّ بُرْدَةٌ مُضْطَجِعًا فِيهَا بِنَاءِ أَهْلِي؛ فَذَكَرَ الْبُعْثَ وَالْقِيَامَةَ وَالْحِسَابَ وَالْمِيزَانَ وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ، فَقَالَ ذَلِكَ لِقَوْمٍ أَهْلٍ شَرِكِ أَصْحَابِ أُوتَانَ لَا يَرَوْنَ أَنَّ بَعَثًا كَاتِنٌ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَقَالُوا لَهُ: وَيْحَكَ يَا فَلَانُ، تَرَى هَذَا كَاتِنًا، إِنَّ النَّاسَ يُبْعَثُونَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ إِلَى دَارٍ فِيهَا جَنَّةٌ وَنَارٌ يُجْزَوْنَ فِيهَا بِأَعْمَالِهِمْ؟!، قَالَ: نَعَمْ وَالَّذِي يُخْلَفُ بِهِ، لَوْ أَنَّ لَهُ بِحِظِّهِ مِنْ تِلْكَ النَّارِ أَعْظَمَ تَنُورٍ فِي الدُّنْيَا يُحْمُونَهُ ثُمَّ يُدْخِلُونَهُ إِيَّاهُ فَيُطْبَقُ بِهِ عَلَيْهِ وَأَنْ يَنْجُوَ مِنْ تِلْكَ النَّارِ غَدًّا... " الْحَدِيثُ"^(٦).

نعم إنهم لا يرون بعد الموت بعثًا، وقد صدق عليهم القرآن فيما اعتقدوا، فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿١﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٢﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٤﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ

(١) سورة مريم: الآية ٧٧.

(٢) صحيح البخاري (٩٤/٦)، كتاب التفسير، باب كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدًا، حديث ٤٧٣٣،

وصحيح مسلم (٢١٥١/٤)، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح، حديث ٢٧٩٥.

(٣) مسند أحمد (١٦٤/٢٥)، حديث ١٥٨٤١.

(٤) المستدرک علی الصحیحین (٤١٧/٣-٤١٨)، حديث ٥٧٩٠.

(٥) بنو عبد الأشهل هم من الأوس، وهو عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج الأصغر بن عمرو الأوسي، وهم

رھط سعد بن معاذ رضي الله عنه (انظر: فتح الباري، لابن حجر ١١٦/٧).

(٦) قال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم"، ووافقه الذهبي. (انظر: المستدرک، للحاكم، مع التلخيص، للذهبي،

٤١٧/٣-٤١٨، حديث ٥٧٩٠).

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣﴾^(١)،
ولهذه الآيات سبب نزول؛ ففي مستدرک الإمام الحاکم، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ الْعَاصُ
ابْنُ وَائِلٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِعَظْمٍ حَائِلٍ، فَفَتَّهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَيَّبَعْتُ اللَّهَ هَذَا بَعْدَ مَا أَرَمْتُ؟
قَالَ: "نَعَمْ، يَبَعْتُ اللَّهَ هَذَا، يُمِيتُكَ، ثُمَّ يُحْيِيكَ، ثُمَّ يَدْخِلُكَ نَارَ جَهَنَّمَ"^(٢).

وهذا الذي احتج به العاص بن وائل إنما هو عدولٌ منه عن القياس الصحيح إلى القياس
الفاسد، "والقياس الفاسد هو ضرب المثل بالعظم الذي قد أرم، وإنكاره القياس الصحيح، وهو
إنكار خلقه أول مرة، فليس الإعادة مرة أخرى بِأَعْظَمَ من ابتداء الخلق على غير مثال
سابق"^(٣).

وهكذا أنكر القوم البعث والنشور فأدخلوا دار الويل والشبور، ولقد شنع عليهم القرآن
الكریم في إنكارهم لليوم الآخر أعظم تشنيع، وكثر الرد عليهم في هذا الأمر، حتى تكاد لا تجد
سورة في القرآن إلا ردت عليهم كفرهم باليوم الآخر، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَجَّبْتَ فَعَجَبْتُ
قَوْلُهُمْ إِذَا كُنَّا تُرَابًا أِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي
أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٤).



(١) سورة يس: الآيات ٧٧-٨٣.

(٢) سبق تخريجه، ص ٥.

(٣) انظر: درء تعارض النقل والعقل، لابن تيمية (٣٣/١).

(٤) سورة الرعد: الآية ٥.

المطلب الخامس: الآثار المترتبة على إنكاره والغفلة عنه

تكمُن خطورة التكذيب باليوم الآخر، والتغافل عنه في عدة أمور، أهمها:
أولاً: إن ذلك تحدي وتكذيب للخالق سبحانه وتعالى: ففي الحديث القدسي الذي أخرجه الإمام البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال النبي صلى الله عليه وسلم، أَرَاهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "يَشْتَمُنِي ابْنُ آدَمَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَشْتَمُنِي وَيُكَذِّبُنِي وَمَا يَنْبَغِي لَهُ، أَمَّا شَتْمُهُ فَقَوْلُهُ: إِنَّ لِي وَلَدًا، وَأَمَّا تَكْذِيبُهُ فَقَوْلُهُ: لَيْسَ يُعِيدُنِي كَمَا بَدَأَنِي"^(١).

جاء في شرح هذا الحديث:

قوله: "وَأَمَّا تَكْذِيبُهُ": التكذيب هو نسبة المتكلم إلى أن خبره خلاف الواقع^(٢)، وحاشاه سبحانه وتعالى أن يقع الكذب منه؛ فقد قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾^(٣)، وقال أيضاً: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾^(٤)، تعالى الله عما يقول المكذبون علواً كبيراً.

وقوله: "لَيْسَ يُعِيدُنِي كَمَا بَدَأَنِي": المراد من القائل بعض بني آدم، وهم من أنكر البعث من العرب وغيرهم من عباد الأوثان والدهرية، ومن ادعى أن الله ولدا من العرب أيضاً، ومن اليهود والنصارى^(٥)، "فقد أنكروا البعث، واستبعدوه مع علمهم بأن الله هو الذي خلقهم على غير مثال سابق، فكيف يخلقهم ابتداءً، ثم يعجز عن إعادتهم مرة أخرى، مع أن الإعادة أسهل، كما قال تعالى: ﴿أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾^(٦)^(٧).

ويؤخذ من هذا الحديث فوائد، أهمها:

(١) صحيح البخاري (٤/١٠٦)، كتاب بدء الخلق، باب قوله ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده﴾، حديث ٣١٩٣.

(٢) عمدة القاري، للعيبي (١٨/٩١).

(٣) سورة النساء: الآية ٨٧.

(٤) سورة النساء: الآية ١٢٢.

(٥) فتح الباري، لابن حجر (٦/٢٩١)، (٨/٧٤٠)، وانظر: إرشاد الساري، للقسطلاني (٥/٢٥١).

(٦) سورة ق: الآية ١٥.

(٧) انظر: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، لحمزة قاسم (٤/١٤٨).

- أن إنكار البعث تكذيب لله ولوعده.
- أن الله هو الذي بدأ الخلق، وهو الذي يعيده، وفي ذلك إثبات لحدوث العالم وإعادة الإنسان بعد موته، وأن الله هو الذي يعيده يوم القيامة لمجازاته على أعماله^(١).

ثانياً: إنكار اليوم الآخر يُجرى الفجار على الاستقواء على الضعفاء، وسيادة قانون الغاب، وشريعته: حيث لا خوف ولا خشية من جزاء أو حساب وعقاب، مما يترتب عليه آثار سيئة تتسبب في فقدان الأمن الاجتماعي، وانتشار جرائم القتل والزنا والسرقه واعتداء الناس بعضهم على بعض، من أكلٍ لأموال غيرهم بدون وجه حق، وكذلك النيل من الأعراس، والحسد والتباغض، والفرقة والاختلاف، كل ذلك بسبب غياب الإيمان باليوم الآخر، وعدم الاستشعار بيوم الحساب والقصاص ورد المظالم، فهذا العاص بن وائل من أشد الناس إنكاراً وجحوداً لليوم الآخر، كان يستقوي على فقراء المسلمين ويهضم حقوقهم، إذ لا وازع يردعه ويكفه عن ذلك، ففي الصحيحين من حديث الحَبَّاب بن الأرت رضي الله عنه، قَالَ: جِئْتُ الْعَاصَ بْنَ وَائِلِ السَّهْمِيِّ أَتَقَاضَاهُ حَقًّا لِي عِنْدَهُ، فَقَالَ: لَا أُعْطِيكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، فَقُلْتُ: لَا حَتَّى تَمُوتَ ثُمَّ تُبْعَثَ، قَالَ وَإِنِّي لَمَيِّتٌ ثُمَّ مَبْعُوثٌ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: إِنَّ لِي هُنَاكَ مَالًا وَوَلَدًا فَأَقْضِيكَهُ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ (٢)(٣).

لا يفهم من قول الحباب رضي الله عنه أنه سيكفر بالله عز وجل إذا مات وبعث العاص بن وائل، وإنما أراد من قوله: "حَتَّى تَمُوتَ ثُمَّ تُبْعَثَ"، أنه لن يكفر بالله عز وجل أبداً، وإلى هذا المعنى يشير الحافظ ابن حجر، إذ يقول: "مفهومه أنه يكفر حينئذ - أي بعد البعث -، لكنه لم يرد ذلك؛ لأن الكفر حينئذ لا يُتصوّر، فكأنه قال: لا أكفر أبداً، والنكته في تعبيره بالبعث تعبير العاص

(١) انظر: منار القاري، حمزة قاسم (٤/١٤٩).

(٢) سورة مريم: الآية ٧٧.

(٣) سبق تخرجه، ص ٢٩.

بأنه لا يؤمن به"^(١)، ويقول الدكتور موسى لاشين^(٢): "ليس مراده أن يكفر بعد هذه الغاية، بل لن أكفر بمحمد أبداً، وفي كلامه إثبات للبعث الذي ينكره العاص"^(٣).

ثالثاً: إنكار اليوم الآخر يولد الوهن والضعف في النفوس:

إن إنكار اليوم الآخر وجحوده، أو البعد والغفلة عنه يولد ضعفاً ووهناً في نفوس أبناء الأمة، مما ينتج عن هذا الضعف ضعفاً في الهمم وتراجعاً بين الأمم، وما تجرأ أعداء الأمة على المسلمين، إلا بسبب ضعف الإيمان الذي أصاب الكثير من أبناء المسلمين، حتى أصبح بعضهم تبعاً للكفار، والبعض الآخر أصبح مستضعفاً في مشارق الأرض ومغاربها، وإلى هذا يشير الحديث الذي يرويه الإمام أحمد، عن ثوبان - مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أَفْقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَيْهَا"، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمِنْ قَلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: "أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ، تُنْتَزَعُ الْمَهَابَةُ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ، وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ"، قَالَ: قُلْنَا: وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: "حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ"^(٤).

(١) فتح الباري، لابن حجر (٤٣٠/٨).

(٢) هو الشيخ الدكتور موسى شاهين لاشين، من مواليد القليوبية بمصر، كان عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وجمع البحوث الإسلامية، والمركز الدولي للسيرة والسنة بوزارة الأوقاف المصرية، ت ١٤٣٠هـ، ومن مؤلفاته: فتح المنعم شرح صحيح مسلم. (انظر ترجمته: موقع ويكيبيديا - الموسوعة الحرة - <https://ar.wikipedia.org/wiki>).

(٣) فتح المنعم شرح صحيح مسلم (٤٠٨/١٠).

(٤) مسند أحمد (٨٢/٣٧)، حديث ٢٢٣٩٧.

أولاً: سند الحديث: قال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ (هو: هاشم بن القاسم)، حَدَّثَنَا الْمُبَارَكُ (هو ابن فضالة)، حَدَّثَنَا مَرْزُوقٌ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَمَاصِيُّ، أَخْبَرَنَا أَبُو أَسْمَاءَ الرَّحِيِّيُّ (هو عمرو بن مرثد)، عَنْ ثُوبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ... الحديث. ثانياً: تخريج الحديث: للحديث عن ثوبان ثلاث طرق، كالاتي:

الطريق الأولى: عن أبي أسماء الرحيي: أخرجها ابن أبي الدنيا في (العقوبات ٢/١)، حديث ٥، والطبراني في (المعجم الكبير ٢/١٠٢)، حديث ١٤٥٢، وأبو نعيم في (حلية الأولياء ١/١٨٢)، بنحوه، ولم يسق الطبراني لفظه.

الطريق الثانية: عن صالح بن رستم (ابن عبد السلام): أخرجها أبو داود في (سننه، كتاب الملاحم، باب ٥ في تداعي الأمم على الإسلام، حديث ٤٢٩٧)، ومن طريقه البيهقي في (دلائل النبوة ٦/٥٣٤)، حديث ٢٩٠٠، والبخاري =

قَالَ الطَّبِيُّ^(١): "حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ مُتَلَازِمَانِ، فَكَأَنَّهُمَا شَيْءٌ وَاحِدٌ يَدْعُوهُمُ إِلَى
إِعْطَاءِ الدِّيَّةِ فِي الدِّينِ مِنَ الْعُدُوِّ الْمُؤْمِنِينَ، وَنَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ"^(٢).

= (شرح السنة ١/١٦)، والطبراني في (مسند الشاميين ١/٣٤٤)، والرواياني في (مسنده ٢/٢٥٨، حديث ٦٣٦)، وابن
عساكر في (تاريخ دمشق ٢٣/٣٢٩)، بنحوه.

الطريق الثالثة: عن عمرو بن عبيد: أخرجها الطيالسي في (مسنده ٢/٣٣٣، حديث ١٠٨٥)، ومن طريقه البيهقي في
(شعب الإيمان ١٣/١٦، حديث ٩٨٨٧)، وابن أبي شيبه في (مصنفه ٢١/٩٢، حديث ٣٨٤٠٢)، والبخاري في (التاريخ
الكبير ٦/٣٥٣)، بنحوه.

ثالثاً: دراسة رجال الإسناد:

- المبارك بن فضالة بن أبي أمية القرشي العدوي، أبو فضالة البصري، ت ١٦٦هـ.

اختلف فيه كثيراً، فبعض أهل العلم قد وثقه، وبعضهم ضعفه، وبعضهم توسط فيه، لكن الذي يميل إليه القلب أنه
صدوق حسن الحديث، كما اتفق على ذلك الذهبي وابن حجر، لكنه يدرس، وقد صرح بالتحديث في هذا الحديث فأمن
تدليسه. (انظر ترجمته: الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم ٨/٣٣٩، والطبقات الكبير، لابن سعد ٧/٢٧٧، وتاريخ ابن معين -
رواية الدوري ٤/٨٣، ورواية ابن محرز ١/٧٨، ١/١١٣، وسير أعلام النبلاء، للذهبي ٧/٣٨٣-٣٨٤، تهذيب التهذيب،
لابن حجر ١٠/٢٨، والثقات، لابن حبان ٨/٩٢٢، وسؤالات ابن أبي شيبه لابن المديني، ص ٥٩، والمدلسين، للعراقي،
ص ٨٠، ومعرفة الثقات، للعجلي ٢/٢٦٣، وسؤالات الآجري أبا داود ١٠/٣٩٠، والكامل في ضعفاء الرجال، لابن
عدي ٦/٣٢٠، وتقريب التهذيب، لابن حجر، ص ٩١٨، والعلل ومعرفة الرجال، للإمام أحمد ٣/١٠، وأحوال الرجال،
للجوزجاني، ص ٢١٠، وتهذيب الكمال، للمزي ٢٧/١٨٩، سؤالات السجزي للحاكم ١/٩٥، سؤالات البرقاني للدارقطني
ص ٦٤).

- مزروق، أبو عبد الله الشامي الحمصي، من الطبقة السادسة.

قال ابن معين، وابن حجر: "ليس به بأس"، وذكره ابن حبان في "الثقات"، وقال الذهبي: "صدوق". قال الباحث:
الراوي صدوق. (انظر: الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم ٨/٢٦٣، والثقات، لابن حبان ٧/٤٨، تقريب التهذيب، لابن
حجر، ص ٥٢٥، والكاشف، للذهبي ٢/٢٥٢).

- باقي رجال الإسناد ثقات.

رابعاً: الحكم على الحديث: إسناده حسن، فيه المبارك بن فضالة صدوق حسن الحديث، ولا يضر تدليسه، فقد عده ابن
حجر في الطبقة الثالثة الذين لا يقبل حديثهم إلا بعد التصريح بالسماع، وقد صرح بالسماع في هذا الحديث، فأمن
تدليسه. (انظر: طبقات المدلسين، لابن حجر، ص ٤٣).

قلت: وللحديث متابعات - كما هو واضح في التخريج - يرتقي بها إلى الصحيح لغيره.

(١) هو: شرف الدين، الحسين بن عبد الله الطيبي، ت ٧٤٣هـ، ومن أشهر مؤلفاته: شرح مشكاة المصابيح. (انظر: الدرر
الكامنة، لابن حجر ٢/٦٨).

(٢) انظر: عون المعبود، للفيروز ابادي (١١/٢٧٣)، مرقاة المفاتيح، للملا علي القاري (٩/٥٥٢).

رابعًا: منكرو اليوم الآخر تحبط أعمالهم وتذهب هباءً منثورًا، وإن كانت صالحة:

إن الله تعالى لا يقبل من عباده إلا الإيمان الخالص الذي لا تشوبه رائحة الشرك؛ ولذلك لن تنفع المشركين أعمالهم، حيث تذهب أدرج الرياح هباءً منثورًا، كما قال ﷺ عن حالهم يوم القيامة: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾^(١).

ولقد صور لنا القرآن الكريم وضرب لنا مثل الكفار في ضياع أعمالهم كالرماد الذي يتناثر مع هبوب الرياح، فلا يبقى له أصل أو أثر، فقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾^(٢).

ولقد حذر المولى ﷺ من الشرك أو انكار اليوم الآخر، وأخبر أنه لن يقبل من أصحابهما عملاً ولا صرفاً ولا عدلاً؛ إذ إنهما أصلاً معتقد الكفار، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾^(٣).

ولذلك جعل الله أعمالهما كالسراب الذي يحسبه العطشان ماءً، وهو في الحقيقة خيال لا أصل له، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾^(٤)، وقال أيضاً: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾^(٥).

والسبب في إحباط أعمالهم أنهم كفروا بالله واليوم الآخر، فلم يتحقق عندهم شرطاً القبول، وهما: الإخلاص لله رب العالمين، والموافقة والمتابعة للشريعة.

قال ابن كثير: "فكلُّ عملٍ لا يكون خالصاً وعلى الشريعة المرضية، فهو باطل،

(١) سورة الفرقان: الآية ٢٣.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ١٨.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٦٤.

(٤) سورة النور: الآية ٣٩.

(٥) سورة الكهف: الآية ١٠٥.

فأعمال الكفار لا تخلو من واحدٍ من هذين، وقد تجمعهما معاً، فتكون أبعد من القبول حينئذٍ"^(١).

وجاء في صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها ما يثبت أن منكري اليوم الآخر لا يقبل منهم عملٌ صالحٌ عملوه في الدنيا؛ إذ إنهم كفروا بالله وأنكروا وعيده، فعن عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ابْنُ جُدْعَانَ ^(٢) كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمَسْكِينِ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: "لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ"^(٣).

ومعنى هذا الحديث، كما قال الإمام النووي: "إنَّ ما كان يفعله من الصلوة والإطعام ووجوه المكارم لا ينفعه في الآخرة لكونه كافراً، وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم: "لم يقل رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين"، أي لم يكن مصدقاً بالبعث، ومن لم يصدق به كافر، ولا ينفعه عمل"^(٤)، وزاد ابن حجر، قائلاً: "فدل على أنه لو قالها بعد أن أسلم نفعه ما عمله في الكفر"^(٥).

هذا الحديث يفيد أن الكافر لا ينفعه عمله في الآخرة، ويؤيده ما رواه مسلم في صحيحه أيضاً، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "...وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتٍ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا"^(٦).

فدل الحديث على أن الكافر يستنفد أجره في الدنيا، وأما في الآخرة فلن ينفعه عمله أبداً، لكن جاءت بعض الأحاديث التي تفيد انتفاعه، كحديث عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ قَالَ: "وَتُؤْتِيَةُ مَوْلَاةً لِأَبِي لَهَبٍ، كَانَ أَبُو لَهَبٍ أَعْتَقَهَا فَأَرْضَعَتْ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَلَمَّا مَاتَ أَبُو لَهَبٍ أُرِيَهُ

(١) تفسير ابن كثير (١٠٣/٦) .

(٢) هو: عبد الله بن جدعان التيمي القرشي، أحد الأجواد المشهورين في الجاهلية، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة، وكانت له حفنة يأكل منها الطعام القائم والراكب، وهو الذي مدحه أمية بن أبي الصلت قائلاً: "أذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك؟ إن شيمتك الحياء"، وقد سُمِّيَ من بين حكام العرب في الجاهلية. (انظر: الأعلام، للزركلي ٤/٧٦).

(٣) صحيح مسلم (١/١٩٦)، باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل، حديث ٣٦٥.

(٤) شرح النووي على مسلم (٣/٨٧).

(٥) فتح الباري، لابن حجر (١/٦٥).

(٦) صحيح مسلم (٤/٢١٦٢)، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل

حسنات الكافر في الدنيا، حديث ٢٨٠٨.

بَعْضُ أَهْلِهِ^(١) بِشَرِّ حَبِيْبَةٍ^(٢)، قَالَ لَهُ: مَاذَا لَقَيْتَ؟ قَالَ أَبُو لَهَبٍ: لَمْ أَلْقَ بَعْدَكُمْ، غَيْرَ أَنِّي سُقِيتُ فِي هَذِهِ بَعْتَاقَتِي^(٣) ثُوْبِيَّةَ^(٤)»^(٥).

وكذلك الحديث الذي يفيد تخفيف العذاب يوم القيامة عن أبي طالب، لأنه كان ينصر النبي ﷺ ويمنعه من قومه، لكنه مات مشركًا، فقد روى البخاري ومسلم، واللفظ له، عن العباس ﷺ قال: قلت: يا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبَا طَالِبٍ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَنْصُرُكَ، فَهَلْ نَفَعَهُ ذَلِكَ؟ قال: "نعم وَجَدْتُهُ فِي غَمْرَاتٍ مِنَ النَّارِ فَأَخْرَجْتُهُ إِلَى ضَحْصَاحٍ"^(٦).

(١) قيل: إنه العباس بن عبد المطلب، فقد ذكر السُّهَيْلِيُّ في الروض الأنف أن العباس قال: "لما مات أبو لهب رأيتُه في منامي بعد حول في شر حال، فقال: ما لقيت بعدكم راحة، إلا أن العذاب يخفف عني كل يوم اثنين، قال: وذلك أن النبي ﷺ ولد يوم الاثنين، وكانت ثوبية بشرت أبا لهب بمولده، فأعتقها، فنفعه. (انظر: الروض الأنف، للسهيلى ١٩٢/٥، وفتح الباري، لابن حجر ١٤٥/٩).

(٢) حَبِيْبَةٍ: بكسر المهملة وسكون التحتانية بعدها موحدة، أي في سوء حال، وقيل: المسكنة والحاجة، وضبطت حَبِيْبَةٍ: بفتح الخاء المعجمة، أي في حالة خائبة من كل خير. (انظر: فتح الباري ١٤٥/٩).

(٣) قال ابن حجر: بَعْتَاقَتِي بفتح العين، في رواية عبد الرزاق بعثقي وهو أوجه، والوجه الأولى أن يقول: بإعتاقي؛ لأن المراد التخليص من الرق. (انظر: المرجع نفسه ١٤٥/٩).

(٤) ثُوْبِيَّة مولاة لأبي لهب، وهي أول مرضعة للنبي ﷺ، قال أبو نعيم: لا أعلم أحدًا أثبت إسلامها، وفي طبقات ابن سعد ما يدل على أنها لم تسلم، ماتت سنة سبع مرجع النبي ﷺ من خيبر، وكانت خديجة تكرمها وهي ملك أبي لهب، وسألته أن يبيعهما لها فامتنع، فلما هاجر النبي ﷺ أعتقها. (انظر: معرفة الصحابة، لأبي نعيم ٣٢٨٤/٦، الطبقات الكبرى، لابن سعد ١٠٨/١).

(٥) صحيح البخاري (٩/٧)، كتاب النكاح، باب "وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم"، حديث ٥١٠١. سند الحديث: قال: حدثنا الحكم بن نافع، أخبرنا شعيب (هو ابن أبي حمزة) عن الزهري، قال: أخبرني عروة بن الزبير... الحديث.

تخريج الحديث: أخرجه البيهقي (البعث والنشور ص ٦٣، حديث ١٦)، من طريق أبي اليمان الحكم بن نافع به، بنحوه. وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٧/٤٧٧، حديث ١٣٩٥٥٩، عن معمر عن الزهري به، بنحوه. وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٩/٦٢، حديث ١٦٣٥٠)، من طريق عروة عن زينب بنت أبي سلمة، وذكرت نحوه.

دراسة رجال الإسناد: جميع رجاله ثقات، غير أنه مرسل، إذ إن عروة لم يكن موجودًا يوم وفاة أبي لهب أصلًا، وقال الحافظ ابن حجر: "إن الخبر مرسل أرسله عروة ولم يذكر من حدثه به" (انظر: فتح الباري، لابن حجر ١٤٥/٩)، وقد أرسل عروة عن زينب بنت أم سلمة، كما ذكره العلامي (انظر: جامع التحصيل في أحكام المراسيل ص ٢٣٦).

(٦) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب قِصَّةِ أَبِي طَالِبٍ، حديث ٣٨٨٣، وكتاب الأدب، باب كُنْيَةِ الْمُشْرِكِ، حديث ٦٢٠٨، صحيح مسلم (١/١٩٤)، كتاب الإيمان، باب شَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِأَبِي طَالِبٍ، حديث ٣٥٧-٣٥٨.

قال الإمام النووي : "أَمَّا الضَّحَضَاخُ فَهُوَ مَا رَقَّ مِنَ الْمَاءِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ إِلَى نَحْوِ الْكَعْبَيْنِ وَاسْتُعِيرَ فِي النَّارِ، وَأَمَّا الْعَمْرَاتُ: فَهِيَ الْمَعْظَمُ مِنَ الشَّيْءِ"^(١).

والسؤال الذي يطرح نفسه من كل ذلك، هو: هل يوجد تعارض بين هذه الأحاديث الذي تفيد أن الكافر قد يتنفع بعمله يوم القيامة، وبين حديث الباب الذي يفيد عكس ذلك؟ والجواب من شقين: الأول: لا خلاف بين العلماء في أن الكافر لا يثاب بنعيم في الآخرة^(٢).

والثاني: اختلفوا في أنه هل يثاب بتخفيف شيء من العذاب عنه، إلى ثلاث فرق: فمنهم من يرى أنه لا يتعقد الانتفاع للكافر يوم القيامة مطلقاً لا بنعيم ولا بتخفيف من العذاب.

قال القاضي عياض^(٣): "وقد انعقد الإجماع على أن الكفار لا تنفعهم أعمالهم ولا يثابون عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب لكن بعضهم أشد عذاباً من بعض بحسب جرائمهم"^(٤).

وقال الكرمانى^(٥): "لا ينفع الكافر العمل الصالح"^(٦).

وإلى هذا يميل الإمام النووي^(٧)، وقد ترجم لحديث الباب في صحيح مسلم، بقوله: "باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل"^(٨).

وكذلك الإمام العيني^(٩) يميل إلى هذا الرأي، إذ يقول: "ومذهب المحققين أن الكافر لا

(١) انظر: شرح النووي على مسلم (٣/ ٨٤).

(٢) انظر: فتح المنعم شرح صحيح مسلم، لموسى لاشين ٢/٥٣.

(٣) هو: القاضي عياض بن موسى بن عياض البحصي السبتي، أبو الفضل، إمام أهل الحديث في المغرب، ت ٥٤٤هـ، ومن أشهر مؤلفاته: "الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ﷺ"، و"شرح صحيح مسلم". (الأعلام للزركلي ٥/٩٩).

(٤) انظر: شرح النووي على مسلم (٣/ ٨٧)، وإكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض (١/ ٣٨٧).

(٥) هو: شمس الدين محمد بن يوسف بن علي بن سعيد الكرمانى، ت ٧٨٦هـ، من أشهر مؤلفاته: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري. (انظر: الدرر الكامنة، لابن حجر ٤/٣١٠).

(٦) انظر: عمدة القاري، للعيني (٢٠/٩٥).

(٧) انظر: شرح النووي على مسلم (٣/ ٨٧).

(٨) صحيح مسلم (١/ ١٩٦).

(٩) هو: بدر الدين، أبو محمد، محمود بن أحمد بن موسى العيني الحنفي، ت ٨٥٥هـ، من مؤلفاته: عمدة القاري شرح صحيح البخاري. (انظر: الضوء اللامع، للسخاوي ١/١٣١-١٣٥).

يُخَفَّفُ عَنْهُ الْعَذَابُ بِسَبَبِ حَسَنَاتِهِ فِي الدُّنْيَا، بَلْ يُوسِعُ عَلَيْهِ بِهَا فِي دُنْيَاهُ"^(١).

وَيُرَدُّ حَدِيثُ أَبِي لَهَبٍ بِأَمْرَيْنِ:

أولاً: بكون الخبر مرسلاً أرسله عروة ولم يذكر من حدثه به، وعلى تقدير أن يكون موصولاً فالذي في الخبر رؤيا منام فلا حجة فيه، ولعل الذي رآها لم يكن إذ ذاك أسلم بعد فلا يحتج به.

ثانياً: على تقدير القبول فيحتمل أن يكون ما يتعلق بالنبي ﷺ مخصوصاً من ذلك بدليل قصة أبي طالب كما تقدم أنه خفف عنه فنقل من الغمرات إلى الضحضاح^(٢).

وبعضهم يرى أن الكفار ينتفعون في الآخرة بما عملوا من صالح دنياهم، بتخفيف العذاب عن جرائمهم التي ارتكبوها غير الكفر.

قال الحافظ الفقيه أبو بكر البيهقي: "وقد يجوز أن يكون الحديث - أي حديث ابن جدعان -، وما ورد من الآيات والأخبار في بطلان خيرات الكافر إذا مات على كفره، ورد في أنه لا يكون لها موقع التخليص من النار وإدخال الجنة، لكن يخفف عنه من عذابه الذي يستوجبه على جنایات ارتكبها سوى الكفر بما فعل من الخيرات"^(٣).

وقال ابن بطلال^(٤): "وصح قول من تأول في معنى الحديث الذي جاء عن الله تعالى: "إن رحمته سبقت غضبه"، إن رحمته لا تنقطع عن أهل النار المخلدين فيها، إذ في قدرته أن يخلق لهم عذاباً يكون عذاب النار لأهلها رحمة وتخفيفاً بالإضافة إلى ذلك العذاب"^(٥).

ونقل العيني عن الشافعي قوله: "وفي هذا الحديث من الفقه أن الكافر قد يعطى عوضاً من أعماله التي يكون منها قرينة لأهل الإيمان بالله، كما في حق أبي طالب، غير أن التخفيف

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني (٢٠ / ٩٥).

(٢) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٩ / ١٤٥).

(٣) البعث والنشور، للبيهقي، ص ٦٢، فتح الباري، لابن حجر (٩ / ١٤٥).

(٤) هو: أبو الحسن، علي بن خلف بن عبد الملك، الشهير بابن بطلال القرطبي، ت ٤٤٩ هـ، ومن أشهر مؤلفاته: شرح صحيح البخاري. (انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي ٩ / ٧٤١).

(٥) شرح صحيح البخاري، لابن بطلال (٧ / ١٩٦).

عن أبي هب أقل من التخفيف عن أبي طالب، وذلك لنصرة أبي طالب لرسول الله ﷺ وحياطته له، وعداوة أبي هب له" (١).

وإلى هذا الرأي يميل ابن حجر، إذ يقول: "فإن جميع ما ورد من ذلك - أي ما ورد في منع تخفيف العذاب - فيما يتعلق بذنب الكفر، وأما ذنب غير الكفر فما المانع من تخفيفه" (٢). وفريق ثالث من العلماء يرى أن انتفاع الكافر من عمله الصالح في دنياه، ليس على إطلاقه، وإنما هذا التخفيف خاص بمن ورد فيهم النص، كأبي طالب وأبي هب، وإلى هذا يميل الإمامان القرطبي (٣)، وابن المنير (٤).

قال القرطبي في حديث أبي هب: "هذا التخفيف خاص بهذا وبمن ورد النص فيه". وقال ابن المنير موضحاً: "هنا قضيتان: إحداها محال، وهي اعتبار طاعة الكافر مع كفره؛ لأن شرط الطاعة أن تقع بقصد صحيح، وهذا مفقود من الكافر، والثانية إثابة الكافر على بعض الأعمال تفضلاً من الله تعالى، وهذا لا يحيله العقل، فإذا تقرر ذلك لم يكن عتق أبي هب لثوية قربة معتبرة، ويجوز أن يتفضل الله عليه بما شاء كما تفضل على أبي طالب، والمتبع في ذلك التوقيف نفياً وإثباتاً" (٥).

وقد استحسن هذا القول من المعاصرين الدكتور موسى لاشين في شرح مسلم (٦). وهذا هو الرأي الذي يتبناه الباحث؛ لأنه يتلاءم مع القاعدة الشرعية التي تقول:

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني (٢٠ / ٩٥).

(٢) فتح الباري، لابن حجر (٩ / ١٤٥).

(٣) هو: الإمام المحدث الفقيه أبو العباس، أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري القرطبي المالكي، ويُعرف في بلاده بـابن المزين، وُلد بقرطبة سنة ٥٧٨هـ، وتوفي بالإسكندرية سنة ٦٥٦هـ. (انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي ١٤ / ٧٩٦).

(٤) هو: العلامة ناصر الدين أبو العباس، أحمد بن محمد بن منصور الجذامي الإسكندراني، تـ ٦٨٣هـ، ومن أشهر تصانيفه: تفسير القرآن، ومناسبات تراجم البخاري، ومختصر التهذيب في الفقه. (حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، للسيوطي ١ / ٣١٦-٣١٧).

(٥) انظر: فتح الباري لابن حجر (٩ / ١٤٦).

(٦) انظر: فتح المنعم شرح صحيح مسلم، لموسى لاشين (٢ / ٥٤).

"إعمال النص أولى من إهماله"^(١)، وبه يُحَلُّ الإشكال، ويَزول التعارض الظاهر بين النصوص، إذ إنه لا تعارض حقيقي بين نصوص الشريعة، ولكن بحسب الظاهر فقط.

خامساً: الغفلة عن الآخرة تورث في القلوب طول الأمل والتعلق بالدنيا:

إن من أخطر الأبواب التي يدخل منها الشيطان على العبد: طول الأمل، والأمني الخادعة التي تجعل صاحبها في غفلة شديدة عن الآخرة، واغترار بزينة الحياة الدنيا، وتضييع ساعات العمر النفيسة في اللهث وراءها حتى ينقضي الأجل، وتذهب النفس حسراتٍ على ما فرطت في عمرها، ففي الصحيحين، واللفظ للبخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: "لَا يَزَالُ قَلْبُ الْكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ: فِي حُبِّ الدُّنْيَا، وَطُولِ الأَمَلِ"^(٢)، ومن حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَكْبُرُ ابْنُ آدَمَ وَيَكْبُرُ مَعَهُ اثْنَانِ حُبُّ المَالِ وَطُولُ العُمُرِ"^(٣).

قال القاضي عياض: "والتعبير بالشباب إشارة إلى كثرة الحرص وبعد الأمل الذي هو في الشباب أكثر وبهم أليق لكثرة الرجاء عادة عندهم في طول أعمارهم ودوام استمتاعهم ولذاتهم في الدنيا"^(٤).

"وفيه كراهة الحرص على طول العمر وكثرة المال، وأن ذلك ليس بمحمود"^(٥).

وقال النووي: "معناه: أن قلب الشيخ كامل الحب للمال محتكم في ذلك، كاحتكام قوة الشباب في شبابه"^(٦).

(١) معلمة زايد الفقهية (٢٦/٩). وقال الإمام الشاطبي: "فقد اتفق النظار على إعمال وجه الجمع، وإن كان وجهًا ضعيفًا، فإن الجمع أولى عندهم، وإعمال الأدلة أولى من إهمال بعضها". (انظر: الاعتصام، ص ٣١٥).

(٢) صحيح البخاري (٨ / ٨٩)، كتاب الرقاق، باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر، حديث ٦٤٢٠، ومسلم في صحيحه (٢ / ٧٢٤)، كتاب الزكاة، باب كراهة الحرص على الدنيا، حديث ١٠٤٦.

(٣) صحيح البخاري (٨ / ٩٠)، كتاب الرقاق، باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر، حديث ٦٤٢١، صحيح مسلم (٢ / ٧٢٤)، كتاب الزكاة، باب كراهة الحرص على الدنيا، حديث ١٠٤٧.

(٤) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض (٣ / ٣٠٥).

(٥) انظر: فتح الباري، لابن حجر (١١ / ٢٤١).

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم (٧ / ١٣٨).

"والحكمة في التخصيص بهذين الأمرين؛ أن أحب الأشياء إلى ابن آدم نفسه، فأحب بقاءها وهو العمر، وسبب بقائها المال، فكلمنا أحسن بقرب نفاذ ذلك اشتد حبه له ورغبته في دوامه"^(١).

وفي التحذير من طول الأمل وحب الدنيا يقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: "ارتحلت الدنيا مُدْبِرَةً، وَارْتَحَلتِ الآخِرَةُ مُقْبِلَةً، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أبنَاءِ الآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أبنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ اليَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ"^(٢).

وفي التحذير من طول الأمل والغفلة عن الآخرة، أخرج البخاري من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: "خَطَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الْوَسْطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خَطًّا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسْطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسْطِ، وَقَالَ: هَذَا الْإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ، أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ، وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمْلُهُ، وَهَذِهِ الْخُطُوطُ الصِّغَارُ الْأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا"^(٣).

وفي رواية عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: "خَطَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم خُطُوطًا، فَقَالَ: هَذَا الْأَمَلُ، وَهَذَا أَجَلُهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذْ جَاءَهُ الْخَطُّ الْأَقْرَبُ"^(٤).

قال ابن الجوزي^(٥): "هذا تمثيل، والأمثال حكمة العرب، بها ينكشف الشيء الخفي؛ فأخبر صلى الله عليه وسلم أن أمل الآدمي بين يديه وعينه، والأجل محيط به، وقد ألماه أمله عن أجله"^(٦).

سادسًا: إنكار اليوم الآخر، يؤدي إلى الجهل بالمصير:

إن الجهل بالمصير يؤدي إلى ظهور المشكلات المعقدة، والأمراض النفسية المتنوعة من القلق والاكتئاب، اللذين يؤديان غالبًا إلى حياة يائسة مظلمة، وما حالات الانتحار التي تسود في

(١) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٢٤١/١١)، عمدة القاري، للعيبي (٣٧/٢٣).

(٢) صحيح البخاري (٨/٨٩)، كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله.

(٣) صحيح البخاري (٨/٨٩)، كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله، حديث ٦٤١٧.

(٤) صحيح البخاري (٨/٨٩)، كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله، حديث ٦٤١٨.

(٥) هو: الشيخ جمال الدين، أبو الفرج، عبدالرحمن بن علي بن محمد، الشهير بابن الجوزي، ت ٥٩٧ هـ، ومن أشهر مؤلفاته: "كشف المشكل من حديث الصحيحين"، و"زاد المسير". (انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي ١/١١٠٠).

(٦) انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي، ص ٢١١.

بلاد الكفار، إلا بسبب فقدان وغياب الإيمان، لا سيما الإيمان باليوم الآخر، قال تعالى:
﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ ❁ قَالَ رَبِّ لِمَ
حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ❁ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ❁
وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾^(١).



(١) سورة طه: الآيات ١٢٤-١٢٧.

المبحث الثاني

الأدلة المادية على ثبوته وثمرات الإيمان به

المطلب الأول: الأدلة المادية على ثبوته.

المطلب الثاني: ثمرات الإيمان به وآثاره.

المطلب الأول: الأدلة المادية على ثبوته

لقد تحدث القرآن الكريم، وتحدثت السنة النبوية عن ثبوت اليوم الآخر ووقوعه، وهما مملوآن بذكر أحوال اليوم الآخر، وتفصيل ما فيه من حوادث ووقائع ومعجزات ولطائف، وتقرير ذلك بالأخبار الصادقة والأمثال المضروبة للاعتبار والإرشاد، وكما ذكرنا الأدلة عليه، ردا على منكريه، وبيّنا كذبهم وافتراءهم؛ فالفطرة السليمة تدلُّ عليه وتهدى إليه، ولا صحة لما ذهب إليه الضالون من الملحدّين والدهريين من أن العقول تنفي حصوله، فإن العقول لا تمنع وقوعه، والأنبياء لا يأتون بما تحيل العقول وقوعه، وإن جاؤوا بما يخيّر العقول، ولذلك قال ابن تيمية: "إن الأنبياء ﷺ جاؤوا بما تعجز العقول عن معرفته، ولم يجيئوا بما تعلم العقول بطلانه، فهم يخبرون بمحارات العقول لا بمحالات العقول"^(١).

ولذلك سأتطرق إلى بيان بعض الأدلة المادية والعقلية مما جاء ذكرها في القرآن الكريم أو السنة النبوية، التي تبين صحة ثبوت اليوم الآخر ووقوعه.

أولاً: الاستدلال على النشأة الأخرى بالنشأة الأولى:

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ❀ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾^(٢).

"فإنكار اليوم الآخر اعتراض منشؤه غفلة الإنسان عن نشأته الأولى، فأين كان؟ وكيف كان؟ إنه لم يكن ثم كان، والبعث أقرب إلى التصور من النشأة الأولى لو أنه تذكر"^(٣).

وقد أمر الله عباده بالسير في الأرض، والنظر في كيفية بدأ الخلق؛ ليستدلوا بذلك على قدرته على الإعادة، فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى

(١) مجموع الفتاوى (٢/ ٣١٢).

(٢) سورة مريم: الآيات ٦٦ - ٦٧.

(٣) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٣١٧).

اللَّهُ يَسِيرٌ ﴿١﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢).

"فالله تعالى هو الذي بدأ خلق الإنسان من غير أصل سابق له، ثم يميتة ويفنيه، ثم يعيده كما بدأه، وذلك أيسر وأسهل عليه، بحسب تصور البشر المخاطبين وإدراكهم أن الإعادة أسهل من البدء، وكل ما ذكر كان تقريباً لعقول الكفرة الجهلة منكري البعث، وإلا فالبدء والإعادة سواء في قدرة الله تعالى" (٣).

وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال الله تعالى في الحديث القدسي: "فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ، فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ...". الحديث (٤).

ثانياً: القادر على خلق الأعظم قادر على خلق ما دونه:

إن القادر على خلق هذا الكون الفسيح، وهذه السماوات العظيمة، والجبال الشاهقة، باستطاعته أن يخلق ما دونها من مخلوقات، فضلاً عن إعادة خلقها مرة أخرى، ولذلك أنكر القرآن الكريم على الكفار تكذيبهم للبعث، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَنَدَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿١﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ (٥).

(١) سورة العنكبوت: الآيات ١٩-٢٠.

(٢) سورة الروم: الآية ٢٧.

(٣) التفسير المنير، للزحيلي (٢١/٧٣).

(٤) سبق تخريجه، ص ٣١.

(٥) سورة الإسراء: الآيات ٩٨-٩٩.

وقال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغْيِ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢).

وقال أيضًا: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾^(٣).

قال ابن تيمية: "فإنه من المعلوم ببدهة العقول أن خلق السماوات والأرض أعظم من خلق أمثال بني آدم، والقدرة عليه أبلغ، وأن هذا الأيسر أولى بالإمكان والقدرة من ذلك"^(٤).
وقال ابن أبي العز الحنفي^(٥): "إن كل عاقل يعلم أن من قدر على العظيم الجليل فهو على ما دونه بكثير أقدر وأقدر، فمن قدر على حمل قنطار فهو على حمل أوقية أشد اقتدارًا... فأخبر أن الذي أبدع السماوات والأرض، على جلالتهما، وعظم شأنهما، وكبر أجسامهما، وسعتهما، وعجيب خلقهما، أقدر على أن يحيي عظامًا قد صارت رميمًا، فيردها إلى حالتها الأولى"^(٦).

ثالثًا: قدرته تبارك وتعالى على تحويل الخلق من حال إلى حال:

إن من تمام عظمة الله ﷻ قدرته على تحويل الخلق من حال إلى حال، ولذا فإنه يميت ويحيي، ويخلق ويفني، ويخرج الحي من الميت، والميت من الحي، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٦٦﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكُمْ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾^(٧).

(١) سورة يس: الآية ٨١.

(٢) سورة الأحقاف: الآية ٣٣.

(٣) سورة غافر: الآية ٥٧.

(٤) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٩٩).

(٥) هو علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي قاضي القضاة بدمشق ثم بالديار المصرية ثم بدمشق، ت ٧٩٢هـ.

(٦) انظر: الدرر الكامنة، لابن حجر ١٠٣/٤، الأعلام، للزركلي ٣١٣/٤.

(٧) شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٥٩٥).

(٧) سورة الأنعام: الآيات ٩٥-٩٦.

قال الدكتور عمر الأشقر^(١): "من الحبة الجامدة الصماء يُخرج الله نبتة غضة خضراء تزهو وتثمر، ثم تعطي هذه النبتة الحية حبوبًا جامدة ميتة، ومن الطيور الحية يخرج البيض الميت، ومن البيض الميت تخرج الطيور المتحركة المغردة التي تنطلق في أجواء الفضاء"^(٢).

رابعًا: إحياء بعض الأموات في هذه الحياة:

لقد كان من إكرام الله ﷻ لبعض أوليائه إحياء بعض الأموات لهم إما تصديقًا لدعواهم، أو لتطمئن قلوبهم لقدرة الله ﷻ، وغير ذلك. وكل هذه الحالات والقصص التي أحيا الله فيها الموتى في الدنيا لدليل واضح على قدرته ﷻ على البعث والنشور.

ومن هذه الحالات: ما أخبر الله ﷻ عن بني إسرائيل في قصة البقرة، أنهم قتلوا قتيلاً، واتهم كل منهم الآخر بقتله، فأمرهم نبيهم أن يذبحوا بقرة، فذبحوها بعد أن تعنتوا في طلب صفتها، ثم أمرهم نبيهم بعد ذبحها أن يضربوا القتيل بجزء منها، فأحياه الله وهم ينظرون، فأخبر عن قتلها، ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٣).

ومنها قصة الذين فرُّوا من ديارهم وهم ألوف خشية الموت، فأماهم الله ثم أحياهم، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾^(٤).

ومنها قصة نبي الله عزير^(٥) إذ مر على قرية وهي خاوية على عروشها، فتعجب

(١) هو: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر، من مواليد قرية برقة التابعة لمحافظة نابلس بفلسطين، ت ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م، في الأردن، ومن أشهر مؤلفاته: سلسلة العقيدة في ضوء الكتاب والسنة، وتشمل عدة كتب، منها: "القيامة الصغرى"، و"الكبرى". (انظر ترجمته: موقع ويكيبيديا - الموسوعة الحرة - <https://ar.wikipedia.org/wiki>).

(٢) القيامة الكبرى، ص ٧٩.

(٣) سورة البقرة: الآية ٧٣.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٤٣.

(٥) اختلف في بيان اسم هذا الرجل الذي مرَّ على هذه القرية، على أقوال كثيرة، لكن رجَّح ابن كثير -رحمه الله تعالى- أنه العزير^(٥) وقال: "وهذا القول هو المشهور". (انظر: تفسير ابن كثير ١/٦٨٧).

من إحياء الله لها بعد موتها، فأماته الله مئة عام ثم بعثه، فظن أنه لم يلبث إلا يوماً أو بعض يوم، فأحيا الله له حماره وهو ينظر إلى قدرة الله كيف يعيد الخلق، فقال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).

ومنها ما أخبر الله عن نبيه وخليته إبراهيم ﷺ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيُطَمِّنَ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٢).

وفي هذه الآية يجب ألا يُظن بخليل الرحمن إبراهيم ﷺ، بأنه كان يشك بقدرة الله ﷻ على إحياء الموتى، حاشاه ذلك فإن النبي ﷺ كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، يقول: "نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ ﷺ"^(٣).

قال النووي: "اختلف العلماء في معنى نحن أحق بالشك من إبراهيم، على أقوال كثيرة أحسنها وأصحها معناه إن الشك مستحيل في حق إبراهيم، فإن الشك في إحياء الموتى لو كان متطرقاً إلى الأنبياء لكنت أنا أحق به من إبراهيم، وقد علمتم أي لم أشك، فاعلموا أن إبراهيم عليه السلام لم يشك، وإنما خص إبراهيم ﷺ لكون الآية قد يسبق إلى بعض الأذهان الفاسدة منها احتمال الشك"^(٤).

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٦٠.

(٣) صحيح البخاري (٣١/٦)، باب وإذ قال إبراهيم رب أريني كيف تحيي الموتى، حديث ٤٥٣٧، وصحيح مسلم (١٣٣/١)، كتاب الإيمان، باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة، حديث ٢٣٨، و(١٨٣٩/٤)، كتاب الفضائل، باب فضائل إبراهيم الخليل عليه السلام، حديث ١٥١.

(٤) شرح النووي على مسلم (٢/١٨٣).

خامساً: ضرب المثل بإحياء الأرض بالنبات:

ضرب الله المثل لإعادة الحياة إلى الجثث الهامدة والعظام البالية بإحيائه الأرض بعد موتها بالنبات، فقال تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاہُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٤).

وفي مسند الإمام أحمد^(٥)، ومستدرک الحاكم^(٦)، من حديث أبي رزین العُقَيْلِيِّ^(٧) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى، وَمَا آيَةُ ذَلِكَ فِي خَلْقِهِ؟ قَالَ: "أَمَّا مَرَرْتُ بِوَادِي أَهْلِكَ مَحَلًّا"^(٨)؟"، قَالَ: بَلَى، قَالَ: "أَمَّا مَرَرْتُ بِهِ يَهْتَرُ خَضِرًا؟"، قَالَ: قُلْتُ بَلَى، قَالَ: "ثُمَّ مَرَرْتُ بِهِ مَحَلًّا؟" قَالَ: بَلَى، قَالَ: "فَكَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى، وَذَلِكَ آيَتُهُ فِي خَلْقِهِ"^(٩).

(١) سورة الروم: الآية ١٥٠.

(٢) سورة فاطر: الآية ٩.

(٣) سورة الزخرف: الآية ١١.

(٤) سورة فصلت: الآية ٣٩.

(٥) مسند أحمد (١١١/٢٦)، حديث ١٦١٩٢.

(٦) المستدرک على الصحيحين (٦٠٥/٤)، حديث ٨٦٨٢.

(٧) هو لَقَيْطُ بْنُ عَامِرٍ، وَيُقَالُ: لَقَيْطُ بْنُ صَبْرَةَ بْنِ الْمُتَنَفِّقِ، أَبُو رَزِينِ الْعُقَيْلِيِّ، أَحَدُ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ. (انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر ١٣٤٠/٣، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر ٥٠٨/٥).

(٨) المَحَلُّ: الجَدْبُ، وَهُوَ انْقِطَاعُ الْمَطَرِ، وَيَبْسُ الْأَرْضُ مِنَ الْكَلَاءِ. (انظر: لسان العرب، لابن منظور، "مَحَلٌّ"، ٦١٧/١١، النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، "مَحَلٌّ"، ٣٠٤/٤).

(٩) صحح إسناده كل من: البوصيري، والحاكم، ووافقه الذهبي. (انظر: إتحاف الخيرة المهرة، للبوصيري ١٨٥/٦، المستدرک، للحاكم، مع التلخيص، للذهبي ٦٠٥/٤).

وفي رواية، قَالَ له النبي ﷺ: "أَمَا مَرَرْتَ بِأَرْضٍ مِنْ أَرْضِكَ مُجْدِبَةٍ، ثُمَّ مَرَرْتَ بِهَا مُخْصَبَةً؟"، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: "كَذَلِكَ النُّشُورُ"^(١).

دلت هذه النصوص على أَنَّ الله ﷻ قَادِرٌ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى، كإِحْيَاءِهِ ﷻ الأَرْضَ الْجَدْبَاءَ بِالنبات من بعد موتها.



(١) مسند أحمد (٢٦ / ١١٣)، حديث ١٦١٩٤.

المطلب الثاني: ثمرات الإيمان به وآثاره

إن للإيمان باليوم الآخر والتصديق بأخباره مما جاء في القرآن والسنة ثمرات طيبة تظهر للعبد المؤمن في معاشه ومعاده كما قال الحق ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١).

وقال تعالى مبشرًا عباده المؤمنين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾^(٢)، "أي تنزل عليهم الملائكة بما يشرح صدورهم، ويدفع عنهم المخاوف والأحزان، كالبشارة بالنجاة في مواطن ثلاثة: عند الموت، وفي القبر، وعند البعث، وإزالة الخوف من أمور الآخرة، وإذهاب الحزن عما فاتهم من أمور الدنيا من أهل ومال وولد، وإذا أزيلت مخاوف المستقبل وأحزان الماضي، فقد زالت المضار والمتاعب بالكلية، وحدثت الطمأنينة والسعادة"^(٣).
ومن أعظم هذه الثمرات ما يأتي:

أولاً: تحقيق ركن من أركان الإيمان الستة، وهو الإيمان باليوم الآخر:

دليل ذلك حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذكر حديث جبريل الطويل، وفيه: سأله عن الإيمان: "قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ"، قَالَ: صَدَقْتَ..."^(٤).

ثانياً: تحقيق الإخلاص لله سبحانك والمتابعة لرسوله صلى الله عليه وسلم:

قال ﷻ: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(٥).

(١) سورة النحل: ٩٧.

(٢) سورة فصلت: الآية ٣٠.

(٣) التفسير المنير، للزحيلي (٢٤ / ٢٢٤).

(٤) جزء من حديث في صحيح مسلم (١ / ٣٦)، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، حديث ٨.

(٥) سورة الكهف: الآية ١١٠.

دلت هذه الآية الكريمة على أن لقبول أي عملٍ لا بدَّ أن يتحقق فيه شرطان أساسيان، هما: الإخلاص والموافقة، فالله تعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً صواباً. والخالص ما كان يرجى به وجه الله تعالى بالألا يشرك معه أحدٌ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(١). والصواب أن يكون العمل صالحاً موافقاً لما جاء عن النبي ﷺ، ففي الصحيحين من حديث عائشة ؓ، قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ"^(٢)»^(٣).

ثالثاً: إشباع الرغبة الفطرية في الإنسان التي تتطلع لاستكشاف ما غاب عنه، واستطلاع ما يحدث في المستقبل من وقائع وكائنات: قال ابن خلدون^(٤): "فإذا كان الإسلام سد طرق الدجالين الذين يدعون الاطلاع عليها؛ كالمنجمين، والعرافين، والكهان، ونحوهم إلا أنه استجابة لأشواق الفطرة أطلعنا من خلال نافذة الوحي على كثير من هذه الأحداث"^(٥).

(١) سورة الزمر: الآية ٦٥.

(٢) "قال أهل العربية: الرد هنا بمعنى المردود، ومعناه: فهو باطل غير معتد به، وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه ﷺ، فإنه صريح في ردِّ كلِّ البدع،... وهذا الحديث مما ينبغي حفظه واستعماله في إبطال المنكرات وإشاعة الاستدلال به". (انظر: شرح النووي على مسلم ١٦/١٢).

(٣) صحيح البخاري (٣/ ١٨٤)، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، حديث ٢٦٩٧، وصحيح مسلم (٣/ ١٣٤٣)، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، حديث ١٧١٨.

(٤) هو: عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، أبو زيد الحضرمي الاشبيلي، الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحاثة، اشتهر بكتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر، والذي منه مقدمته، وهي تعد من أصول علم الاجتماع، ولد بتونس سنة ٧٣٢هـ، وتوفي بالقاهرة سنة ٨٠٨هـ. (انظر ترجمته في: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي ١/ ٤٦٢، الأعلام للزركلي ٣/ ٣٣٠).

(٥) انظر: فقه أشراف الساعة، لمحمد إسماعيل المقدم، ص ٢٤، نقلاً عن مقدِّمة ابن خلدون، ولم أجده في المقدمة.

رابعًا: إن الإخبار عن الغيوب المستقبلية- باعتبار ما فيها من خرقٍ للعادة- من أهم دلائل النبوة، لإقامة الحجة على الكافرين، وإقناعهم بصدق نبوة محمد ﷺ ورسالته إلى العالمين^(١).

خامسًا: تعلم الكيفية الصحيحة التي دلنا عليها رسول الله ﷺ، كي نتعامل بها مع بعض الأحداث المقبلة التي قد يلتبس علينا وجه الحق فيها، ففي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، وفيه: أنه ﷺ، قال: "إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنذِرَهُمْ شَرًّا مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ..." الحديث^(٢).

سادسًا: الزهد في الدنيا:

من أعظم ثمرات الإيمان باليوم الآخر الحذر من الدنيا والزهد فيها؛ لأن المؤمن يعلم أن هذه الدنيا فانية، وأن ما عند الله خير وأبقى، قال تعالى: ﴿وَلَا خَيْرَ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾^(٣). لذلك تجدهم المؤمن في آخرته، فهو يجتهد في العمل الصالح، ويتعد عن طريق أهل الشهوات والشبهات، ويسلك طريق الزاهدين؛ رغبة وطمعًا فيما أعده الله لعباده الصالحين، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: "أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ"، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾^{(٤)(٥)}.

(١) فقه أشراف الساعة، لمحمد إسماعيل المقدم، ص ٢٤.

(٢) سبق تخريجه، ص ٢٧.

(٣) سورة الضحى: الآية ٤.

(٤) سورة السجدة: الآية ١٧.

(٥) صحيح البخاري (١١٥/٦)، كتاب التفسير، باب قوله "فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين"، حديث ٤٧٧٩، وصحيح مسلم (٤/٢١٧٤)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، حديث ٢٨٢٤.

وفي الحث على الزهد في الدنيا والتقلُّل منها، روى الإمام مسلم في صحيحه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ"^(١).

"ومعناه: أَنَّ كُلَّ مُؤْمِنٍ مَسْجُونٌ مَمْنُوعٌ فِي الدُّنْيَا مِنَ الشَّهَوَاتِ الْمَحْرَمَةِ وَالْمَكْرُوهَةِ، مَكْلُوفٌ بِفِعْلِ الطَّاعَاتِ الشَّاقَّةِ، فَإِذَا مَاتَ اسْتَرَّاحَ مِنْ هَذَا، وَانْقَلَبَ إِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ مِنَ النِّعَمِ الدَّائِمِ وَالرَّاحَةِ الْخَالِصَةِ مِنَ النِّقْصَانِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَإِنَّمَا لَهُ مِنْ ذَلِكَ مَا حَصَلَ فِي الدُّنْيَا مَعَ قَلْتِهِ وَتَكَدِيرِهِ بِالْمَنْغِصَاتِ، فَإِذَا مَاتَ صَارَ إِلَى الْعَذَابِ الدَّائِمِ وَشِقَاءِ الْأَبَدِ"^(٢).

وقد روى الإمام البخاري في صحيحه، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: "كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ"، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: "إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرْضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ"^(٣).

قال النووي: "قالوا في شرح هذا الحديث معناه: لا تترك إلى الدنيا، ولا تتخذها وطنًا، ولا تحدِّث نفسك بطول البقاء فيها، ولا بالاعتناء بها، ولا تتعلق منها بما يتعلق به الغريب في غير وطنه، ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذي يريد الذهاب إلى أهله"^(٤).

وقال ابن رجب^(٥): "هذا الحديث أصلٌ في قِصْرِ الْأَمَلِ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَّخِذَ الدُّنْيَا وَطَنًا وَمَسْكَنًا، فَيَطْمَئِنُّ فِيهَا، وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِيهَا كَأَنَّهُ عَلَى جَنَاحِ سَفَرٍ، يُهَيِّئُ جِهَارَهُ لِلرَّحِيلِ، وَقَدْ اتَّفَقَتْ عَلَى ذَلِكَ وَصَايَا الْأَنْبِيَاءِ وَأَتْبَاعِهِمْ، قَالَ تَعَالَى حَاكِيًا عَنْ مُؤْمِنٍ آلِ فِرْعَوْنَ أَنَّهُ قَالَ: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾"^(٦)^(٧).

(١) صحيح مسلم (٤ / ٢٢٧٢)، كتاب الزهد والرفائق، حديث ٢٩٥٦.

(٢) شرح النووي على مسلم (١٨ / ٩٣).

(٣) صحيح البخاري (٨ / ٨٩)، كتاب الرقاق، باب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كن في الدنيا كأنك غريب، حديث ٦٤١٦.

(٤) رياض الصالحين، ص ١٧٥.

(٥) هو: زين الدين، عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ت ٧٩٥هـ، ومن مؤلفاته: "فتح الباري شرح صحيح

البخاري"، و"جامع العلوم والحكم". (انظر: شذرات الذهب، لابن العماد ٦/٣٣٩).

(٦) سورة غافر: الآية ٣٩.

(٧) جامع العلوم والحكم، ص ٣٧٧.

وقال ابن حجر: "فيه حرص النبي ﷺ على إيصال الخير لأمته، والحض على ترك الدنيا، والاقْتِصَارَ عَلَى مَا لَا بَدَّ مِنْهُ"^(١).

سابعاً: ومن ثمرات الإيمان باليوم الآخر: الاشتغال بالطاعات والتزود بالأعمال الصالحات، رجاء تحصيل رضوان الله ﷻ، قال تعالى في وصف عباده الصالحين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾^(٣).

ثامناً: ومن هذه الثمرات: طلب العلم والقيام بواجب الدعوة إلى الله ﷻ؛ لأنها من أعظم القربات التي تنفع المرء يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٤).

وجاء في الصحيحين من حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ^(٥)، قال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: "فَوَ اللَّهُ لَأَنَّ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ"^(٦). قال النووي: "فيه بيان فضيلة العلم والدعاء إلى الهدى وسن السنن الحسنة...، وحُمْرُ النَّعَمِ: هي الإبل الحمراء، وهي أنفس أموال العرب يضربون بها المثل في نفاسة الشيء، وأنه ليس

(١) فتح الباري (١١/٢٣٥).

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٩٠.

(٣) سورة المؤمنون: الآية ٦١.

(٤) سورة فصلت: الآية ٣٣.

(٥) هو سهل بن سعد بن مالك الأنصاري الخزرجي الساعدي، أبو العباس أو أبو يحيى المدني، له ولأبيه صحبة، ت ٨٨هـ، وقيل بعدها، وهو ابن ست وتسعين سنة، وقيل: قد بلغ مائة سنة، ويقال: إنه آخر من بقي بالمدينة من الصحابة (انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر ٢/٦٦٤، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر ٣/١٦٧).

(٦) صحيح البخاري (٥/١٨)، كتاب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حديث ٣٧٠١. وصحيح مسلم

(٤/١٨٧٢)، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حديث ٢٤٠٦.

هناك أعظم منه،...وتشبيهه أمور الآخرة بأعراض الدنيا إنما هو للتقريب من الأفهام، وإلا فذرة من الآخرة الباقية خير من الأرض بأسرها وأمثالها معها"^(١).

وقال القرطبي: "حق عظيم على تعليم العلم وبثه في الناس، وعلى الوعظ والتذكير بالدار الآخرة والخير...، وأنَّ ثواب تعليم رجل واحد، وإرشاده للخير أعظم من ثواب هذه الإبل النفيسة لو كانت لك فتصدقت بها؛ لأنَّ ثواب تلك الصدقة ينقطع بموتها، وثواب في العلم والهدى لا ينقطع إلى يوم القيامة..."^(٢).

وفي صحيح مسلم من حديث أبي مسعود الأنصاري^(٣)، قال رسول الله ﷺ: "مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ"^(٤).

ومن حديث أبي هريرة^(٥)، قال النبي ﷺ: "مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورٍ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامٍ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا"^(٥).

قال النووي: "فيه الحث على استحباب سنِّ الأمور الحسنة، وتحريم سنِّ الأمور السيئة، وأن من سنَّ سنة حسنة كان له مثل أجر كل من يعمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة كان عليه مثل وزر كل من يعمل بها إلى يوم القيامة، وأن من دعا إلى هدى كان له مثل أجر متابعيه، أو إلى ضلالة كان عليه مثل آثام تابعيه، سواء أكان ذلك الهدى والضلالة هو الذي ابتدأه، أم كان مسبقاً إليه، وسواء أكان ذلك تعليم علم، أم عبادة، أم أدب، أو غير ذلك... وسواء أكان العمل في حياته أم بعد موته"^(٦).

(١) انظر: شرح النووي على مسلم (١٥ / ١٧٨).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢٠ / ٢٨).

(٣) هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة، أبو مسعود الأنصاري، البصري، قيل شهد بدرًا، وقيل إنما نسب إليها؛ لأنه سكنها، أو نزلها، شهد العقبة، وأحدًا، وما بعدها، واستخلفه علي^(٤) في مخرجه إلى صفين على الكوفة، توفي قبل ٤٠ هـ، وقيل: بعدها بالكوفة، وقيل: بالمدينة. (انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣/١٠٧٤، الإصابة في تمييز الصحابة ٤/٤٣٢).

(٤) صحيح مسلم (٣/١٥٠٦)، كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، حديث ١٨٩٣.

(٥) صحيح مسلم (٤/٢٠٦٠)، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، حديث ٢٦٧٤.

(٦) شرح النووي على مسلم (١٦ / ٢٢٧).

تاسعاً: ومن أعظم ثمرات الإيمان باليوم الآخر طلب الجهاد والشهادة في سبيل الله: إن من أعظم درجات الإخلاص واليقين تسليم النفس والمال لله رب العالمين، وبذلها من أجل رفع رايته ونصر شريعته، وقد قال الله تعالى في ذلك: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(١).

فهذا عقد مبايعة، البائع فيه المؤمن، والمشتري هو الله ﷻ، والطريق هو الجهاد، والسلعة هي بذل النفس والمال في سبيل الله، والثمرة المرجوة من وراء ذلك كله هي تحقيق رضوان الله ﷻ والفوز بجنته، "فهي بيعة مع الله لا يبقى بعدها للمؤمن شيء في نفسه ولا في ماله يحتجزه دون الله ﷻ ودون الجهاد في سبيله، لتكون كلمة الله هي العليا، وليكون الدين كله لله، فقد باع المؤمن لله في تلك الصفقة نفسه وماله مقابل ثمن محدد معلوم، هو الجنة، وهو ثمن لا تعدله السلعة، ولكنه فضل الله ومنه"^(٢).

ولذلك فقد وردت أحاديث كثيرة ترغّب بالجهاد والشهادة في سبيل الله؛ لأنه بما يُمكن للمسلمين في الأرض، وهما الطريق إلى الجنة، منها ما رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن أبي أوفى^(٣) أن رسول الله ﷺ قال: "وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ"^(٤).

فبين النبي ﷺ أن طريق الجهاد من أيسر الطرق التي توصل العبد للفوز بالجنة، وبين كذلك أن الجهاد والرباط في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، فقد روى البخاري ومسلم -واللفظ للبخاري-، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ^(٥)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "رِبَاطُ يَوْمٍ فِي

(١) سورة التوبة: الآية ١١١.

(٢) في ظلال القرآن (٣/ ١٧١٤).

(٣) عبد الله بن أبي أوفى الأسلمي، أبو إبراهيم، أو أبو محمد، أو أبو معاوية، له ولأبيه صحبة، واسم أبيه علقمة بن خالد الأسلمي، شهد الحديبية وخيبر، وما بعد ذلك من المشاهد، ت ٨٧ هـ بالكوفة، وهو آخر من مات بها من الصحابة.

(انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣/ ٨٧٠، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٤/ ١٦).

(٤) صحيح البخاري (٤/ ٢٢)، كتاب الجهاد، باب الجنة تحت بارقة السيوف، حديث ٢٨١٨، وصحيح مسلم

(٣/ ١٣٦٢)، كتاب الجهاد والسير، باب كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء، حديث ١٧٤٢.

سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرُّوحَةُ يَرُوحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ الْغَدْوَةُ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا" (١).
 وروى البخاري ومسلم - واللفظ للبخاري - عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: ذلني على عمل يعدل الجهاد؟ قال: "لا أجده"، قال: "هل تستطيع إذا خرج المُجاهد أن تدخل مسجداك فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تظفر؟" قال: ومن يستطيع ذلك؟! (٢).

وفي رواية لمسلم: قيل: يا رسول الله، ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قال: "لا تستطيعونه"، فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً، كل ذلك يقول: "لا تستطيعونه"، ثم قال: "مثل المُجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام، ولا صلاة، حتى يرجع المُجاهد في سبيل الله" (٣).

وفي الصحيحين أيضاً من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة" (٤).

فدل ذلك أن أسمى الكرامات إنما تأتي بالقتل والشهادة في سبيل الله؛ لذلك فلا عجب أن يتمنى الشهيد أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات في سبيل الله ﷻ.

ولإعلاء منزلة الشهداء وبيان مكانتهم وكرامتهم عند الله كان النبي ﷺ يود ويتمنى أن يقتل في سبيل الله، فقد روى البخاري ومسلم - واللفظ للبخاري -، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: "انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيماناً بي وتصديقاً برسولي، أن

(١) صحيح البخاري (٣٥/٤)، كتاب الجهاد، باب فضل رباط يوم في سبيل الله، حديث ٢٨٩٢، وصحيح مسلم

(٢) (١٤٩٩/٣)، كتاب الجهاد، باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله، حديث ١٨٨٠.

(٣) صحيح البخاري (١٥/٤)، كتاب الجهاد، باب فضل الجهاد، حديث ٢٧٨٥.

(٤) صحيح مسلم (١٤٩٨/٣)، كتاب الجهاد، باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى، حديث ١٨٧٨.

(٤) صحيح البخاري (٢٢/٤)، كتاب الجهاد، باب تمني الجهاد أن يرجع إلى الدنيا، حديث ٢٨١٧، وصحيح مسلم

(٣/١٤٩٨)، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى، حديث ١٨٧٧.

أُرْجِعُهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ أَوْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَلَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ، وَلَوْ دِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ" (١).

فبيّن الحديث أن طلب الجهاد والشهادة في سبيل الله من أعظم ثمرات الإيمان، وفيه بيان ما أعده الله للمجاهد من أجرٍ في الدنيا أو فوزٍ بالجنة في الآخرة، وفيه تمني النبي ﷺ الشهادة في سبيل الله ﷻ لعلمه بالكرامات التي أعدها الله للشهداء.

وفي ختام حديثي عن هذه الثمرة الطيبة فيني أسأل الله الكريم الودود، ذا المنّ والجود، أن يرزقنا عيشة السعداء، وأن يختم لنا بخاتمة الشهداء مقبلين غير مدبرين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

عاشراً: حصول الأمن واجتناب الظلم بشتى صورته وألوانه:

إنّ تذكر موقف الحساب والوقوف بين يدي الله ﷻ يمنع العبد من الظلم، فلا شيء يردع النفس من ظلم غيرها في نفسٍ أو مالٍ أو عرضٍ كاليقين بالرجوع إلى الله ﷻ، وقد قال الله تعالى في ذلك: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿٦٦﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ (٣).

فتذكّر عرصات يوم القيامة وأهوالها سيمنع العبد من التهاون في حقوق الخلق، وبذلك يتحرى الحذر من ظلمهم، ولقد بيّن لنا النبي ﷺ أن حقيقة الإفلاس يوم القيامة لا تكون بفقدان المال والجاه، بل بضياع الحسنات والأعمال الصالحة؛ بسبب ظلم الآخرين، سواءً بأكل ماله بغير حق، أو بسفك دمه، أو بالنيل من عرضه.

(١) صحيح البخاري (١٦/١)، كتاب الإيمان، باب الجهاد من الإيمان، حديث ٣٦، وصحيح مسلم (٣/١٤٩٥)،

كتاب الجهاد، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، حديث ١٨٧٦.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٤٧.

(٣) سورة طه: الآية ١١١، ١١٢.

روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: "إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي، يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَيِّتَ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ"^(١).

وفي رواية للبخاري: "مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ، فَحُمِلَ عَلَيْهِ"^(٢).

قال النووي: "من ليس له مال، ومن قلَّ ماله، فالناس يسمونه مفلسًا، وليس هو حقيقة المفلس؛ لأن هذا الأمر يزول وينقطع بموته، وربما ينقطع بيسار يحصل له بعد ذلك في حياته، وإنما حقيقة المفلس هذا المذكور في الحديث، فهو الهالك الهلاك التام، والمعدوم الإعدام المقطع، فتؤخذ حسناته لغرمائه، فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم فوضع عليه، ثم ألقى في النار، فتمت خسارته وهلاكه وإفلاسه"^(٣).

وقال ابن حجر: "ولا تعارض بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْرُ وَازِرَّةً وَزَرًّا أُخْرَى﴾^(٤)؛ لأنه إنما يعاقب بسبب فعله وظلمه، ولم يعاقب بغير جناية منه بل بجنايته، فقبولت الحسنات بالسيئات على ما اقتضاه عدل الله تعالى في عباده"^(٥).

حادي عشر: تسليية المؤمن عما يفوته في الدنيا:

من ثمرات الإيمان باليوم الآخر تسليية المؤمن عما يفوته في الدنيا وتشجيعه على الصبر عند وقوع المصائب والمحن والشدائد، حتى يعلم أن ثوابه الأعظم إنما هو في الآخرة، وأن كل ما

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٩٩٧)، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث ٢٥٨١.

(٢) صحيح البخاري (٣/ ١٢٩)، كتاب المظالم والغصب، باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحلها له هل يبين مظلمته؟ حديث ٢٤٤٩.

(٣) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٣٦).

(٤) سورة الأنعام: الآية ١٦٤.

(٥) فتح الباري لابن حجر (٥/ ١٠٢).

يصيبه من بلاء في الدنيا إنما هو لمضاعفة الحسنات، وقد قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٧﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ ﴿١٥٨﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾^(١).

وروى البخاري ومسلم من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: "مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَرَ اللَّهُ بِهَا عَنْهُ حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُهَا"^(٢).

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، قال: "مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذَى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ"^(٣).

ثاني عشر: فتح باب الأمل، والاستبشار بحسن العاقبة لأهل الإيمان:

إن الإيمان باليوم الآخر يفتح باب الأمل والتفاؤل إذا ادلهمت الخطوب، وضاعت الصدور، مما يعطي المسلمين ثقةً مبصرةً مطلقةً بنصر الله ﻋَﻠَﻴْﻜِﻞﻩﻡ، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾^(٥).

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾^(٦). وبناءً على البشارات النبوية بالتمكين لهذا الدين، وظهوره على الدين كله، ولوكره

(١) سورة البقرة: الآيات ١٥٥ - ١٥٧.

(٢) صحيح البخاري (٧/١١٤)، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، حديث ٥٦٤٠، وصحيح مسلم

(٤) ١٩٩٢/٤، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن، حديث ٢٥٧٢.

(٣) صحيح البخاري (٧/١١٤)، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، حديث ٥٦٤٠، وصحيح مسلم

(٤) ١٩٩٢/٤، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن، حديث ٢٥٧٣.

(٤) سورة الروم: الآية ٤٧.

(٥) سورة غافر: الآية ٥١.

(٦) سورة الروم: الآيات ٤، ٥.

الكافرون، التي منها ما رواه الإمام مسلم من حديث ثوبان^(١) رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيَتْ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ"^(٢) ص ٣.

وهناك بشارة عظيمة لنا أهل الشام وأهل فلسطين خاصة بالنصر على يهود الذين احتلوا بلادنا وعاثوا فيها فسادًا، قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ ١٠٤ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ١٠٥ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ١٠٦ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ١٠٧ ٤.

ففي هذه الآيات إشارات وحقائق لا بد أن يعيها كل مسلم يحنُّ إلى التمكين والنصر على يهود، وهي كالآتي:

١. إن مرحلتي إفساد اليهود في الأرض قد تحققتا ومضتا بغض النظر متى كانتا، على اختلافٍ بين المفسرين، وأما الآن فيعيش اليهود في مرحلة علوهم الكبير التي أشارت إليها الآية الكريمة ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾، فليس هناك علوٌ أعظم من أن يقيم اليهود دولةً على القتل والإرهاب وسفك دماء الأبرياء مستخدمةً بذلك أقوى الأسلحة الفتاكة والمتطورة، وبدعم آثم من الغرب، وصمت مخزٍ من العرب، وحسبنا الله ونعم الوكيل.
٢. إن طرد يهود من أرض فلسطين وتبوير دولتهم وعلوهم لن يتحقق إلا بأيادي متوضئة وقلوب مؤمنة تحت راية التوحيد الخالص، وهذا مفاد قوله تعالى ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا

(١) ثُوْبَانُ بْنُ جَحْدَرٍ، وَقَيْلٌ بُجْدَدٍ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، أَوْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقُرَشِيُّ الْهَاشِمِيُّ، مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ت ٥٤ هـ بحمص. (انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢١٨/١، والإصابة في تمييز الصحابة ٥٢٧/١).

(٢) قال العلماء: المراد بالكنزين الذهب والفضة، والمراد كنزا كسرى وقيصر ملكي العراق والشام. (انظر: شرح النووي على مسلم ١٣/١٨).

(٣) صحيح مسلم (٤/ ٢٢١٥)، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض حديث ٢٨٨٩.

(٤) سورة الإسراء: الآيات ٤ - ٧.

أولي بأسٍ شديدٍ، والحجر والشجر عندما يدلان على قتل اليهود، كما في الحديث الذي سيأتي لاحقاً، فإنهما يقولان: "يا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ"^(١)، فلن يقولوا: يا علماني أو يا قومي أو غير ذلك من الرايات أو الشعارات الزائفة التي تخلت عن منهج الإسلام واتبعت غير سبيل أهل الإيمان.

٣. في قوله تعالى: ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ إشارة إلى أن الإمامة في الدين وأستاذية العالم وعودة الخلافة الإسلامية المنتظرة ستكون من أرض فلسطين، فالمرّة الأولى التي دخل فيها الإسلام أرض فلسطين، كانت ليلة الإسراء والمعراج، حيث إن النبي ﷺ قد صلى بإخوانه الأنبياء إماماً، ليكتب من حينها ريادة وإمامة هذا الدين لسائر الديانات والشرائع، وكذلك إذا عاد الإسلام للريادة والسيادة وأستاذية العالم؛ فإنه لن يعود إلا كما بدأ من أرض فلسطين، وهناك نصٌّ صريح يدل على أنّ الأرض المقدسة ستكون عاصمة دولة الخلافة.

وقد روى أبو داود^(٢)، وأحمد^(٣) -واللفظ له-، والحاكم^(٤)، من حديث عبد الله بن حوالة^(٥) قال: ... ثُمَّ وَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ عَلَى رَأْسِي أَوْ هَامَتِي، فَقَالَ: "يَا بَنَ حَوَالَةَ إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتْ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ فَقَدْ دَنَتِ الرَّيَاضُ وَالْبَلَايَا وَالْأُمُورُ الْعِظَامُ وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ إِلَى النَّاسِ مِنْ يَدِي هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ". الحديث^(٦).

فإذا كان بيت المقدس عاصمة للخلافة الإسلامية، فإنّ في هذا بشارة بطرد اليهود من بلادنا وتبوير دولتهم وتدميرها بإذن الله ﷻ، وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم -واللفظ له-، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ

(١) سيأتي تخرجه في الصفحة الآتية، ص ٦٥.

(٢) سنن أبي داود (١٩/٣)، كتاب الجهاد، باب الرجل يغزو يلتمس الأجر والغنيمة، حديث ٢٥٣٥.

(٣) مسند أحمد (١٥١ / ٣٧)، حديث ٢٢٤٨٧.

(٤) المستدرک على الصحيحين (٤ / ٤٢٥)، حديث ٨٤٢٧.

(٥) هو عبد الله بن حوالة، أبو حوالة أو أبو محمد الأزدي، أحد الصحابة الكرام، نزل الشام ومات بها، ت ٥٨هـ، ويقال ت ٨٠هـ. (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٤ / ٥٩).

(٦) قال الحاكم: "صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي. (المستدرک، للحاكم، مع التلخيص، للذهبي ٤ / ٤٢٥).

أَوْ الشَّجَرِ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغُرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ
الْيَهُودِ" (١).

فكل الأسباب سيسخرها لنا الله ﷻ للنصر على يهود حتى الحجر والشجر سيكونان
لصالحنا في معركتنا معهم، وبذلك سيطردهم اليهود من الأرض المقدسة ويشتموا في مشارق الأرض
ومغاربها ويُضربُ عليهم الذلة والهوان من جديد كما كانوا من قبل، كما قال تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ
عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (٢).

حتى تعود طائفة منهم في آخر الزمان مع الدجال لينتقموا من ذلك، فقد روى مسلم من
حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "يَتَّبِعُ الدَّجَالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ" (٣)
سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ" (٤) (٥).

فما السر إذًا في اتباع اليهود للدجال! الجواب؛ رغبتهم بالثأر والانتقام مما حصل لهم من
تشريد وتبوير لدولتهم بإذن الله، فعندها تلتقي مصالحهم مع الدجال، لكنهم سيقتلون معه في
أرض الشام، إذ إن الدجال سيقتل في بيت المقدس على يد المسيح عليه السلام، فقد روى الإمام
مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "يَأْتِي الْمَسِيحُ - أَي الدَّجَالُ - مِنْ
قِبَلِ الْمَشْرِقِ، هِمَّتُهُ الْمَدِينَةُ، حَتَّى يَنْزِلَ دُبُرَ أَحَدٍ، ثُمَّ تَصْرِفُ الْمَلَائِكَةُ وَجْهَهُ قِبَلَ الشَّامِ،
وَهُنَالِكَ يَهْلِكُ" (٦).

(١) صحيح البخاري (٤/٤٢)، كتاب الجهاد، باب قتال اليهود، حديث ٢٩٢٥، وصحيح مسلم (٤/٢٢٣٩)، كتاب
الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل...، حديث ٢٩٢٢.

(٢) سورة البقرة: الآية ٦١.

(٣) مدينة فارسية عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها، وفي تسميتها خلاف، فقيل سميت نسبةً لأصبهان بن فلوج
ابن سام بن نوح عليه السلام، وقيل أصبهان اسم مركب من الأصب وهو البلد، وهان اسم الفارس، فكأنه يقال بلاد الفرسان،
وقيل غير ذلك، وقد نُسب إليها جماعة من العلماء أشهرهم الإمام أبو نعيم الأصبهاني، صاحب حلية الأولياء. (انظر:
معجم البلدان، لياقوت الحموي ١/٢٠٦-٢١٠).

(٤) الطيلسان: ضرب من الأوشحة، يلبس على الكتف أو يحيط بالبدن، خال عن التفصل والخياطة. (انظر: المعجم
الوسيط ٢/٥٦١).

(٥) صحيح مسلم (٤/٢٢٦٦)، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب بقية أحاديث الدجال، حديث ٢٩٤٤.

(٦) صحيح مسلم (٢/١٠٠٥)، كتاب الحج، باب صيانة المدينة من دخول الطاعون والدجال إليها، حديث ١٣٨٠.

ومن حديث النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ (١) رضي الله عنه، قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَحَقَّقَ فِيهِ وَرَقَّعَ، حَتَّى ظَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ...، وفيه: قال النبي ﷺ: "فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ - أي الدجال -، إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ،... فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ - وهي بلدة قريبة من بيت المقدس (٢) -؛ فَيَقْتُلُهُ..." (٣) الحديث.

ولكن هذا النصر على يهود، وهذا التمكين المرتقب لا بد له من إعداد سابق نفسي، وتربوي، وروحاني، وأخلاقي، وعقدي، وفكري، وعلمي، واقتصادي، وسياسي، وعسكري... الخ، فالأمة يجب أن تهيئ نفسها جيداً لبلوغ مرحلة التمكين، وذلك لا يكون إلا بالإعداد الجيد، والاستعداد القوي في المجالات والتخصصات المختلفة كافة، كما قال تعالى:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ (٤).

"فمما لا شك فيه، أنَّ تحقيق هذا الانتشار - أي انتشار الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها -، يستلزم أن يعود المسلمون أقوياء في معنوياتهم ومادياتهم وسلاحهم، حتى يستطيعوا أن يتغلبوا على قوى الكفر والطغيان" (٥).

وقد روى الإمام مسلم عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ (٦) رضي الله عنه، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمَنْبَرِ، يَقُولُ: "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ، أَلَا إِنَّ

(١) النَّوَّاسُ بْنُ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيُّ الْكِلَابِيُّ، له ولأبيه صحبة. (انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر ١٥٣٤/٤، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر ٣٧٧/٦).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٨ / ٦٨).

(٣) صحيح مسلم (٤ / ٢٢٥٠)، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، حديث ٢٩٣٧.

(٤) سورة الأنفال: الآية ٦٠.

(٥) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، للألباني (١ / ٣٢).

(٦) عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ الْجُهَنِيُّ، أبو عيس، أو أبو حماد، أو أبو عمرو، أو أبو عامر، أو أبو الأسد المصْرِيُّ، صاحب النبي ﷺ، كان قارئاً عالماً بالفرائض والفقه، فصيح اللسان، شاعراً كاتباً، وهو أحد من جمع القرآن، وشهد الفتوح، وكان هو البريد إلى عمر بفتح دمشق، وشهد صفين مع معاوية، وأمره بعد ذلك على مصر، وتوفي سنة ٥٨ هـ آخر خلافة معاوية رضي الله عنه. (انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر ١٠٧٣/٣، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر ٤٢٩/٤).

الْقُوَّةُ الرَّمِّيَّةُ^(١).

قال النووي: "فيه فضيلة الرمي والمناضلة، وسائر أنواع استعمال السلاح، والاعتناء بذلك بنية الجهاد في سبيل الله تعالى، والمراد بهذا كله التمرن على القتال والتدريب والتحدق فيه ورياضة الأعضاء"^(٢).

ثالث عشر: ومن ثمرات التصديق بأخبار اليوم الآخر، أنه قد تمر بالمسلمين وقائع في مقبل الأيام تحتاج إلى بيان الحكم الشرعي فيها، ولو ترك المسلمون إلى اجتهادهم؛ فإنهم قد يختلفون، وربما يكون نقصاً تنزه الشريعة عنه، فمن ذلك، ما رواه الإمام مسلم عن مدة مكوث الدجال في الأرض، من حديث النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَمَا لَبُثُّهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: "أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ"، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: "لَا، أَقْدَرُوا لَهُ قَدْرَهُ"^(٣)، وكلَّ العباد إلى اجتهادهم، لاقتصروا على الصلوات الخمس عند الأوقات المعروفة في غير هذه الأيام.

وأخبر الرسول ﷺ أن عيسى عليه السلام بعد نزوله لا يقبل الجزية من اليهود والنصارى، ولا يقبل منهم إلا الإيمان، ففي الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لِيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا؛ فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ"^(٤)، وَيَقْتُلَ الْخَنزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ"^(٥)، وَيَقْبِضَ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ"^(٦).

(١) صحيح مسلم (٣/١٥٢٢)، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه، حديث ١٩١٧.

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم (١٣/٦٤).

(٣) صحيح مسلم (٤/٢٢٥٠)، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، حديث ٢٩٣٧.

(٤) معناه: يكسره حقيقة، ويبطل ما يزعمه النصارى من تعظيمه. (انظر: شرح النووي على مسلم ١٩٠/٢).

(٥) أي لا يقبلها، ولا يقبل من الكفار إلا الإسلام، ومن بذل الجزية منهم لم يكف عنه بها، بل لا يقبل إلا الإسلام أو القتل. (انظر: شرح النووي على مسلم ١٩٠/٢).

(٦) صحيح البخاري (٣/٨٢)، كتاب البيوع، باب قتل الخنزير، حديث ٢٢٢٢، وصحيح مسلم (١/١٣٥)، كتاب

الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ، حديث ٢٤٢.

"وهذا البيان من الرسول ﷺ ضروري؛ لأن عيسى عليه السلام يحكم بهذا الشرع، وهذا الشرع فيه قبول الجزية ممن بذلها إلى حين نزول عيسى بن مريم، وحين ذاك توضع الجزية، ويقتل كل من رفض الإيمان، ولو بذل الجزية"^(١).

كما أن نص رسول الله ﷺ على صفات معينة لأشخاص معينين؛ كالمهدي - مثلاً - يمدنا بالمعيار اللازم للحكم على الدجالين المدعين المهديّة، حتى لا نتورط في فتنهم.



(١) انظر: القيامة الصغرى، د. عمر الأشقر ص ١٣٢.

المبحث الثالث

قرب قيام الساعة واستعداد المؤمنين لها

المطلب الأول: قرب قيام الساعة.

المطلب الثاني: الاستعداد للآخرة.

المطلب الأول: قرب قيام الساعة

مما لا شك فيه أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة حذّرا الناس من قرب قيام الساعة؛ كي يحتاطوا ويعدوا العدة لذلك، ولقد تواتت الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية على اقتراب يوم القيامة مما يجعل العبد في حذر وترقب، ولا أدلّ على ذلك من قول الباري ﷻ: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿اِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾^(٢).

"فهذا إنذارٌ من الله تعالى لعباده بدنوّ القيامة، وقرب فناء الدنيا، وأمرٌ لهم بالاستعداد لأهوال القيامة قبل هجومها عليهم، وهم عنها في غفلة ساهون"^(٣).

وفي تصوير بديع من الله ﷻ لقرب قيام الساعة، يصورها كأنها أتت وحضرت، فيقول سبحانه: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٤).

"ففي الآية يخبر تعالى عن اقتراب الساعة ودنوها معبراً بصيغة الماضي الدال على التحقق والوقوع لا محالة"^(٥)، وقد قال تعالى: ﴿اِقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾^(٦)، ولذا فإنه قد كثر في القرآن تحذير العباد من الساعة، والأمر بالاستعداد لها، وعبر عنها بالغد، وهو اليوم التالي لليوم الذي تعيش فيه، فقال تعالى: ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾^(٧).

قد يكون هناك إشكال عند البعض في فهم النصوص التي توحى بقرب يوم القيامة، مما يؤثر على إيمانهم بها، فلربما يقول قائل: كيف تكون قريبة بالرغم من أنه قد جاء الخبر بوقوعها منذ ما يزيد عن ألف وأربع مئة عام، ومع ذلك لم تقع؟!

(١) سورة النحل: الآية ٧٧.

(٢) سورة القمر: الآية ١

(٣) تفسير الطبري (٢٢ / ٥٦٥).

(٤) سورة النحل: الآية ١

(٥) تفسير ابن كثير (٤ / ٥٥٥).

(٦) سورة الأنبياء: الآية ١.

(٧) سورة الحشر: الآية ١٨.

فالجواب: "أنها قريب في علم الله وتقديره، وإن كانت المقاييس البشرية تراه بعيداً، ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾ ﴿وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾^(١)، والأمر الذي ينبغي أن يُتَبَّه إليه أن الباقي من الدنيا قليل بالنسبة لما مضى منها"^(٢).

وهذا المعنى مُبَيَّن في صحيح البخاري، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "إِنَّمَا أَجَلُكُمْ فِي أَجَلٍ مَنْ خَلَا مِنَ الْأُمَّمِ مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ..."^(٣) الحديث. وفي رواية: "إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيَمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَّمِ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ..."^(٤) الحديث.

قال ابن حجر: "ظاهره أن بقاء هذه الأمة وقع في زمان الأمم السالفة، وليس ذلك المراد قطعاً، وإنما معناه أن نسبة مدة هذه الأمة إلى مدة من تقدم من الأمم مثل ما بين صلاة العصر وغروب الشمس إلى بقية النهار، فكأنه قال إنما بقاؤكم بالنسبة إلى ما سلف"^(٥). قلت: هذا الحديث يؤكد تأكيداً صريحاً وجازماً أن أمة الإسلام هي آخر الأمم وجوداً، وأن نهاية وجودها مرتبط بقيام الساعة، وهذا ما يفهم أيضاً من قول المصطفى ﷺ، الذي في صحيح البخاري، من حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ هَكَذَا، وَيُشِيرُ بِإِصْبَعِيهِ، فَيَمُدُّ بِهِمَا"^(٦).

وفي رواية أخرى، قَالَ: "بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَذِهِ مِنْ هَذِهِ، أَوْ كَهَاتَيْنِ، وَقَرَنَ بَيْنَ السَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى"^(٧).

وفي رواية لمسلم، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُشِيرُ بِإِصْبَعِهِ الَّتِي تَلِي الْإِبْهَامَ وَالْوُسْطَى، وَهُوَ يَقُولُ: "بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ هَكَذَا"^(٨).

(١) سورة المعارج: الآيات ٦ - ٧.

(٢) انظر: القيامة الصغرى، للدكتور عمر الأشقر، ص ١١٥ - ١١٦.

(٣) صحيح البخاري (٤ / ١٧٠)، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث ٣٤٥٩.

(٤) صحيح البخاري (١ / ١١٦)، كتاب الصلاة، باب من أدرك ركعة من العصر قبل الغروب، حديث ٥٥٧.

(٥) فتح الباري لابن حجر (٢ / ٣٩).

(٦) صحيح البخاري (٨ / ١٠٥)، كتاب الرقائق، باب قول النبي ﷺ بعثت أنا والساعة كهاتين، حديث ٦٥٠٣.

(٧) صحيح البخاري (٧ / ٥٣)، كتاب الطلاق، باب اللعان، حديث ٥٣٠١.

(٨) صحيح مسلم (٤ / ٢٢٦٨)، كتاب الفتن، باب قرب الساعة، حديث ٢٩٥٠.

"والمعنى أننا لو قدرنا عمر الزمن بالأصبع الوسطى، فإن ما بقي منه عند مبعث الرسول ﷺ يكون بمقدار ما تزيد الوسطى عن السبابة، وما مضى منه بمقدار السبابة من الأصبع الوسطى، قد يكون الباقي في حسّ البشر طويلاً، لأن إدراكهم محدود، ونظرتهم قاصرة، ولكنه في ميزان الله قريب وقصير" (١).

وقد روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث خَالِدِ بْنِ عُمَيْرِ الْعَدَوِيِّ، قَالَ: خَطَبَنَا عُثْبَةُ ابْنُ غَزْوَانَ (٢)، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنْتْ بِصَرْمٍ، وَوَلَّتْ حَدَاءً، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ يَتَصَابُهَا صَاحِبُهَا، وَإِنِّكُمْ مُنْتَقِلُونَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لَا زَوَالَ لَهَا، فَانْتَقِلُوا بِخَيْرٍ مَا بِحَضْرَتِكُمْ... (٣) الحديث.

قوله: "فإن الدنيا قد آذنت بصرم"، أي: أشعرت وأعملت بانقطاع وانقضاء (٤).

وقوله: "وولت حداء"، أي: خفيفة سريعة (٥).

ومعنى "صُبَابَةٌ" في قوله: "ولم يبق منها إلا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ يَتَصَابُهَا صَاحِبُهَا"، أي:

البَقِيَّةُ الْيَسِيرَةُ مِنَ الشَّرَابِ تَبْقَى فِي أَسْفَلِ الْإِنَاءِ، وَقَدْ تَصَابَتْهَا إِذَا شَرِبْتَهَا (٦).

والمراد: أن ما بقي من أعمارنا في هذه الدنيا شيء يسير، ثم يأتي الحساب بعد ذلك.

قلت: وهذا مما يدل على سرعة زوال الدنيا، وقرب قيام الساعة.

قال القاضي عياض: "فكأنه قال: إن الدنيا أدبرت منقطعة عنكم سريعة الانقطاع" (٧).



(١) انظر: القيامة الصغرى، للدكتور عمر الأشقر، ص ١١٦ - ١١٧.

(٢) عُثْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ بْنِ حَابِرٍ، أَبُو غَزْوَانَ، وَقِيلَ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَازِنِيُّ، خَلِيفُ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ مِنْ فُرَيْشٍ، كَانَ طَوِيلًا جَمِيلًا، وَهُوَ سَابِعُ سَبْعَةٍ فِي الْإِسْلَامِ، وَقَدْ هَاجَرَ إِلَى الْحَبَشَةِ، ثُمَّ شَهِدَ بَدْرًا وَالْمَشَاهِدَ، وَهُوَ الَّذِي اخْتَطَّ الْبَصْرَةَ وَأَنْشَأَهَا، وَقَدْ مَاتَ سَنَةَ ١١٧ هـ، وَقِيلَ: بَعْدَهَا. (انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر ٣ / ١٠٢٦ - ١٠٢٧، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر ٤ / ٣٦٣ - ٣٦٤).

(٣) صحيح مسلم (٤ / ٢٢٧٨)، كتاب الزهد والرقائق، حديث ٢٩٦٧.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، "صَرَمٌ"، (٣ / ٢٦)، وانظر: إكمال المعلم، للقاضي عياض (٨ / ٥١٩).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، "حَدَدٌ"، (١ / ٣٥٦)، وانظر: المعلم بفوائد مسلم، للمازري (٣ / ٣٨٢)،

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، "صَبَبٌ"، (٣ / ٥)، وانظر: المعلم بفوائد مسلم (٣ / ٣٨١).

(٧) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨ / ٥١٩).

المطلب الثاني: الاستعداد للآخرة

إن الاستعداد للآخرة وتذكرها يستوجب استحضر صورتها وأهوالها في القلب، فإن لذلك تأثيراً حسناً على سلوك الجوارح، فإصلاح القلب سبيل لإصلاح سلوك الجوارح، ففي الصحيحين من حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: "أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ ..."^(١) الحديث.

واعلم أنه لا يتم إصلاح القلب إلا بدوام النظر وإطالة الفكر بأمور الآخرة وشدة مواقفها وكرياتها، والاستعداد لها، ولأجل ذلك يقول ابنُ الجوزي: "الواجب على العاقل أخذ العدة لرحيله؛ فإنه لا يعلم متى يفاجئه أمر ربه، ولا يدري متى يستدعى؟ وإني رأيت خلقاً كثيراً غرهم الشَّبَابُ ونسوا فقدان الأقران، وألهاهم طول الأمل، وربما قال العالم المحض لنفسه: أشغل بالعلم اليوم ثم أعمل به غداً، فيتساهل في الزَّلَلِ بِحِجَّةِ الرَّاحَةِ، ويؤخِّر الأهبة لتحقيق التَّوْبَةِ ولا يتحاشى من غيبة أو سماعها، ومن كسب شبهة يأمل أن يمحوها بالورع، وينسى أن الموت قد يبعثه، فالعاقل من أعطى كل لحظة حقها من الواجب عليه، فإن بغيته الموت رثي سعيداً، وإن نال الأمل ازداد خيراً"^(٢).

وقال أيضاً: "إذا علم الإنسان بأنَّ الموت يقطعه عن العمل، عمل في حياته ما يدوم له أجره بعد موته، فإن كان له شيء من الدنيا، وقف وقفاً، وغرس غرساً، وأجرى نهرًا، ويسعى في تحصيل ذريرة تذكر الله بعده فيكون الأجر له، أو أن يصنّف كتابًا من العلم؛ فإنّ تصنيف العالم ولده المخلد، وأن يكون عاملاً بالخير، عالماً فيه، فينقل من فعله ما يقتدي الغير^(٣) به، فذلك الذي لم يمّت"^(٤).

(١) صحيح البخاري (٢٠/١)، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، حديث ٥٢، وصحيح مسلم (٣/١٢١٩)، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، حديث ١٥٩٩.
(٢) صيد الخاطر، ص ٢٨.
(٣) كلمة "الغير" موغلة في الإبهام، وكان حقه أن يقول: الآخرون.
(٤) صيد الخاطر، ص ٣٤.

وإضافة إلى ما ذكره ابن الجوزي، فإن هناك جملة من الأعمال بمثابة سفينة النجاة التي يركبها العبد أمام عواصف الفتن والشهوات التي قد تعصف به وهو في طريقه إلى الدار الآخرة، منها:

أولاً: محاسبة النفس:

إن من أهم الأعمال التي ينبغي أن يستعدَّ بها العبد لاستقبال آخرته دوام المحاسبة للنفس، والمبادرة بالتوبة النصوح، والإكثار من الاستغفار، لقوله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ^(١).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُم سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^(٢).
وقال ﷺ: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾^(٣).

وفي صحيح مسلم من حديث الأغر بن يسار المزني^(٤)، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ، فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ"^(٥).

قال النووي: "فالتوبة أهم قواعد الإسلام، وهي أول مقامات سالكي طريق الآخرة، ولها ثلاثة شروط: أن يقلع عن المعصية، وأن يندم على فعلها، وأن يعزم عزمًا جازمًا أن لا يعود إلى مثلها أبدًا.

فإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فلها شرط رابع، وهو: رد الظلامة إلى صاحبها أو تحصيل البراءة منه"^(٦).

(١) سورة الحشر: الآيات ١٨، ١٩.

(٢) سورة التحريم: الآية ٨.

(٣) سورة هود: الآية ٣.

(٤) الأغر بن يسار المزني، وَيُقَالُ الْجُهَيْي، صحابي من المهاجرين. (انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر ١/١٠٢، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر ١/٢٤٧).

(٥) صحيح مسلم (٤/٢٠٧٥)، كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، حديث ٢٧٠٢.

(٦) شرح النووي على مسلم (١٧/٢٥).

وأخرج ابن ماجه^(١)، والنسائي في الكبرى^(٢)، وفي عمل اليوم والليلة^(٣)، والطبراني^(٤)، والبيهقي^(٥)، والضياء في المختارة^(٦)، من حديث عبد الله بن بسر^(رضي الله عنه)، قال النبي ﷺ: "طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً"^(٧).

قال الطيبي: "فإن قيل: لم لم يقل طوبى لمن استغفر كثيراً؟ وما فائدة العدول؟ قلت: هو كناية عنه، فيدل على حصول ذلك جزماً على الإخلاص، لأنه إذا لم يكن مخلصاً فيه كان هباءً منثوراً، فلم يجد في صحيفته إلا ما يكون حجةً عليه ووبالاً له"^(٨).

ثانياً: الاستغلال الأمثل للوقت:

ينبغي على العبد أن يشغل أوقاته بالمبادرة بالأعمال الصالحة من صيام، وقيام، وصدقة، وبر للوالدين، وصلة للأرحام، وغير ذلك، قبل الانزلاق في وحل الفتن والشهوات، فقد جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة^(رضي الله عنه)، أن رسول الله ﷺ، قال: "بادرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا"^(٩).

قال النووي: "فيه الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة كتراكم ظلام الليل المظلم لا المقمر"^(١٠).

(١) سنن ابن ماجه (٢/ ١٢٥٤)، كتاب الأدب، باب الاستغفار، حديث ٣٨١٨.

(٢) السنن الكبرى، للنسائي (٩/ ١٧١)، حديث ١٠٢١٦.

(٣) عمل اليوم والليلة، للنسائي، ص ٣٣٠، حديث ٤٥٥.

(٤) الدعاء، للطبراني، ص ٥٠٦، حديث ١٧٨٩.

(٥) شعب الإيمان، للبيهقي (٢/ ١٥٢)، حديث ٦٣٨.

(٦) الأحاديث المختارة، للضياء المقدسي (٩/ ٩٥)، حديث ٧٩.

(٧) قال النووي: "إسناده جيد"، وقال ابن حجر: "حديث حسن"، وقال البوصيري: "إسناد صحيح رجاله ثقات".

(٨) الأذكار للنووي، ص ٤٠٤، حديث ١٢٢٩، والأمالى المطلقة، لابن حجر، ص ٢٤٩، ومصباح الزجاجية في زوائد ابن

ماجه، للبوصيري ٤/ ١٣٥).

(٩) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي القاري (٤/ ١٦٣٣).

(١٠) صحيح مسلم (١/ ١١٠)، كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، حديث ١١٨.

(١١) شرح النووي على مسلم (٢/ ١٣٣).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: "بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوْ الدُّخَانَ، أَوْ الدَّجَالَ، أَوْ الدَّابَّةَ، أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ -يعني الموت^(١)-، أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ -يعني القيامة^(٢)"^(٣).

"أي: سابقوا ست آيات دالة على وجود القيامة قبل وقوعها وحلولها؛ فإن العمل بعد وقوعها وحلولها لا يُقبل ولا يُعتبر"^(٤).

"فأمرهم أن يبادروا بالأعمال قبل نزول هذه الآيات؛ فإنها إذا نزلت أدهشت، وأشغلت عن الأعمال، أو سد عليهم باب التوبة، وقبول العمل"^(٥)، "إِذَا فَاَلْمَقْصُودُ مِنْ هَذِهِ الْأَخْبَارِ الْحَثُّ عَلَى الْبِدَاءِ بِالْأَعْمَالِ قَبْلَ حُلُولِ الْأَجَالِ وَاعْتِنَامِ الْأَوْقَاتِ قَبْلَ هَجُومِ الْآفَاتِ"^(٦).

وفي صحيح البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "نِعْمَتَانِ مَغْبُوءٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصَّحَّةُ وَالْفِرَاقُ"^(٧)، "وذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة، وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة، فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط، ومن استعملهما في معصية الله فهو المغبون"^(٨).

"وما يستعان به على دفع الغبن أن يعلم العبد أن الله تعالى خلق الخلق من غير ضرورة إليهم، وبدأهم بالنعم الجليلة من غير استحقاق منهم لها، وأمرهم أن يعبدوه ويعتبروا بما ابتدأهم به من النعم الظاهرة والباطنة، ويشكروه عليها بأحرفٍ يسيرة، وجعل مدة طاعتهم في الدنيا منقضية بانقضاء أعمارهم، وجعل جزاءهم على ذلك خلودًا دائمًا في جنات لا انقضاء لها، فمن أمعن النظر في هذا كان حريرًا ألا يذهب عنه وقت من صحته وفراغه إلا وينفقه في طاعة

(١) انظر: شرح النووي على مسلم (١٨ / ٨٧).

(٢) انظر: المرجع نفسه (١٨ / ٨٧).

(٣) صحيح مسلم (٤ / ٢٢٦٧)، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية أحاديث الدجال، حديث ٢٩٤٧.

(٤) بشرى السلامة من أهوال القيامة، لجميلة المصري ص ٣٦.

(٥) انظر: مرقاة المفاتيح، لعلي القاري (٨ / ٣٤٥٠)، وفيض القدير، للمناوي (٣ / ١٩٤).

(٦) انظر: فيض القدير، للمناوي (٣ / ١٩٥).

(٧) صحيح البخاري (٨ / ٨٨)، كتاب الرقاق، باب لا عيش إلا عيش الآخرة، حديث ٦٤١٢.

(٨) انظر: فتح الباري، لابن حجر (١١ / ٢٣٠).

ربه، ويشكره على عظيم مواهبه، فمن لم يكن هكذا ومرت عنه أيامه في سهو وهو وعجز عن القيام بما لزمه لربه تعالى فقد غبن أيامه، وسوف يندم حيث لا ينفعه الندم^(١).
أسأل الله تعالى أن يوفقنا لاغتنام الأوقات في طاعته.

ثالثاً: زيارة القبور:

إن زيارة القبور تذكر بالموت، وتذكر بالآخرة، فتنبه العبد لاغتنام أيام حياته بما يرضي الله ﷻ قبل حلول أجله، فقد جاء في صحيح مسلم من حديث بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ^(٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا"^(٣).

وفي روايةٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُدَكِّرُ الْمَوْتَ"^(٤).
والقبر أول منازل الآخرة ولذلك كان أمير المؤمنين عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا زار القبور يجهد بالبكاء حتى تتبلل لحيته؛ وذلك لأن مشهد القبور يذكر بالآخرة، ومن نجا من فتنة القبر فحتمًا سينجو من فتنة الحشر.

روى الترمذي^(٥)، وابن ماجه^(٦)، وعبد الله بن أحمد في زوائده على مسند أبيه^(٧) - واللفظ له -، والحاكم^(٨)، والبيهقي^(٩)، من حديث هَانِيٍّ مَوْلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرِ بَكِيِّ حَتَّى يُبَلِّغَ لِحْيَتَهُ، فَقِيلَ لَهُ: تَذَكَّرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ فَلَا تَبْكِي، وَتَبْكِي مِنْ هَذَا!

(١) انظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطال (١٠/١٤٦ - ١٤٧).

(٢) بُرَيْدَةُ بْنُ الْحُصَيْبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، أَبُو الْحُصَيْبِ الْأَسْلَمِيُّ، وقيل غير ذلك، أسلم قبل بدر، ثم رجع إلى بلاد قومه، ثم قدم على رسول الله ﷺ بعد أحد، فشهد معه المشاهد، وغزا معه ست عشرة غزوة، ت ٦٣ هـ في خلافة يزيد ابن معاوية. (انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١/١٨٥، والإصابة في تمييز الصحابة ١/٤١٨).

(٣) صحيح مسلم (٢/٦٧١)، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربه ﷻ في زيارة قبر أمه، حديث ٩٧٧.

(٤) صحيح مسلم (٢/٦٧٠)، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربه ﷻ في زيارة قبر أمه، حديث ٩٧٦.

(٥) جامع الترمذي (٤/١٤٢)، كتاب الزهد، باب ما جاء في ذكر الموت، حديث ٢٣٠٨.

(٦) سنن ابن ماجه (٥/٦٥١)، باب ذكر القبر والبلى، حديث ٤٢٦٧.

(٧) مسند أحمد (١/٥٠٣)، حديث ٤٥٤.

(٨) المستدرک علی الصحیحین (٤/٣٣٢)، حديث ٨٠٦١.

(٩) السنن الكبرى (٤/٥٦)، حديث ٧٣١٥، وشعب الإيمان (١/٦١٩)، حديث ٣٩٣.

فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "الْقَبْرُ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ"، قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْطَعُ مِنْهُ"^(١).

رابعًا: عيادة المرضى:

إنَّ المرض من أكثر الأمور تذكيرًا بالآخرة، فهذا أبو بكر رضي الله عنه، وهذا بلال رضي الله عنه، لما أصابهما المرض عند الهجرة، أخذوا برثاء نفسيهما استعدادًا وتذكيرًا بالموت، ففي البخاري من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: "وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الْحُمَّى، يَقُولُ:

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبِّحٌ فِي أَهْلِهِ^(٢) وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

والمعنى أن الموت أقرب إلى الشخص من شراك نعله لرجله^(٣).

قالت عائشة رضي الله عنها: وَكَانَ بِلَالٌ إِذَا أَفْلَعَتْ عَنْهُ - أَي الْحُمَّى -، يَقُولُ:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْتَنَ لَيْلَةً

بِوَادٍ، وَحَوْلِي إِذْخِرُ^(٤) وَجَلِيلُ^(٥)

وَهَلْ أَرِدُنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ^(٦) وَهَلْ تَبْدُونُ لِي شَامَةً وَطْفِيلُ^(٧)"^(٨).

فالإنسان لا يدري أجله، فلعلَّ هذا المرض آخر عهده بهذه الدنيا الفانية، فالموت أقرب إليه من غيره، فعند زيارتنا للمرضى ينبغي أن نعتبر بما أصابهم، فعندها نسأل الله السلامة لنا ولهم، فنكون أكثر قربًا من الله وعزله، ولأجل ذلك شرع النبي صلَّى الله عليه وآله عيادة المرضى وجعلها من حقوق المسلمين علينا، ففي الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله

(١) الحديث صححه الحاكم، وقال: "على شرط الشيخين"، ووافقه الذهبي، أما الترمذي فقد حسنه، قال: "هذا حديث حسن غريب". (المستدرک مع التلخیص ٤/٣٣٢، حديث ٨٠٦١، جامع الترمذي ٤/١٤٢، حديث ٢٣٠٨).

(٢) أي: مصاب بالموت صباحًا. (انظر: فتح الباري، لابن حجر ٧/٢٦٢).

(٣) انظر: المرجع نفسه، (٧/٢٦٢).

(٤) حشيشة طيبة الرائحة تسقف بها البيوت فوق الخشب. (النهاية في غريب الحديث والأثر، "إذخِر"، ١/٣٣).

(٥) نبت ضعيف يحشى به خصاص البيوت وغيرها. (انظر: فتح الباري، لابن حجر ٧/٢٦٣).

(٦) موضع على أميال من مكة، وكان به سوق في الجاهلية. (انظر: المرجع نفسه ٧/٢٦٣).

(٧) شامة وطفيل: هما جبلان بقرب مكة، وقيل: إنهما عينان. (انظر: المرجع نفسه ٧/٢٦٣).

(٨) صحيح البخاري (٥/٦٦)، كتاب المناقب، باب مقدم النبي صلَّى الله عليه وآله وأصحابه المدينة، حديث ٣٩٢٦.

يُقُولُ: "حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَمْسٌ: رُدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيْتُ الْعَاطِسِ"^(١).

خامساً: اتباع الجنائز:

اتباع الجنائز قرين زيارة القبور في التذكير بالآخرة، لذا أمر النبي ﷺ به، وحث عليه، وأخبر بالأجر الوفير لمن يقوم بذلك، لما في ذلك من الفوائد والثمرات الطيبة من مواساة لأهل الميت، وترطيب للقلوب، وغير ذلك، ففي الصحيحين -واللفظ للبخاري- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "مَنْ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا، وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلِّيَ عَلَيْهَا وَيَفْرُغَ مِنْ دَفْنِهَا، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ مِنَ الْأَجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ، كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِيرَاطٍ"^(٢).

وفي رواية للبخاري: "حَدَّثَ ابْنُ عُمَرَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، يَقُولُ: "مَنْ تَبَعَ جَنَازَةً فَلَهُ قِيرَاطٌ"، فَقَالَ: أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَلَيْنَا، فَصَدَّقَتْ - يَعْنِي عَائِشَةَ - أَبَا هُرَيْرَةَ، وَقَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُهُ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنه: "لَقَدْ فَرَطْنَا فِي قَرَارِيطَ كَثِيرَةٍ"^(٣).

وفي رواية مسلم: "وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنه يُصَلِّي عَلَيْهَا ثُمَّ يَنْصَرِفُ، فَلَمَّا بَلَغَهُ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: لَقَدْ ضَيَعْنَا قَرَارِيطَ كَثِيرَةٍ"^(٤).

قلت: يقول ابن عمر رضي الله عنه هذا القول في زمانه، وقد كانوا أحرص الناس على الأجر، فكيف لو رأى زماننا، وما فيه من الغفلة الشديدة عن الآخرة، فماذا يا ترى سيقول؟! فإننا لله وإنا إليه راجعون.

(١) صحيح البخاري (٧١/٢)، كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز، حديث ١٢٤٠، وصحيح مسلم (٤/١٧٠٤)، كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام حديث ٢١٦٢.

(٢) صحيح البخاري (١٨/١)، كتاب الإيمان، باب اتباع الجنائز من الإيمان، حديث ٤٧، وصحيح مسلم (٢/٦٥٢)، كتاب الجنائز، باب فضل الصلاة على الجنائز واتباعها، حديث ٩٤٥.

(٣) صحيح البخاري (٨٧/٢)، كتاب الجنائز، باب فضل اتباع الجنائز، حديث ١٣٢٣-١٣٢٤.

(٤) صحيح مسلم (٢/٦٥٢)، كتاب الجنائز، باب فضل الصلاة على الجنائز واتباعها، حديث ٩٤٥.

سادساً: الإكثار من ذكر هادم اللذات وهازم الشهوات ومفرق الجماعات:

إن الإكثار من ذكر الموت يرقق القلب، ويشجع العبد على فعل الطاعات، ولذلك كان النبي ﷺ يستغل الفرص والمواقف ليذكّر أصحابه بالموت والآخرة كي لا تغفل قلوبهم عنهما. أخرج أبو داود^(١)، والترمذي^(٢)، وابن ماجه^(٣)، وأحمد^(٤)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص^(٥)، قال: قَالَ: مَرَّ بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نُصَلِّحُ خُصًّا لَنَا، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قُلْنَا: خُصًّا لَنَا وَهِيَ، فَنَحْنُ نُصَلِّحُهَا. قَالَ: فَقَالَ: "أَمَا إِنَّ الْأَمْرَ - يعني الموت - أَعْجَلُ مِنْ ذَلِكَ"^(٦).

ولذلك كان النبي ﷺ، فيما روى الترمذي^(٧)، وأحمد^(٨)، وعبد بن حميد^(٩)، والحاكم^(١٠)، والبيهقي^(١١)، من حديث أبي ابن كعب^(١٢)، قال: كَانَ ﷺ إِذَا ذَهَبَ نُثْنَا اللَّيْلَ قَامَ، فَقَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اذْكُرُوا اللَّهَ، اذْكُرُوا اللَّهَ، جَاءَتْ الرَّاجِفَةُ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ..." الحديث^(١٣).

-
- (١) سنن أبي داود (٥٢٩/٤)، كتاب النوم، باب ما جاء في البناء، حديث ٥٢٣٨.
 - (٢) جامع الترمذي (١٦٠/٤)، كتاب الزهد، باب قصر الأمل، حديث ٢٣٣٥.
 - (٣) سنن ابن ماجه (٥٨٧/٥)، كتاب الزهد، باب في البناء والخراب، حديث ٤١٦٠.
 - (٤) مسند أحمد (٤٦ / ١١)، حديث ٦٥٠٢.
 - (٥) بيت من الخشب والقصب، وسمي به لما فيه من الخصاص، وهي الفرج والأنقاب. (انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، "خصص"، ٣٧/٢).
 - (٦) قال الترمذي "هذا حديث حسن صحيح". (جامع الترمذي ١٦٠/٤، حديث ٢٣٣٥).
 - (٧) جامع الترمذي (٢٤٥ / ٤)، كتاب صفة القيامة والرقاق والورع، باب منه، حديث ٢٤٥٧.
 - (٨) مسند أحمد (١٦٥ / ٣٥)، حديث ٢١٢٤١.
 - (٩) مسند عبد بن حميد (١٨١/١)، حديث ١٧٠.
 - (١٠) المستدرک على الصحيحين (٤٢١ / ٢)، حديث ٣٥٣٧.
 - (١١) شعب الإيمان (٥٨ / ٢)، حديث ٥١٤.
 - (١٢) أبي بن كعب، سيد القراء، أبو المنذر وأبو الطقيّل الأنصاري، المدني، البدری، شهد العقبة، وبدراً، والمشاهد كلها، وجمع القرآن، وعرضه على النبي ﷺ، وكان أحد فقهاء الصحابة، وأقرأهم لكتاب الله، ت ١٩ هـ. وقيل ٣٢ هـ. وقيل غير ذلك بالمدينة. (انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٦٥/١ - ٧٠، والإصابة في تمييز الصحابة ١٨٠/١ - ١٨٢).
 - (١٣) قال الترمذي: "حسن صحيح"، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه". (جامع الترمذي ٤٢١/٢، حديث ٣٥٣٧، المستدرک على الصحيحين، للحاكم ٢٤٥/٤، حديث ٢٤٥٧).

فقد كانت وصية النبي ﷺ الدائمة لأصحابه الإكثار من ذكر هادم اللذات، فعند الترمذي^(١)، والنسائي^(٢)، وابن ماجه^(٣)، وأحمد^(٤)، والحاكم^(٥)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَاتِ يَعْنِي الْمَوْتَ"^(٦).

سابعاً: تجهيز الوصية:

إنَّ مما يندب ويستحب شرعاً تجهيز الوصية، لقول الله ﷻ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾^(٧). وفي الصحيحين من حديث ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ"^(٨). وفي روايةٍ لمسلم، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: "مَا مَرَّتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَلِكَ، إِلَّا وَعِنْدِي وَصِيَّتِي"^(٩).

قلت: وفائدة الوصية أنها تُذكِّرُ أهلَ الميِّتِ وورثته بتقوى الله ﷻ، وأنَّ كُلَّ واحدٍ منهم ليس بمعزل عن الموت وطريق الآخرة، مما يدفعهم إلى العدل في تقسيم الميراث، وإيصال الحقوق لأصحابها، وعدم سلب أحدٍ حقه، ولترسيخ هذا المبدأ كاد النبي ﷺ أن يترك وصية مكتوبة لأهل بيته وأصحابه والأمة من بعدهم لولا اختلاف الصحابة في مجلسه على ذلك.

(١) جامع الترمذي (١٢٩/٤)، كتاب الزهد، باب ذكر الموت، حديث ٢٣٠٧.

(٢) سنن النسائي (٣٠١/٤)، كتاب الجنائز، باب كثرة ذكر الموت، حديث ١٨٢٣.

(٣) سنن ابن ماجه (٦٤٥/٥)، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، حديث ٤٢٥٨.

(٤) مسند أحمد (٣٠١ / ١٣)، حديث ٧٩٢٥.

(٥) المستدرک على الصحيحين، للحاكم (٣٢٢ / ٤)، حديث ٨٠٢٦.

(٦) قال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب"، قال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم"، ووافقه الذهبي. (جامع

الترمذي ١٢٩/٤، حديث ٢٣٠٧، والمستدرک على الصحيحين، للحاكم ٣٢٢/٤، حديث ٨٠٢٦).

(٧) سورة البقرة: الآية ١٨٠.

(٨) صحيح البخاري (٢/٤)، كتاب الوصايا، باب الوصايا وقول النبي ﷺ وصية الرجل مكتوبة عنده، حديث ٢٧٣٨،

وصحيح مسلم (١٢٥٠/٣)، كتاب الوصية، حديث ١٦٢٧.

(٩) صحيح مسلم (١٢٥٠/٣)، كتاب الوصية، حديث ١٦٢٧.

ففي الصحيحين من حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: "لَمَّا اشْتَدَّ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعُهُ، قَالَ: "أَنْتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوْا بَعْدَهُ"، قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَلَبَهُ الْوَجَعُ، وَعِنْدَنَا كِتَابُ اللَّهِ حَسْبُنَا، فَاخْتَلَفُوا وَكَثُرَ اللَّغَطُ، قَالَ: "فُؤْمُوا عَنِّي وَلَا يَنْبَغِي عِنْدِي التَّنَاؤُحُ"، فَخَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: "إِنَّ الرِّزِيَّةَ كُلَّ الرِّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ كِتَابِهِ" ^(١). فالذي حال بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبين كتابة الوصية هو خشيته من الاختلاف؛ لأن وحدة الأمة من الواجبات، وكتابة الوصية سُنَّة، فُقَدِمَ الفرضُ على السُنَّة.

ومما ينبغي الإشارة إليه أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يُرد مخالفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنما أشفق على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شدة وجعه.

قال الكرمانى: "فإن قيل: كيف يجوز لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يعترض على ما رآه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أمر الدين ولا يسرع إلى قبوله؟ أفتراه خاف أن يتكلم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بغير الحق، أو يجري على لسانه الباطل! حاشاه عن ذلك.

قلنا: لا يجوز على عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يتوهم الغلط على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو يظن به التهمة في حال من الأحوال، إلا أنه لما نظر قد أكمل الله الدين، وتمم شرائعه، وقد غلب الوجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصلته الوفاة وهو بشر يعتريه من الآلام ما يعترى البشر، أشفق أن يكون ذلك القول من نوع ما يتكلم به المريض مما لا عزيمة له فيه، فيجد به المنافقون سبيلاً إلى تلبس أمر الدين، وقد كان أيضاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرى الرأي في الأمر، فيراجع أصحابه في ذلك إلى أن يعزم الله له على شيء، كما راجعوه يوم الحديبية فيما كتب بينه وبين قريش، فإذا أمر بشيء أمر عزم لم يراجع فيه ولم يخالف" ^(٢).

وقال السيوطي: وذكر في قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذلك وجوه:
منها: أنه فهم أن ذلك ليس على سبيل الوجوب، وأنه من باب الإرشاد إلى الأصلح،

(١) صحيح البخاري (٣٤/١)، كتاب العلم، باب كتابة العلم، حديث ١١٤، وصحيح مسلم (٣/١٢٥٩)، كتاب الوصية باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصى فيه، حديث ١٦٣٧.

(٢) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٢/١٢٧).

فكره أن يكلفه من ذلك ما يشق عليه في تلك الحالة مع استحضارهم قوله تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(١).

ومنها: أنه عليه السلام قال ذلك اختصاراً لأصحابه، فهدى الله عمر رضي الله عنه لرادّه، وخفي ذلك على ابن عباس رضي الله عنهما، ولهذا عاش رضي الله عنه بعد ذلك أياماً ولم يعاود أمرهم بذلك، ولو كان واجباً لم يتركه لاختلافهم، وقد عدّ هذا من موافقات عمر رضي الله عنه.

ومنها: أن عمر رضي الله عنه خاف أن يكون ما يكتبه في حالة غلبته المرض، فيجد بذلك المنافقون سبيلاً إلى الطعن في ذلك المكتوب^(٢).

ثامناً: الإكثار من قراءة القرآن والتفكير والتدبر فيه وحضور مجالس العلم:

إن القرآن ينافح ويدافع عن صاحبه يوم القيامة، ففي صحيح مسلم من حديثي أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه^(٣)، والنّوّاس بن سمعان الكلابي رضي الله عنه، واللفظ له، يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: "يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ، تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ"، وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيْتُهُنَّ بَعْدُ، قَالَ: "كَانَتْهُمَا عِمَامَتَانِ"^(٤) أَوْ ظَلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ"^(٥)، أَوْ كَانَتْهُمَا حِرْقَانِ"^(٦) مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ"^(٧)، تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبَيْهِمَا"^(٨). وقد بين لنا النبي صلى الله عليه وآله أن تعلم العلم وتعليمه تبقى منفعة قائمة إلى قيام الساعة، فهو مما ينتفع به صاحبه حتى بعد موته، وبيان ذلك في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن

(١) سورة الأنعام: الآية ٣٨.

(٢) التوشيح شرح الجامع الصحيح (٢٨٥/١)، وانظر: اللامع الصحيح بشرح الجامع الصحيح، للبرنماوي (٧٢/٢).

(٣) أبو أمامة: صُدِّي بن عجلان بن الحارث، ويُقال: ابن وهب، ويقال: ابن عمرو بن وهب الباهلي، مشهور بكنيته، أحد الصحابة الكرام. (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر ٤٢٠/٣).

(٤) الغمامة: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة وغيره وغيرهما، والمراد أن ثوبهما يأتي كغمامتين. (انظر: شرح النووي على مسلم ٩٠/٦).

(٥) أي ضياء ونور. (انظر: المرجع نفسه ٩١/٦).

(٦) أي قطيعان وجماعتان. (انظر: المرجع نفسه ٩١/٦).

(٧) أي باسطات أحنحتها في الطيران. (انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، "صُفِّفَ"، ٣٨/٣).

(٨) صحيح مسلم (١/٥٥٤)، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، حديث ٨٠٤ - ٨٠٥.

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ، إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ"^(١)، فطلب العلم خير زاد للاستعداد ليوم المعاد؛ فبه نتعرف على المولى ﷺ أكثر فنزداد منه خشية وخوفاً، وله حباً وخضوعاً، كما قال تعالى:

﴿كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٢).

تاسعاً: الدعاء بالثبات وحسن الخاتمة:

على العبد أن يكثر من الدعاء بحسن الخاتمة، والثبات على الطاعة؛ لأنَّ الأعمال بالحواتيم، فقد روى البخاريُّ ومسلم، -واللفظ للبخاري-، من حديث سهل بن سعد الساعديّ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا"^(٣).

وفي روايةٍ لمسلمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ"^(٤).

ولذلك كان النبي ﷺ يكثر من الدعاء بالثبات على الدين والإيمان والطاعة، فلقد روى الإمام مسلم من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: "إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصْرَفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ"، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ"^(٥).

(١) صحيح مسلم (٣/ ١٢٥٥)، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، حديث ١٦٣١.

(٢) سورة فاطر: الآية ٢٨.

(٣) صحيح البخاري (٨/ ١٠٣)، كتاب الرقائق، باب الأعمال بالحواتيم وما يخاف منها، حديث ٦٤٩٣، وصحيح

مسلم (١/ ١٠٦)، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، حديث ١١٢.

(٤) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٤٢)، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه، حديث ٢٦٥١.

(٥) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٤٥)، كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، حديث ٢٦٥٤.

وعند الترمذي^(١)، وأحمد^(٢) - واللفظ له -، وعبد بن حميد^(٣)، وأبي يعلى^(٤)، والطبراني^(٥)، من حديث أم سلمة، أم المؤمنين رضي الله عنها، قالت: كَانَ أَكْثَرَ دُعَائِهِ رضي الله عنه: "يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ، ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ"، قالت: فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَكْثَرَ دُعَاكَ: يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ، ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ؟ قَالَ: "يَا أُمَّ سَلَمَةَ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ آدَمِيٍّ، إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ عز وجل مَا شَاءَ أَقَامَ، وَمَا شَاءَ أَرَاغَ"^(٦).

وزاد في رواية: "فَنَسَأَلُ اللَّهَ رَبَّنَا أَنْ لَا يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَنَسَأَلُهُ أَنْ يَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً، إِنَّهُ هُوَ الْوَهَّابُ"، قالت: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تُعَلِّمُنِي دَعْوَةً أَدْعُو بِهَا لِنَفْسِي؟ قَالَ: "بَلَى، قَوْلِي: اللَّهُمَّ رَبَّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ، اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وَأَذْهَبْ غَيْظَ قَلْبِي، وَأَجِرْنِي مِنْ مُضَلَّاتِ الْفِتَنِ مَا أَحْيَيْتَنَا"^(٧).

عاشراً: تربية الأهل والأبناء تربية سالحة:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾^(٨).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، كما في الصحيحين، واللفظ للبخاري، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ... وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَهِيَ مَسْئُولَةٌ... أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ"^(٩) الحديث.

(١) جامع الترمذي (٤٢٣/٥)، كتاب الدعوات، باب ما جاء في عَقْدِ التَّسْبِيحِ بِالْيَدِ، حديث ٣٥٢٢.

(٢) مسند أحمد (٤٤ / ٢٧٨)، حديث ٢٦٦٧٩.

(٣) المنتخب من مسند عبد بن حميد، ص ٤٤٣، حديث ١٥٣٤.

(٤) مسند أبي يعلى الموصلي (٤١٩/١٢)، حديث ٦٩٨٦.

(٥) المعجم الكبير (٣٣٤/٢٣)، حديث ٧٧٢، وكتاب الدعاء، ص ٣٧٧، حديث ١٢٥٧.

(٦) حسنه الترمذي. (جامع الترمذي ٥٣٨/٥، حديث ٣٥٢٢).

(٧) مسند أحمد (٤٤ / ٢٠٠)، حديث ٢٦٥٧٦.

(٨) سورة التحريم: الآية ٦.

(٩) صحيح البخاري (٢٦/٧)، كتاب النكاح، باب قوله: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾، حديث ٥١٨٨، وصحيح

مسلم (١٤٥٩/٣)، كتاب الإمامة، باب فضيلة الإمام العادل، حديث ١٨٢٩.

وللحديث الذي مرَّ معنا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ"، وذكر منها: "أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ"^(١).

فتربية الأبناء تظهر ثمارها حتى بعد الموت، بالدعاء للوالدين، كما قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾^(٣).

حادي عشر: محبة الله ﷻ ورسوله ﷺ:

روى البخاري ومسلم من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَجُلًا^(٤) سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: "وَمَاذَا أَعَدَدْتَ لَهَا؟" قَالَ: لَا شَيْءَ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ، فَقَالَ: "أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ"، قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرِحْنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ، فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُجِّي إِيَّاهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ^(٥).

قلت: لكنَّ هذه المحبة لا تتحقق إلا بالخضوع والإذعان لله رب العالمين، والطاعة والاتباع لسيد المرسلين محمد ﷺ، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٦﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾^(٦).

(١) سبق تخريجه، ص ٨٥.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٢٤.

(٣) سورة الأحقاف: الآية ١٥.

(٤) قال أبو زرعة العراقي: "هو إن شاء الله تعالى: أبو موسى الأشعري، وقيل: أبو ذر". (المستفاد من مبهمات المتن والإسناد، ص ١٧٦١).

(٥) صحيح البخاري (١٢/٥)، كتاب المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب ﷺ، حديث ٣٦٨٨، وصحيح مسلم

(٤/٢٠٣٢)، كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب، حديث ٢٦٣٩.

(٦) سورة آل عمران: الآية ٣١، ٣٢.

وللحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: "كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبِي"، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَا أَبِي؟، قَالَ: "مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبِي" ^(١).

وقد قال الله ﻋَﻠَﻴْكَ: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ ^(٢)، ولهذا الآية سبب نزول، فقد أخرج الطبراني ^(٣) من حديث عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: "جَاءَ رَجُلٌ ^(٤) إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ إِنَّكَ لَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، وَإِنَّكَ لَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي وَمَالِي، وَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ وَلَدِي، وَإِنِّي لَأَكُونُ فِي الْبَيْتِ فَأَذْكُرُكَ فَمَا أَصْبِرُ حَتَّى آتِيكَ فَأَنْظُرَ إِلَيْكَ، وَإِذَا ذَكَرْتُ مَوْتِي وَمَوْتَكَ عَرَفْتُ أَنَّكَ إِذَا دَخَلْتَ الْجَنَّةَ رُفِعَتْ مَعَ النَّبِيِّينَ، وَإِنِّي إِذَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ خَشِيتُ أَنْ لَا أَرَكَ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا، حَتَّى نَزَلَ جِبْرِيلُ عليه السلام بِهَذِهِ الْآيَةِ... ^(٥)".

أسأل الله تعالى أن يرزقنا محبته، وطاعته، وأن يحشرنا تحت لوائه ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ ^(٦) إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ^(٦).



(١) صحيح البخاري (٩٢ / ٩)، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، حديث ٧٢٨٠.

(٢) سورة النساء: الآية ٦٩.

(٣) المعجم الأوسط (١ / ١٥٢)، حديث ٤٧٧، وكتاب المعجم الصغير (١ / ٥٣)، حديث ٥٢.

(٤) قال العيني: "هذا الرجل هو ثوبان رضي الله عنه، فيما ذكره الواحدي". (انظر: أسباب النزول للواحدي ص ١٦٨، وعمدة القاري للعيني ١٧٨/١٨).

(٥) قال الضياء المقدسي: "لا أعلم بإسناده بأسًا"، وقال الهيثمي: "رواه الطبراني في الصغير والأوسط، ورجاله رجال الصحيح، غير عبد الله بن عمران العابدي، وهو ثقة". (صفة الجنة، للضياء المقدسي، ص ٦٢، ومجمع الزوائد، للهيثمي ٦٣/٧).

(٦) الشعراء: الآيتان ٨٧-٨٨.

الفصل الأول

القيامة وبعث الناس

المبحث الأول: حقيقة القيامة ووقوعها بعتة ومقدار يومها.

المبحث الثاني: النفخ في الصور بعث الناس من القبور.

المبحث الأول

حقيقة القيامة ووقوعها بغتة ومقدار يومها

المطلب الأول: حقيقة القيامة الصغرى.

المطلب الثاني: القيامة الكبرى ووقوعها بغتة.

المطلب الثالث: طول يوم القيامة ومقداره.

المطلب الأول: حقيقة القيامة الصغرى

أولاً: تعريف القيامة:

القيامة في اللغة: "أصله مصدر قام الخلق من قبورهم قيامةً"^(١)، "ودخلها التأنيث للمبالغة على عادة العرب؛ وتُسميت بذلك لما يقوم فيها من الأمور العظام"^(٢). وتنقسم القيامة إلى قسمين؛ الصغرى، والكبرى^(٣).

المقصود من القيامة الصغرى: "الموت؛ لأن كلَّ من مات فقد قامت قيامته، وحيثُ، وحلَّ أجله"^(٤).

والموتُ في اللغة: "ضدُّ الحياة، وأصله من السكون، فكلُّ ما سكن فقد مات"^(٥). وفي الاصطلاح: "صفة وجودية خلقت ضدًّا للحياة"^(٦). أو هو: "حادث تزول معه الحياة"^(٧).

ومما يجب الإشارة إليه أن للقيامة الصغرى أسماء أخرى غير الموت، وهي:

المعاد الأول، والبعث الأول: وفي ذلك يقول ابن القيم: "الموت معادٌ وبعثٌ أول، فإنَّ

الله ﷻ جعل لابن آدم معادَيْن وبعثَيْن، يُجزى فيهما الذين أسأؤوا بما عملوا، ويُجزى الذين أحسنوا بالحسنى، فالبعث الأول مفارقة الروح للبدن ومصيرها إلى دار الجزاء الأول، والبعث الثاني يوم يردُّ الله الأرواح إلى أجسادها، ويعيها من قبورها إلى الجنة أو النار"^(٨).

(١) لسان العرب، لابن منظور، قَوْمٌ، (٥٠٦/١٢).

(٢) القيامة الكبرى، للدكتور عمر الأشقر، ص ٢٠.

(٣) حيث سيتم الحديث عنها في المطلب الآتي، ص ٩٤.

(٤) انظر: القيامة الصغرى، للدكتور عمر الأشقر، ص ١١.

(٥) انظر: لسان العرب، لابن منظور، "مَوْتٌ"، (٩٠/٢).

(٦) التعريفات، للحرجاني، ص ٢٣٥.

(٧) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لابن الجوزي، ص ٥٦٩.

(٨) الروح، ص ٧٤.

وتسمى أيضاً بالبرزخ؛ لأنه الدار التي تعقب الموت إلى البعث، فإذا مات الشخص فليس هو في دار الدنيا، ولا في الآخرة، كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(١).

قال ابن القيم: "عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه، وهو ما بين الدنيا والآخرة، وهذا البرزخ يشرف أهله فيه على الدنيا والآخرة"^(٢).

ثانياً: الدليل على أن الموت القيامة الصغرى:

جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْأَعْرَابِ جُفَاءً يَأْتُونَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَيَسْأَلُونَهُ مَتَى السَّاعَةُ؟ فَكَانَ يَنْظُرُ إِلَى أَصْغَرِهِمْ، فَيَقُولُ: "إِنْ يَعِشْ هَذَا لَا يُدْرِكُهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ"، قَالَ هِشَامٌ^(٣): "يَعْنِي مَوْتَهُمْ"^(٤).

قوله: "سَاعَتُكُمْ": تطلق الساعة على ثلاثة أشياء؛ الساعة الكبرى، وهي بعث الناس للمحاسبة، والوسطى وهي موت أهل القرن الواحد، والصغرى موت الإنسان، فساعة كل إنسان موته^(٥).

قلت: المراد من هذا الحديث الساعة الصغرى؛ فقد بين ذلك هشام بن عروة راوي الحديث، وقد أشار البخاري إلى أنها القيامة الصغرى أيضاً بذكر هذا الحديث تحت باب سكرات الموت^(٦).

(١) سورة المؤمنون: الآية ١٠٠.

(٢) الروح، ص ٧٣.

(٣) هو: هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي؛ ثقة، فقيه، ربما دلس، ت ١٤٥ أو ١٤٦ هـ. (انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، ص ٥٧٣).

قلت: وهشام هو الراوي عن أبيه عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها في هذا الحديث، كما بين ذلك العيني. (انظر: عمدة القاري (٩٥/٢٣)).

(٤) صحيح البخاري (١٠٧/٨)، كتاب الرقاق، باب سكرات الموت، حديث ٦٥١١، وصحيح مسلم (٤/٢٢٦٩)، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب قرب الساعة، حديث ٢٩٥٢.

(٥) فتح الباري، لابن حجر (٣٦٤/١١)، وانظر: الميسر في شرح مصابيح السنة، للتوريشي (٤/١١٨١).

(٦) انظر: صحيح البخاري (١٠٧/٨)، كتاب الرقاق، باب سكرات الموت.

وقد قال العيني: "يمكن أن يؤخذ وجه المطابقة - أي: بين هذه الترجمة، وبين الحديث - من قوله: موتهم؛ لأنَّ كل موت فيه سكرة"^(١).

وقال الكرماني: "يريد بساعتهم موتهم وانقراض عهدهم، إذ من مات فقد قامت قيامته، وكيف والقيامة الكبرى لا يعلمها إلا الله تعالى.

فإن قلت: السؤال عن الكبرى، والجواب بالصغرى، فلا مطابقة؟، قلت: هو من باب الأسلوب الحكيم، من أنه تمثيل لتقريب الساعة، لا يراد منها حقيقة قيامها، إذ الهرم لا حدَّ له أو علم ﷺ أن ذلك المشار إليه لا يعمر ولا يعيش"^(٢).

وقال ابن كثير: "والمراد انخرام قرنهم، ودخولهم في عالم الآخرة، فإنَّ من مات فقد دخل في حكم الآخرة، وقد قامت قيامته"^(٣).

قلت: وقد أراد النبي ﷺ أن يلفت انتباه السائلين عن الساعة لما ينفعهم إذا وقعت، فقد قال مظهر الدين الزيداني^(٤): "هذا تنبيهٌ منه ﷺ على محذورات الدنيا، وأنها لا تبقى لجميع سكانها، بل تأكلهم مستأصلين، فليحذر الناس منها، ويستعدوا لأمر الآخرة"^(٥).

لكنَّ الملحدّين والدهريين يريدون بذلك معنى فاسدًا، وهو أن الموت هو القيامة ولا قيامة بعدها، فقد قال ابن كثير: "وقد يقول هذا بعض الملاحدة، ويشيرون به إلى شيء آخر من الباطل، فأما الساعة العظمى، وهي وقت اجتماع الأولين والآخريين في صعيد واحد، فهذا ما استأثر الله بعلم وقته"^(٦).

(١) عمدة القاري (٩٥/٢٣).

(٢) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٢٨/٢٣).

(٣) البداية والنهاية (٣٢/١٩).

(٤) الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزيداني، ونسبته إلى صحراء زيدان بالكوفة، ت ٧٢٧هـ، ومن أشهر كتبه: المفاتيح في شرح المصابيح، ومعرفة أنواع الحديث، وفوائد في أصول الحديث. (انظر: الأعلام للزركلي ٢/٢٥٩).

(٥) المفاتيح في شرح المصابيح (٤٥٩/٥).

(٦) البداية والنهاية (٣٢/١٩).

رابعًا: حتمية الموت، والحكمة من إخفائه عن العباد:

ما هو من المعلوم بالضرورة أن الموت حتم لازم لا مناص منه، حيث إن الله عَلَّمَكَ قد قضى بالفناء على جميع مخلوقاته، وكتب البقاء لذاته، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾^(٢).

فالموت حق، ولو نجا منه أحد، لكان سيّد الخلقٍ وحبيب الحق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال له المولى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مَّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾^(٤).

والموت حق على الإنس والجن، ففي الصحيحين عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضَلَّنِي أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ"^(٥).

وللموت أجل وكتاب محدد في علم الله عَلَّمَكَ، لا يستطيع أحد أن يتجاوزَه، فكل إنسان مات بأي سبب، سواء كان قتلاً أو غرقاً أو حرقاً، أو غير ذلك؛ فإنه قد مات بأجله الذي قدّره الله عَلَّمَكَ له، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا﴾^(٦).
وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^(٧).

(١) سورة القصص: الآية ٨٨.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٨٥.

(٣) سورة الزمر: الآية ٣٠.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٣٤.

(٥) صحيح البخاري (١١٧/٩)، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، ومن حلف بعتة الله وصفاته، حديث ٧٣٨٣، وصحيح مسلم (٢٠٨٦ / ٤)، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، حديث ٢٧١٧.

(٦) سورة آل عمران: الآية ١٤٥.

(٧) سورة الأعراف: الآية ٣٤.

وقال أيضاً: ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾^(١).

وفي صحيح مسلم، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم:
"اللَّهُمَّ أَمْتِعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَبِأَيِّ أَبِي سُفْيَانَ، وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم:
"قَدْ سَأَلَتِ اللَّهُ لِأَجَالِ مَضْرُوبَةٍ، وَأَيَّامِ مَعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقِ مَقْسُومَةٍ، لَنْ يُعَجَّلَ شَيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ، أَوْ
يُؤَخَّرَ شَيْئًا عَنْ حِلِّهِ، وَلَوْ كُنْتَ سَأَلْتِ اللَّهُ أَنْ يُعِيدَكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ أَوْ عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ
كَانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ"^(٢).

قول أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها: "اللَّهُمَّ أَمْتِعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَبِأَيِّ أَبِي سُفْيَانَ،
وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ": أي: أطل مدتهم، وقيل: انفعني بهم^(٣).
وقوله صلى الله عليه وسلم: "لَنْ يُعَجَّلَ شَيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ، أَوْ يُؤَخَّرَ شَيْئًا عَنْ حِلِّهِ": أي لن يعجله أو يؤخره
قبل وجوبه أو بعده - يعني وجوب الأجل -، وهو عبارة عن الوقت الذي قدر موت الميت
فيه^(٤).

قال النووي: "وهذا الحديث صريح في أن الآجال والأرزاق مقدره، لا تتغير عما قدره
الله تعالى، وعلمه في الأزل، فيستحيل زيادتها ونقصها حقيقة عن ذلك"^(٥).
فإن قال قائل: قد أثبت في هذا الحديث أن الأجل لا يزداد فيه ولا ينقص، وقد جاء في
حديث آخر أن صلة الرحم تزيد في العمر، حيث جاء في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه،
قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ،
فَلْيَصِلْ رَحْمَتَهُ"^(٦)، فكيف الجمع بينهما؟

(١) سورة الواقعة: الآية ٦٠

(٢) صحيح مسلم (٤/٢٠٥٠)، كتاب القدر، باب بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص، حديث ٢٦٦٣.

(٣) انظر: مطالع الأنوار على صحاح الآثار، لابن قرقول (٤/١١).

(٤) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض (٨/١٥٣).

(٥) شرح النووي على مسلم (١٦/٢١٣).

(٦) صحيح البخاري (٨/٥)، باب مَنْ بُسِطَ لَهُ فِي الرِّزْقِ بِصِلَةِ الرَّحِمِ، حديث ٥٩٨٥، وصحيح مسلم (٤/١٩٨٢)،

كتاب البرِّ والصَّلةِ والأَدَابِ، باب صِلَةِ الرَّحِمِ وَتَحْرِيمِ قَطِيعَتِهَا، حديث ٢٥٥٧.

والجواب ما قرره المازري^(١) حيث قال: "قد تقرر بالدلائل القطعية أن الله تعالى أعلم بالآجال والأرزاق وغيرها، وحقيقة العلم معرفة المعلوم على ما هو عليه. فإذا علم الله تعالى أن زيدًا يموت سنه خمس مئة استحال أن يموت قبلها أو بعدها، لئلا ينقلب العلم جهلاً، فاستحال أن الآجال التي علمها الله تعالى تزيد وتنقص. فيتعين تأويل الزيادة أنها بالنسبة إلى ملك الموت أو غيره ممن وكله الله بقبض الأرواح وأمره فيها بآجال ممدودة، فإنه بعد أن يأمره بذلك أو يثبت في اللوح المحفوظ ينقص منه ويزيد على حسب ما سبق به علمه في الأزل، وهو معنى قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٢)، وعلى ما ذكرناه يحمل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾^(٣)»^(٤).

ولذلك أراد النبي ﷺ أن يوجهها إلى أن تسأل الله تعالى بما يجلب نفعها في الآخرة، فقد قال ابن الجوزي: "إن سؤال ما يجلب نفعاً في الآخرة ويظهر عبودية من السائل، أولى مما يجلب به مجرد النفع في الدنيا، فأراد منها التشاغل بأمور الآخرة"^(٥). قلت: وهذا الحديث لا يتناقض مع ما أخرجه الترمذي^(٦)، والبخاري^(٧)، والحاكم^(٨)، أن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُوَ بِمُؤَلَّاءِ الدَّعَوَاتِ

(١) هو: أبو عبد الله، محمد بن علي بن عمر التميمي المازري، محدث من فقهاء المالكية، نسبته إلى "مازر" بجزيرة صقلية، ت ٥٣٦هـ، ومن أشهر مؤلفاته: المعلم بفوائد مسلم. (انظر: الأعلام، للزركلي ٦/٢٧٧).

(٢) سورة الرعد: الآية ٣٩.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٢.

(٤) انظر: المعلم بفوائد مسلم، للمازري (٣/٣٢٥-٣٢٧)، وشرح النووي على مسلم (١٦/٢١٣).

(٥) كشف المشكل من حديث الصحيحين (١/٣٣٧).

(٦) جامع الترمذي (٥/٤٠٦)، كتاب الدعوات، باب ما جاء في عقْدِ التَّسْبِيحِ بِالْيَدِ، حديث ٣٥٠٢.

(٧) شرح السنة (٥/١٧٤)، حديث ١٣٧٤.

(٨) المستدرک على الصحيحين (١/٥٢٨)، حديث ١٩٣٤.

لأَصْحَابِهِ: "اللَّهُمَّ افْسِمْنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ... وَمَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا..." الحديث^(١).

والمعنى: "اجعل تمتعنا بها باقياً عنا، مأثوراً فيمن بعدنا، أو محفوظاً لنا إلى يوم الحاجة"^(٢).

ومن حكمة الله البالغة ورحمته الواسعة بعباده، أنه لم يطلعهم على أعمارهم وآجالهم؛ كي يجتهدوا في الطاعات ويتنافسوا فيها، فبارك الله العليم الحكيم ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾^(٣).

فاقتضت حكمته ﷻ أنه لا علم للعباد بالوقت الذي يحضر فيه الموت، وينزل بهم، فإن علم ذلك له وحده، وهو واحد من مفاتيح الغيب التي استأثر الله بعلمها، قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾^(٤).

وقد روى البخاري^(٥)، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ"، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٦).

والمعنى: "أن الله ﷻ يعلم ما غاب عن العباد، من الثواب والعقاب والآجال والأحوال، وجعل للغيب مفاتيح على طريق الاستعارة؛ لأن المفاتيح يُوصَلُ بها إلى ما في المخازن المُستوثَقِ

(١) قال الترمذي والبعثي: "حسن غريب"، وقال الحاكم: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ، وَلَمْ يُجَرِّحَاهُ". (جامع الترمذي ٤٠٦/٥، حديث ٣٥٠٢، شرح السنة، للبعثي ١٧٤/٥، حديث ١٣٧٤، المستدرک، للحاكم ٥٢٨/١، حديث ١٩٣٤).

قلت: وله شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه، قال الحاكم: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُجَرِّحَاهُ". (المستدرک، ٥٢٣/١، حديث ١٩١٨).

وله شاهد آخر: عن علي رضي الله عنه، بنحوه. قال الحاكم: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُجَرِّحَاهُ". (المستدرک، ٥٢٧/١، حديث ١٩٣٣).

(٢) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، للقاضي البيضاوي (١١٤/٢).

(٣) سورة الملك: الآية ٢.

(٤) سورة الأنعام: الآية ٥٩.

(٥) صحيح البخاري (١١٥/٦)، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾، حديث ٤٧٧٨.

(٦) سورة لقمان: الآية ٣٤.

منها بالإغلاق والإقفال، ومن عَلِمَ مفاتيحها وكيفية فتحها توصل إليها، فأراد أنه المتوصل إلى المغيبات، المحيط علمه بها، لا يتوصل إليها غيره، فيعلم أوقاتها، وما في تعجيلها وتأخيرها من الحكم، فيظهرها على ما اقتضته حكمته، وتعلقت به مشيئته" (١).

وأخرج الترمذي^(٢)، وأحمد^(٣) - واللفظ له -، وابن حبان^(٤)، والحاكم^(٥)، من حديث أبي عزة^(٦) رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَرَادَ قَبْضَ رُوحِ عَبْدٍ بِأَرْضٍ، جَعَلَ لَهُ فِيهَا - أَوْ قَالَ: بِهَا - حَاجَةً" (٧).

والمعنى: أَنَّ اللَّهَ ﷻ يَقْدِرُ الْأَقْدَارَ، وَيَهَيِّئُ الْأَسْبَابَ، لِيَقَعَ مَا حَكَمَ بِهِ ﷻ وَقَضَاهُ، وَهَذَا نَظِيرُ قَوْلِهِ ﷻ: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾ (٨).



(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني (٣٦٤/١٠).

(٢) جامع الترمذي (٢١/٤)، كتاب القدر، باب ما جاء أَنَّ النَّفْسَ تَمُوتُ حَيْثُ مَا كُتِبَ لَهَا، حديث ٢١٤٧.

(٣) مسند أحمد، (٣٠١/٢٤)، حديث ١٥٥٣٩.

(٤) صحيح ابن حبان (١٩/١٤)، حديث ٦١٥١.

(٥) المستدرک للحاکم (٤٢/١)، حديث ١٢٧.

(٦) هو: يَسَارُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَقَيْلٌ: ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَقَيْلٌ: ابْنُ عَمْرٍو، أَبُو عَزَّةَ الْهَدَلِيُّ، أَحَدُ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ. (الاستيعاب في

معرفة الأصحاب، لابن عبد البر ٤/١٧١٤، الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر ٧/٢٢٧)

(٧) فقد صححه الترمذي، والحاكم، ووافقه الذهبي. (جامع الترمذي ٢١/٤، حديث ٢١٤٧، المستدرک للحاکم، مع

التلخيص للذهبي ٤٢/١، حديث ١٢٧).

(٨) سورة النساء: الآية ٧٧.

المطلب الثاني: القيامة الكبرى ووقوعها بغتة

أولاً: حقيقة القيامة الكبرى:

إذا كان الموت يمثل القيامة الصغرى لصاحبه؛ لأن من مات فقد قامت قيامته، فإنَّ فناء العوالم وانقراضها؛ ليمثل القيامة الكبرى، حيث يبید الحي القيوم في ذلك اليوم الحياة والأحياء، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿١﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢﴾﴾^(١)، ثم يأتي وقت البعث والحساب، ثم يساق العباد في ختام ذلك اليوم إلى دار القرار، الجنة أو النار. فالقيامة الكبرى: "هي يوم البعث، حيث يقوم فيه الخلق بين يدي الحي القيوم"^(٢).

ثانياً: وقت قيام الساعة لا يعلمه إلا الله ﷻ:

إن هذا اليوم العظيم قد أخفاه العزيز الرحيم؛ ليتهيأ له العبد فيحاسب نفسه أشد الحساب، ويكون أول من تاب لربه وأناب، فلقد دلت نصوص القرآن والسنة إلى عظم هذا اليوم، وأنَّ علمه كما قال تعالى: ﴿فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾^(٣). وأخبر المولى ﷻ عن ذلك في أكثر من موضع، فقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٤).

قال محمد رشيد رضا^(٥): "فيه إيذانٌ بأنَّ ما هو من شأنِ الربِّ لا يكون للبعد، فهو تعالى قد ربَّاه ليكون مُنذِراً ومُبَشِّراً، لا للإخبار عن الغيوب بأعيانها وأوقاتها، والإنذار إنما يُنَاط

(١) سورة الرحمن: الآيات ٢٦ - ٢٧.

(٢) لسان العرب، لابن منظور، "قَوْمٌ"، (٥٠٦/١٢).

(٣) سورة طه: الآية ٥٢.

(٤) سورة الأعراف: الآية ١٨٧.

(٥) الإمام المصلح، محمَّد رشيد بن علي رضا القلموني، البغداديُّ الأصل، الحسيني النسب، ولد ونشأ في القلمون، وتعلَّم فيها، وفي طرابلس، وتنسَّك، ثمَّ رحل إلى مصر، وتلمذ على الشيخ محمد عبده، وأصبح مرجع الفتيا، في التأليف =

بالإعلام بالساعة وأهوالها، وسلاسلها وأغلالها، ولا تتم الفائدة منه إلا بإبھام وقتها؛ ليخشى أهل كل زمن إتيانها فيه، والإعلام بوقت إتيانها، وتحديد تاريخها، ينافي هذه الفائدة، بل فيه مفسدٌ أخرى...، فالحكمة البالغة إذًا في إبهام أمر الساعة للعالم، وكذا الساعة الخاصة بأفراد الناس، أو بالأمم والأجيال، أو جعلها من الغيب الذي استأثر الله ﷻ به" (١).

وقال الألوسي (٢): "وإنما أخفى ﷻ أمر الساعة؛ لاقتضاء الحكمة التشريعية ذلك، فإنه ادعى إلى الطاعة، وأزجر عن المعصية، كما أن إخفاء الأجل الخاص للإنسان كذلك، ولو قيل بأن الحكمة التكوينية تقتضي ذلك أيضًا لم يبعد" (٣).

فالحكمة إذًا من إخفائها؛ أن يكون الناس على ترقبٍ وحذرٍ شديد.

قال محمد رشيد رضا: "فيجب على المؤمنين أن يخافوا ذلك اليوم، وأن يحملهم الخوف على مراقبة الله تعالى، في أعمالهم؛ فيلتزموا فيها الحق، ويتحرروا الخير، ويتقوا الشرور والمعاصي، ولا يجعلوا حظهم من أمر الساعة الجدال، والقييل والقال" (٤).

فلذلك أخبر ﷻ أنه لا يعلم وقتها إلا هو، وأنها لا تأتي إلا بغتة، فلنعدّ العدة لها، فعسى أن تكون قريبًا، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ (٥)، وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ (٦).

ولهذه الآية الكريمة سبب نزول، وذلك أن المشركين كانوا يسألون النبي ﷺ استبعادًا لوقوعها واستنكارًا لوجودها، والمنافقين استهزاءً وتهكمًا، واليهود امتحانًا واختبارًا، كانوا يسألونه

= بين الشريعة والأوضاع العصرية الجديدة، ت ١٣٥٤هـ، ١٩٣٥م، ومن أشهر آثاره: مجلة المنار، وتفسير القرآن الكريم، لكنه لم يكمله. (الأعلام، للزركلي ١٢٦/٦، معجم المفسرين، لعادل نويهض ٥٢٩/٢).

(١) تفسير المنار (٣٨٩/٩-٣٩٠).

(٢) شهاب الدين، محمود بن عبد الله، أبو الثناء الحسيني الألوسي، مفسر، ومحدث، وأديب، من المجددين، من أهل بغداد، ت ١٢٧٠هـ، ومن أشهر كتبه: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني. (الأعلام، للزركلي ١٧٦/٧، معجم المفسرين، لعادل نويهض ٦٦٥/٢).

(٣) روح المعاني، تفسير الألوسي (١٢٥/٥).

(٤) تفسير المنار (٣٩١/٩).

(٥) سورة الأحزاب: الآية ٦٣.

(٦) سورة النازعات: الآية ٤٢.

عن وقت قيام الساعة، فيجيئهم المولى ﷺ بهذه الآيات البيّنات، فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: لَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُسْأَلُ عَنِ السَّاعَةِ، حَتَّى نَزَلَتْ: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾^(١) "الحديث"^(٢).

ثالثًا: النبي ﷺ لم يكن عنده علم بوقت قيامها:

لقد اقتضت حكمة علام الغيوب ألا يُعلم أحدًا من خلقه وقت الساعة، لئلا يتكلموا ويقصّروا في أداء الواجبات والطاعات، ومن وجه آخر ليقى وحده ﷺ منفردًا بصفات الجلال والكمال، فلو ادّعى أحدُ البشر بأنه يعلم وقت القيامة لجعل من نفسه ندًا لله ﷻ، والنبي ﷺ حاشاه ذلك.

قال محمد رشيد رضا: "وإننا نرى بعض المتأخرين قد شغلوا المسلمين عن ذلك يبحث افتجّرهُ بعض الغلاة، وهو أن النبي ﷺ لم يبق طول عمره لا يعلم متى تقوم الساعة، كما تدل عليه آيات القرآن الكثيرة، بل أعلمه الله تعالى به، بل زعم أنه أطلعه على كل ما في علمه، فصار علمه كعلم ربه، أي صار ندًا وشريكًا لله تعالى، في صفة العلم المحيط بالغيوب التي لا نهاية لها... ومثل هذا الغلو لم يعرف عن أحد من سلف هذه الأمة، ولو أراد الله تعالى أن يُعلم رسوله ﷺ بوقت قيام الساعة بعد كل ما أنزله عليه في إخفائها واستثناؤه بعلمه، لما أكّده كلّ هذا التأكيد، كقوله ﷺ: ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ خَفِيٌّ عَنْهَا﴾^(٣)"^(٤).

قال الألوسي: "وظاهر الآيات أنه ﷺ لم يعلم وقت قيامها، نعم علم ﷺ قُرْبَهَا على الإجمال، وأخبر ﷺ به"^(٥).

(١) سورة النازعات: الآية ٤٤.

(٢) المستدرک على الصحيحين للحاكم (١/٤٦)، حديث ٧.

وقد قال الحاكم: "هذا حديث لم يخرج في الصحيحين، وهو محفوظ، صحيح على شرطهما معًا"، ووافقه الذهبي.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٨٧.

(٤) تفسير المنار (٩/٣٩١).

(٥) روح المعاني، تفسير الألوسي (٥/١٢٥).

وعلى ذلك يكون ما أشار به النبي ﷺ إلى وقت قيام الساعة لم يكن على وجه التحديد وإنما على وجه التقريب، والإنداز منها، كي تستعد الأمة وتتهيأ لها، كقوله ﷺ: "إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ..."^(١) الحديث.

قال ابن حجر: "معناه أن نسبة مدة هذه الأمة إلى مدة من تقدم من الأمم مثل ما بين صلاة العصر وغروب الشمس، إلى بقية النهار، فكأنه قال: إنما بقاؤكم بالنسبة إلى ما سلف"^(٢).

رابعاً: أنها تقوم في يوم الجمعة:

لقد أخبرنا النبي ﷺ أن الساعة تقوم صباح يوم الجمعة، ففي صحيح مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: "خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ"^(٣).

قلت: على الرغم من أنه ﷺ أخبر بأن الساعة ستقوم يوم الجمعة، إلا إنه لم يخبر أي جمعة هي، لأن ذلك من علم الغيب الذي لا يعلم سرّه إلا الله ﷻ. قال أبو عمر ابن عبد البر^(٤): "قيام الساعة من الغيب الذي لم يطلع عليه أحد على حقيقة، ونحن وإن علمنا أنها تقوم يوم الجمعة فلسنا ندري أي جمعة هي"^(٥).

قلت: إرشاد النبي ﷺ بأن يوم الجمعة وقت لقيام الساعة، فيه تنبيه مستمر للأمة بعدم الغفلة عن الآخرة، فكلما جاء يوم الجمعة يتذكر العبد القيامة، فيعد العدة لذلك ويستعد، ولذلك ما من مخلوق غير الإنس والجن، إلا ويشفق من يوم الجمعة ترقباً لقيامها في هذا اليوم.

(١) سبق تخريجه، ص ٧٢.

(٢) فتح الباري (٣٩/٢).

(٣) صحيح مسلم (٥٨٥/٢)، كتاب الجمعة، باب فضل يوم الجمعة، حديث ٨٥٤.

(٤) هو يوسف بن عبد الله النَمْرِيُّ، الأَنْدَلُسِيُّ، القُرْطُبِيُّ، المالِكِيُّ، العلامة، حافظ المغرب، وقد كان إماماً ثقة فاضلاً، لم يكن في الأندلس مثله في زمانه، صاحب تصانيف فائقة، منها التمهيد والاستدكار والاستيعاب في معرفة الأصحاب، وجامع بيان العلم وفضله، وغير ذلك من المؤلفات النافعة، ولد ٣٦٨هـ، وقد عمّر طويلاً، ما يقارب خمسة وتسعين عاماً، ت ٤٦٣هـ. (انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ١٨/١٥٣-١٦٣، والأعلام للزركلي ٨/٢٤٠-٢٤١).

(٥) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٤١/٢٣).

أخرج أبو داود^(١)، والنسائي^(٢)، وأحمد^(٣)، ومالك^(٤)، وابن حبان^(٥)، والحاكم^(٦)، والبغوي^(٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: خَرَجْتُ إِلَى الطُّورِ، فَلَقَيْتُ كَعْبَ الْأَحْبَارِ فَجَلَسْتُ مَعَهُ، فَحَدَّثَنِي عَنِ التَّوْرَةِ، وَحَدَّثْتُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَانَ فِيمَا حَدَّثْتُهُ أَنْ قُلْتُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُهْبِطَ مِنَ الْجَنَّةِ، وَفِيهِ تِيبَ عَلَيْهِ، وَفِيهِ مَاتَ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا وَهِيَ مُصِيخَةٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، مِنْ حِينَ تُصْبِحُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ شَفَقًا مِنَ السَّاعَةِ، إِلَّا الْجِنَّ وَالْإِنْسَ..." الحديث. إسناده صحيح^(٨).

قال تاج الدين الفاكهاني^(٩): "الظاهر: أن هذه القضايا المعدودة فيه ليست لذكر فضيلتها؛ لأن ما وقع فيه من إخراج آدم من الجنة، وقيام الساعة، لا يُعد في الفضائل، وإنما هو على تعداد القضايا، وتعظيم ما وقع فيه وحدث فيه من الأمور العظام، فيجب على ذلك أن يكون العبد مستعداً متحرراً بعمل، صالحٍ لرحمة من الله تعالى تناله، أو بطشة تُدفع عنه"^(١٠). قلت: وأما معاني المفردات الواردة في الحديث، والمراد منها، فالآتية:

-
- (١) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، حديث ١٠٤٨.
(٢) سنن النسائي، كتاب الجمعة، ذَكَرُ السَّاعَةِ الَّتِي يُسْتَحَابُّ فِيهَا الدُّعَاءُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، حديث ١٤٢٩
(٣) مسند أحمد (٢٠٨/٣٩)، حديث ٢٣٧٩١.
(٤) موطأ مالك - رواية أبي مصعب الزهري (١٧٧/١)، حديث ٤٦٣.
(٥) صحيح ابن حبان (٧/٧)، حديث ٢٧٧٢.
(٦) المستدرک على الصحيحين (٢٧٨/١)، حديث ٩٨١.
(٧) شرح السنة (٢٠٦/٤)، حديث ١٠٥٠.
(٨) قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، وقال البغوي: "هذا حديث صحيح". (المستدرک ٢٧٨/١، حديث ٩٨١، وشرح السنة ٢٠٨/٤، حديث ١٠٥٠).
(٩) هو: تاج الدين، عمر بن علي اللخمي الإسكندري، الفاكهاني، عالم بالنحو، زار دمشق سنة ٧٣١هـ، واجتمع به ابن كثير - صاحب البداية والنهاية -، وقال: سمعنا عليه ومعه، وحج ورجع إلى الإسكندرية، وصلي عليه بدمشق لما وصل خبر وفاته، ت ٧٣٤هـ، ومن أشهر مؤلفاته: شرح الأربعين النووية، ورياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام. (انظر: الأعلام للزركلي ٥/٥٦).
(١٠) رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام (٦٢١/٢).

قوله: "إِلَّا وَهِيَ مُصِيحَةٌ"، أي: مُسْتَمِعَةٌ مُنْصِتَةٌ^(١).

وقوله: "شَفَقًا مِنَ السَّاعَةِ" أي: خَوْفًا كَأَنَّهَا أَعْلَمَتْ أَنَّهَا تَقُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَتَخَافُ هِيَ قِيَامَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ^(٢).

وقوله: "حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ": يدل على أَنَّهَا إِذَا طَلَعَتْ عَرَفَتْ الدُّوَابَّ أَنَّهُ لَيْسَ بِذَلِكَ الْيَوْمِ^(٣).

وقوله: "إِلَّا الْجِنَّ وَالْإِنْسَ"، أي: فَإِنَّهُمْ لَا يَتَرَقَّبُونَ، وَلَا يَخَافُونَ قِيَامَ السَّاعَةِ فِي هَذَا الْيَوْمِ؛ لِكَثْرَةِ غَفْلَتِهِمْ، لَا لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ^(٤).

قال الطيبي: "ووجه إصاحه كل دابة - وهي مما لا يعقل - هو أن الله تعالى يجعلها ملهمة لذلك، مستشعرة عنه، فلا عجب من ذلك عند قدرة الله تعالى.

ولعلَّ الحكمة في الإخفاء من الجن والإنس؛ لأنهم إذا كوشفوا بشيء من ذلك، اختلت قاعدة الابتلاء والتكليف، وحق القول عليهم، ووجه آخر أن الله تعالى يظهر يوم الجمعة من عظام الأمور، وجلائل الشؤون ما تكاد الأرض تميد بها، فتبقى كل دابة ذاهلة دهشة، كأنها مسيخة للرعب الذي يداخلها إشفاقًا منها لقيام الساعة"^(٥).

قلت: وليوم الجمعة فضائل جمّة، وشأن عظيم عند أهل الإسلام، غير ما ذكر؛ أهمُّها أَنَّهُ يُسَمَّى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِيَوْمِ الْمَزِيدِ وَالْكَرَامَةِ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ.

فقد أخرج ابن أبي شيبة^(٦)، وأبو يعلى^(٧)، والضياء المقدسي^(٨)، والبزار^(٩)،

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، "صِيحٌ"، (٦٤/٣).

(٢) شرح مسند الشافعي، لأبي القاسم الرافعي القزويني (٨/٢)، وانظر: شرح سنن أبي داود، للعبيني (٣٦٢/٤).

(٣) شرح مسند الشافعي، لأبي القاسم الرافعي (٨/٢)، وانظر: تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، للسيوطي (١٠١/١).

(٤) ذخيرة العقبى في شرح المجتبى، لمحمد بن علي الإثيوبي الوَلَوِي (٣٠٧/١٦).

(٥) الكاشف عن حقائق السنن (١٢٦٥/٤).

(٦) مصنف ابن أبي شيبة (١٥٠/٢)، حديث ٥٥٦٠.

(٧) مسند أبي يعلى الموصلي (٢٢٨/٧)، حديث ٤٢٢٨.

(٨) الأحاديث المختارة (٢٧٢/٦)، حديث ٢٢٩١.

(٩) مسند البزار (٦٨/١٤)، حديث ٧٥٢٧.

والطبراني^(١) - واللفظ له -، والبيهقي^(٢)، من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: "عُرِضَتْ الْجُمُعَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، جَاءَ جَبْرِيلُ فِي كَفِّهِ كَالْمِرَاةِ الْبَيْضَاءِ، فِي وَسْطِهَا كَالْتُّكُتَةِ السُّودَاءِ، فَقَالَ: "مَا هَذِهِ يَا جَبْرِيلُ"؟ قَالَ: هَذِهِ الْجُمُعَةُ يَعْرِضُهَا عَلَيْكَ رَبُّكَ...". وقال فيه: "وَنَحْنُ نَدْعُوهُ فِي الْآخِرَةِ يَوْمَ الْمَزِيدِ، وَذَلِكَ أَنَّ رَبَّكَ اتَّخَذَ فِي الْجَنَّةِ وَاِدِيًا أَفِيحًا^(٣) مِنْ مِسْكِ أَبْيَضَ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ نَزَلَ مِنْ عَلِيِّينَ، فَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّهِ، وَحَفَّ الْكُرْسِيُّ بِمَنَابِرَ مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلَةٍ^(٤) بِالْجَوَاهِرِ، وَجَاءَ الصَّدِيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ فَجَلَسُوا عَلَيْهَا، وَجَاءَ أَهْلُ الْغُرَفِ مِنْ غُرْفِهِمْ حَتَّى يَجْلِسُوا عَلَى الْكُثِيبِ^(٥)، وَهُوَ كَثِيبٌ أَبْيَضٌ مِنْ مِسْكِ أَذْفَرٍ^(٦)، ثُمَّ يَتَجَلَّى لَهُمْ، فَيَقُولُ: أَنَا الَّذِي صَدَقْتُكُمْ وَعَدَيْ، وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي، وَهَذَا مَحَلُّ كِرَامَتِي، فَسَلُونِي، فَيَسْأَلُونَهُ الرِّضَا، فَيَقُولُ: رِضَايَ أَحِلُّكُمْ دَارِي، وَأَنَالِكُمْ كِرَامَتِي، فَسَلُونِي، فَيَسْأَلُونَهُ الرِّضَا، فَيَشْهَدُ عَلَيْهِمْ عَلَى الرِّضَا، ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُمْ مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٌ، إِلَى مِقْدَارِ مُنْصَرَفِهِمْ مِنَ الْجُمُعَةِ، وَهِيَ زَبْرَجْدَةٌ^(٧) خَضْرَاءٌ، أَوْ يَأْفُوتَةٌ حَمْرَاءٌ، مُطَّرَدَةٌ فِيهَا أَنَهَارُهَا^(٨)، مُتَدَلِّيَةٌ فِيهَا ثِمَارُهَا، فِيهَا أَزْوَاجُهَا وَخَدَمُهَا، فَلَيْسَ هُمْ فِي الْجَنَّةِ بِأَشَوْقَ مِنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ؛ لِيَزْدَادُوا نَظْرًا إِلَى رَبِّهِمْ ﷻ وَكَرَامَتِهِ، وَلِذَلِكَ دُعِيَ يَوْمَ الْمَزِيدِ". الحديث^(٩).

(١) المعجم الأوسط للطبراني (٣١٤/٢)، حديث ٢٠٨٤.

(٢) معرفة السنن والآثار (٤٢٦/٤)، حديث ٦٦٩٠.

(٣) كلُّ مَوْضِعٍ وَاسِعٍ، يُقَالُ لَهُ: أَفِيحٌ، وَرَوْضَةٌ فَيَحَاءُ. (النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، "فِيح"، ٤٨٤/٣).

(٤) أي محفوفة ومحاطة بالجواهر، والتكليل: أن يحوطها ببناء، وروضة مكللة: إذا حفت بالنور. (الفائق في غريب الحديث، للزمخشري، "قَصَص"، ٣/٢٠٠).

(٥) الْكُثِيبُ: رَمْلٌ مُجْتَمِعٌ. (غريب الحديث، لإبراهيم الحري، "عَدْر"، ٢٧٢/١).

(٦) أَي: طَيْبَ الرِّيحِ. (النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، "ذَفْر"، ١٦١/٢).

(٧) هو: حجر كريم يُشبه الزُّمُرْدَ، وهو معدن زجاجي شفاف، يستعمل في الزينة. (معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار عمر، "زَبْرَجْدٌ"، ٩٧١/٢).

(٨) مُطَّرَدَةٌ فِيهَا أَنَهَارُهَا: أي أنهار جارئة. قال محمد علي الصديقي: "إِذَا نَحْرَانِ يَطْرَدَانِ، أَي: يَجْرِيَانِ". (مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، "طَرَدٌ"، ٤٣٥/٣).

(٩) قال الهيثمي: "رجاله ثقات"، وقال البوصيري، والمنذري: "إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ". (حديث ٢٢٩١، مجمع الزوائد، للهيثمي ٣٧١/٢، وإتحاف الخيرة المهرة، للبوصيري ٢/٢٦٠، والترغيب والترهيب، للمنذري ١/٢٨١).

قلت: قوله: "ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُمْ مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ": نظير قوله في الحديث الذي أخرجه البخاري^(١)، ومسلم^(٢) - واللفظ له -، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "قَالَ اللَّهُ ﻋَﻠَﻴْكَ: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ"، مُصَدِّقًا ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٣).

وقوله: "وَلَذَلِكَ دُعِيَ يَوْمَ الْمَزِيدِ"، مثل قوله تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾^(٤)، وهو النظر إلى وجه الله الكريم، كما ظهر ذلك جلياً في الحديث.

خامساً: القيامة تأتي بغتة:

إن مما يجعل العبد في حال حذر واستعداد وترقب للساعة أن الله ﻋَﻠَﻴْكَ جعل قيامها بغتة، ففي الصحيحين - واللفظ لمسلم -، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرَّجُلُ يَحْلُبُ اللَّفْحَةَ"^(٥)، فَمَا يَصِلُ الْإِنَاءُ إِلَى فِيهِ حَتَّى تَقُومَ، وَالرَّجُلَانِ يَتَبَايَعَانِ الثُّوبَ، فَمَا يَتَبَايَعَانِهِ حَتَّى تَقُومَ، وَالرَّجُلُ يَلِيطُ فِي حَوْضِهِ"^(٦)، فَمَا يَصْدُرُ حَتَّى تَقُومَ"^(٧).

فدلَّ الحديث على أن الساعة تأتي الناس بغتة وهم لاهون غافلون في دنياهم.

وقيام الساعة بغتة لا يعني أن الله ﻋَﻠَﻴْكَ قد أغفل تذكير العباد بها وتنبههم منها، فحاشاه ذلك، بل من رحمته ﻋَﻠَﻴْكَ بعباده، أن جعل لهذا اليوم مقدمات وأشراط وعلامات لعلهم ينتبهون ويستعدون لهذا اليوم العظيم، ففي حديث جبريل المشهور، كما في الصحيحين، عن أبي هريرة

(١) صحيح البخاري (١١٦/٦)، كتاب التفسير، باب قَوْلِهِ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾، حديث ٤٧٨٠.

(٢) صحيح مسلم (٢١٧٤/٤)، كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، باب منه، حديث ٢٨٢٤.

(٣) سورة السجدة: الآية ١٧.

(٤) سورة ق: الآية ٣٥.

(٥) هي الناقة القرية العهد بالنتاج. (انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، "لَقَحَّ"، ٢٦٢/٤).

(٦) أي يطينه ويصلحه. (انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، "لَوَطَّ"، ٢٧٧/٤).

(٧) صحيح البخاري (٥٩/٩)، كتاب الفتن، باب خروج النار، حديث ٧١٢١، صحيح مسلم (٢٢٧٠/٤)، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة، حديث ٢٩٥٤.

قَالَ: "...فَقَالَ - أَيُّ جِبْرِيلُ السَّلِيلِ -: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ - أَيُّ النَّبِيِّ ﷺ -: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا..."^(١).

قال ابن حجر: "والحكمة في تقدم الأشراف إيقاظ الغافلين، وحثهم على التوبة والاستعداد"^(٢).

ونقل القرطبي عن العلماء قولهم: "والحكمة في تقديم الأشراف ودلالة الناس عليها، تنبيه الناس عن رقدتهم، وحثهم على الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة، كي لا يباغثوا بالحوول بينهم وبين تدارك العوارض منهم، فينبغي للناس أن يكونوا بعد ظهور أشراف الساعة قد نظروا لأنفسهم، وانقطعوا عن الدنيا، واستعدوا للساعة الموعود بها، والله أعلم، وتلك الأشراف علامة لانتهاء الدنيا وانقضائها"^(٣).



(١) سبق تخريجه ص ٢٥.

(٢) فتح الباري (٣٥٠/١١).

(٣) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص ١٢١٧.

المطلب الثالث: طول يوم القيامة ومقداره

إن طول يوم القيامة كمقدار خمسين ألف سنة من أيام الدنيا على ما جاء في قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾^(١). قال ابن عباس رضي الله عنه: "هو يوم القيامة، جعله الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة، ثم يدخلون النار للاستقرار"^(٢).

وقال القرطبي: "هذا القول أحسن ما قيل في الآية إن شاء الله، وقوله تعالى بعد ذلك في الآيات التالية: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾ و﴿وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾^(٣)، دليل على أنه يوم القيامة"^(٤).

وقد روى الإمام مسلم في صحيحه ما يؤكد هذا المعنى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا مِنْ صَاحِبٍ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ..."^(٥). الحديث.

وأخرج الحاكم^(٦)، والطبراني في الكبير^(٧)، وابن أبي حاتم^(٨)، وعبد الغني المقدسي^(٩)، من من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه، قَالَ: تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْآيَةَ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ

(١) سورة المعارج: الآية ٤.

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٨ / ٢٨٢).

(٣) سورة المعارج: الآيات ٥-٧.

(٤) انظر: تفسير القرطبي (١٨ / ٢٨٢ - ٢٨٣).

(٥) صحيح مسلم (٢ / ٦٨٠)، كتاب الزكاة، باب إثم مانعي الزكاة، حديث ٩٨٧.

(٦) المستدرک على الصحيحين (٤ / ٥٧٢)، حديث ٨٨٥٨.

(٧) المعجم الكبير (١٣ / ٣٧)، حديث ٨٥.

(٨) تفسير ابن أبي حاتم (٤ / ١٢٦٩)، حديث ٧١٤٣.

(٩) ذكر النار، ص ٩٩، حديث ٩٦.

النَّاسِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ»^(١)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "كَيْفَ بِكُمْ إِذَا جَمَعَكُمْ اللَّهُ كَمَا يُجْمَعُ النَّبِيُّ فِي الْكِنَانَةِ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْكُمْ؟!". الحديث^(٢).

قلت: لا يوجد تعارض بين هذه النصوص التي تبين مقدار يوم القيامة بأنه خمسون ألف سنة، وبين قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَسْتَغْفِرُكَ بِالعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾^(٤).

وللجمع بينها وجوه:

"الأول: إنَّ يوم الألف في سورة الحج هو أحد الأيام الستة التي خلق الله فيها السماوات والأرض، ويوم الألف في سورة السجدة، هو مقدار سير الأمر وعروجه إليه تعالى، ويوم الخمسين ألفاً هو يوم القيامة.

وأما الوجه الثاني: إنَّ المراد بجميعها يوم القيامة، والاختلاف باعتبار حال المؤمن والكافر، لقوله تعالى: ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٦٠﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾^(٥)^(٦).

"وأما الوجه الثالث: إنَّ يوم القيامة فيه أيام، فمنه ما مقداره ألف سنة، ومنه ما مقداره خمسون ألف سنة.

وأما الوجه الرابع: إنَّ أوقات القيامة مختلفة، فيعذب الكافر بجنسٍ من العذاب ألف سنة، ثم ينتقل إلى جنسٍ آخر مدته خمسون ألف سنة.

وأما الوجه الخامس: إنَّ مواقف القيامة خمسون موقفاً، كل موقف ألف سنة"^(٧).

(١) سورة المطففين: الآية ٦.

(٢) قال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي: "رواه الطبراني، ورجاله ثقات". (انظر: المستدرک، للحاكم، مع التلخيص للذهبي ٥٧٢/٤، حديث ٨٨٥٨، مجمع الزوائد، للهيثمي ١٣٥/٧).

(٣) سورة السجدة: الآية ٥.

(٤) سورة الحج: الآية ٤٧.

(٥) سورة المدثر: الآيات ٩-١٠.

(٦) انظر: الإتيقان في علوم القرآن، للسيوطي ٩٤/٣، ودفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، للشنقيطي، ص ١٥٩.

(٧) انظر: تفسير القرطبي (٨٨/١٤).

قلت: المراد من ذكر مقدار يوم القيامة بخمسين ألف سنة ليس تحديد عدد ساعاته ووقته بالضبط، فهذا في علم الله وحده، إنما المقصود بيان طوله وشدته على الكفار والعصاة؛ لأنه لم يصح نص في تحديده.

قال القرطبي: "والمعنى: أن الله تعالى جعله في صعوبته على الكفار كخمسين ألف سنة، والعرب تصف أيام المكروه بالطول، وأيام السرور بالقصر، قال:
وَيَوْمٌ كَظِلِّ الرَّمْحِ قَصَرَ طَوْلُهُ دَمُ الزَّقِّ عَنَّا وَاصْطَفَاقُ الْمَزَاهِرِ"^(١).

قال الحسن البصري^(٢): "ما ظنك بيوم قام العباد فيه على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة، لم يأكلوا فيها أكلة، ولم يشربوا فيها شربة، حتى تقطعت أعناقهم عطشاً، واحترقت أجوافهم جوعاً، ثم انصرف بهم إلى النار، فسقوا من عين آنية، قد أنى حرها، واشتد نضجها"^(٣).

وقال عبد الحق الإشبيلي^(٤): "اعلم رحمك الله أن يوم القيامة ليس طوله كما عهدت من طول الأيام، بل هو آلاف من الأعوام، ينصرف فيه الأنام على الوجوه والأقدام، حتى ينفذ فيهم ما كُتِبَ لهم وعليهم من الأحكام، وليس يكون خلاصهم دفعة واحدة، ولا فراغهم في مرة واحدة، بل يتخلَّصون ويفرغون بفراغ اليوم، لكن طول ذلك اليوم خمسين ألف سنة، فيفرغون بفراغ اليوم، ويفرغ اليوم بفراغهم، وليس أيضاً هذا اليوم مثل أيام الدنيا التي تكون على حكم دوران الفلك إذا ذهب الليل جاء النهار، وإذا ذهب النهار جاء الليل، حكمة الله التي حيَّرت العقول، وأكلت الأبصار، وأخرست الألسن، ليس هناك ليل إنما هو وقت واحد

(١) انظر: تفسير القرطبي (٤/٨٨).

(٢) هو: الحسن بن أبي الحسن البصري، الأنصاري مولاهم، واسم أبيه يسار، ثقة فقيه فاضل مشهور، ت ١١٠ هـ، وقد قارب التسعين. (انظر: تقريب التهذيب، ص ١٦٠).

(٣) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير (١٩/٤٠٤).

(٤) هو: عَبْدُ الْحَقِّ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَافِظُ الْأَزْدِيُّ، الْإِشْبِيلِيُّ، وَيُعرفُ أَيْضًا بِابْنِ الْخِرَاطِ، مِنْ عُلَمَاءِ الْأَنْدَلُسِ، تُوِفِّي بِبِحَايَةِ بَعْدِ مَحَنَةٍ نَالَتْهُ مِنْ قَبْلِ الْوَلَاةِ فِي ربيع الآخر من عام ٥٨١ هـ. (انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي ١٢/٧٢٩، وفوات الوفيات، لصلاح الدين محمد بن شاکر ٢/٢٥٦، وعنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، لأبي العباس الغبريني ص ٤١، والأعلام، للزركلي ٣/٢٨١).

على صفة واحدة، وهذا الذي يسمى يومًا إنما هو مقدار من ذلك الوقت، يُطوِّله الله ﷻ ما شاء، ويقصِّره ما شاء، ويسمِّي ما شاء بما شاء" (١).



(١) العاقبة في ذكر الموت، ص ٢٨١.

المبحث الثاني

النفخ في الصور وبعث الناس من القبور

المطلب الأول: النفخ في الصور.

المطلب الثاني: بعث الناس من القبور وأول من يبعث منهم.

المطلب الثالث: بعث الناس على أعمالهم ونياتهم.

المطلب الأول: النفخ في الصور

أولاً: تعريف النفخ في الصور:

النفخ في اللغة، هو نفخ الريح في الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ﴾^(٢).

ومنه نفخ الروح في النشأة الأولى، ومنه النفخ في النار بالنفّاخ وهو الكير، والنّفّيحُ هو المؤكّل بنفخ النار، والمنفّاخ آتته، ومنه نفخ بضمه أي أخرج منه الريح^(٣).
وأما معناه في الاصطلاح: "فهو نفخ مخصوص في وقت مخصوص من ملك مخصوص لما يريد الله تعالى"^(٤).

وقيل: "هو النفخ المخصوص، في الوقت المخصوص، من الملك المخصوص، لإيجاد ما أراد الله تعالى، كما جاء في كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ من أن نافخًا ينفخ في صور عظيم لإرادة الله تعالى تغيير ما يريد تغييره في خلقه لأمر القيامة"^(٥).

ثانياً: تعريف الصُّور، وحققيقته:

قد اختلفَ في تعريف الصُّور، وحققيقته، على قولين^(٦):

الأول: أنه قرن ينفخ فيه نفختان، إحداهما: لفناء من كان حيًا على الأرض، والثانية: لنشر كل ميت؛ وذلك لقوله تعالى: ﴿وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي

(١) سورة طه: الآية ١٠٢.

(٢) سورة يس: الآية ٥١.

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، "نَفَخَ"، ص ٨١٦، وأساس البلاغة، للزمخشري، "نَفَخَ"، ص ٢٩٠، والقاموس المحيط، للفيروز ابادي، "نَفَخَ" (٢٦١/١)، والنهائية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، "نَفَخَ" (٩٠/٥).

(٤) مباحث العقيدة في سورة الزمر، لناصر الشيخ ص ٥٥٢.

(٥) الحياة الآخرة، لغالب عواجي (١/١٨٤).

(٦) انظر: تفسير الطبري (٩/٣٤٠)، وفتح الباري، لابن حجر (١١/٣٦٧-٣٦٨).

الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُفَخَّ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿١﴾.

وأما القول الثاني؛ إِنَّ الصُّورَ جمع صورة، والنفخ في الصُّور عبارة عن النفخ في صور الموتى، يُنفخ فيها روحها فتحيا.

قلت: الراجح من ذلك، أنه القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام؛ لأنَّ ظاهر الأحاديث الصحيحة، يدل على ذلك.

قال الطبري: "الصَّوَابُ فِي ذَلِكَ مَا تَظَاهَرَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ"^(٢).

ومن هذه الأحاديث: ما أخرجه الترمذي^(٣)، وأحمد^(٤)، وابن حبان^(٥)، والحاكم^(٦)، وأبو يعلى^(٧)، عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "كَيْفَ أَنْعَمَ، وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدْ التَّقَمَ الْقَرْنَ، وَاسْتَمَعَ الْإِذْنَ، مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ، فَيَنْفُخُ؟" فَكَانَ ذَلِكَ نُقْلَ عَلِيٍّ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لَهُمْ: "قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا"^(٨).

وله شاهدٌ عن أَنَسِ رضي الله عنه، أخرجه البغوي^(٩)، والضياء المقدسي^(١٠)، بنحوه.

وله شاهد آخر، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أخرجه الحاكم^(١١)، وابن أبي الدنيا^(١٢)، وأبو الشيخ الأصفهاني^(١٣)، ولفظه: "إِنَّ طَرْفَ صَاحِبِ الصُّورِ مُدٌّ وَكُلَّ بِهِ مُسْتَعِدٌّ، يَنْظُرُ نَحْوَ

(١) سورة الزمر: الآية ٦٨.

(٢) تفسير الطبري (٣٤٠/٩).

(٣) جامع الترمذي (١٩٨/٤)، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب مَا جَاءَ فِي شَأْنِ الصُّورِ، حديث (٢٤٣١)، (٢٢٦/٥)، كتاب التفسير، باب سورة الزمر، حديث (٣٢٤٣).

(٤) مسند أحمد (٨٩/١٧)، حديث ١١٠٣٩.

(٥) صحيح ابن حبان (١٠٥/٣)، حديث ٨٢٣.

(٦) المستدرک للحاكم (٥٥٩/٤)، حديث ٨٦٧٨.

(٧) مسند أبي يعلى الموصلي (٣٣٩/٢)، حديث ١٠٨٤.

(٨) قال الترمذي: إسناده حسن. (جامع الترمذي ١٩٨/٤، حديث ٢٤٣١، ٢٢٦/٥، حديث ٣٢٤٣).

(٩) شرح السنة (١٠٣/١٥)، حديث ٤٢٩٩، وقال: إسناده حسن.

(١٠) الأحاديث المختارة (١٣٣/٧)، حديث ٢٥٦٧.

(١١) المستدرک على الصحيحين (٥٥٨/٤)، حديث ٨٦٧٦.

(١٢) الأهوال، ص ٣٣، حديث ٤٦.

(١٣) العظمة (٨٤٣/٣)، حديث ٣٩١.

الْعَرْشِ مَخَافَةً أَنْ يُؤْمَرَ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْهِ طَرْفُهُ، كَأَنَّ عَيْنَيْهِ كَوْكَبَانِ دُرِّيَّانِ" (١).

وأخرج الترمذي (٢)، وأبو داود (٣)، وأحمد (٤)، والدارمي (٥)، وابن حبان (٦)، والحاكم (٧)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: مَا الصُّورُ؟ قَالَ: "قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ" (٨).

قال ابن الأثير (٩): "الصُّورُ هو القرن الذي ينفخ فيه إسرئيل عليه السلام عند بعث الموتى إلى المحشر" (١٠).

وقال الإمام الرازي (١١): "ولا شبهة عند أهل الإسلام أن الله تعالى خلق قرناً ينفخ فيه ملكٌ من الملائكة، وذلك القرن يسمى بالصور" (١٢).

وقال ابن كثير: "الصحيح أن المراد بالصُّور؛ القرن الذي ينفخ فيه إسرئيل عليه السلام" (١٣).

(١) صححه الحاكم، ووافقه الذهبي إلا أنه زاد "على شرط مسلم"، وقال العراقي: إسناده جيد، وحسنه ابن حجر. (المستدرک علی الصحیحین للحاکم، مع التلخیص للذهبي ٥٥٨/٤، حديث ٨٦٧٦، والمغني عن حمل الأسفار، للعراقي، ص ١٨٩٨، فتح الباري، لابن حجر ٣٦٨/١١).

(٢) جامع الترمذي (١٩٨/٤)، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في شأن الصور، حديث ٢٤٣٠.

(٣) سنن أبي داود (٢٣٦/٤)، كتاب السنة، باب ذكر البعث والنشور، حديث ٤٧٤٢.

(٤) مسند أحمد (٤١٠/١١)، حديث ٦٨٠٥.

(٥) سنن الدارمي (٤١٨/٢)، حديث ٢٧٩٨.

(٦) صحيح ابن حبان (٣٠٣/١٦)، حديث ٧٣١٢.

(٧) المستدرک للحاکم (٥٠٦/٢)، حديث ٣٨٧٠.

(٨) حسنه الترمذي، وابن حجر، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. (جامع الترمذي ١٩٨/٤، حديث ٢٤٣٠، وهداية الرواة، لابن حجر ١٦٠/٥، والمستدرک للحاکم، مع تلخیص الذهبي ٥٠٦/٢، حديث ٣٨٧٠).

(٩) هو: مجد الدين، أبو السعادات، المبارك بن محمد بن محمد بن محمد، الشهير بابن الأثير الجزري، ت ٦٠٦ هـ، من مؤلفاته: جامع الأصول، النهاية في غريب الحديث والأثر. (انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي ١٤٦/١٣).

(١٠) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، "صَوْرٌ"، (٦٠/٣).

(١١) هو: أبو عبدالله، محمد بن عمر بن الحسن، الشهير بالفخر الرازي، ت ٦٠٦ هـ، ومن أشهر مؤلفاته: "مفاتيح الغيب"، ويعرف بتفسير الرازي. (انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي ١٣٧/١٣).

(١٢) تفسير الرازي (٣٤/١٣).

(١٣) تفسير ابن كثير (١٤٦/٢).

وكذلك ذهب الألوسي، حيث قال في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَى﴾^(١): "ظاهر في أن الصُّور ليس جمع صورة، وإلا لقال لِقَالَ ﷻ (فيها)، بدل (فيه)، وارتكاب التأويل يجعل الكلام من باب التمثيل ظاهر في إنكار أن يكون هناك صور حقيقة، وهو خلاف ما نطقت به الأحاديث الصحاح"^(٢).

وبناءً على ما تقدم؛ فقد تقرر عند بعض أهل العلم؛ أنّ "من أنكر أن يكون الصُّور قرناً، فهو كمن ينكر العرش والميزان والصراط، وطلب لها تأويلات"^(٣).

قلت: هناك أسماء أخرى للصُّور غير القرن، منها:

- البوق: قَالَ مُجَاهِدٌ: "الصُّورُ كَهَيْئَةِ البُوقِ"^(٤)، وقال ابن حجر: "البوق: الذي يزمر به وهو معروف، ويقال للباطل، يعني يُطلق ذلك عليه مجازاً لكونه من جنس الباطل، ولا يلزم من كون الشيء مذموماً أن لا يُشَبَّه به الممدوح، فقد وقع تشبيه صوت الوحي بصلصلة الجرس مع النهي عن استصحاب الجرس، والبوق والقرن هي الآلة التي يستعملها اليهود للأذان"^(٥).

- والناقور: في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ﴾^(٦)، قال البغوي: "أي: نُفخ في الصُّور"^(٧).
- وقوله: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾^(٨)، قال ابن حجر: "أي: صيحة، وهي عبارة عن نفخ الصُّور النفخة الثانية، كما عبّر بها عن النفخة الأولى في قوله تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ﴾"^(٩)^(١٠).

(١) سورة الزمر: الآية ٦٨.

(٢) روح المعاني (٣٠/٢٠).

(٣) تفسير القرطبي (٢٠/٧).

(٤) صحيح البخاري (١٠٨/٨).

(٥) فتح الباري، لابن حجر (٣٦٨/١١).

(٦) سورة المدثر: الآية ٨.

(٧) تفسير البغوي (٢٦٦/٨).

(٨) سورة النازعات: الآية ١٣.

(٩) سورة يس: الآية ٤٩.

(١٠) فتح الباري (٣٦٨/١١).

ثالثاً: صفة النفخ في الصور:

لقد قَدَّرَ اللهُ ﷻ أعمار العباد وآجال المخلوقات ومصير هذه الدنيا الفانية لموعد لن يُخْلَفَهُ، يُعَلِّمُهُ لِعِبَادِهِ فِي وَقْتِهِ بِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ، فَتَنْتَهِي الْحَيَاةُ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَيُهْلِكُ اللهُ ﷻ فِيهِ جَمِيعَ الْأَحْيَاءِ، إِلَّا مَنْ يَشَاءُ اللهُ تَعَالَى، حَيْثُ قَالَ: ﴿وَنُفِّخُ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ﴾^(١).

وهي نفخة عظيمة يسمعها الفرد فلا يستطيع أن يعود إلى أهله، فضلاً أن يوصي لهم بشيء، قال تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٦٦﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾^(٢).

ولعظمة هذه النفخة صَوَّرَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ حَالِ الْعَبْدِ وَهُوَ فِي خَوْفٍ وَدَهْشَةٍ مِنْهَا. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه، وَفِيهِ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْعَى لَيْتًا"^(٣). وَالْمَعْنَى: "أَيَّ أَمَالٍ صَفْحَةٌ عُنُقَهُ إِلَيْهِ خَوْفًا وَدَهْشَةً"^(٤).

رابعاً: من هو النافخ في الصور؟

لقد عُرِفَ واشتُهرَ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الْمَلِكَ الْمَوْكَلَّ بِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ إِسْرَائِيلَ عليه السلام. قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: "الْأَمَمُ مَجْمَعَةٌ أَنَّ الَّذِي يَنْفِخُ فِي الصُّورِ إِسْرَائِيلَ عليه السلام"^(٥). وَقَالَ ابْنُ حَجْرٍ: "اشْتَهَرَ أَنَّ صَاحِبَ الصُّورِ إِسْرَائِيلَ عليه السلام، وَنُقِلَ فِيهِ الْحَلِيمِيُّ^(٦) الْإِجْمَاعُ"^(٧).

(١) سورة الزمر: الآية ٦٨.

(٢) سورة يس: الآيات ٤٩-٥٠.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض، حديث ٢٩٤٠.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، "صَعَى"، (٣٣/٣)، ومرقاة المفاتيح، لعلي القاري (٣٥٠٣/٨).

(٥) تفسير القرطبي (٢٠/٧).

(٦) هو: الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَلِيمٍ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَلِيمِيُّ، إِمَامُ الْمُحَدِّثِينَ، وَشَيْخُ الشَّافِعِيِّينَ بِمَاءِ وَرَاءِ النَّهْرِ، ت ٤٠٣ هـ، وَمِنْ أَشْهُرِ مُصَنِّفَاتِهِ الْمَنْهَاجُ فِي شَعْبِ الْإِيمَانِ. (طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي ٣٣٣/٤، سير أعلام النبلاء، للذهبي ٢٣١/١٧).

(٧) فتح الباري، لابن حجر (٣٦٨/١١).

قلت: ولم أجد حديثًا صحيحًا يثبت ذلك^(١)، والله تعالى أعلم.

خامسًا: ما اليوم الذي يقع فيه النفخ في الصور؟

لما كان النفخ في الصور أول مبادئ القيامة، كان اسم يوم القيامة صادقًا على ذلك كله، كما ثبت ذلك في الصحيحين - واللفظ للبخاري -، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ، قال: "وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا، فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ وَلَا يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ انصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقِحْتِهِ فَلَا يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يُلِيطُ حَوْضَهُ فَلَا يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أَكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلَا يَطْعَمُهَا"^(٢).

قال ابن كثير: "وهذا إنما يتجه على ما قيل في النفخة إنها الساعة لما كانت أول مبادئها"^(٣).

ولقد بينتُ سابقًا أنَّ القيامة تقوم يوم جمعة من غير تعيين ولا تحديد أي جمعة تكون؛ وذلك أن هذا من علم الله الذي لم يُطلع عليه أحدًا من خلقه، وبالتالي فالنفخ في الصور سيقع في هذه الجمعة التي يعلمها الله ﷻ وحده. أخرج النسائي^(٤)، وأبو داود^(٥)، وابن ماجه^(٦)، وأحمد^(٧)، والدارمي^(٨)، وابن خزيمة^(٩)، خزيمة^(٩)،

(١) وقد جمع الإمام السيوطي طرفًا من هذه الأحاديث في كتاب الحبائك في أخبار الملائك، ص ٣١-٣٧.
(٢) صحيح البخاري (٥٩/٩)، كتاب الفتن، باب خروج النار، حديث ٧١٢١، وصحيح مسلم (٤/٢٢٧٠)، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة، حديث ٢٩٥٤.
(٣) انظر: النهاية في الفتن والملاحم (١/١٤٣).
(٤) سنن النسائي (٩١/٣)، كتاب الجمعة، باب إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة، حديث ١٣٧٤.
(٥) سنن أبي داود (٢٧٥/١)، كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة، حديث ١٠٤٧.
(٦) سنن ابن ماجه (٣٤٥/١)، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب فضل يوم الجمعة، حديث ١٠٨٥.
(٧) مسند أحمد (٨٤/٢٦)، حديث ١٦١٦٢.
(٨) سنن الدارمي (٤٤٥/١)، حديث ١٥٧٢.
(٩) صحيح ابن خزيمة (١١٨/٣)، حديث ١٧٣٣.

واِبْنُ حَبَّانٍ^(١)، والحاكم^(٢)، من حديثِ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ^(٣)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ..." الحديث^(٤).

(١) صحيح ابن حبان (١٩٠/٣)، حديث ٩١٠.

(٢) المستدرک علی الصحیحین (٥٦٠/٤)، حديث ٨٦٨١.

(٣) أَوْسُ بْنُ أَوْسٍ الثَّقَفِيُّ، من الصحابة الكرام، روى له أصحاب السنن، وهو غير أَوْسِ بْنِ أَبِي أَوْسٍ الثَّقَفِيِّ. (الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر ١١٩/١، الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر ٢٩١/١). قلت: قد وقع في سنن ابن ماجه "شداد بن أوس"، بدل "أوس بن أوس"، قال الحافظ المزي: "ذلك وهم من ابن ماجه"، وقال ابن كثير: "وهو عندي في نسخة جيدة مشهورة على الصواب، كما رواه أحمد وأبو داود والنسائي عن أوس بن أوس"، وممن نبه على هذا الوهم أيضاً الإمام البوصيري. (انظر: تحفة الأشراف، للمزي ٤/٢، والبداية والنهاية، لابن كثير ٢٧٦/٥، ومصباح الزجاجة، للبوصيري ١٢٩/١).

(٤) إسناده صحيح، إلا أن بعض أهل العلم قد أعلوه، منهم البخاري وأبو حاتم الرازي، والخطيب البغدادي، وابن رجب الحنبلي؛ فعُدوا رواية حسين الجعفي عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر وهماً وخطأً؛ لأنه لم يذكر أن أحداً من العراقيين قد روى عن ابن جابر، وبالتالي يكون الجعفي قد روى هنا عن عبد الرحمن بن يزيد بن تميم وهو ضعيف منكر الحديث. (انظر: علل الترمذي الكبير - بترتيب أبي طالب القاضي، ص ٣٩٢، والتاريخ الكبير، للبخاري ٣٦٥/، والعلل، لابن أبي حاتم ٤٢٧/٢ رقم ٥٦٥، والجرح والتعديل، لابن أبي حاتم ٣٠٠/٥، وتاريخ بغداد، للخطيب البغدادي ٢١٢/١٠، وشرح علل الترمذي، لابن رجب ٦٨١/٢).

قلت: وقد دافع بعض الأئمة عن هذا الحديث، وناقشوا من أعلّوه، فقال ابن قَيِّم الجوزية: "وجواب هذا التعليل من وجوه: أحدها أن حسين بن علي الجعفي قد صرح بسماعه له من عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، وأما قولهم: "إنه ظن أنه ابن جابر؛ وإنما هو ابن تميم فغلط في اسم جده" بعيداً، فإنه لم يكن يشبهه على حسين هذا بهذا، مع نقده وعلمه بما سماعه منهما"، وقال الألباني: "وهذه علةٌ واهية كما ترى، لأن الجعفي ثقة اتفقا؛ فكيف يجوز تخبطته لمجرد عدم العلم بأن أحداً من العراقيين لم يحدث عن ابن جابر؟! وما المانع من أن يكون الجعفي العراقي قد سمع من ابن جابر حين نزل البصرة قبل أن يتحول إلى دمشق، كما جاء في ترجمته؟! وتفرد الثقة بالحديث لا يقدر؛ إلا أن يثبت خطأً كما هو معلوم..."، إلى أن قال: "ويؤيد ذلك تصحيح من صححه من الأئمة المتقدمين". (انظر: جلاء الأفهام، لابن القيم ص ٨٢-٨٤، وصحيح سنن أبي داود، للألباني ٢١٥-٢١٦، حديث ٩٦٢).

قلت: والخلاصة أن الحديث إسناده صحيح، وأن علته ليست بقادحة، وممن صححه من أهل العلم: ابن خزيمة، والدارقطني، والحاكم، قال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، وصححه النووي، وابن القيم، وقال فيه: "ومن تأمل هذا الإسناد لم يشك في صحته، لثقة روايته، وشهرتهم، وقبول الأئمة أحاديثهم". (صحيح ابن خزيمة ١١٨/٣، حديث ١٧٣٣، وتفسير ابن كثير ٥١٥/٣، والمستدرک للحاكم، مع التلخيص =

قال الطيبي: "النَّفْحَةُ: هي نفخ الصُّور، فإنها مبدأ قيام الساعة، ومقدمة النشأة الثانية، والصَّعْقَةُ: الصوت الهائل الذي يموت الإنسان من هولهِ، وهو النفخة الأولى"^(١).

سادساً: كم مرّة ينفخ في الصُّور؟

إن المتتبع لأقوال العلماء يجد ثَمَّ اختلافًا في تحديد عدد النفخات في الصور، وهذا الاختلاف يرجع إلى تفاوتهم في فهم النصوص الشرعية الواردة في ذلك، واعتماد بعضهم على بعض الأحاديث الضعيفة الواردة في ذلك، فمنهم من يرى أنها نفختان، ومنهم من يرى أنها ثلاث نفخات، ومنهم من يرى أنها أربع نفخات، وإليك بيان ذلك:

القائلون بأنها نفختان: هما نفخة الصعق، ونفخة البعث، وقد رجح هذا المذهب جمع من أهل العلم، منهم الإمامان القرطبي^(٢)، وابن حجر العسقلاني^(٣)، ومن المعاصرين الدكتور عمر سليمان الأشقر^(٤)، وأدلتهم على ذلك:

- قول الله ﷻ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾^(٥).

فظاهر الآية يدل أنهما نفختان؛ نفخة الصعق، ونفخة البعث والقيام للحساب.

- قول الله ﷻ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾^(٦).

فسمى النفخة الأولى بالراجفة، والنفخة الثانية بالرادفة.

= للذهبي ٤/٥٦٠، حديث ٨٦٨١، والأذكار، للنووي، ص ١١٥، وخلاصة الأحكام، للنووي ١/٤٤١، ورياض الصالحين،

للنووي، ص ٢٥٥، وجلاء الأفهام، لابن القيم، ص ٨١).

(١) الكاشف عن حقائق السنن (٤/١٢٦٦).

(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص ٤٩١.

(٣) فتح الباري (١١/٣٦٩).

(٤) القيامة الكبرى، ص ٣٩.

(٥) سورة الزمر: الآية ٦٨.

(٦) سورة النازعات: الآيات ٦-٧.

- قول الله تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ ﴿١﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٣﴾.

فَسَمَّى الْأُولَىٰ بِالصَّيْحَةِ، وَصَرَّحَ بِالنَّفْخِ بِالصُّورِ فِي الثَّانِيَةِ.

- وجاء في الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ". قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ...". الحديث (٢).

فالحديث قد صرَّحَ بِأَنَّهُمَا نَفْخَتَانِ.

- وفي صحيح مسلم من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه، وفيه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَىٰ لَيْتًا وَرَفَعَ لَيْتًا" (٣)، قَالَ: "وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ" (٤)، قَالَ: فَيَصْعَقُ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ، أَوْ قَالَ: يُنْزِلُ اللَّهُ مَطْرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ (٥) أَوْ الطَّلُّ، - نِعْمَانُ الشَّاكُّ (٦)؛ - فَتَنْبِتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ...". الحديث (٧).

فدل الحديث أَنَّهُمَا نَفْخَتَانِ نَفْخَةُ الصَّعْقِ، وَنَفْخَةُ الْبَعْثِ.

- وأخرج ابن أبي شيبة (٨)، وابن أبي حاتم (٩)، وحبيل بن إسحاق (١٠)، ونعيم بن حماد (١١)،

(١) سورة يس: الآيات ٤٩-٥١.

(٢) صحيح البخاري (٦/ ١٦٥)، كتاب التفسير، باب يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا، حديث ٤٩٣٥، صحيح

مسلم (٤/ ٢٢٧٠)، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين، حديث ٢٩٥٥.

(٣) أي أمال صَفْحَةٌ عُنُقُهُ إِلَيْهِ. (النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، "صَغَى"، ٣/٣٣).

(٤) أي يُطَيَّنُهُ وَيُضَلِّحُهُ، وَأَصْلُهُ مِنَ اللَّصُوقِ. (المرجع نفسه، "لَوَطَّ"، ٤/٢٧٧).

(٥) قال السيوطي: "قَالَ الْعُلَمَاءُ: الْأَصْحَحُ الطَّلُّ بِمُهِمَلَةٍ"، وقال ابن الأثير: "الطَّلُّ الَّذِي يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ فِي الصَّحْوِ، وَالطَّلُّ أَيْضًا أضعف المطر". (انظر: الديباج على صحيح مسلم ٦/٢٦٠، والنهاية في غريب الحديث، "طَلَّلَ"، ٣/١٣٦).

(٦) هو النعمان بن سالم، أحد رواة الحديث.

(٧) سبق تحريجه، ص ١١٦.

(٨) مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٥١١)، حديث ٣٧٦٣٧.

(٩) تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٨٤)، حديث ١٥٧٤٤.

(١٠) الفتن، ص ٥٥، حديث ٤٤.

(١١) الفتن (٢/ ٦٤٨)، حديث ١٨٢٥.

والطبراني^(١)، والحاكم^(٢)، وابن أبي الدنيا^(٣)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً^(٤)، قَالَ: "ثُمَّ يَقُومُ مَلَكٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ بِالصُّورِ فَيَنْفُخُ فِيهِ، قَالَ: وَالصُّورُ قَرْنٌ، قَالَ: فَلَا يَبْقَى خَلْقُ اللَّهِ فِي السَّمَاءِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَاتَ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ، قَالَ: ثُمَّ يَكُونُ بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ". الحديث^(٥).

- وفي حديث أوس بن أوس رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ أَفْضَلَ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتِكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ...". الحديث^(٦).

القائلون بأنها ثلاث نفحات: وهي نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة البعث، وهذا رأي جماعة من أهل العلم، منهم: ابن العربي^(٧)، وابن تيمية، وابن كثير، والسَّقَّارِينِي^{(٨)(٩)}، ومن

(١) المعجم الكبير (٣٥٤/٩)، حديث ٩٧٦١.

(٢) المستدرک علی الصحیحین (٥٤١/٤)، حديث ٨٥١٩.

(٣) الأوهال ص ٦٣، حديث ٨٠.

(٤) قلت: هذا الحديث يأخذ حكم الرفع؛ لأنه من الغيبات التي لا مجال للرأي والعقل والاجتهاد فيها.

(٥) قال الحاكم: "حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، وقال ابن حجر: "إسناده قوي".

(انظر: المستدرک علی الصحیحین للحاکم، مع التلخیص للذهبي ٥٤١/٤، وفتح الباري، لابن حجر ٣٧٠/١١).

(٦) سبق تخريجه ص ١١٨.

(٧) أبو بكر ابن العربي، القاضي، محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، الأندلسي، الإشبيلي، المالكي، الحافظ المجتهد، صاحب التَّصَانِيفِ، ومن أشهرها: عَارِضَةُ الْأَحْوَذِيِّ فِي شَرْحِ جَامِعِ أَبِي عِيْسَى التِّرْمِذِيِّ، وهو ختام علماء الأندلس، وآخر أئمتها وحفاظها، ت ٥٤٣ هـ. (انظر: بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، لأبي جعفر الضبي ص ٩٢، وتاريخ الإسلام، للذهبي ٨٣٤/١١، والأعلام للزركلي ٢٣٠/٦).

(٨) أبو العون، شمس الدين، محمد بن أحمد بن سالم السَّقَّارِينِي، عالم بالحديث والأصول والأدب، ولد في سَقَّارِين، وهي من قرى نابلس، ورحل إلى دمشق فأخذ عن علمائها، وعاد إلى نابلس فدرّس وأفتى، وتوفي فيها عام ١١٨٨ هـ. (انظر: الأعلام، للزركلي ١٤/٦).

(٩) انظر: النهاية في الفتن والملاحم، لابن كثير (٢٧٩ / ١)، وفتح الباري، لابن حجر العسقلاني (٣٦٩ / ١١)، ومجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢٦٠ / ٤)، لوامع الأنوار البهية، للسفاريني (١٦١ / ٢).

المعاصرين: الدكتور وهبة الزحيلي^(١)^(٢)، والدكتور محمد حيدر مهدي حسن^(٣)، والشيخ ناصر علي عايش حسن الشيخ^(٤)، وأما أدلتهم على ذلك، فهي ما يأتي:

- أن الله تعالى كما ذكر نفختي الصعق والبعث في قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ يَنْظُرُونَ﴾^(٥)، فإنه قد ذكر النفخة الثالثة، وهي نفخة الفزع في قوله: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾^(٦).

- ما رواه الإمام الطبري في تفسيره، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: "يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ثَلَاثُ نَفَخَاتٍ: الْأُولَى: نَفْحَةُ الْفَزَعِ، وَالثَّانِيَةُ: نَفْحَةُ الصَّعْقِ، وَالثَّلَاثَةُ: نَفْحَةُ الْقِيَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ..."^(٧). الحديث.

(١) هو: وهبة بن مصطفى الزحيلي، من مواليد دير عطية، من مدن ريف دمشق، ت ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م، ومن أشهر مؤلفاته: "التفسير الوسيط"، و"الفقه الإسلامي وأدلته". (انظر ترجمته: موقع ويكيبيديا - الموسوعة الحرة - <https://ar.wikipedia.org/wiki>).

(٢) التفسير الوسيط (٣/٢٢٥٤).

(٣) أحاديث حياة البرزخ، ص ٣٠٩، والكتاب بالأصل عبارة عن أطروحة علمية لنيل درجة الدكتوراه في الحديث الشريف وعلومه من قسم السنة وعلوم الحديث، بكلية أصول الدين، بجامعة أم درمان الإسلامية، بجمهورية السودان، وعنوان الأطروحة: أحاديث حياة البرزخ في الكتب التسعة - جمعًا وتخریجًا ودراسة -.

(٤) مباحث العقيدة في سورة الزمر، ص ٥٥٤.

(٥) سورة الزمر: الآية ٦٨.

(٦) سورة النمل: الآية ٨٧.

(٧) جامع البيان في تأويل آي القرآن (٢١/٣٣١).

أولاً: سند الحديث: قال الإمام الطبري: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ - يعني محمد بن العلاء -، قَالَ: ثنا الْمُحَارِبِيُّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ رَافِعِ الْمَدَنِيِّ، عَنْ يَزِيدَ، عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ، عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.. الحديث.

ثانياً: تخريج الحديث: أخرجه الطبري في تفسيره (١٨/٥٥٨)، والبيهقي في البعث والنشور، ص ٣٣٦، حديث ٦٠٩، من طريق محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ثالثاً: دراسة رجال الإسناد:

- رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: مبهم

- رَجُلٌ أُخْرَى مِنَ الْأَنْصَارِ: مبهم.

القائلون بأنها أربع نفحات: وهو رأي ابن حزم الظاهري^(١)، فقد زعم: "أن نفحات يوم القيامة أربع: الأولى نفخة إمامة، والثانية نفخة إحياء، يقوم بها كل ميت، وينشرون من القبور، ويجمعون للحساب، والثالثة: نفخة فرع وصعق، يفيقون منها كالمغشي عليه، لا يموت منها أحد، والرابعة: نفخة إفاقة من ذلك الغشي"^(٢).

الرأي الراجح: هو الأول القائل بأنها نفختان؛ وذلك أنه يتوافق مع الأدلة من القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة.

ويُردُّ على مذهب القائلين بأنها ثلاث نفحات بما يأتي:

- إنَّ قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنُفِخَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾^(٣)، لا يدل على أنه ستكون نفخة ثالثة مستقلة بالفرع، بل يدل على أن حالة الفرع تصاحب النفخ في الصور في مرَّتيه عند الصعق وعند البعث.

= - يزيد: اسم مهمل، لم أجده في أسماء شيوخ إسماعيل بن رافع الذي روى عنه هذا الحديث، لكن جاء في أسماء شيوخ ابن رافع، كما قال الحافظ المزني: "مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ، صاحب حديث الصور"، وكذا في رواية البيهقي جاء بهذا الاسم، أي محمد بن يزيد بن أبي زياد، والذي قال عنه الحافظ ابن حجر: "مجهول الحال". (انظر: البعث والنشور للبيهقي ص ٣٣٦، وتهذيب الكمال، للمزي ٨٦/٣، وتقريب التهذيب، لابن حجر، ص ٥١٣).

- إسماعيلُ بْنُ رَافِعِ بْنِ عَوْمَرَ الْأَنْصَارِيِّ الْمَدِينِيِّ، القاص، نزيل البصرة، يكنى أبا رافع، ضعيف الحفظ من السابعة، مات في حدود الخمسين. (انظر: تقريب التهذيب، ص ١٠٧).

- باقي رجال الإسناد ثقات.

رابعًا: الحكم على الحديث: إسناده ضعيف جدًا، فيه رجلان من الأنصار مجهولان، وفيه راو مجهول الحال، وفيه راو ضعيف الحفظ، والإسناد مضطرب فقد روي من طريق محمد بن كعب القرظي عن رجل من الأنصار عن أبي هريرة رضي الله عنه مرة، وروي مرة أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه مباشرة من غير واسطة بينهما، كما هو واضح في التخريج، وقد قال الحافظ ابن حجر: "سنده ضعيف ومضطرب"، وقد نقل تضعيف بعض الأئمة له، واعترض على تصحيح ابن العربي والقرظي له، فقال: "وقد صحح الحديث من طريق إسماعيل بن رافع، القاضي أبو بكر ابن العربي في سراحه، وتبعه القرظي في التذكرة، وقول عبد الحق في تضعيفه أولى، وضعفه قبله البيهقي". (فتح الباري لابن حجر ٣٦٩/١١).

(١) هو أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، الفقيه الأصولي، والمحدث الحافظ، والمتكلم الأديب، جمع من الكتب شيئًا كثيرًا، منها كتاب المحلّي. (انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي ٧٥/١٠، ومعجم المؤلفين، لعمر كحالة ١٦/٧).

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (٤٤٦/٦).

(٣) سورة النمل: الآية ٨٧.

قال القرطبي: "ونفخة الفزع هي نفخة الصعق؛ لأنَّ الأمرين لازمان لها، أي فرعوا ماتوا منه"^(١).

وقال ابن حجر: "ولا يلزم من مغايرة الصعق الفزع أن لا يحصل معًا من النفخة الأولى"^(٢).
وقال الدكتور عمر سليمان الأشقر: "إن استدلالهم بالآية التي تذكر نفخة الفزع ليست صريحة على أن هذه نفخة ثالثة، إذ لا يلزم من ذكر الحق تبارك وتعالى للفزع الذي يصيب من في السماوات والأرض عند النفخ في الصور أن تجعل هذه نفخة مستقلة، فالنفخة الأولى تفزع الأحياء قبل صعقهم، والنفخة الثانية تفزع الناس عند بعثهم"^(٣).

- أمّا حديث الصور الذي استدلوا به، فقد يَبْتُ ضَعْفُهُ واضطرابه.

ويُرَدُّ على مذهب القائلين بأنها أربع نفخات، بما قاله ابن حجر بعد أن حكى مقالة ابن حزم: "هذا الذي ذكره من كون الثنتين أربعًا ليس بواضح، بل هما نفختان فقط، ووقع التغاير في كل واحدٍ منهما باعتبار من يستمعهما، فالأولى يموت فيها كل من كان حيًّا، ويُغشى على من لم يموت ممن استثنى الله، والثانية: يعيش بها من مات، ويفيق بها من غشى عليه، والله أعلم"^(٤).

سابعًا: المدة بين نفختي الصعق والبعث:

لقد دلت السُّنَّة النبويَّة وأرشدت إلى أنَّ هناك مدة بين نفختي الصعق والبعث.
فقد روى الشيخان في صحيحيهما من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ". قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَيْتُّ. قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَيْتُّ. قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَيْتُّ. قَالَ: ثُمَّ يُنْزَلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص ٤٩٠.

(٢) فتح الباري (٣٦٩/١١).

(٣) القيامة الكبرى، لعمر الأشقر، ص ٣٩.

(٤) فتح الباري: (٤٤٦/٦).

الْبَقْلُ، لَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنْبِ^(١)، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٢).

قال ابن كثير: "فالمراد بالنفختين هنا نفخة الصعق ونفخة القيام للبعث والنشور، ويؤيد ذلك إنزال الماء بينهما وذكر عجب الذنب الذي منه يخلق الإنسان وفيه يركب خلقه عند بعثه يوم القيامة"^(٣).

وقوله: "أَبِيْتُ": "معناه أبيت أن أجزم أن المراد أربعون يومًا أو سنة أو شهرًا بل الذي أجزم به أنها أربعون مجملة"^(٤)، والمراد: "امتنت من تعيين ذلك بالأيام والسنين والشهور؛ لأنه لم يكن عنده علم بذلك"^(٥)؛ لأن ذلك من علم الغيب.

ثامنًا: من هم المستثنون من الصعق؟

لقد بيّن الحق ﷺ في كتابه الحكيم أنه عند النفخ في الصور يصيب الصعق والفرع كل من في السموات والأرض، إلا عددًا من خلق الله ﷻ، قد استثناهم الله ﷻ من ذلك، كما في قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَرِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾^(٦)، ويقول الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾^(٧).

وقد أشارت السنة النبوية أيضًا إلى هذا الاستثناء، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا تُفْضَلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَيَصَعِقُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ"، قَالَ: "ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ

(١) هو العظم اللطيف الذي في أسفل الصُّلب، وهو رأس العُصْصِ، وهو أول ما يخلق من الآدمي، وهو الذي يبقى منه ليعاد تركيب الخلق عليه. (انظر: شرح النووي على مسلم ٩٢/١٨، وفتح الباري، لابن حجر ٥٥٢/٨).

(٢) سبق تحريجه، ص ١٢٠.

(٣) النهاية في الفتن والملاحم (١/١٤٢).

(٤) شرح النووي على مسلم (١٨/٩١).

(٥) عمدة القاري (١٩/١٤٦).

(٦) سورة النمل: الآية ٨٧.

(٧) سورة الزمر: الآية ٦٨.

بُعْثَ، أَوْ فِي أَوَّلِ مَنْ بُعِثَ، فَإِذَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، آخِذٌ بِالْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَحْسَبُ بِصَعْفَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ، أَوْ بُعِثَ قَبْلِي" (١).

وفي روايةٍ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعُقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَصْعُقُ مَعَهُمْ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ جَانِبَ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَشْنَى اللَّهُ" (٢).

وفي روايةٍ للبخاري من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعُقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ، أَمْ حُوسِبَ بِصَعْفَةِ الْأُولَى" (٣).
قلت: يؤخذ من هذه الروايات أربع مسائل:

الأولى: "المراد بالصعق: غشي يلحق من سمع صوتاً أو رأى شيئاً يفرع منه" (٤).
والثانية؛ في قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ "ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ"، دلالة على "أنَّ الإفاقة تقع بعد النفخة الثانية" (٥)؛ لأن البعث يكون بعد النفخة الثانية، ويؤيد ذلك ما جاء صريحاً في روايةٍ للبخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنِّي أَوَّلُ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ بَعْدَ النَّفْخَةِ الْآخِرَةِ..." (٦) الحديث.

(١) صحيح البخاري (١٥٩/٤)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى {وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ}، حديث ٣٤١٤، صحيح مسلم (١٨٤٣/٤)، كتاب الفضائل، باب مِنْ فَضَائِلِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، حديث ٢٣٧٣.
(٢) صحيح البخاري (١٢٠/٣)، كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الإشخاص والخصومة بين المسلم واليهود، حديث ٢٤١١، صحيح مسلم (١٨٤٣/٤)، كتاب الفضائل، باب مِنْ فَضَائِلِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، حديث ٢٣٧٣.
(٣) صحيح البخاري (١٢١/٣)، كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الإشخاص والخصومة بين المسلم واليهود، حديث ٢٤١٢.

(٤) انظر: فتح الباري لابن حجر (٤٤٤/٦)، وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني (٧/٣٢٣).
(٥) انظر: فتح الباري لابن حجر (٤٤٤/٦)، وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني (٧/٣٢٣).
(٦) صحيح البخاري (١٢٦/٦)، كتاب تفسير القرآن، باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ}، حديث ٤٨١٣.

والثالثة؛ لا يوجد وهم في رواية "فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ"، كما ادَّعى وجزم بذلك الحافظ المزري^(١) أن هذا اللفظ وهم من روايه، وأن الصواب ما وقع في رواية "فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ"، وأن كونه ﷺ أول من تنشق عنه الأرض صحيح، لكنه في حديث آخر ليس فيه قصة موسى.

قال ابن حجر: "ويمكن الجمع بأن النفخة الأولى يعقبها الصعق من جميع الخلق أحيائهم وأمواتهم وهو الفرع، ثم يعقب ذلك الفرع للموتى زيادةً فيما هم فيه، وللأحياء موتاً، ثم ينفخ الثانية للبعث فيفيقون أجمعين، فمن كان مقبوراً انشقت عنه الأرض فخرج من قبره، ومن ليس بمقبور لا يحتاج إلى ذلك، وقد ثبت أن موسى ﷺ ممن قبر في الحياة الدنيا، ففي صحيح مسلم عن أنس بن مالك ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عِنْدَ الْكَنْبِ (٢) الْأَحْمَرِ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ" (٣)، أخرجه عقب حديثي أبي هريرة وأبي سعيد ﷺ المذكورين، ولعله أشار بذلك إلى ما قررته - أنه لا وهم -" (٤).

وأما المسألة الرابعة؛ فقد اختلف أهل العلم فيمن استنابهم الله ﷻ من الصعق اختلافاً كبيراً، ذكره الحافظ ابن حجر في عشرة أقوال (٥)، أخصها فيما يأتي:
الأول: وهو رأي أبي العباس القرطبي، أنهم الموتى كلهم؛ لكنهم لا إحساس لهم فلا يصعقون، فيكون تقدير الآية: فصعق من في السماوات ومن في الأرض من الأحياء إلا من شاء الله، وهم الموتى، فلا ينالهم شيء من هذا لأنهم ميتون أصلاً.

(١) الحافظ جمال الدين، أبو الحجاج، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف المزري، محدث الشام في عصره، وصاحب كتاب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ولد بظاهر حلب سنة ٦٥٤هـ، ونشأ بالمرّة - من ضواحي دمشق -، وتوفي في دمشق سنة ٧٤٢هـ. (انظر: الأعلام للزركلي ٢٣٦/٨).

(٢) أي: الرمل المجتمع، وهذا ليس صريحاً في الإعلام بقبره الشريف، ومن ثم حصل الاختلاف فيه، فقيل: بالتيه، وقيل: بباب "لنا" ببيت المقدس، أو بدمشق، أو بواد بين بصرى والبلقاء، أو بمدين بين المدينة وبيت المقدس، أو بأريحا، وهي من الأرض المقدسة. (انظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني ٤٣٦/٢).

(٣) صحيح مسلم (٤/١٨٤٥)، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى ﷺ، حديث ٢٣٧٥.

(٤) انظر: فتح الباري لابن حجر (٦/٤٤٤).

(٥) انظر: المرجع نفسه (١١/٣٧٠-٣٧١).

الثاني: وهو رأي أبي عبد الله القرطبي، أنهم الشهداء؛ وذلك أن الله تعالى قد حكم بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، فلا يموتون.

وفي الحديث الذي أخرجه الحاكم^(١)، وابن أبي الدنيا^(٢)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ سَأَلَ جِبْرِيلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾^(٣)، مَنْ الَّذِينَ لَمْ يَشَأِ اللَّهُ عز وجل أَنْ يَصْعَقَهُمْ؟، قَالَ: هُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ عز وجل"^(٤).

الثالث: وهو رأي الإمام البيهقي، أنهم الأنبياء؛ وذلك أنهم أحياء عند ربهم كالشهداء، فإذا نفخ في الصور النفخة الأولى صعقوا، ثم لا يكون ذلك موتاً في جميع معانيه إلا في ذهاب الاستشعار، وقد جَوَّزَ النبي صلى الله عليه وسلم أَنْ يَكُونَ مُوسَى مِمَّنْ اسْتَشْنَى اللَّهَ، فَإِنْ كَانَ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ لَا يَذْهَبُ اسْتِشْعَارُهُ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ بِسَبَبِ مَا وَقَعَ لَهُ فِي صَعْقَةِ الطُّورِ.

الرابع: وهو رأي يحيى بن سلام^(٥)، أنهم بعض الملائكة، وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، حيث يستثيهم الله تعالى من الصعق ثم يقبضهم بعد ذلك، فيأمر الله عز وجل ملك الموت بقبض الثلاثة، ثم يقول له: مت فيموت.

الخامس: أن المستثنى هم حملة العرش، حيث جاء ذلك في حديث أبي هريرة الطويل المعروف بحديث الصور^(٦).

السادس: أنه موسى عليه السلام وحده.

السابع: أنهم الولدان الذين في الجنة والخور العين.

(١) المستدرک علی الصحیحین (٢/ ٢٧٧)، حدیث ٣٠٠٠.

(٢) صفة الجنة، ص ١٧٩، حدیث ٢٤٥

(٣) سورة الزمر: الآية ٦٨.

(٤) قال الحاكم: "صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، وقال ابن حجر: "هو على شرطهما". (انظر: المستدرک علی الصحیحین للحاکم، مع التلخیص للذهبي ٢/ ٢٧٧، وإتحاف المهرة لابن حجر ١٤/ ٣٩٩).

(٥) هو الإمام أبو زكريا، يحيى بن سلام بن أبي نعلبة البصري، نزيل المغرب بإفريقية، وُلِدَ سنة ١٢٤هـ، ومات بمصر بعد أن حجَّ، في صفر سنة ٢٠٠هـ. (سير أعلام النبلاء، للذهبي ٩/ ٣٩٦-٣٩٧).

(٦) سبق تخريجه في ص ١٢٢، وهو حديث مضطرب ضعيف.

الثامن: وهو رأي الضحاک بن مزاحم^(١)، أنهم الولدان والحوار العين وخزان الجنة والنار وما فيها من الحيات والعقارب.

التاسع: وهو رأي ابن حزم الظاهري، أنهم الملائكة كلهم، وذلك لأنهم أرواح لا أرواح فيها فلا يموتون أصلاً، وعلى ذلك يكون الصعق لكل الأحياء إلا الملائكة، ثم يقبضهم الله تعالى بعد ذلك كيف يشاء.

العاشر: وهو رأي الحسن البصري، أن الله تعالى يستثنى من يشاء من عباده، ومع ذلك فإنه ما يدع أحداً إلا أذقه الموت.

قلت: والذي أميل إليه من هذه الأقوال كلها هو الرأي العاشر، الذي يوحى بالتوقف فيهم، فلا يعلم حقيقتهم إلا الله تعالى، فيمكن أن تكون جميع الأصناف المذكورة، أو بعضها ممن استثنى الله تعالى، ويمكن غير ذلك، فلا يعلم حقيقة ذلك ودقته إلا الله ﷻ، حتى إن النبي ﷺ وهو يُوحى إليه لم يجزم بكون موسى عليه السلام ممن استثنى منهم أم لا، فقال: "فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَوْ كَانَ مِمَّنْ اسْتُثْنِيَ اللَّهُ"، فمن باب أولى ينبغي ألا يجزم في ذلك من لا يُوحى إليه؛ فيتوقف عن تحديد من استثنى الله تعالى من الصعق.

قال ابن تيمية: "فإذا كان النبي ﷺ لم يخبر بكل من استثنى الله، لم يمكننا نحن أن نجزم بذلك، وصار هذا مثل العلم بوقت الساعة، وأعيان الأنبياء، وأمثال ذلك مما لم يخبر به، وهذا العلم لا ينال إلا بالخبر"^(٢).

ومما يؤكد هذا المعنى أيضاً ما نقله ابن حجر، عن الإمام البيهقي، قال: "استضعف بعض أهل النظر أكثر هذه الأقوال؛ لأن الاستثناء وقع من سكان السماوات والأرض وهؤلاء ليسوا من سكانها؛ ولأن العرش فوق السماوات، فحملته ليسوا من سكانها، وجبريل وميكائيل من الصافين حول العرش، ولأن الجنة فوق السماوات، والجنة والنار عالمان بانفرادهما، خلقتا للبقاء"^(٣).

(١) هو الإمام أبو محمد، وقيل: أبو القاسم، الضحاک بن مزاحم الهلالي الحراساني، صاحب التفسير، توفي بعد ١٠٠ هـ.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي ٥٩٨/٤، وتقريب التهذيب، لابن حجر، ص ٢٨٠.

(٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢٦١/٤)

(٣) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٣٧١/١١).

المطلب الثاني: بعث الناس من القبور وأول من يبعث منهم

أولاً: تعريف البعث في اللغة والاصطلاح:

أما تعريفه في اللغة: فإنه يختلف بحسب ما علق به، فالبعث يطلق ويراد به المعاني الآتية:

الإرسال: يقال: بعث فلاناً، أو أبعثته، أي: أرسله، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى﴾^(١)، معناه: أرسلناه.

البعث من النوم: يقال: بعثه من منامه إذا أيقظه.

الإثارة: وهو أصل البعث، ومنه قيل للناقة بعثتها إذا أثرتها، وكانت قبل باركة.

الإحياء من الله للموتى: ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾^(٢)، أي: أحييناكم^(٣).

وأما تعريفه في الاصطلاح؛ فيراد به إحياء الله ﷻ الأموات وإخراجهم من قبورهم للحساب وللجزاء، كما ذكر الله تعالى: ﴿خَشَعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾^(٥). قال ابن كثير: "البعث هو المعاد وقيام الأرواح والأجساد يوم القيامة"^(٦).

وقال أبو هلال العسكري^(٧): "بعث الخلق اسم لإخراجهم من قبورهم إلى الموقف"^(٨).

(١) سورة الأعراف: الآية ١٠٣.

(٢) سورة البقرة: الآية ٥٦.

(٣) انظر: الصحاح، للجوهري، "بعث" (٢٧٣/١)، ولسان العرب، لابن منظور "بعث" (١١٦/٢-١١٨)، والقاموس المحيط، للفيروز ابادي، "بعث"، ص ١٦٥، وتهديب اللغة، للأزهري "بعث" (٢٠١/٢-٢٠٢)، والمفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، "بعث"، ص ١٣٢-١٣٣.

(٤) سورة القمر: الآية ٧.

(٥) سورة المعارج: الآية ٤٣.

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٩٥/٥).

(٧) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران اللُّعوي، الأديب، ت ٤١١-٤٢٠ هـ، من أشهر مؤلفاته الفروق اللغوية. (انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي ٣٣٨/٩).

(٨) الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، ص ٢٨٩.

وقال السفاريني: "أما البعث فالمراد به المعاد الجسماني فإنه المتبادر عند الإطلاق إذ هو الذي يجب اعتقاده، ويُكفّر منكره"^(١).

وإن الناظر في المعنى الشرعي واللغوي لكلمة البعث ليجد ترابطاً وثيقاً بينهما، إذ من معانيه اللغوية الإرسال والتحريك والإثارة لما كان ساكناً قبل ذلك، والمعنى الشرعي قريب من ذلك وهو أن يرسل الله تعالى الحياة إلى الأموات، ويثيرها من جديد لتمكن من المراد منها، وهو الإسراع من الأحداث إلى موقف الحساب.

ثانياً: صفة الإعادة والبعث بعد الموت:

من خلال تعريف البعث يتبين أنه معاد جسماني، بمعنى أن الأجسام تبعث على هيئتها التي كانت في الدنيا، حيث تعود الأرواح فيها، فيقوم الناس لرب العالمين.

قال ابن القيم: "قد أخبر الله ﷻ أنه يحيي العظام بعد ما صارت رميمًا، وأنه قد علم ما تنقص الأرض من لحوم بني آدم وعظامهم، فيرد ذلك إليهم عند النشأة الثانية، وأنه ينشئ تلك الأجساد بعينها بعد ما بليت نشأه أخرى ويرد إليها تلك الأرواح"^(٢).

وقال ابن أبي العز: "القول الذي عليه السلف وجمهور العقلاء أن الأجسام تنقلب من حال إلى حال، فتستحيل ترابًا، ثم ينشئها الله نشأة أخرى، كما استحال في النشأة الأولى، فإنه كان نطفة، ثم صار علقة، ثم صار مضغة، ثم صار عظامًا ولحمًا، ثم أنشأه خلقًا سويًا، كذلك الإعادة يعيده الله بعد أن يبلى كله إلا عجب الذنب"^(٣).

وقد توالى الأدلة من القرآن والسنة لتؤكد هذا المعنى، فمن القرآن: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾^(٤).

قال الإمام الطبري: "فإذا من صعق عند النفخة التي قبلها، وغيرهم من جميع خلق الله،

(١) لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٥٧)

(٢) مفتاح دار السعادة (٢/ ٣٥).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، ص ٤٠٩.

(٤) سورة الزمر: الآية ٦٨.

الذين كانوا أمواتًا قبل ذلك؛ قيامًا من قبورهم وأماكنهم من الأرض، أحياءً كهيئتهم قبل مماتهم، ينظرون أمر الله فيهم" (١).

ومما يؤكد أن المعاد هو إعادة عين الجسد الأول لا غيره قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٦٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٧﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

ففي هذه الآيات يبين الله تعالى أن جوارح الإنسان هي التي تشهد على صاحبها يوم القيامة، فتنتطق وتخبر بما فعل صاحبها في الدنيا، فمن هنا يعلم يقينًا أنها عين الجسد الأول.

وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: "كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَضَحِكَ، فَقَالَ: "هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟"، قَالَ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: "مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجْزِنِي مِنَ الظُّلْمِ؟"، قَالَ: "يَقُولُ: بَلَى"، قَالَ: "فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي"، قَالَ: "فَيَقُولُ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا"، قَالَ: "فِيُخْتَمَ عَلَىٰ فِيهِ، فَيَقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي"، قَالَ: "فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ"، قَالَ: "ثُمَّ يُحَلِّي بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ"، قَالَ: "فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكِنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكَرْنَا كُنْتُ أَنَا ضِلٌّ" (٣).

وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رضي الله عنه: "ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبَعْتُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ، مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟! فَيُخْتَمَ عَلَىٰ فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخْدِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخْدُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيُعَدِرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ" (٤).

فإذا كانت أعضاء الإنسان سمعه وبصره وجلده ولحمه وعظمه هي التي تتكلم، فلا يبقى شك في قلب كل مؤمن بالله ولقائه أن المعاد هو عين إعادة الجسد الأول.

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن (٢١/٣٣٤).

(٢) سورة فصلت: الآيات ١٩ - ٢٢.

(٣) صحيح مسلم (٤/٢٢٨٠)، كتاب الزهد والرقائق، باب منه، حديث ٢٩٦٩.

(٤) صحيح مسلم (٤/٢٢٨٠)، كتاب الزهد والرقائق، باب منه، حديث ٢٩٦٨.

ومثل دلالة هذا الحديث على بعث الأبدان، ما رواه البخاري ومسلم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ، قَالَ لِبَنِيهِ: إِذَا أَنَا مِتُّ؛ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اطْحِنُونِي، ثُمَّ ذَرُونِي فِي الرِّيحِ، فَوَاللَّهِ لَئِن قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي، لَيُعَذِّبُنِي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا، فَلَمَّا مَاتَ فَعِلَ بِهِ ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللَّهُ الْأَرْضَ، فَقَالَ: اجْمَعِي مَا فِيكَ مِنْهُ، فَفَعَلْتِ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَيَّ مَا صَنَعْتَ؟، قَالَ: يَا رَبِّ، خَشِيتُكَ، فَغَفَرَ لَهُ"^(١).

"فهذه الأحاديث صريحة في قيام الأجساد التي تحت الأرض استحالت إلى تراب، وتفرقت. وحين يأذن الله بقيامها تقوم لرب العالمين"^(٢).

ولقد أفصح القرآن أشد الإفصاح عن معاد الأبدان الدنيوية، حيث قال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿٦﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾^(٤).

فهذه الآيات تدل على كمال قدرة الله عز وجل على إعادة الخلق، حيث يعيده من التراب كما بدأه أول مرة، فقد أخبرنا صلى الله عليه وسلم أنه ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾^(٥). قال الحسن البصري، ومجاهد^(٦): "كما بدأكم فخلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيئاً، كذلك تعودون يوم القيامة"^(٧).

(١) صحيح البخاري (٤/١٧٦)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، حديث ٣٤٨١، صحيح مسلم (٤/٢١٠٩)، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، حديث ٢٧٥٦.

(٢) انظر: الحياة الآخرة، لغالب عواجي، ص ١٤٩.

(٣) سورة طه: الآية ٥٥.

(٤) سورة نوح: الآيات ١٧-١٨.

(٥) سورة الأعراف: الآية ٢٩.

(٦) هو: أبو الحجاج، مجاهد بن جبر المكي المخزومي مؤلأهم، ت ١٠١ هـ، وقيل: بعدها. (انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، ص ٥٢٠).

(٧) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٧/٢٤٩).

وقال قتادة^(١): "بدأهم من التراب وإلى التراب يعودون، كما قال تعالى: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ
وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾"^(٢)»^(٣).

وقال ابن حزم: "اتَّفَقَ جَمِيعُ أَهْلِ الْقِبْلَةِ عَلَى تَنَابُذِ فِرْقِهِمْ عَلَى الْقَوْلِ بِالْبَعْثِ فِي الْقِيَامَةِ،
وَعَلَى تَكْفِيرِ مَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ، وَمَعْنَى هَذَا الْقَوْلِ أَنَّ لَمَكْتَ النَّاسِ فِي دَارِ الْإِبْتِلَاءِ الَّتِي هِيَ الدُّنْيَا أَمَدًا
يَعْلَمُهُ اللَّهُ ﷻ، فَإِذَا انْتَهَى ذَلِكَ الْأَمَدَ مَاتَ كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ أَحْيَا اللَّهُ ﷻ كُلَّ مَنْ مَاتَ مُدًّا
خَلَقَ اللَّهُ ﷻ الْحَيَوَانَ إِلَى انْقِضَاءِ الْأَجْلِ الْمَذْكُورِ، وَرَدَّ أَرْوَاحَهُمُ الَّتِي كَانَتْ بِأَعْيَانِهَا، وَجَمَعَهُمْ فِي
مَوْقِفٍ وَاحِدٍ، وَحَاسِبَهُمْ عَنْ جَمِيعِ أَعْمَالِهِمْ، وَوَقَّاهُمْ جَزَاءَهُمْ، فَفَرِيقٌ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي الْجَنَّةِ،
وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ، وَبِهَذَا جَاءَ الْقُرْآنُ وَالسُّنَنُ"^(٤).

ومما يؤكد أن البعث جسمانيًا وروحيًا على حدٍّ سواء ما قاله محمد رشيد رضا: "ولو كان
البعث للأرواح وحدها لنقص من ملكوت الله تعالى هذا النوع الكريم المكرم من الخلق، المؤلف من
روح وجسد، فهو يدرك اللذات الروحية واللذات الجسمانية، ويتحقق بحكم الله وأسرار صنعه فيهما
معًا، من حيث حرم الحيوان والنبات من الأولى، والملائكة من الثانية"^(٥).

وفي الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "تَمَّ يُنَزَّلُ اللَّهُ مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ، لَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا، وَهُوَ
عَجْبُ الذَّنْبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"^(٦).

وفي رواية لمسلم: "كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلَّا عَجْبَ الذَّنْبِ مِنْهُ خَلِقَ وَفِيهِ
يُرَكَّبُ"^(٧).

وفي رواية أخرى له: "إِنَّ فِي الْإِنْسَانِ عَظْمًا، لَا تَأْكُلُهُ الْأَرْضُ أَبَدًا، فِيهِ يُرَكَّبُ يَوْمَ

(١) هو: أَبُو الْحَطَّابِ، قَتَادَةُ بْنُ دِعَامَةَ السَّدُوسِيُّ، الْبَصْرِيُّ، مَاتَ سَنَةَ بَضْعَ عَشْرَةَ. (انظر: تقريب التهذيب، ص ٤٥٣).

(٢) سورة الأعراف: الآية ٢٢.

(٣) مجموع الفتاوى (١٧/٢٥٠).

(٤) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/٦٦).

(٥) الوحي المحمدي، ص ١٢٩.

(٦) صحيح البخاري (٦/١٦٥)، كتاب التفسير، باب ﴿يَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾، حديث ٤٩٣٥، صحيح

مسلم (٤/٢٢٧٠)، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين، حديث ٢٩٥٥.

(٧) صحيح مسلم (٤/٢٢٧٠)، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين، حديث ٢٩٥٥.

الْقِيَامَةِ"، قَالُوا: أَيُّ عَظْمٍ هُوَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: "عَجْبُ الذَّنْبِ"^(١).

قلت: في هذا الحديث فوائد:

الأولى: معنى "عَجْبُ الذَّنْبِ": "العظم اللطيف الذي في أسفل الصُّلْبِ، وهو رأس

العُصْعُصِ، وهو أول ما يخلق من الآدمي، وهو الذي يبقى منه ليعاد تركيب الخلق عليه"^(٢).

الثانية: "فيه أن عجب الذنب لا يبلى ولا تأكله الأرض بل يبقى على حاله وإن بلى

جميع جسد الميت"^(٣).

الثالثة: ما الحكمة في أن الله ﷻ يُبْقِي لِلْإِنْسَانِ أَثْرًا لَا يَبْلَى بَعْدَ مَوْتِهِ؟

ويجب عن ذلك ابنُ عَقِيلٍ^(٤)، قال: "وفي هذا سر لا يعلمه إلا الله؛ لأن من يظهر

الوجود من العدم لا يحتاج إلى شيء يبني عليه، ويُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ جُعَلْ عِلْمًا لِلْمَلَائِكَةِ

على إحياء كل إنسان بجوهره، ولا يحصل العلم للملائكة بذلك إلا بإبقاء عظم كل شخص،

ليُعلم أنه إنما أراد بذلك إعادة الأرواح إلى تلك الأعيان التي هي جزء منها، ولولا إبقاء شيء

منها لجوّزت الملائكة أن إعادة إلى أمثال الأجساد لا إلى نفس الأجساد"^(٥).

الرابعة: قال الإمام العيني: "ما الحكمة في تخصيص العجب بعدم البلى دون غيره؟

والجواب: لأن أصل الخلق منه ومنه يركب، وهو قاعدة بدء الإنسان وأسه الذي يبني عليه، فهو

أصلب من الجميع كقاعدة الجدار"^(٦).

الخامسة: قوله "يَأْكُلُهُ التُّرَابُ": "يَحْتَمَلُ أَنْ تَعْدَمَ أَجْزَاؤُهُ بِالْكُلِّيَّةِ، وَيَحْتَمَلُ أَنَّهَا بَاقِيَةٌ لَكِنْ زَالَتْ

أعراضها المعهودة، وكلا الاحتمالين جائزان؛ إذ إنه لم يدل قاطع سمعي على نفي أحدهما، فلا يبعد أن

(١) صحيح مسلم (٤/ ٢٢٧٠)، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين، حديث ٢٩٥٥.

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم (١٨/ ٩٢)، وفتح الباري، لابن حجر (٨/ ٥٥٢).

(٣) طرح التثريب في شرح التثريب، للعراقي (٣/ ٣٠٨).

(٤) هو: أَبُو الْوَفَاءِ، عَلِيُّ بْنُ عَقِيلِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَغْدَادِيِّ، الطَّفَرِيُّ، الْحَنْبَلِيُّ، يَعْرِفُ بِابْنِ عَقِيلٍ: عَالِمُ

العراق وشيخ الحنابلة ببغداد في وقته، ت ٥١٣هـ، وله تصانيف أعظمها: "كتاب الفنون"، وهو في أربعمئة جزء، وقد

بقيت منه أجزاء. (انظر: سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٤٣، وتاريخ الإسلام، للذهبي ١١/ ٢٠٣، والأعلام، للزركلي ٤/ ٣١٣).

(٥) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٨/ ٥٥٢)، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني (١٩/ ١٤٦).

(٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٩/ ١٤٦)، وانظر: تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، للسيوطي (١/ ١٨٦)،

وفتح الباري، لابن حجر (٨/ ٥٥٣).

تصير أجسام العباد على صفة أجسام التراب، ثم تعاد بتركيبها إلى ما عهد، ولا يحيل أن يعدم منها شيء ثم يعاد"^(١).

السادسة: قوله "كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ": هذا خطاب عام، يستثنى ويخص منه الأنبياء، فإن الأرض لا تأكل أجسامهم الكريمة^(٢)، ففي حديثِ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ أَفْضَلَ أَيَّامِكُمْ يَوْمُ الْجُمُعَةِ...، فَكَثُرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتِكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ..."، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ تُعْرَضُ عَلَيْكَ صَلَاتُنَا وَقَدْ أُرْمَتْ؟ - يَعْنِي وَقَدْ بَلَيْتَ، قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ ﻻ يَأْكُلُ حَرَمَ عَلَيَّ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ"^(٣).

"وقد استثنى ابن عبد البر الشهداء مع الأنبياء.

وأما القاضي عياض فاقصر على قوله: "وكثير من الشهداء"، فدلَّ على أنه يرى أن بعض الشهداء قد تأكل الأرض جسده.

وأما أبو العباس القرطبي؛ فقد ضم أيضًا إلى الأنبياء والشهداء المؤذَنَ المحتسب.

وأما المناوي^(٤) فقد جعلهم نحو عشرة أصناف، منهم الأنبياء والشهداء والصدّيقين والعلماء العاملين والمؤذَنَ المحتسب وحامل القرآن^(٥).

لكن الدكتور عبد الكريم الخضير^(٦) ردَّ هذه الأصناف، باستثناء الأنبياء، قائلاً: "هذا معارض لعموم قوله "كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ"، فإخراج أمثال هؤلاء من هذا العموم يحتاج

(١) انظر: طرح التثريب في شرح التقريب، للعراقي (٣/٣٠٨)، وفتح الباري، لابن حجر (٥٥٣/٨).

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم (١٨/٩٢)، وفتح الباري، لابن حجر (٥٥٢/٨).

(٣) سبق تخريجه، ص ١١٨.

(٤) هو: زين الدين، محمد عبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، ت ١٠٣١هـ، ومن أشهر مؤلفاته: فيض القدير شرح الجامع الصغير. (انظر: خلاصة الأثر، للمحبي ٤١٢/٢-٤١٦).

(٥) انظر: طرح التثريب في شرح التقريب، للعراقي (٣/٣٠٨)، وإكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض (٨/٢٥٨)، وفتح الباري، لابن حجر (٥٥٣/٨)، وعمدة القاري، للعيني (١٩/١٤٦)، وفيض القدير، للمناوي (٥/٩).

(٦) هو: أبو محمد، عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن الخضير، ولد في بُرَيْدَةَ بالمملكة العربية السعودية سنة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م، وكان عضو هيئة التدريس في قسم السنة وعلومها في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض إلى أن تقاعد مبكرًا سنة ١٤٢٤هـ، وهو عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة منذ سنة ١٤٣٠هـ. (انظر: الموقع الرسمي للشيخ على شبكة الإنترنت: <http://shkhudheir.com>).

إلى دليل؛ لأن ذلك من مسائل الغيب"^(١).

قلت: أما الأنبياء فلا خلاف فيهم، وذلك للحديث السابق الثابت، أما باقي الأصناف فلم يرد في ذكرهم حديث صحيح، سوى ما جاء في بيان بعض كرامات الشهداء عامة، وشهداء أحدٍ خاصةً، كعبد الله بن حرام^(٢)، وهذا من باب الكرامة لبعض الناس دون بعض، سواء أكانوا من الأصناف المذكورة أم من غيرهم، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(٣).

الفائدة السابعة: قوله "وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ": "فيه أن الإيمان بالمعاد الجسماني واجب، وجحده كفر"^(٤).

ثالثاً: ذكر أول من يبعث من الناس:

لقد دلت النصوص الثابتة والصريحة أن نبينا محمداً ﷺ هو أول من تشق عنه الأرض،

(١) انظر: دروس مفرغة لشرح موطأ مالك، لعبد الكريم الخضير، رقم الدرس ٤٨، وهي موجودة على الموقع الرسمي للشيخ على شبكة الإنترنت: <http://shkhudheir.com>.

(٢) هو: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ حَرَامِ بْنِ الْحَزْجِ الْأَنْصَارِيِّ، السُّلَمِيُّ، أَبُو جَابِرٍ، أَحَدُ الثَّقَبَاءِ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ، شَهِدَ بَدْرًا، وَاسْتَشْهَدَ يَوْمَ أُحُدٍ. (انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي ٣٢٤/١، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر ١٦٢/٤).

قلت: وقد ظهرت لعبد الله بن حرام كرامتان، إحداها بعد استشهاده بستة أشهر، والأخرى في خلافة معاوية رضي الله عنه، فلم تأكل الأرض جسده، ولم يتغير، ففي صحيح البخاري، عن جابر رضي الله عنه، قَالَ: "لَمَّا حَضَرَ أُحُدُ دَعَانِي أَبِي مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: مَا أَرَانِي إِلَّا مَقْتُولًا فِي أَوَّلِ مَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ... فَأَصْبَحْنَا فَكَانَ أَوَّلَ قَتِيلٍ، وَدُفِنَ مَعَهُ آخِرُ فِي قَبْرِ، ثُمَّ لَمْ تَطْبُ نَفْسِي أَنْ أَتْرُكَهُ مَعَ الْآخِرِ فَاسْتَحْرَجْتُهُ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ، فَإِذَا هُوَ كَيَوْمِ وَضَعْتُهُ هُنَيْئَةً غَيْرَ أُذُنِهِ"، وفي رواية أبي داود، قال: "فَمَا أَنْكَرْتُ مِنْهُ شَيْئًا إِلَّا شُعَيْرَاتٍ كُنَّ فِي لِحْيَتِهِ مِمَّا يَلِي الْأَرْضَ"، وفي رواية الإمام أحمد، قال: "فَبَيْنَمَا أَنَا فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، إِذْ جَاءَنِي رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَقَدْ أَتَاكَ أَبَاكَ عُمَالُ مُعَاوِيَةَ، فَبَدَأَ فَخَرَجَ طَائِفَةً مِنْهُ، فَأَتَيْتُهُ فَوَجَدْتُهُ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي دَفَنْتُهُ لَمْ يَتَغَيَّرْ إِلَّا مَا لَمْ يَدَعِ الْقَتْلُ أَوْ الْقَتِيلُ فَوَارِثُهُ". (انظر: صحيح البخاري ٩٣/٢، كتاب الجنائز، باب هل يخرج الميت من القبر واللحد لعله، حديث ١٣٥١، وسنن أبي داود ٢١١/٣، كتاب الجنائز، باب في تحويل الميت من موضعه للأمر يحدث، حديث ٣٢٣٤، ومسند أحمد ٤١٩/٢٣، حديث ١٥٢٨١).

(٣) سورة الجمعة: الآية ٤.

(٤) انظر: طرح التثريب في شرح التثريب، للعراقي (٣٠٩/٣).

وهو أول من يبعث من الناس يوم القيامة، ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَنَا سَيِّدُ وُلْدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ"^(١).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ"، قَالَ: "ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ، أَوْ فِي أَوَّلِ مَنْ بُعِثَ"^(٢).

وفي رواية قَالَ ﷺ: "فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ"^(٣)، وفي رواية للبخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ"^(٤).

فأفادت هذه الروايات أن نبينا ﷺ هو أول من ينشق عنه القبر، وأول من يبعث يوم القيامة، وهذا إكرام وتفضيل من الخالق ﷻ لنبينا ﷺ على سائر الخلق.



(١) صحيح مسلم (٤/١٧٨٢)، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق، حديث ٢٢٧٨.
(٢) صحيح البخاري (٤/١٥٩)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ يُوسُفَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، حديث ٣٤١٤، صحيح مسلم (٤/١٨٤٣)، كتاب الفضائل، باب مِنْ فَضَائِلِ مُوسَى ﷺ، حديث ٢٣٧٣.
(٣) صحيح البخاري (٣/١٢٠)، كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الإشخاص والخصومة بين المسلم واليهود، حديث ٢٤١١، صحيح مسلم (٤/١٨٤٣)، كتاب الفضائل، باب مِنْ فَضَائِلِ مُوسَى ﷺ، حديث ٢٣٧٣.
(٤) صحيح البخاري (٣/١٢١)، كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الإشخاص والخصومة بين المسلم واليهود، حديث ٢٤١٢.

المطلب الثالث: بعث الناس على أعمالهم ونياتهم

لقد بيّن المصطفى ﷺ في أكثر من مناسبة أن الناس يوم القيامة يبعثون على أعمالهم ونياتهم، وإليك جملة من الأحاديث التي تبين ذلك:

أخرج الإمام مسلمٌ في صحيحه من حديث جابرٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: "يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ"^(١).

قال الإمام النووي: "معناه يبعث على الحالة التي مات عليها"^(٢).

قلت: فينبغي على كل عاقل أن يحسن الظن بالله وَعَلَيْكُمْ في كل لحظة، لا سيما عند الموت؛ كي يكتب له خاتمة حسنة، فيبعث على ذلك، فقد أخرج الإمام مسلم من حديث جابرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، يَقُولُ: "لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ وَعَلَيْكُمْ"^(٣).

قال الإمام النووي: "قال العلماء: معنى حسن الظن بالله تعالى؛ أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه، قالوا: وفي حالة الصحة يكون خائفاً راجياً، ويكونان سواء، وقيل: يكون الخوف أرجح، فإذا دنت أمارات الموت غلب الرجاء أو محضه؛ لأن مقصود الخوف الانكفاف عن المعاصي والقبائح، والحرص على الإكثار من الطاعات والأعمال، وقد تعذر ذلك أو معظمه في هذه الحال، فاستحب إحسان الظن المتضمن للافتقار إلى الله تعالى والإذعان له"^(٤).

وينبغي لكل ذي لبّ الحرص والإقبال على الطاعة قبل مباغته الموت، فإن ذلك من علامات محبة الربّ سُبْحَانَهُ إياه، فقد أخرج الإمام الترمذي^(٥)، والإمام أحمد^(٦)، والحاكم^(٧)، من حديث أنسٍ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ"، فَقِيلَ: كَيْفَ

(١) صحيح مسلم (٤/٢٢٠٦)، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى، حديث ٢٨٧٨.

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم (١٧/٢١٠).

(٣) صحيح مسلم (٤/٢٢٠٦)، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى، حديث ٢٨٧٧.


(٤) انظر: شرح النووي على مسلم (١٧/٢١٠).

(٥) جامع الترمذي (٤/٤٥٠)، كتاب القدر، باب ما جاء أن الله كتب كتاباً لأهل الجنة وأهل النار، حديث ٢١٤٢.

(٦) مسند أحمد (١٩/٩٣)، حديث ١٢٠٣٦.

(٧) المستدرک علی الصحیحین (١/٣٣٩)، حديث ١٢٠٣.

يَسْتَعْمَلُهُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "يُؤَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ الْمَوْتِ"^(١).

ولعمركم الله؛ إِنَّ المحرَّومَ من حُرْمِ التوفيقِ والهدايةِ وحُسنِ الخاتمةِ، لأنَّ الأعمالَ بالخواتيمِ.
قال ابنُ رجبِ الحنبليُّ: "الناس على أقسام: فمنهم من لا يُوفَّقُ لتوبةِ نصح، بل يُيسَّرُ له عمل السيئات من أول عمره إلى آخره، حتى يموت مصرًّا عليها، وهذه حالة الأشقياء، وأقبح من ذلك من يُيسَّرُ له في أول عمره عمل الطاعات، ثم خُتم له بعمل سيء حتى مات عليه، فما أصعب الانتقال من البصر إلى العمى، وأصعب منه الضلالة بعد الهدى، والمعصية بعد التقى، كم من وجوه خاشعة وقع على قصص أعمالها: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾  تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾^(٢)، كم من شارف مركبه ساحل النجاة فلمَّا همَّ أن يرقى لعب به موج الهوى فغرق، ومنهم قسم يُفني عمره في الغفلة والبطالة، ثمَّ يوفَّقُ لعمل صالح فيموت عليه"^(٣). نسأل الله السلامة وحسن الخاتمة.

وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا"^(٤).

وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: "إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمْنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمْنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ"^(٥).

هذا وقد يُخطئ البعض في فهم هذا الحديث، فينسب الظلم إلى الله تعالى، بأنه كيف يُدخل عبداً النار بسبب معصية اقترفها في آخر عمره مع أنَّ معظم أيام دهره كانت حسنات؟

(١) قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح"، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي. (انظر: جامع الترمذي ٤/٤٥٠، حديث ٢١٤٢، المستدرک على الصحيحين، للحاكم، مع التلخيص، للذهبي ٣٣٩/١، حديث ١٢٠٣)

(٢) سورة الغاشية: الآيتان ٣-٤.

(٣) انظر: لطائف المعارف، ص ٣٤٠.

(٤) سبق تخريجه، ص ٨٥.

(٥) سبق تخريجه، ص ٨٥.

وَأَنَّ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ تَعَارِضُ قَوْلَ اللَّهِ ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾^(١).

ويجاب عن هذه الشبهة بما قاله ابنُ رجب الحنبليُّ: "بأنَّ خاتمةَ السُّوء تكون بسبب دسيسة باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس، إما من جهة عمل سيئ ونحو ذلك، فتلك الخصلة الخفية توجب سوء الخاتمة عند الموت، وفي الجملة فالخواتيم ميراث السوابق، وكل ذلك سبق في الكتاب السابق، ومن هنا كان يشتد خوف السلف من سوء الخواتيم، ومنهم من كان يقلق من ذكر السوابق"^(٢).

وبما قاله الخطَّابي^(٣): إِنَّ الْأَعْمَالَ حَسَنَهَا وَسَيِّئَهَا أَمَارَاتٌ، وَليست بموجبات، وَإِنَّ مَصِيرَ الْأُمُورِ فِي الْعَاقِبَةِ إِلَى مَا سَبَقَ بِهِ الْقَضَاءُ، وَجَرَى بِهِ الْقَدْرُ فِي الْإِبْتِدَاءِ"^(٤).

ومن جملة الأحاديث التي تدل على أن المرء يبعث على ما مات عليه؛ ما أخرجه الإمام البخاريُّ في صحيحه، من حديث عائشة رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "يَغْزُو جَيْشُ الْكَعْبَةِ، فَإِذَا كَانُوا بَيْدَاءَ"^(٥) مِنَ الْأَرْضِ يُخَسَفُ بِأَوْلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، كَيْفَ يُخَسَفُ بِأَوْلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، وَفِيهِمْ أَسْوَأُهُمْ^(٦)، وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟! قَالَ: "يُخَسَفُ بِأَوْلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ"^(٧).

(١) سورة الكهف: الآية ٣٠.

(٢) جامع العلوم والحكم، ص ٥٧.

(٣) هو: أبو سليمان محمد بن محمد بن إبراهيم البستي، المعروف بالخطَّابي، ت ٣٨٨هـ، ومن أشهر مؤلفاته: معالم السنن، وأعلام الحديث. (انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي ٦٣٢/٨).

(٤) انظر: معالم السنن، للخطَّابي (٣١٨/٤).

(٥) قال ابن الأثير: "الْبَيْدَاءُ: الْمَفَازَةُ الَّتِي لَا شَيْءَ بِهَا، وَقَدْ تَكَرَّرَ ذِكْرُهَا فِي الْحَدِيثِ، وَهِيَ هَاهُنَا اسْمٌ مَوْضِعٍ مَخْصُوصٍ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، وَأَكْثَرُ مَا تَرُدُّ وَيُرَادُ بِهَا هَذِهِ"، وقال ابن حجر: "الْبَيْدَاءُ: مَكَانٌ مَعْرُوفٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ". (انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ١/١٧١، وفتح الباري، ٤/٣٤٠).

(٦) أَسْوَأُهُمْ: جَمْعُ سُوقٍ، وَالْمُرَادُ بِالْأَسْوَأِ أَهْلِهَا، أَوْ السُّوقَةُ مِنْهُمْ، أَيِ يُخَسَفُ بِالْمَقَاتِلَةِ مِنْهُمْ، وَمَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْقِتَالِ كَالْبَاعَةِ. (انظر: المرجع نفسه، ٤/٣٤١).

(٧) صحيح البخاري (٦٥/٣)، كتاب البيوع، باب ما ذكر في الأسواق، حديث ٢١١٨.

"فالحاصل أنه لا يلزم من الاشتراك في الموت الاشتراك في الثواب أو العقاب، بل يُجَازَى كلُّ أحدٍ بعمله على حسب نيته"^(١).

وفي روايةٍ لمسلمٍ، قالت عائشةُ رضي الله عنها: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الطَّرِيقَ قَدْ يَجْمَعُ النَّاسَ، قَالَ: "نَعَمْ، فِيهِمُ الْمُسْتَبْصِرُ"^(٢)، وَالْمَجْبُورُ"^(٣)، وَابْنُ السَّبِيلِ"^(٤)، يَهْلِكُونَ مَهْلَكًا وَاحِدًا"^(٥)، وَيَصْدُرُونَ مَصَادِرَ شَتَّى"^(٦)، يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ"^(٧).

وفي روايةٍ أخرى لمسلمٍ، من حديثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، قالت: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَكَيْفَ بِمَنْ كَانَ كَارِهًا؟ قَالَ: "يُخَسَفُ بِهِ مَعَهُمْ، وَلَكِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى نِيَّتِهِ"^(٨).

فالكل يبعث على نيته التي مات عليها؛ لأن النية هي أساس الأعمال، قال ابن حجر والعيبي: "إِنَّ الْأَعْمَالَ تُعْتَبَرُ بِنِيَّةِ الْعَامِلِ"^(٩).

ومنها ما جاء في الصحيحين من حديثِ ابْنِ عُمرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِقَوْمٍ عَذَابًا أَصَابَ الْعَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ ثُمَّ بُعِثُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ"^(١٠).

قال ابن حجر: "أَيُّ بُعِثَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى حَسَبِ عَمَلِهِ، إِنْ كَانَ صَالِحًا؛ فَعَقِبَاهُ صَالِحًا، وَإِلَّا فَسَيِّئًا، فَيَكُونُ ذَلِكَ الْعَذَابُ طَهْرَةً لِلصَّالِحِينَ، وَنَقْمَةً عَلَى الْفَاسِقِينَ"^(١١).

(١) فتح الباري، لابن حجر (١٣ / ٦١).

(٢) الْمُسْتَبْصِرُ: المستبين لذلك القاصد له عمدًا. (انظر: شرح النووي على مسلم، ٧/١٨).

(٣) الْمَجْبُورُ: هو المكروه، يُقَالُ أَجْبَرْتَهُ فَهُوَ مُجْبَرٌ، وَيُقَالُ أَيْضًا: جَبَرْتَهُ فَهُوَ مُجْبَرٌ. (انظر: المرجع نفسه ٧/١٨).

(٤) ابْنُ السَّبِيلِ: المراد به سالك الطريق معهم، وليس منهم. (انظر: المرجع نفسه ٧/١٨).

(٥) أي: يقع الهلاك في الدنيا على جميعهم. (انظر: المرجع نفسه ٧/١٨).

(٦) أي: يبعثون مختلفين على قدر نياتهم؛ فيجازون بحسبها. (انظر: المرجع نفسه ٧/١٨).

(٧) صحيح مسلم (٤/٢٢١٠)، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت، حديث ٢٨٨٤.

(٨) صحيح مسلم (٤/٢٢١٠)، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت، حديث ٢٨٨٢.

(٩) فتح الباري، لابن حجر (٤/٣٤١)، عمدة القاري، للعيبي (١١/٢٣٧).

(١٠) صحيح البخاري (٩/٥٦)، كتاب الفتن، باب إذا أنزل الله بقوم عذابًا، حديث ٧١٠٨، وصحيح مسلم

(٤/٢٢٠٦)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، حديث ٢٨٧٩.

(١١) فتح الباري (١٣/٦٠).

وقال أيضاً: "وأما بعثهم على أعمالهم فحكم عدل؛ لأن أعمالهم الصالحة إنما يجازون بها في الآخرة، وأما في الدنيا فمهما أصابهم من بلاء كان تكفيراً لما قدموه من عمل سيئ" (١).
ومنها ما أخرجه الشيخان في صحيحَيْهِمَا، من حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما، قال: بَيْنَمَا رَجُلٌ وَقِفٌ بِعَرَفَةَ إِذْ وَقَعَ عَنْ رَاحِلَتِهِ فَوَقَصَتْهُ، أَوْ قَالَ فَأَوْقَصَتْهُ (٢)، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفَّنُوهُ فِي ثَوْبَيْنِ، وَلَا تُحَنِّطُوهُ، وَلَا تُحَمِّرُوا رَأْسَهُ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبَّيًّا" (٣).

قال ابن بطال، والعيئي: "فيه دليلٌ أنّ من شرع في عملٍ من الطاعات، وصحت فيه نيته، وحال بينه وبين تمامه الموت؛ فإن الرجاء قوي أنّ الله قد كتبه في الآخرة من أهل ذلك العمل، وتقبله منه، ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (٤) (٥).

وقال الإمام النووي: "والمعنى: أنه يحشر يوم القيامة على هيئته التي مات عليها؛ ليكون ذلك علامة لحجه، وهي دلالة الفضيلة كما يجيء الشهيد يوم القيامة وأوداجه تشخب دمًا" (٦).

قلت: ويؤيد هذا المراد، الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم -واللفظ له-، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: "لَا يَكَلِّمُ (٧) أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ

(١) فتح الباري (٦١/١٣).

(٢) الوُفُصُ: كَسْرُ الْعُنُقِ. (كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي ٣٥٧/٢، وعمدة القاري ٥٠/٨).

(٣) صحيح البخاري (١٧/٣)، كتاب الجنائز، باب المحرم يموت بعرفة، حديث ١٨٤٩، وصحيح مسلم (٨٦٥/٢)، كتاب الحج، باب ما يفعل المحرم إذا مات، حديث ١٢٠٦.

(٤) سورة النساء: الآية ١٠٠.

(٥) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٥٢٣/٤)، وعمدة القاري، للعيني (٥٢/٨).

(٦) شرح النووي على مسلم (١٣٠/٨).

(٧) أي: يُجْرَخُ. (المرجع نفسه ٢١/١٣).

يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ^(١)، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَشَعْبُ^(٢)، اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، وَالرَّيْحُ رِيحُ
مِسْكِ^(٣).

فهذا الشهيد، وذاك الجريح اللذان أصيبا في سبيل الله، يبعثان يوم القيامة وجراحهما
تنزف كأول ما أصيبا به، شاهداً لهما عند الله ﷻ.
قال العراقي^(٤): "فيه أن المجروح في سبيل الله يجيء يوم القيامة على هيئته حالة الجراحة،
وظاهره أنه لا فرق في ذلك بين أن يستشهد أو تبرأ جراحته، والحكمة في ذلك أن يكون معه
شاهد فضيلته، وبذله نفسه في طاعة الله تعالى"^(٥).



(١) قال الإمام النووي: "هذا تنبيه على الإخلاص في الغزو، وأن الثواب المذكور فيه إنما هو لمن أخلص فيه، وقاتل لتكون
كلمة الله هي العليا". (المرجع نفسه، ٢٢/١٣).
(٢) معناه: يجري متفجراً، أي كثيراً. (المرجع نفسه، ٢٢/١٣).
(٣) صحيح البخاري (٩٦/٧)، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، حديث ٥٥٣٣، وصحيح مسلم (١٤٩٦/٣)،
كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، حديث ١٨٧٦.
(٤) هو: الشيخ أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، ت ٨٠٦ هـ، ومن أشهر مؤلفاته: "تقريب
الأسانيد"، و"طرح التثريب في شرح التقريب". (انظر: الضوء اللامع، للسخاوي ٤/١٧١).
(٥) طرح التثريب في شرح التقريب (٢٠٠/٧).

الفصل الثاني

الحشر وأهواله

المبحث الأول: الحشر وصفة الناس فيه.

المبحث الثاني: اتباع الأمم يوم الحشر.

المبحث الثالث: الأهوال وأحوال الناس فيها.

المبحث الأول

الحشر وصفة الناس فيه

المطلب الأول: أرض المحشر ومكان الناس فيه.

المطلب الثاني: صفة الناس يوم الحشر.

المطلب الثالث: التفاضل بين الأمم والعباد يوم الحشر.

المطلب الأول: أرض المحشر ومكان الناس فيه

أولاً: تعريف الحشر:

الحشر في اللغة: بمعنى الحشد، أي الجمع، إلا أن الحشر جمع مع سَوَّقٍ^(١).
وفي الاصطلاح: سَوَّقُ الناس وجمعهم إلى المحشر لحسابهم.

قال ابن حجر في بيان معنى الحشر: إنه "حشر الأموات من قبورهم وغيرها بعد البعث جميعاً إلى الموقف، قال الله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾^(٢)»^(٣).

ثانياً: صفة أرض المحشر:

لقد بيّن الله ﷻ أن هناك أرضاً وموقفاً للحشر غير أرض الدنيا، حيث يقول المولى ﷺ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَتَرَوُنَّ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾^(٤).

ولقد بيّن النبي ﷺ أن أرض الدنيا تُقبض وتزول وتذهب معالمها، كما يحصل للسموات، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٥).

وفي الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: "يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكِ الْأَرْضِ"^(٦).

فأفادت النصوص الكريمة: "أن الأرض والسموات تبدلان وتتغيران يوم القيامة، وفي تقديم تبدل الأرض على السموات حكمة، قال المباركفوري: "تقديم تبديل الأرض؛ لقربانها،

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، "حَشَرٌ" (٦٦/٢).

(٢) سورة الكهف: الآية ٤٧.

(٣) فتح الباري (٣٧٩/١١).

(٤) سورة إبراهيم: الآية ٤٨.

(٥) سورة الزمر: الآية ٦٧.

(٦) صحيح البخاري (١٢٦/٦)، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾، حديث ٤٨١٢، وصحيح مسلم (٢١٤٨/٤)، كتاب القيامة وصفة الجنة والنار، حديث ٢٧٨٧.

ولكون تبديلها أعظم أثرًا بالنسبة إلينا^(١).

ولقد جاء في السنة المطهرة أيضًا ما يؤكد تبدُّل الأرض وتغيُّرها، ففي الصحيحين من حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ، كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ لَيْسَ فِيهَا عِلْمٌ لِأَحَدٍ"^(٢).

ومعنى قوله "عَفْرَاءَ": "من العَفْر، وهو بياض يضرب إلى الحمرة قليلاً"^(٣).

وقوله "كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ": "تشبيهه بها في اللون والشكل دون القدر، والنقي: الدقيق المنحول المنظف الذي يتخذ منه الحوَّارى^(٤)"^(٥)، "ويكون تشبيه لونها بها وهي عفراء، لما غيرت النار من بياض وجهها إلى الحمرة"^(٦).

وقوله "لَيْسَ فِيهَا عِلْمٌ لِأَحَدٍ"، أي: علامة سكنى أو بناء أو أثر"^(٧).

قال التُّورِبِشْتِيُّ^(٨): "يريد أنَّ ما أحدثه الخلق على وجه الأرض من الأبنية وغيرها يُزال عنها بالتسوية وتبديل صفات الأرض"^(٩).

وقال الطيبيُّ: "ولعل الظاهر أن ذلك تعريض بأرض الدنيا، وتخصيص كلِّ من ملائكتها بقطعٍ منها أعلم عليها، على نحو قوله تعالى: ﴿لَمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾"^(١٠)"^(١١).

(١) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي (٤٣٥/٨).

(٢) صحيح البخاري (١٠٩/٨)، كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة، حديث ٦٥٢١، وصحيح مسلم

(٤/٢١٥٠)، كتاب القيامة والجنة والنار، باب في البعث والنشور وصيغة الأرض يوم القيامة، حديث ٢٧٩٠.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض (٣٢٢/٨).

(٤) الحوَّارى: الدقيق الأبيض، وهو لباب الدقيق. (انظر: المعجم الوسيط "حور"، ص ٢٠٦).

(٥) الكاشف عن حقائق السنن، شرح المشكاة، للطيبي (٣٤٩٣/١١).

(٦) إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض (٣٢٢/٨).

(٧) المرجع نفسه (٣٢٢/٨).

(٨) أبو عبد الله فضل الله بن الحسن التُّورِبِشْتِيُّ، مُحدث فقيه من أهل شيراز، شرح مصابيح البعويِّ شرحًا حسنًا،

ت ٦٦٠هـ. (طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي ٣٤٩/٨).

(٩) الميسر في شرح مصابيح السنة (١١٨٧/٤).

(١٠) سورة غافر: الآية ١٦.

(١١) الكاشف عن حقائق السنن (٣٤٩٣/١١).

وقال العيني: "فيه أَنَّ أَرْضَ الدُّنْيَا اضمحلَّت وأُعدمت، وأَرْضَ الموقِفِ بَحَدَّتْ" (١).
 وقال ابنُ أبي جمرَةَ (٢): "فيه أَنَّ أَرْضَ الموقِفِ أكبرُ من هذه الأَرْضِ الموجودةِ جَدًّا" (٣).
 فظاهر الحديث يفيد تبديلها وتغييرها، وأنها أرض أخرى غير هذه الأرض، وصفتها أنها
 بيضاء نقية كالفضة، وهو ظاهر قول ابن مسعودٍ رضي الله عنه: "بُدِّلُ أَرْضًا بِيضَاءَ نَقِيَّةٍ كَأَنَّهَا فَضَّةٌ، لَمْ
 يُسْفَكْ فِيهَا دَمٌ حَرَامٌ، وَلَمْ يُعْمَلْ فِيهَا خَطِيئَةٌ" (٤)، وقول أنسٍ رضي الله عنه: "يُدِّلُّهَا اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَرْضٍ
 مِنْ فَضَّةٍ لَمْ يُعْمَلْ عَلَيْهَا الْخَطَايَا، يَنْزِلُهَا الْجَبَّارُ تَبَارَكَ تَعَالَى" (٥).

أما عن الحكمة من تبديل الأرض إلى أرضٍ بيضاء نقية؛ فقد قال ابنُ أبي جمرَةَ: "إِنَّ
 ذَلِكَ الْيَوْمَ يَوْمٌ عَدْلٍ وَظَهْوَرِ حَقٍّ، فَاقْتَضَتْ الْحِكْمَةَ أَنْ يَكُونَ الْمَحَلُّ الَّذِي يَقَعُ فِيهِ ذَلِكَ طَاهِرًا
 عَنِ عَمَلِ الْمَعْصِيَةِ وَالظُّلْمِ، وَلِيَكُونَ تَجَلِّيَهُ صلى الله عليه وسلم عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَرْضٍ تَلِيْقُ بِعَظَمَتِهِ، وَلِأَنَّ
 الْحُكْمَ فِيهِ إِنَّمَا يَكُونُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، فَنَاسِبٌ أَنْ يَكُونَ الْمَحَلُّ خَالِصًا لَهُ وَحْدَهُ" (٦).

وأما عن الحكمة من بيان صفة أرض الموقِفِ والمحشر؛ قال ابنُ أبي جمرَةَ: "فيه دليل
 على عظيم القدرة والإعلام بمجزئيات يوم القيامة؛ ليكون السامع على بصيرة، فيخلص نفسه من
 ذلك الهول، لأن في معرفة جزئيات الشيء قبل وقوعه رياضة النفس، وحملها على ما فيه
 خلاصها، بخلاف مجيء الأمر بغتة" (٧).

ومما يشهد أن الأرض تتبدَّلُ وتغيَّرُ يوم الحشر؛ ما جاء في الصحيحين من حديثِ أبي
 سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: "تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْرَةً وَاحِدَةً، يَكْفُوهَا

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٠٤/٢٣).

(٢) هو: أبو محمد، عبد الله بن سعد بن أبي سعيد بن أبي جمرَةَ الأندلسي، ت ٦٩٥هـ، ومن أشهر مؤلفاته: "جمع
 النهاية"، اختصر به صحيح البخاري، ويعرف بمختصر ابن أبي جمرَةَ، و"بُهجة النفوس في شرح جمع النهاية". (الأعلام،
 للزركلي ٤/٨٩).

(٣) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٣٧٥ / ١١).

(٤) تفسير الطبري (٤٦/١٧).

(٥) المرجع نفسه (٤٧/١٧).

(٦) فتح الباري، لابن حجر (٣٧٥ / ١١)، وإرشاد الساري، للقسطلاني (٣٠٣/٩).

(٧) فتح الباري، لابن حجر (٣٧٥ / ١١).

الْجَبَّارُ بِيَدِهِ، كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْرَتَهُ فِي السَّفَرِ، نُزُلًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ"^(١).

قال ابن الأثير: "يَكْفَأُهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ": "يريدُ الخُبْرَةَ التي يصنعها المسافر ويضعها في المِلة، فإنَّها لا تُبْسَطُ كالرُقَاقَةِ، وَإِنَّمَا تُقَلَّبُ عَلَى الأيدي حَتَّى تَسْتَوِيَ"^(٢).

وقال الطيبي: "ومعنى الحديث: أن الله يجعل الأرض كالحبزة والرغيف العظيم، ويكون ذلك طعامًا نزلًا لأهل الجنة، والله على كل شيء قدير"^(٣).

وقال التوربشتي: "ونرى الحديث مشكلاً جدًّا، غير مستكرين شيئًا من صنع الله وعجائب فطرته، بل لعدم التوقيف الذي يكون موجبًا للعلم في قلب جرم الأرض من الطبع الذي عليه إلى طبع المطعوم والمأكول، مع ما ورد في الآثار المنقولة أن هذه الأرض برّها وبحرّها يمتلى نارًا في النشأة الثانية، ويُضَمُّ إلى جهنم؛ فنرى الوجه فيه أن نقول: معنى قوله: حبزة واحدة، أي: كحبزة واحدة من نعتها كذا وكذا، وهو مثل ما في حديث "كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ"، فضرب المثل بقُرْصَةِ النَّقِيِّ لاستدارتها وبياضها، وهنا ضرب المثل بحبزة تشبه الأرض نعتًا وشكلًا ومساحة، فاشتمل الحديث على معنيين: أحدهما بيان الهيئة التي تكون الأرض عليها، والآخر: بيان الحبزة التي يهيئها الله سبحانه نزلًا لأهل الجنة، وبيان عظم مقدارها إبداعًا واختراعًا من القادر الحكيم الذي لا يعجزه أمر ولا يعوزه شيء"^(٤).

وقال البيضاوي^(٥): "لعله ﷺ لم يرد بذلك أَنَّ جِرم الأرض ينقلب حبزة في الشكل والطبع، وإنما أراد به أنها تكون حينئذ بالنسبة إلى ما أعد الله لأهل الجنة كقرصة النقي، يستعجل المضيف بها نزلًا للضيف"^(٦).

(١) صحيح البخاري (١٠٨/٨)، كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة، حديث ٦٥٢٠، وصحيح مسلم

(٢) (٢١٥١/٤)، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب نُزُلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حديث ٢٧٩٢.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، "كَفَأَ" (١٨٣/٤).

(٤) الكاشف عن حقائق السنن (٣٤٩٣/١١).

(٥) الميسر في شرح مصابيح السنة (١١٨٧/٤-١١٨٨).

(٦) هو: ناصر الدين عبدالله بن عمر الشهير بالقاضي البيضاوي، ت ٦٨٥هـ، ومن أشهر مؤلفاته: تحفة الأبرار شرح

مصابيح السنة. (انظر: طبقات الشافعية، للسبكي ١٥٧/٨).

(٦) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة (٣٩٣/٣).

ثالثًا: حقيقة تبديل الأرض يوم القيامة، وصورتها:

قال ابن الجوزي: "اختلف العلماء في معنى تبديل الأرض على قولين:

أحدهما: أنه يُبدلُ صفاتها وأحوالها، تذهب آكامها وجبالها وأوديتها وأشجارها، وتمد

مدَّ الأديم، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

والثاني: أنها تبدل بغيرها، ثم في ذلك أربعة أقوال:

أحدها: أنها تبدل بأرض بيضاء كأنها فضة لم يسفك فيها دم حرام ولم يعمل فيها

خطيئة - وهو حديث الباب -.

والثاني: أنها تبدل نارا، قاله أبي بن كعب رضي الله عنه.

والثالث: تبدل بأرض من فضة، قاله أنس بن مالك رضي الله عنه.

والرابع: تبدل بخبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه، قاله أبو هريرة وسعيد بن

جبير رضي الله عنهما (١).

وقال المباركفوري: "التبديل قد يكون في الذات، وقد يكون في الصفات، والآية تحمل

الأمرين، وبالثاني قال الأكثر (٢).

والحق أن التبديل يكون فيهما معًا لظاهر الأدلة التي أوردتها، ولقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ

عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿٢﴾ لَا تَبْقَى فِيهَا جَبَلٌ وَلَا أَمْتًا ﴿٣﴾

يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿٤﴾ (٣).

ومعنى الآية: "أي: فيترك مواضعها بعد نسفها أرضًا ملساء مستوية، بلا نبات ولا

بناء، ولا انخفاض ولا ارتفاع، فلا تجد مكانًا منخفضًا ولا مرتفعًا، ولا واديًا ولا تلة أو رابية،

حينئذ يتبع الناس داعي الله إلى المحشر، مسارعين إليه كما أمروا، لا مفر لهم من ذلك" (٤).

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٢١٥/٤).

(٢) تحفة الأحوذى (٤٣٥/٨).

(٣) سورة طه: الآيات ١٠٥ - ١٠٨.

(٤) انظر: التفسير المنير، للزحيلي (٢٨٥/١٦).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: أُنِي النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا بِلَحْمٍ، فَقَالَ: "إِنَّ اللَّهَ يَجْمَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأُولِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيَسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ، وَيُنْفِذُهُمُ الْبَصْرَ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ مِنْهُمْ..."^(١). الحديث.

قوله: "فِي" صَعِيدٍ وَاحِدٍ": قال النووي: "أما الصعيد فهو الأرض الواسعة المستوية"^(٢)، وهو نظير قوله تعالى: ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا. وقوله: "فَيَسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ": نظير قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾.

وقوله "وَيُنْفِذُهُمُ الْبَصْرَ": يعني لا يجدون شيئاً يستترون منه، فالبصر محيط بهم من كل جانب، قال النووي: "وأما معناه: قيل: ينفذهم بصر الرحمن ﷻ حتى يأتي عليهم كلهم، وقيل: أراد تخرقهم أبصار الناظرين لاستواء الصعيد، والله تعالى قد أحاط بالناس أولاً وآخرًا، وقيل: معناه أنه يحيط بهم الناظر لا يخفى عليه منهم شيء؛ لاستواء الأرض أي ليس فيها ما يستتر به أحد عن الناظرين، والأصح أنه بصر المخلوق"^(٣).

ولقد أكد الإمام الطبري أن التبديل يكون في الصفات والذات معًا، فقال: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن الأرض تبدل يوم القيامة غيرها، وكذلك السماوات، وجائز أن تكون المبدلة أرضاً أخرى من فضة، وجائز أن تكون نارًا، وجائز أن تكون خبزًا، وجائز أن تكون غير ذلك، ولا خبر في ذلك عندنا من الوجه الذي يجب التسليم له أي ذلك يكون، فلا قول في ذلك يصح إلا ما دلّ عليه ظاهر التنزيل"^(٤).

قلت: وظاهر النصوص أن التبديل في ذاتها لا في صفاتها، كما بينت سابقًا. قال القرطبي: "هذه الأحاديث نص في أن الأرض والسماوات تبدل وتزال، ويخلق الله أرضاً أخرى يكون عليها الناس، لا كما قال كثير من الناس: إن تبدل الأرض عبارة عن تغيير

(١) صحيح البخاري (٤/١٤١)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله: ﴿يَزُقُّونَ﴾، حديث ٣٣٦١، وصحيح مسلم (١٨٤/١)، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة، حديث ١٩٤.
(٢) شرح النووي على مسلم (٦٦/٣).
(٣) المرجع نفسه (٦٦/٣).
(٤) جامع البيان في تأويل آي القرآن الطبري (٥٢/١٧).

صفتها، وتسوية آكامها، ونسف جبالها، ومد أرضها"^(١).

وجمع ابن حجر بين القولين، بأنَّ التغيير في صفات الأرض يكون في مرحلة، والتغيير في ذاتها يكون في مرحلة أخرى، فقال: "فيمكن الجمع بأن ذلك كله - أي من تغيير صفاتها - يقع لأرض الدنيا، لكن أرض الموقف غيرها"^(٢).

وذكر أبو الحسن ابن حيدرَةَ^(٣): "أنَّ تبديل السماوات والأرض يقع مرتين، إحداهما تبدل صفاتها فقط؛ وذلك عند النفخة الأولى، فتشر الكواكب، وتخسف الشمس والقمر، وتصير السماء كالمهل، وتكشط عن الرؤوس، وتسير الجبال، وتموج الأرض، وتنشق إلى أن تصير الهيئة غير الهيئة، ثم بين النفختين تطوى السماء والأرض، وتبدل السماء والأرض"^(٤).

رابعاً: مكان الناس وقت تبديل الأرض والسماوات:

أخرج مسلمٌ في صحيحه، من حديثِ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ ﷻ ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾^(٥)، فَأَيَّنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ، يَا رَسُولَ اللهِ؟، فَقَالَ: "عَلَى الصِّرَاطِ"^(٦).

وفي روايةٍ له عن ثُوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: قَالَ حَبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ: أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ... الْحَدِيثُ"^(٧).

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص ٥٠٣.

(٢) فتح الباري (٣٧٦/١١).

(٣) هو: شَيْثُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ حَيْدَرَةَ، أَبُو الْحَسَنِ الْقِفْطِيُّ، كَانَ زَاهِدًا، وَفَقِيهًا فَاضِلًا، وَنَحْوِيًّا بَارِعًا، ت ٥٩٨هـ.

(٤) الديباج المذهب، لابن فرحون ٤٠٣/١، حسن المحاضرة، للسيوطي ٤٥٤/١، الأعلام، للزركلي ١٨١/٣.

(٥) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٣٧٦/١١). وقد لخصَّ ابن حجر عبارة ابن حيدرَةَ عن كتاب "التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، للقرطبي، ص ٥٠٦".

(٦) سورة إبراهيم: الآية ٤٨.

(٧) صحيح مسلم (٢١٥٠/٤)، كتاب صفة القيامة، باب البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة، حديث ٢٧٩١.

(٧) صحيح مسلم (٢٥٢/١)، كتاب الحيض، باب صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما، حديث ٣١٥.

قوله: "الظُّلْمَةُ دُونَ الْجِسْرِ": المراد به هنا الصراط. قاله النووي^(١).
وقال ابن حجر في قوله "عَلَى الصِّرَاطِ": "مجاز لكونهم يجاوزونه؛ لأنَّ في حديث ثوبان
زيادة يتعين المصير إليها لثبوتها، وكان ذلك عند الزجرة التي تقع عند نقلهم من أرض الدنيا إلى
أرض الموقف، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾^(٢)«(٣)».



(١) شرح النووي على مسلم (٣/٢٢٧).

(٢) سورة الفجر: الآية ٢١.

(٣) فتح الباري (١١/٣٧٦).

المطلب الثاني: صفة الناس يوم الحشر

أولاً: حشرهم حفاة عراة غرلاً مشاة:

ثبت في السنّة المطهرة أنّ الناس يحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلاً مشاة كما ولدتهم أمهاتهم، وهذا من باب إظهار افتقارهم إلى الله ﷻ، ففي الصحيحين من حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةٌ عُرَاةٌ غُرْلًا"، ثُمَّ قَرَأَ ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾^(١)(٢).

وفي روايةٍ لهما- واللفظ للبخاري-، قال: "إِنَّكُمْ مُلَافُو اللَّهِ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُشَاةٌ غُرْلًا"^(٣).

فالروایتان بينتا أن هيئة الناس يوم الحشر، تكون كالاتي:

- حُفَاةٌ: جمع حاف، أي: بلا خف ولا نعل^(٤).

- عُرَاةٌ: جمع عار من الثياب^(٥).

- غُرْلًا: جمع أَعْرَلٌ: وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَخْتَن، وَالْمُرَادُ أَنَّهُمْ يَعَادُونَ كَمَا خُلِقُوا، وَيَقُونَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ؛ لِأَنَّ لَذَّةَ جَمَاعِ الْأَقْلَفِ تَزِيدُ عَلَى لَذَّةِ جَمَاعِ الْمُخْتَنِينَ، فَلَمَّا أَبَانُوا فِي الدُّنْيَا تِلْكَ الْبُضْعَةَ لِأَجْلِهِ، أَعَادَهَا لِيَذِيقَهَا مِنْ حَلَاوَةِ فَضْلِهِ، وَنَعِيمِ جَنَّتِهِ^(٦).

قلت: وتقع هنا فائدة جليلة، وهي أنه من فقد عضوًا من جسده في الدنيا فإنه يردُّ إليه يوم القيامة، كما خلقه ربُّه ﷻ، حتى ما فقد في الحتان، وهو ظاهر في قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾^(٧).

(١) سورة الأنبياء: الآية ١٠٤.

(٢) صحيح البخاري (١٣٩/٤)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾، حديث ٣٣٤٩، وصحيح مسلم (٢١٩٤/٤)، كتاب الجنّة وصفة نعيمها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، حديث ٢٨٦٠.

(٣) صحيح البخاري (١٠٩/٨)، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر، حديث ٦٥٢٤، وصحيح مسلم (٢١٩٤/٤)، كتاب الجنّة وصفة نعيمها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، حديث ٢٨٦٠.

(٤) فتح الباري، لابن حجر (٣٨٣/١١).

(٥) عمدة القاري، للعيني (٢٤١ / ١٥).

(٦) كشف المشكل، لابن الجوزي (٣٥٦/٢).

(٧) سورة الأنبياء: الآية ١٠٤.

قال ابن هبيرة^(١): "في هذا الحديث من الفقه أن ما يقع من بدن الآدمي في الدنيا يعاد إليه ولا يضاع"^(٢).

قال القرطبي: "قال العلماء: يحشر العبد غدًا وله من الأعضاء ما كان له يوم ولد، فمن قطع منه عضو يُردُّ في القيامة عليه حتى الختان"^(٣).
- مُشَاةً: أي غير راكبين^(٤).

وجاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ؛ رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ، وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةَ عَلَى بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةً عَلَى بَعِيرٍ، وَعَشْرَةً عَلَى بَعِيرٍ، وَيَحْشَرُ بِقَيْتِهِمُ النَّارُ، تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتَبِيْتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا"^(٥).

ومعنى قوله: "على بعيرٍ": يريد أنهم يعتقبون البعير الواحد، يركب بعض ويمشي بعض، وإنما لم يذكر الخمسة والستة إلى العشرة؛ إيجازًا واكتفاءً بما ذكر من الأعداد، مع أن الاعتقاد ليس مجزومًا به، ولا مانع أن يجعل الله في البعير ما يقوى به على حمل العشرة^(٦).

وأخرج الترمذي^(٧)، وأحمد^(٨)، والحاكم^(٩)، من حديث معاوية بن حيدة^(١٠) رضي الله عنه، قال: قلت: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْنَ تَأْمُرُنِي؟، قَالَ: "هَاهُنَا"، وَنَحَا بِيَدِهِ نَحْوَ الشَّامِ، قَالَ: "إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ".

(١) هو: عون الدين، أبو المظفر، يحيى بن هبيرة بن محمد الشيباني، ت ٥٦٠هـ، ومن أشهر مؤلفاته: الإفصاح عن معاني الصحاح. (انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان ٢/٢٤٦).

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح (٣/٥٥).

(٣) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص ٥٣٦.

(٤) إرشاد الساري، للقسطلاني (٩/٣٠٤).

(٥) صحيح البخاري (٨/١٠٩)، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر، حديث ٦٥٢٢، وصحيح مسلم (٤/٢١٩٥)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، حديث ٢٨٦١.

(٦) انظر: شرح السنة، للبعوي (١٥/١٢٥)، فتح الباري، لابن حجر (١١/٣٧٩).

(٧) جامع الترمذي (٤/١٩٤)، كتاب صفة القيامة والرقاق والورع، باب ما جاء في شأن الحشر، حديث ٢٤٢٤.

(٨) مسند أحمد (٣٣/٢٣٣)، حديث ٢٠٠٣١.

(٩) المستدرک على الصحيحين، للحاكم (٤/٥٦٤)، حديث ٨٦٨٦.

(١٠) هو: معاوية بن حيدة القشيري، من الصحابة الكرام، جدُّ بهز بن حكيم. (الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣/١٤١٥، والإصابة في تمييز الصحابة ٦/١١٨).

رَجَالًا، وَرُكْبَانًا، وَتَجْرُونَ عَلَى وُجُوهِكُمْ" (١).

وفي رواية للنسائي (٢)، وأحمد (٣)، والحاكم (٤)، عن أَبِي ذَرِّ الْغِفَارِيِّ رضي الله عنه، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنَّ النَّاسَ يُحْشَرُونَ ثَلَاثَةَ أَفْوَاجٍ: فَوْجٌ رَاكِبِينَ طَاعِمِينَ كَاسِينَ، وَفَوْجٌ تَسْحَبُهُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى وُجُوهِهِمْ وَتَحْشُرُهُمُ النَّارُ، وَفَوْجٌ يَمْشُونَ وَيَسْعَوْنَ يُلْقِي اللَّهُ الْآفَةَ عَلَى الظَّهْرِ فَلَا يَبْقَى، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَتَكُونُ لَهُ الْحَدِيقَةُ يُعْطِيهَا بِذَاتِ الْقَتَبِ" (٥) لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا" (٦).

وفي رواية للترمذي (٧)، وأحمد (٨) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ: صِنْفًا مُشَاةً، وَصِنْفًا رُكْبَانًا، وَصِنْفًا عَلَى وُجُوهِهِمْ"، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَمْشُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ؟ قَالَ: "إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَى أَقْدَامِهِمْ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَمَا إِنَّهُمْ يَتَّقُونَ بِوُجُوهِهِمْ كُلَّ حَدَبٍ وَشَوْكٍ" (٩).

يقع هنا استشكال، وذلك أن الحديث الأول يفيد أن الناس يحشرون حفاة عراة، والأحاديث الأخرى تفيد أنهم على أحوال شتى، فكيف يمكن الجمع بين القولين؟!

(١) قال الترمذي: "حديث حسن"، وقال الحاكم: "صحيح الإسناد ولم يُخرجاه"، ووافقه الذهبي، وقال ابن حجر: "إسناده قوي". (جامع الترمذي ١٩٤/٤، حديث ٢٤٢٤، المستدرک للحاكم، مع التلخيص للذهبي ٥٦٤/٤، حديث ٨٦٨٦).

قلت: إسناده الحديث صحيح لأن الراويين دون بجز بن حكيم عن أبيه عن جده - معاوية بن حيدة - ثقتان، وهما: "أحمد بن مَنِيعٍ، وَيَزِيدُ بْنُ هَارُونَ"، فقد سئل ابن معين عن بجز بن حكيم عن أبيه عن جده، فقال: إسناده صحيح، إذا كان دون بجز ثقة. (انظر: تقريب التهذيب ص ٨٥، ص ٦٠٦، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر ١٤١٦/٣).

(٢) مسند أحمد (٣٦٠/٣٥)، حديث ٢١٤٥٦.

(٣) سنن النسائي (١١٦/٤)، كتاب الجنائز، باب البعث، حديث ٢٠٨٦.

(٤) المستدرک على الصحيحين (٣٦٧/٢)، حديث ٣٣٨٩.

(٥) ذَاتُ الْقَتَبِ: المراد بها الإبل التي تُوضَع الأقتاب على ظهورها، والقَتَبُ للحمل كالإكاف لِعَيْرِهِ. (النهاية في غريب الحديث والأثر، "قتب"، ١١/٤).

(٦) قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ويشهد له الحديث السابق. (المستدرک، ٣٦٧/٢، حديث ٣٣٨٩).

(٧) جامع الترمذي (١٥٦/٥)، كتاب تفسير القرآن، باب من سورة بني إسرائيل، حديث ٣١٤٢.

(٨) مسند أحمد (٣٦٤/١٤)، حديث ٨٧٥٥.

(٩) قال الإمام الترمذي: "إسناده حسن". (جامع الترمذي، ١٥٦/٥، حديث ٣١٤٢).

الجواب: لقد اختلف العلماء في توجيه دفع التعارض والاختلاف في الأحاديث السابقة على قولين:

الأول: أن الحشر على أحوال وطرائق ثلاث، وهي كونهم: راهبين راغبين، أو راكبين، أو يسحبون، يكون قبل قيام الساعة، أما حشرهم حفاة عراة، فيكون بعد البعث من القبور. فلقد بين الخطابي، وصوّبه القاضي عياض وقوّاه، فقالا: "إنّ الحشر في هذه الصورة من الركوب على الإبل والتعاقب عليها... الخ، إنّما يكون في الدنيا قبل قيام الساعة، حيث يحشر الناس أحياء إلى الشام، وأما الحشر من القبور إلى الموقف فهو خلاف هذه الصورة، فهو كما ورد في الحديث حفاة عراة مشاة" (١).

والثاني: أنهم يبعثون حفاة عراة غرلاً مشاة، ثمّ تختلف أحوالهم إلى طرائق شتى في الموقف، فقد نقل ابن حجر عن بعض أهل العلم الجزم بأنه الحشر بعد الخروج من القبور، وهو ظاهر صنيع البخاري من إيراده الحديث الثاني، أي: حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقٍ..."، مع الحديث الأول، أي: حديث ابن عباس رضي الله عنه: "إِنَّكُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً مُشَاةً غُرُلًا"، فقد أخرجهما معاً في باب الحشر (٢).

ونقل عن بعض أهل العلم (٣): "أنّ حملة على الحشر من القبور أقوى؛ لأنّ الحشر إذا أُطلق في عرف الشارع إنّما يراد به الحشر من القبور ما لم يخصه بدليل". وذكر أنّ صاحب هذا الرأي قد جمع بين الأحاديث، بأنّ الناس يخرجون من قبورهم حفاة عراة غرلاً مشاة، ثمّ يفترق حالهم من ثمّ إلى الموقف بطرائق مختلفة (٤).

الرأي الراجح: وهو الرأي الأول، وحاصله أنّ حشرهم على طرائق شتى يكون في الدنيا قبل

(١) أعلام الحديث، للخطابي (٣/٢٢٦٩)، وإكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض (٨/٣٩١)، وانظر: فتح الباري (٣٧٩/١١).

(٢) سبق تخريجه، ص ١٥٦.

(٣) هو التوربشتي، وقد ذكر ذلك في كتاب: الميسر في شرح مصابيح السنة (٤/١١٨٨).

(٤) انظر: فتح الباري (١١/٣٨٠)، والميسر في شرح مصابيح السنة (٤/١١٨٨).

القيامة، وحشرهم حفاةً عراةً يكون بعد البعث، وقد رجحه من العلماء: ابن كثير^(١)، وابن حجر^(٢)، والعيني^(٣).

ثانياً: أول من يكسى يوم القيامة:

لقد بيّنت السنة الشريفة أن إبراهيم عليه السلام هو أول من يكسى يوم القيامة من الناس، بعد حشرهم في الموقف حفاةً عراةً، فقد أخرج الشيخان في صحيحيهما من حديث ابن عباس رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام"^(٤).

والحكمة في بيان هذه الفضيلة لإبراهيم ترجع لأسباب عدة:

قيل: لأنه أول من عري في سبيل الله للإهلاك من النبيين، وذلك حين أريد إلقاؤه في النار^(٥).

وقيل: لأنه أول من استن التستر بالسراويل، وقيل: إنه لم يكن في الأرض أخوف لله منه، فعجلت له الكسوة أماناً له ليطمئن قلبه^(٦).

وقيل: لعله بسبب أنه أول من وضع سنة الختان، وفيه كشف لبعض العورة؛ فجوزي بالستر أولاً كما أن الصائم العطشان يجازى بالريان^(٧).

(١) النهاية في الفتن والملاحم (١/٢٨٧-٢٨٨).

(٢) فتح الباري (١١/٣٨٢).

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٣/١٠٥).

(٤) صحيح البخاري (٦/٥٥)، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾، حديث ٤٦٥٢، وصحيح مسلم (٤/٢١٩٤)، كتاب القيامة وصفة الجنة والنار، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، حديث ٢٨٦٠.

(٥) الكاشف عن حقائق السنن، للطبي (١١/٣٤٩٩)، وتحفة الأبرار، للقاضي البيضاوي (٣/٣٩٥)، وحاشية السندي على صحيح البخاري (٣/٥٩).

(٦) فتح الباري (١١/٣٨٤).

(٧) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، للكرماني (٢٣/٣٦).

قلت: ويبقى السرُّ والحكمة من ذلك في علم الله وحده، إذ إنَّ ما ذُكر من الحكم التي توصل إليها العلماء لم يرد فيها نصُّ جازم.

ثالثًا: هل يفهم من الحديث، أن إبراهيم عليه السلام أفضل من النبي ﷺ؟

والجواب؛ لا يلزم باختصاصه بهذه الأفضلية، أن يكون أفضل من نبيِّنا مطلقًا.

قال القرطبي: "لا يلزم من هذا أن يكون إبراهيم عليه السلام أفضل من النبي ﷺ مطلقًا، فكما خص موسى عليه السلام بأن النبي ﷺ يجده متعلقًا بساق العرش، مع أن النبي ﷺ أول من تنشق عنه الأرض، بل إنه ﷺ أفضل من وافي القيامة، كما في الشفاعة والمقام المحمود"^(١).

وقال الكرماني: "فلا يلزم من اختصاصه بفضيلة كونه أفضل مطلقًا"^(٢).

وقال الطيبي، وتابعه التوربشتي: "إذا استأثر الله ﷻ عبدًا بفضيلة على آخر، واستأثر المستأثر عليه على المستأثر بتلك الواحدة أمثالها أو أفضل، كانت السابقة له، ولا يقدح استئثار صاحبه عليه بفضيلة واحدة في فضله، ولا خفاء بأن الشفاعة حيث لا يؤذن لأحد في الكلام؛ لم يبق سابقة لأولي السابقة، ولا فضيلة لذوي الفضائل إلا النبي ﷺ عليها، وكم له من فضائل مختصة به لم يسبق إليها ولم يشارك فيها"^(٣).

وقال ابن حجر: "ولا يلزم من تخصيص إبراهيم عليه السلام بأنه أول من يكسى أن يكون أفضل من نبيِّنا ﷺ، على أنه يحتمل أن يكون نبيِّنا ﷺ خرج من قبره في ثيابه التي مات فيها، والحلة التي يكساها يومئذ حلة الكرامة، بقرينة إجلالته عند ساق العرش، فتكون أولية إبراهيم عليه السلام في الكسوة بالنسبة لبقية الخلق، وأجاب الحلبي: بأنه يكسى إبراهيم أولاً، ثم يكسى نبيِّنا ﷺ على ظاهر الخبر، لكن حلة نبيِّنا ﷺ أعلى وأكمل، فيجبر بنفاستها ما فات من الأولية"^(٤).

(١) انظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص ٥٣٢.

(٢) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (١١/١٤).

(٣) الكاشف عن حقائق السنن، للطبي (١١/٣٤٩٩)، والميسر في شرح مصابيح السنة، للتوربشتي (٤/١١٩٠).

(٤) فتح الباري (١١/٣٨٥)، وانظر: شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (١٢/٢٨٦).

رابعًا: ما جاء في أنَّ الناس يُحشرون في ملابسهم التي ماتوا فيها، ودفع التعارض بينه، وبين ما تقدّم في أنهم يحشرون حفاةً عراةً:

أخرج أبو داود^(١)، وابن حبان^(٢)، والحاكم^(٣)، والبيهقي^(٤)، من حديث أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه، أنه لما حضره الموت، دعا بثيابٍ جُدِّدٍ فَلَبِسَهَا، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: "إِنَّ الْمَيِّتَ يُبَعَثُ فِي ثِيَابِهِ الَّتِي يَمُوتُ فِيهَا"^(٥).

وأخرج ابن أبي الدنيا^(٦)، من طريق عمرو بن الأسود^(٧)، قَالَ: أَوْصَانِي مُعَاذُ رضي الله عنه بِأَمْرَاتِهِ، وَخَرَجَ فَمَاتَتْ، فَدَفَنَّاهَا، فَجَاءَنَا وَقَدْ رَفَعْنَا أَيْدِينَا مِنْ دَفْنِهَا، فَقَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ كَفَنْتُمُوهَا؟ قُلْنَا: فِي ثِيَابِهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَنُبِشَتْ، وَكَفَنَّاهَا فِي ثِيَابٍ جُدِّدٍ، وَقَالَ: "أَحْسِنُوا أَكْفَانَ مَوْتَاكُمْ، فَإِنَّهُمْ يُحْشَرُونَ فِيهَا"^(٨).

وهاتان الروايتان تعارضان كما هو ظاهر ما بيّنته سابقًا من أن الناس يحشرون عراةً حفاةً غرلاً، وفي الجمع بينها نقل الحافظ ابن حجر أقوال العلماء في ذلك، حيث قال:

"قال البيهقي: ويجمع بينهما بأن بعضهم يُحشر عارياً، وبعضهم كاسياً، أو يحشرون كلهم عراة، ثم يكسى الأنبياء، فأول من يُكسى إبراهيم عليه السلام، أو يخرجون من القبور بالثياب التي ماتوا فيها، ثم تتأثر عنهم عند ابتداء الحشر، فيحشرون عراة، ثم يكون أول من يكسى إبراهيم عليه السلام."

(١) سنن أبي داود (٣٢/٥)، كتاب الجنائز، باب تطهير ثياب الميت عند الموت، حديث ٣١١٤.

(٢) صحيح ابن حبان (٣٠٧/١٦)، حديث ٧٣١٦.

(٣) المستدرک علی الصحیحین (٣٤٠/١)، حديث ١٢٦٠.

(٤) السنن الكبرى (٥٣٩/٣)، حديث ٦٦٠٣.

(٥) قال الحاكم: إسناده صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصححه النووي، وابن حجر، والعيبي. (انظر: المستدرک للحاکم، مع التلخیص للذهبي ٣٤٠/١، حديث ١٢٦٠، خلاصة الأحكام، للنووي ٩١٩/٢، فتح الباري، لابن حجر ٣٨٣/١١، عمدة القاري، للعيبي ٢٤٢/١٥).

(٦) الأهوال، ص ١٨١، حديث ٢٢٤، والنفقة على العيال (٧٠٦/٢)، حديث ٥١٥.

(٧) هو: عمرو بن الأسود العنسي، وقد يصغر، يكنى أبا عياض حمصي سكن داريا، وهو عمير بن الأسود، مخضرم، ثقة، عابد، من كبار التابعين، مات في خلافة معاوية. (تقريب التهذيب، لابن حجر ص ٤١٨).

(٨) حسنه ابن حجر. (فتح الباري ٣٨٣/١١). قلت: الحديث موقوف، لكنه يأخذ حكم المرفوع؛ لأنه من الغيبيات التي لا مجال للرأي والاجتهاد فيها، ويشهد له الحديث السابق.

وحمل بعضهم الحديثين على الشهداء؛ لأنهم الذين أمر أن يُزَمَّلُوا في ثيابهم، ويدفنوا فيها، فيحتمل أن يكون أبو سعيد سمعه في الشهيد، فحمله على العموم.

وحمله بعض أهل العلم على العمل، وإطلاق الثياب على العمل وقع في مثل قوله تعالى: **﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾**^(١)، وقوله تعالى: **﴿وَتِيَابَكَ فَطَهَّرَ﴾**^(٢)، على أحد الأقوال، وهو قول قتادة، قال: معناه وعملك فأخلصه.

ورجح القرطبي الحمل على ظاهر الخبر، ويتأيد بقوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾**^(٣)، وقوله تعالى: **﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾**^(٤)، وإلى ذلك الإشارة في حديث الباب بذكر قوله تعالى: **﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾**^(٥)، عقب قوله: "حفاة، عراة"، فيحمل ما دلّ عليه حديث أبي سعيد على الشهداء، حتى لا تتناقض الأخبار؛ لأنهم يدفنون بثيابهم، فيبعثون فيها تمييزاً لهم عن غيرهم"^(٦).

قلت: والراجح في المسألة؛ أنهم يخرجون من قبورهم بثيابهم التي ماتوا فيها، ثم تتناثر عنهم عند ابتداء الحشر، فيحشرون عراة، ثم يُكسون بعد ذلك، والله أعلم.



-
- (١) سورة الأعراف: الآية ٢٦.
(٢) سورة المدثر: الآية ٤.
(٣) سورة الأنعام: الآية ٩٤.
(٤) سورة الأعراف: الآية ٢٩.
(٥) سورة الأنبياء: الآية ١٠٤.
(٦) فتح الباري، لابن حجر (٣٨٤/١١).

المطلب الثالث: التفاضل بين الأمم والعباد في الحشر

كما أنه لا يتساوى الظلمات والنور، ولا الظل ولا الحرور، فكذلك لا تتساوى الأعمال؛ فإنها تتفاضل وتتمايز عند الله ﷻ؛ فالعمل الصالح منها يبقى أثره، والفساد يذهب ويبطل ويندثر، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَنْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾^(١)، وكذلك فلا مقارنة بين أصحاب هذه الأعمال فهناك فرق شاسع بين المسلم والكافر، وبين البر والفاجر، وبين الطيب والخبيث، فإنهم يتفاضلون عند الله، ولا يتساوون في ميزانه، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾^(٢).
وفي الآخرة يظهر هذا التفاضل جلياً، كما قال تعالى: ﴿وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾^(٣).

ومما يدل على هذا التفاضل قوله ﷺ في الحديث: "يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقٍ؛ رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ، وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةَ عَلَى بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةً عَلَى بَعِيرٍ، وَعَشْرَةً عَلَى بَعِيرٍ، وَيَحْشَرُ بِقِيَّتِهِمُ النَّارُ..."^(٤).

وقوله ﷺ: "إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ: رَجَالًا، وَرُكْبَانًا، وَتُجْرُونَ عَلَى وُجُوهِكُمْ"^(٥).
وقوله ﷺ: "إِنَّ النَّاسَ يُحْشَرُونَ ثَلَاثَةَ أَفْوَاجٍ: فَوْجٌ رَاكِبِينَ طَاعِمِينَ كَاسِينَ، وَفَوْجٌ تَسْحَبُهُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى وُجُوهِهِمْ وَتَحْشُرُهُمُ النَّارُ..."^(٦).

فهذه الأحاديث دالة على التفاضل في الحشر، وقد نقل ابن حجر عن بعض أهل العلم قوله: "نرى أن هذا التقسيم الذي وقع في هذا الحديث نظير التقسيم الذي وقع في تفسير الواقعة في قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾"^(٧)، فقوله ﷺ: "رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ"، يريد به عوام

(١) سورة الرعد: الآية ١٧.

(٢) سورة السجدة: الآية ١٨.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٢١.

(٤) سبق تخريجه، ص ١٥٦.

(٥) سبق تخريجه، ص ١٥٦.

(٦) سبق تخريجه، ص ١٥٧.

(٧) سورة الواقعة: الآية ٧.

المؤمنين، وهم من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فيترددون بين الخوف والرجاء، يخافون عاقبة سيئاتهم، ويرجون رحمة الله بإيمانهم، وهؤلاء أصحاب الميمنة، وقوله ﷺ: "وَأَثَانٍ عَلَىٰ بَعِيرٍ"، يريد بهم السابقين، وهم أفضل المؤمنين يحشرون ركباً، وقوله ﷺ: "وَيَحْشُرُ بِقَبْتِهِمُ النَّارَ"، يريد به أصحاب المشأمة"^(١).

وقد ذكر ابن القيم: "أنَّ المراد بالطبقات المذكورة في آخر سورة الواقعة: طبقة المقربين، وطبقة أصحاب اليمين، وطبقة المكذبين، وتكون هذه الطبقات عند الحشر الأول"^(٢).

ومما يدل على هذا التفاضل، تفاضل الأنبياء ﷺ على غيرهم، كفضل نبي الله إبراهيم عليه السلام؛ لكونه أول من يكسى يوم القيامة، وفضل نبينا ﷺ على سائر العباد، كما قال ﷺ: "أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ"^(٣). وفي الصحيحين - واللفظ لمسلم - من حديث جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ^(٤)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "إِنَّ لِي أَسْمَاءً، أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشِرُ النَّاسَ عَلَىٰ قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ، وَقَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ رَعُوفًا رَحِيمًا"^(٥).

ففي هذا الحديث ميزة لنبينا ﷺ ولرسالته الشريفة، إذ إنه ﷺ أول من يحشر من العالمين، وكلهم تبع له، فالمراد من قوله ﷺ: "وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشِرُ النَّاسَ عَلَىٰ قَدَمِي"، أي: على إثر نبوتي ليس بعدي نبي. قاله الطيبي^(٦).

وقال الخطابي: فيه قولان: أحدهما: إنه أول من يحشر من الخلق ثم يحشر الناس على قدمه،

(١) فتح الباري (٣٨٢/١١).

(٢) انظر: التبيان في أقسام القرآن، ص ٢٤٠.

(٣) سبق تخرجه، ص ١٣٧.

(٤) جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَبُو مُحَمَّدٍ، وَقِيلَ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، أَسْلَمَ مَا بَيْنَ الْحُدَيْبِيَّةِ وَالْفَتْحِ، وَكَانَ أَنْسَبَ قُرَيْشٍ لِقُرَيْشٍ وَلِلْعَرَبِ، تُوِّفِيَ سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ فِي أَيَّامِ مُعَاوِيَةَ، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ. (معرفة الصحابة، لأبي نعيم ٥١٨/٢).

(٥) صحيح البخاري (١٥١/٦)، كتاب التفسير، باب قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿مَنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾، حديث ٤٨٩٦، صحيح

مسلم (١٨٢٨/٤)، كتاب الفضائل، باب في أَسْمَائِهِ ﷺ، حديث ٢٣٥٤.

(٦) الكاشف عن حقائق السنن (٣٦٨٨/١٢).

أي: على أثره، والآخر أن يكون أراد بقدمه عهده وزمانه"^(١).

وقال القاضي عياض: "عَلَى قَدَمَيَّ: أي على زماني وعهدي، وقيل: أمامي وقدامي، كأنهم يجتمعون إليه يوم القيامة، ويكونون أمامه وخلفه وحوله، وقيل: على ساقبي، وقيل: على سنتي، وقيل: يتبعوني، وقيل: يحشر الناس بمشاهدي، كما قال تعالى: ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾"^(٢)^(٣).

وقال الكرماني: "أي على أثري، أو على زماني ووقت قيامي على القدم بظهور علامات الحشر فيه، ويحتمل أن يريد: وأنا أكون أول المحشورين"^(٤).

ومنها أنهم يتفاضلون حسب أعمالهم ونياتهم التي ماتوا عليها، كقوله ﷺ: "يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ"^(٥).

ومنها اختلاف أحوالهم عند الأهوال، لكون المؤمنين في أمن وطمأنينة ينعمون في ظل عرش الرحمن، أما أهل الكفر والفسوق والعصيان، فإنهم يعانون ويلات وكربات يوم القيامة، كما سيأتي بيان ذلك في المبحث الثالث.

ومنها تقدّم هذه الأمة وتفضيلها على سائر الأمم، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ، يقول: "نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..."^(٦) الحديث.

وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه وحذيفة رضي الله عنه: "وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْأَوْلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ"^(٧).

(١) غريب الحديث (٤٢٥/١).

(٢) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

(٣) إكمال المعلم (٣٢١/٧).

(٤) الكواكب الدراري (١٤٢/١٨).

(٥) سبق تخريجه ص ١٣٩.

(٦) صحيح البخاري (٢/٢)، كتاب الجمعة، باب فرض الجمعة، حديث ٨٧٦، وصحيح مسلم (٥٨٦/٢) كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، حديث ٨٥٥.

(٧) صحيح مسلم (٥٨٦/٢) كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، حديث ٨٥٦.

قال البغوي: "يريد: نحن الآخرون خروجًا في الدنيا، السابقون في الفضل والكرامة يوم القيامة"^(١).

وكذا قال نحوه: ابن هبيرة^(٢)، وابن الجوزي^(٣)، وابن رجب الحنبلي^(٤)، وابن الملقن^(٥).
وقال ابن حجر: "والمراد أن هذه الأمة، وإن تأخر وجودها في الدنيا عن الأمم الماضية؛ فهي سابقة لهم في الآخرة، بأنهم أول من يحشر، وأول من يحاسب، وأول من يقضى بينهم، وأول من يدخل الجنة"^(٦).

قلت: وهذا ما بيّنته رواية أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما السابقة عند مسلم.
وقال العراقي: وفائدة الإخبار بأن هذه الأمة آخر الأمم؛ يحتمل أنه ذكر توطئة لوصفهم بالسبق يوم القيامة، وأنه لا يتخيل من تأخرهم في الزمن تأخرهم في الحظوظ الأخروية، بل سابقون فيها، ويحتمل أن يراد بذلك الدلالة على أنهم آخر الأمم، وأن شريعتهم باقية إلى آخر الدهر، ما دام التكليف موجودًا، فسائر الأمم وإن سبقوا لكن انقطعت شرائعهم ونسخت، بخلاف هذه الأمة فإن شريعتها باقية مستمرة، وهذا الاحتمال أمكن من الأول؛ لأنه يكون حينئذ في وصفهم بالآخرة شرف، كما أن في وصفهم بالسبق شرفًا^(٧).
ومن تفضيل هذه الأمة على غيرها أن جعل الله تعالى باقي الأمم فداءً لها يوم القيامة، فقد أخرج مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "يجيء يوم القيامة ناس من المسلممين بذنوب أمثال الجبال؛ فيغفرها الله لهم، ويضعها على اليهود والنصارى"^(٨).

(١) شرح السنة (٢٠١/٤).

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح (٤٥/٦).

(٣) انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين (٤٤١/٣).

(٤) فتح الباري، لابن رجب (٧٠/٨).

(٥) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٤٨٦/٤، ٤٨٧).

وابن الملقن هو: سراج الدين، أبو حفص، عمر بن علي بن أحمد الشافعي، الشهير بابن الملقن، ت ٨٠٤هـ. (انظر: الضوء اللامع، للسخاوي، ١٠٠/٦).

(٦) فتح الباري (٣٥٤/٢).

(٧) طرح التثريب في شرح التثريب (١٥٣/٣).

(٨) صحيح مسلم (٢١٢٠/٤)، كتاب التوبة، باب سعة رحمة الله تعالى على المؤمنين، حديث ٢٧٦٧.

وفي رواية له: "إذا كان يوم القيامة دفع الله **كُلَّ** إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقول: هذا فكأكك من النار" (١).

قال القاضي عياض: "والمعنى أن من استوجب النار لذنوبه من المؤمنين تفضل الله عليه برحمته، وغفر له ذنوبه، وعافاه من النار، وإن من لم يكن أهلاً للعقوبة فهو معافى منها ابتداءً لفضل الله، وإنما يصلها الأشقى الذي كذب وتولى، فهم أهلها" (٢).

وقال النووي: معنى "فكأكك": أنك كنت معرضاً لدخول النار، وهذا فكأكك؛ لأن الله تعالى قدر لها عدداً يملؤها، فإذا دخلها الكفار بكفرهم وذنوبهم صاروا في معنى الفكأك للمسلمين" (٣).

فالحديث فيه: "دليل على كمال لطف الله تعالى بعباده المؤمنين وكرامتهم عليه، حيث فدى أوليائه بأعدائه" (٤).

فإن قيل: هل هذان الحديثان يعارضان قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (٥).

فالجواب: لا تعارض بينها؛ فمعنى الحديثين: أن الله تعالى يغفر تلك الذنوب للمسلمين، ويسقطها عنهم، ويضع على اليهود والنصارى مثلها بكفرهم وذنوبهم، فيدخلهم النار بأعمالهم لا بذنوب المسلمين، ولما أسقط **تعالى** عن المسلمين سيئاتهم، وأبقى على الكفار سيئاتهم؛ صاروا في معنى من حمل إثم الفريقين، لكونهم حملوا الإثم الباقي، وهو إثمهم، ويحتمل أن يكون المراد آثاماً كان للكفار سبب فيها، بأن سنّوها فتسقط عن المسلمين بعفو الله تعالى ويوضع على الكفار مثلها لكونهم سنّوها. قاله النووي (٦).

وقيل: "ويحتمل أن يكون معنى الفداء أن الله تعالى وعد النار ليملاؤها من الجنة والناس،

(١) صحيح مسلم (٤/٢١٢٠)، كتاب التوبة، باب سعة رحمة الله تعالى على المؤمنين، حديث ٢٧٦٧.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/٢٧١).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٧/٨٥).

(٤) الأربعون في إرشاد السائر إلى منازل المتقين، لأبي الفتوح الطائي، ص ١٣٢.

(٥) سورة الأنعام: الآية ١٦٤.

(٦) شرح النووي على مسلم (١٧/٨٥).

وهي تستنجز الله تعالى مواعده يوم القيامة في المشركين وعصاة المؤمنين، فيرضيها الله تعالى بما يقدم إليها من الكفار، فيكون ذلك كالمفاداة عن المؤمنين^(١).

"وله ﷺ أن يضاعف لمن يشاء العذاب، ويخفف عن من يشاء بحكم إرادته ومشئته، إذ لا يُسأل عما يفعل"^(٢).

ومن تفضيل أمة الإسلام على غيرها؛ أنها أوفر الأمم حظاً يوم القيامة، وأكثرها دخولاً الجنة، ففي الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال النبي ﷺ: "أَتَرْضُونَ أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟"، قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: "أَتَرْضُونَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟"، قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: "أَتَرْضُونَ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟"، قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ... الحديث"^(٣).

قال ابن هبيرة: فيه أن أمة محمد ﷺ يكونون نصف أهل الجنة؛ وذلك لأن أمته عقبته الأمم فورثت ما كانت عليه الأمم بأسرها، ثم لا يعقبهم غيرهم"^(٤).

وقال النووي: "في قوله ﷺ ربع أهل الجنة، ثم ثلث أهل الجنة، ثم الشطر، ولم يقل أولاً: شطر أهل الجنة؛ فلفائدة حسنة: وهي أن ذلك أوقع في نفوسهم، وأبلغ في إكرامهم، فإن إعطاء الإنسان مرة بعد أخرى دليل على الاعتناء به، ودوام ملاحظته، وفيه فائدة أخرى هي تكريره البشارة مرة بعد أخرى"^(٥).

وقد أخرج الترمذي^(٦)، وابن ماجه^(٧)، وأحمد^(٨)، والدارمي^(٩)، وابن حبان^(١٠)،

(١) الأربعون في إرشاد السائر إلى منازل المتقين، لأبي الفتوح الطائي، ص ١٣٢.

(٢) المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية، للسفيري (٢/٢٧٩).

(٣) صحيح البخاري (٨/١١٠)، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر، حديث ٦٥٢٨، وصحيح مسلم (١/٢٠٠)، كتاب الإيمان، باب كَوْنُ هَذِهِ الْأُمَّةِ نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حديث ٢٢١.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح (٢/٣١).

(٥) شرح النووي على مسلم (٣/٩٥).

(٦) جامع الترمذي (٤/٢٦٤)، كتاب صفة الجنة، باب وصف أهل الجنة، حديث ٢٥٤٦.

(٧) سنن ابن ماجه (٢/١٤٣٤)، كتاب الزهد، باب صفة أمة محمد ﷺ، حديث ٤٢٨٩.

(٨) مسند أحمد (٣٨/٢٣)، حديث ٢٢٩٤٠.

(٩) سنن الدارمي (٢/٤٣٤)، حديث ٢٨٣٥.

(١٠) صحيح ابن حبان (١٦/٤٩٩)، حديث ٧٤٦٠.

والحاكم^(١)، من حديث بُرَيْدَةَ^(٢)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِئَةٌ صَفٌّ، ثَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَأَرْبَعُونَ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ"^(٣).

أفاد هذا الحديث أنهم أكثر من النصف، وأنهم ثلثا أهل الجنة، وفي حديث الصحيحين الذي قبله ما يدل على أنهم شطر أهل الجنة فقط، فكيف الجمع بينهما؟ قال النووي: "يكون النبي ﷺ أخبر أولاً بحديث الشطر، ثم تفضّل الله ﷻ بالزيادة"^(٤).

وقال ابن حجر: "لما رجا رحمة ربه أن تكون أمته نصف أهل الجنة؛ أعطاه ما ارتجاه وزاده، وهو نحو قوله تعالى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾"^(٥) (٦).

وقال القسطلاني^(٧): "لا تعارض بينهما؛ لأنه ليس في الحديث الجزم بأنهم نصف أهل الجنة فقط، وإنما هو رجاء لرجاه لأمته، ثم أعلمه الله ﷻ بعد ذلك أن أمته ثلثا أهل الجنة"^(٨). وقال الطيبي: "يحتمل أن يكون الثمانون صفًا مساويًا في العدد للأربعين صفًا، وأن يكونوا كما زاد على الربع والثلث، يزيد على النصف كرامة له ﷺ"^(٩).

وقال القاري^(١٠): "وهذا هو الأظهر، على أن النصف قد يطلق ولم يرد به التساوي

(١) المستدرک علی الصحيحین (٨١/١)، حدیث ٢٧٣.

(٢) هو: بُرَيْدَةُ بْنُ الْحُصَيْبِ الْأَسْلَمِيُّ، وقد سبقت ترجمته، ص ٧٨.

(٣) حسنه الترمذي، وصححه الحاكم، وقال: "على شرط مسلم"، ووافقه الذهبي. (جامع الترمذي ٢٦٤/٤، حدیث ٢٥٤٦، المستدرک للحاکم، مع التلخیص للذهبي ٨١/١، حدیث ٢٧٣).

(٤) شرح النووي على مسلم (٣/٩٦).

(٥) سورة الضحى: الآية ٥.

(٦) فتح الباري، لابن حجر (١١/٣٨٨).

(٧) هو: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين، مولده ووفاته في القاهرة، ومن أشهر كتبه إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ت ٩٢٣هـ. (الأعلام للزركلي ٢٣٢/١).

(٨) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٥/٣٤٠).

(٩) الكاشف عن حقائق السنن (١١/٣٥٦٧).

(١٠) هو: نور الدين، أبو الحسن علي بن سلطان محمد، الشهير بالملا علي القاري الهروي، ت ١٠١٤هـ، ومن أشهر مؤلفاته: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. (انظر: خلاصة الأثر، للمحيي ١٨٥/٣).

في العدد والصف؛ ولذا يوصف بالأقل والأكثر" (١).

وقيل: "يحتمل أن يكون رجاءه ﷺ ذلك، ثم زيد وبشر من عند الله بالزيادة بعد ذلك" (٢).

ومن هذا التفضيل أيضًا: دخول طائفة من هذه الأمة الجنة بغير حساب، ففي الصحيحين من حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأُفُقَ، فَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ أُمَّتِي، فَقِيلَ: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انظُرْ، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأُفُقَ، فَقِيلَ لِي: انظُرْ هَكَذَا وَهَكَذَا، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأُفُقَ، فَقِيلَ: هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ، وَمَعَ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ... الحديث" (٣).

فدخول الجنة من غير حساب لا يحصل لأي من الأمم السابقة، فهو مما اختصت به هذه الأمة، كما قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام (٤): "ومن خصائصه أنه يدخل الجنة من أمته سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ ولم يثبت ذلك لغيره من الأنبياء" (٥).

قد يقول قائل ما السبب في تفاضل هذه الأمة على غيرها من الأمم، بالرغم من تأخرها عنهم في الزمن؟

والجواب، كما قال ابن الجوزي: "واعلم أن فضيلة هذه الأمة على الأمم المتقدمة، وإن كان ذلك باختيار الحق لها وتقديمه إياها، إلا أنه جعل لذلك سببًا، كما جعل سبب سجود الملائكة لآدم علمه بما جهلوا، فكذلك جعل لتقدم هذه الأمة سببًا، هو الفطنة والفهم واليقين وتسليم النفوس لله رب العالمين" (٦).

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣٥٩٢/٩).

(٢) تحفة الأحوذى، للمباركفوري (٢١٦/٧).

(٣) صحيح البخاري (١٣٤/٧)، كتاب الطب، باب من لم يرق، حديث ٥٧٥٢، وصحيح مسلم (١٩٩/١)، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، حديث ٢٢٠.

(٤) هو: سلطان العلماء، أبو محمد، عز الدين بن عبد السلام السلمي، ت ٦٦٠هـ، ومن كتبه: تفسير القرآن، والقواعد الكبرى والصغرى، وبيان أحوال الناس يوم القيامة. (حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، للسيوطي ٣١٥/١).

(٥) انظر: الخصائص الكبرى، للسيوطي (٣٩٤/٢).

(٦) التبصرة (٤٩٥/١).

المبحث الثاني

اتباع الأمم يوم الحشر

المطلب الأول: اتّباع الأمم ما كانت تعبد.

المطلب الثاني: اتّباع الأمم أنبياءها.

المطلب الثالث: المرء مع من أحب.

المطلب الأول: اتباع الأمم ما كانت تعبد

من عدل الله تعالى بعباده أن أرسل إليهم الرسل ليرشدوهم إلى معرفته وطاعته، فمن آمن نجح وفاز، ومن كذب وعصى، أوكله الله إلى نفسه ليتبع ما كان يعبد في الدنيا، فعباد الأوثان والأصنام يستنصرون بأهتهم، وكذا عباد البقر، وعباد الشمس، وعندها يكشف الكفار أن آهتهم لن تغني عنهم من الله شيئاً، فتزداد الحسرة في قلوبهم، جزاءً وفاقاً بما كانوا يكفرون بالله في الدنيا.

أخرج الإمام مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، يُسأل عن الوُرُودِ، فَقَالَ: "نَحْيُهُ نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ كَذَا وَكَذَا، انظُرْ^(١)، أَي: ذَلِكَ فَوْقَ النَّاسِ، قَالَ: فَتُدْعَى الْأُمَّمُ بِأَوْثَانِهَا، وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ، الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ، ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: مَنْ تَنْظُرُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ، فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ وَيَتَّبِعُونَهُ... " الحديث^(٢).

وفي رواية له: "أَنَّ جَابِرًا سَمِعَهُ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِأُذُنِهِ... " الحديث^(٣).

فمن كان يعبد الأصنام تبعها إلى نار جهنم، ومن كان يعبد هواه أسقطه في قعر جهنم، ومن اتخذ نداءً من دون الله فلن يغني عنه من الله شيئاً، ففي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: "إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَذِنَ مُؤَدِّنٌ تَتَّبِعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَساقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى

(١) قوله: "نَحْيُهُ نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ كَذَا وَكَذَا، انظُرْ": قال القاضي عياض - وذكر النووي نحوه -: "فيه تغيير كثير وتصحيّف، وصوابه: نحن يوم القيامة على كوم، وأنه كأنه أظلم هذا الحرف على الراوي أو المحي عليه، فَعَبَّرَ عَنْهُ بِكَذَا وَكَذَا، وَفَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ، أَي فَوْقَ النَّاسِ وَكُتِبَ عَلَيْهِ انظُرْ تَنْبِيْهُاً، فَجَمَعَ النِّقْلَةَ الْكُلَّ، وَنَسَقُوهُ عَلَى أَنَّهُ مِنْ مَعْنَى الْحَدِيثِ كَمَا تَرَاهُ". (إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض ٥٦٩/١، شرح النووي على مسلم ٤٧/٣).

(٢) صحيح مسلم (١٧٧/١)، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث ١٩١.

(٣) صحيح مسلم (١٧٧/١)، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث ١٩٢.

إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ بَرًّا أَوْ فَاجِرًا وَعُجْبَرَاتُ أَهْلِ الْكِتَابِ^(١)، فَيُدْعَى الْيَهُودُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عَزِيرَ ابْنَ اللَّهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ، مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْعُونَ؟ فَقَالُوا: عَطِشْنَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ أَلَا تَرُدُونَ، فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ، كَانَتْهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ، مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْعُونَ؟ فَكَذَلِكَ مِثْلَ الْأَوَّلِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا، فَيُقَالُ: مَاذَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتَّبِعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، قَالُوا: فَارْقِنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا عَلَى أَفْقَرٍ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ، وَنَحْنُ نَنْتَظِرُ رَبَّنَا الَّذِي كُنَّا نَعْبُدُ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: لَا نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا^(٢).

وفي رواية لأبي هريرة رضي الله عنه، قال: "فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت"^(٣).

قال ابن رجب: "فهذا الحديث صريح أن من أظهر عبادة شيء سوى الله، كالمسيح وعزير من أهل الكتاب، فإنه يلحق بالمشركين في الوقوع في النار قبل نصب الصراط، إلا أن عبادة الأصنام والشمس والقمر وغير ذلك من المشركين، تتبع كل فرقة منهم ما كانت تعبد في الدنيا، فتزد النار مع معبودها أولاً، وقد دلَّ القرآن على هذا المعنى، في قوله تعالى

(١) أي بواقى أهل الكتاب، قال ابن الأثير: "العُجْبَرَاتُ: جَمْعُ عُجْرٍ، وَالْعُجْرُ: جَمْعُ غَابِرٍ، وَالغَابِرُ يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ، يَعْنِي الْمَاضِي وَالْبَاقِي، فَإِنَّهُ مِنَ الْأَضْدَادِ، لَكِنَّ الْمَعْرُوفَ الْكَثِيرَ أَنَّ الْغَابِرَ الْبَاقِي". (انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، "غبر"، ٣/٣٣٧-٣٣٨).

(٢) صحيح البخاري (٤٤/٦)، كتاب التفسير، باب قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾، حديث ٤٥٨١، وصحيح مسلم (١/١٦٧)، باب معرفة طريق الرؤية، حديث ١٨٣.

(٣) صحيح البخاري (١٦٠/١)، كتاب الإيمان، باب فضل السجود، حديث ٨٠٦، وصحيح مسلم (١/١٦٤)، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، حديث ١٨٢.

في شأن فرعون: ﴿بِقَدْمِ قَوْمِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾^(١)^(٢).

وقوله: "من كان يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ": "فيه إشارة إلى مبدأ المعاملة بالمثل؛ كما اتبعه في

الدنيا يتبعه في الآخرة"^(٣).

وقولهم: "فَارْقَنَّا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا عَلَى أَفْقَرِ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ، وَنَحْنُ نَنْتَظِرُ

رَبَّنَا الَّذِي كُنَّا نَعْبُدُ": معناه أنهم تضرعوا إلى الله تعالى، ولجأوا إليه، وتوسلوا بهذا القول المشعر

بالإخلاص إلى الخلاص، يعني: ربنا فارقنا الناس في الدنيا الذين زاغوا عن طاعتك من الأقرباء

ومن يحتاج إليهم في المعاش والمصالح الدنيوية، وهكذا كان دأب الصحابة ومن بعدهم من

المؤمنين في جميع الأحوال والأزمان فإنهم كانوا يقاطعون من حاد الله ورسوله مع حاجتهم إليه،

وآثروا رضا الله تعالى على ذلك"^(٤).

وقوله: "وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ": جمع طاغوت، يكون جمعًا، ومفردًا،

ومذكّرًا، ومؤنثًا، وفيه خلاف؛ قيل: هو الشيطان والصنم، وقيل: كل طاغ طغى على الله

تعالى، يعبد من دونه إما بقهر منه لمن عبده، وإما بطاعة ممن عبده، إنسانًا كان أو شيطانًا أو

حيوانًا أو جمادًا، فاتباعهم لهم حينئذ باستمرارهم على الاعتقاد فيهم، ويحتمل أن يتبعوهم بأن

يساقوا إلى النار قهْرًا، فيذهب أصحاب الصليب مع صليبيهم، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم،

وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم، وفيه إشارة إلى أن كل مَنْ كان يعبد الشيطان ونحوه ممن يرضى

بذلك، أو الجماد، والحيوان داخلون في ذلك، وأما مَنْ كان يعبد مَنْ لا يرضى بذلك

كالملائكة، والمسيح عليه السلام"^(٥).



(١) سورة هود: الآية ٩٨.

(٢) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، ص ٢٣٧.

(٣) محاضرة صوتية بعنوان حديث الرؤية والصراف، لمحمد صالح المنجد، قام بتفريغه موقع الشبكة الإسلامية:

<http://www.islamweb.net>

(٤) الكاشف عن حقائق السنن، للطبي (١١/٣٥٢٩).

(٥) كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، للشنقيطي (٩/٣١٣).

المطلب الثاني: اتباع الأمم أنبيائها يوم الحشر

إنَّ اتِّباعَ أنبياءِ اللهِ ﷺ في الدنيا، سببٌ للنَّجاةِ والفوزِ بالآخرةِ، كما قال اللهُ تعالى آمراً باتِّباعِ هدي نبيه ﷺ ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١)، فجعل اتِّباعَ نبيه علامةً لمحَبَّته، وسبباً للنَّجاةِ في الآخرةِ.

وقال على لسان يوسف ﷺ: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾^(٢)، فكان اتِّباعه لسيرة آباءه من الأنبياء ﷺ علامة على حسن طريقتة، ودلالة على صحة منهجه.

ومما يدلُّ على اتِّباعِ الأممِ أنبياءها يوم القيامة، ما جاء في الصحيحين من حديثِ ابنِ عبَّاسٍ ﷺ، قال: خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: "عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَّمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيَّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ..." الحديث^(٣).

فبيَّن هذا الحديث فضل اتِّباعِ الرسل، وكيف أنهم يحشرون مع أنبيائهم في الآخرة، ويتبعونهم إلى الجنة، وفي صحيح البخاري من حديثِ ابنِ عمَرَ ﷺ قال: "إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُنًّا"^(٤)، كُلُّ أُمَّةٍ تَتَّبِعُ نَبِيَّهَا... الحديث^(٥).

قوله ﷺ "كُلُّ أُمَّةٍ تَتَّبِعُ نَبِيَّهَا": نظير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾^(٦)، والمعنى: "يوم ندعو كلَّ أناسٍ بإمامهم الذي كانوا يقتدون به، ويأتمون به في الدنيا"، قاله الإمام الطبري^(٧).

(١) سورة آل عمران: الآية ٣١.

(٢) سورة يوسف: الآية ٣٨.

(٣) سبق تخريجه، ص ١٧٠.

(٤) أي: جماعة. (الجموع المغيثة في غربي القرآن والحديث، لأبي موسى الأصبهاني، "جنا"، ١/٢٩٧).

(٥) صحيح البخاري (٨٦/٦)، كتاب التفسير، باب قَوْلِهِ ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾، حديث ٤٧١٨.

(٦) سورة الإسراء: الآية ٧١.

(٧) تفسير الطبري (٥٠٣/١٧).

فمن كان منهم على هَدْي نبيه في الدنيا يحشر معه في الآخرة، ومن كان متنكبًا طريقه، مخالفًا لهديه، غير متبع له، فإنه يقال له سَحَقًا سَحَقًا، قال تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(١).

ومعنى الآية: "من كان في هذه الحياة الدنيا أعمى عن الاهتداء إلى الحق، فهو في الآخرة أعمى لا يرى طريق النجاة، وأضل سبيلًا منه في الدنيا؛ لأن له في هذه الحياة آلات وأدوات وأسبابًا يمكنه الاهتداء بها"^(٢).

وفي الصحيحين عن أبي حازم^(٣)، عن سهل بن سعد^(٤)، أن النبي ﷺ، قال: "ليرد علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم"، قال أبو حازم: فسَمِعني التَّعْمَانُ بنُ أَبِي عِيَّاشٍ^(٥)، وأنا أحدثهم هذا، فقال: هكذا سمعت سهلًا؟، فقلت: نعم، قال: وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري^(٦)، لسمعتُه يزيدُ فيه: "قال: إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما بدلوا بعذك؟ فأقول: سَحَقًا سَحَقًا، لمن بدل بعدي"^(٧).

وقوله: "سَحَقًا"، أي: بُعدًا، كما قال الله ﷻ: ﴿فَسَحَقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾^(٨)، أي: بُعدًا، باعدهم الله من رحمته"^(٩)، ومعنى ذلك: "الدعاء على من بدل وغيره، كقوله: أبعده الله"^(١٠).

ولذلك إذا أراد أبناء الأمة أن يُعيدوا مجدهم وعزهم في الدنيا، ويُدركوا نجاتهم، والفوز بشرف صحبة نبيهم ﷺ في الآخرة، عليهم أن يعودوا إلى كتاب ربهم، وسنة نبيهم ﷺ، لأنها

(١) سورة الإسراء: الآية ٧٢.

(٢) محاسن التأويل، لجمال الدين القاسمي (٤٧٨/٦).

(٣) سلمة بن دينار، أبو حازم الأعرج، ثقة عابد من الخامسة، مات في خلافة المنصور. (تقريب التهذيب، ص ٢٤٧).

(٤) التَّعْمَانُ بنُ أَبِي عِيَّاشٍ الرُّزَيْنِيُّ الأنصاري، أبو سلمة المدني، ثقة من الرابعة. (المرجع نفسه، ص ٥٦٤).

(٥) صحيح البخاري (٤٦/٩)، كتاب الفتن، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾، وَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحَدِّثُ مِنَ الْفِتَنِ، حديث ٧٠٥٠، وصحيح مسلم (١٧٩٢/٤)، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، حديث ٢٢٩٠.

(٦) سورة الملك: الآية ١١.

(٧) شرح السنة، للبعوي (١٧٢ / ١٥).

(٨) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٧/١٠).

جامعة لخيري الدنيا والآخرة ، فقد قال أبو عمر ابن عبد البر: "الهدى كلُّ الهدى في اتباع كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ" (١).

وليحذر شباب الأمة من التقليد الأعمى للكفار، فيبيعوا دينهم بدنياهم، فضلاً عن أن يبيعوا دينهم بدنيا غيرهم، أو يبيعوا دينهم ودينهم معاً للكفار، فيكونون ممن انقلب على عقبيه، فحسر الدنيا والآخرة، فيقال له يوم القيامة: سحفاً سحفاً، والعياذ بالله، وقد حذر النبي ﷺ من ذلك، ففي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: "لَتَبْعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ؟" (٢).

قال القاضي عياض: "ما ذكره من الشبر والذراع ودخول الجحر تمثيل للاقتداء بهم شيئاً شيئاً، فيما نهى الشرع عنه وذمه من أمرهم وحالهم" (٣).
وقال ابن بطال: "أخبر ﷺ أن أمته قبل قيام الساعة يتبعون المحدثات من الأمور، والبدع والأهواء المضلة، كما اتبعتها الأمم من قبل، حتى يتغير الدين عند كثير من الناس، وأن الدين إنما يبقى قائماً عند خاصة من المسلمين، لا يخافون العداوات، ويحتسبون أنفسهم على الله في القول بالحق، والقيام بالمنهج القويم في دين الله" (٤).



(١) الاستذكار (٢٦٥/٨).

(٢) صحيح البخاري (١٠٣/٩)، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: "لَتَبْعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ"،

حديث ٧٣٢٠، وصحيح مسلم (٢٠٥٤/٤)، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، حديث ٢٦٦٩.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم (١٦٣/٨).

(٤) شرح صحيح البخاري (٣٦٦/١٠).

المطلب الثالث: المرء مع من أحب

إن الموالاة والمعاداة في الحياة الدنيا لهما أثر كبير على مصير العبد في الآخرة، لأنهما يتعلقان في أصل الإيمان، فقد أخرج البخاري ومسلم، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ؛ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْدَفَ فِي النَّارِ" (١).

فقوله صلى الله عليه وسلم: "وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ"، يدلُّ على صحة إيمان العبد وحبه لله تعالى، قال ابن رجب الحنبلي: "الحُبُّ في الله من أصول الإيمان وأعلى درجاته، وإنما كانت هذه الخصلة تالية لما قبلها، لأنَّ من كان الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما فقد صار حبه كله له، ويلزم من ذلك أن يكون بغضه لله وموالاته له ومعاداته له، وأن لا تبقى له بقية من نفسه وهواه، وذلك يستلزم محبة ما يحبه الله من الأقوال والأعمال، وكراهة ما يكرهه من ذلك، وكذلك من الأشخاص، فلا تتم محبة الله ورسوله إلا بمحبة أوليائه وموالاتهم وبغض أعدائه ومعاداتهم" (٢).

ولذلك نفى الله تعالى صفة الإيمان عن من حارب أوليائه، ووالى أعداءه؛ لأنَّ حَبَّ الله وحبَّ أعدائه في قلب عبدٍ لا يجتمعان، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ (٣).
وقد جعل الله تعالى الحب في الله سببًا من أسباب النجاة في الآخرة، كما أنَّ حَبَّ أعداء الله سببًا من أسباب الخسارة والهوان في الآخرة، فقال تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (٤).

(١) صحيح البخاري (١٢/١)، كتاب الإيمان، باب حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ، حديث ١٦، وصحيح مسلم (٦٦/١)، كتاب الإيمان، باب بَيَانِ حِصَالِ مَنْ اتَّصَفَ بِهِمْ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ، حديث ٤٣.
(٢) انظر: فتح الباري، لابن رجب (١/٥٤-٥٦).
(٣) سورة المجادلة: الآية ٢٢.
(٤) سورة الزخرف: الآية ٦٧.

قال الإمام الطبري في معنى الآية: "المتخالون يوم القيامة على معاصي الله في الدنيا، بعضهم لبعض عدو، يتبرأ بعضهم من بعض، إلا الذين كانوا تخالوا فيها على تقوى الله"^(١).
 فالعبد مصيره مرهونٌ بالمحبة، فمن أحبَّ شيئاً وتبعه في الدنيا، فإنه يلحق به ويحشر معه الآخرة، فمن أحبَّ النبي ﷺ وأصحابه فإنه يحشر معهم، ومن أحبَّ الكفار بتقاليدهم وعاداتهم وعقائدهم الكفرية فإنه يلحق بهم يوم الحشر، ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: "جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَمَ يَلْحَقُ بِهِمْ؟" فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ"^(٢).

وفي روايةٍ لهما عن أنس رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: "وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟" قَالَ: لَا شَيْءَ، إِلَّا أَنِّي أَحْبَبْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ، فَقَالَ: "أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ"، قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرَحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحْنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ، فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُجِّي إِيَّاهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ"^(٣).

قال ابن بطال: "من أحبَّ عبدًا في الله تعالى فَإِنَّ اللَّهَ يَجْمَعُ بَيْنَهُمَا فِي جَنَّتِهِ وَإِنْ قَصَرَ فِي عَمَلِهِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمَّا أَحَبَّ الصَّالِحِينَ لِأَجْلِ طَاعَتِهِمْ أَثَابَهُ اللَّهُ تَعَالَى تَوَابَ تِلْكَ الطَّاعَةِ، إِذْ النِّيَّةُ هِيَ الْأَصْلُ، وَالْعَمَلُ تَابِعٌ لَهَا، وَاللَّهُ يُؤْتِي فَضْلَهُ مِنْ يَشَاءُ"^(٤).

ولذلك على أبناء المسلمين في هذا الزمان أن يتبهاوا لمن يعطون ولاءهم ومحبتهم، فما حلت النكبات، وتوالت الأزمات على أمة الإسلام إلا من هذا الباب الخطير، فانقسم المسلمون إلى فرق وطوائف **﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾**^(٥)، فمنهم من يوالي الغرب الصليبي، ومنهم من يوالي الشرق الملحد، ومنهم من يناصر اليهود، ويبطش بالمسلمين، والبقية حيارى بين هؤلاء وهؤلاء، إلا من رحم الله ربُّ العالمين.

(١) تفسير الطبري (٦٣٧/٢١).

(٢) صحيح البخاري (٣٩/٨)، كتاب الأدب، باب عَلَامَةِ حُبِّ اللَّهِ ﷻ، حديث ٦١٦٩، وصحيح مسلم (٢٠٣٤/٤) كتاب الزَّكَاةِ وَالصَّلَاةِ وَالْأَدَابِ، باب الْمَرْءِ مَعَ مَنْ أَحَبَّ، حديث ٢٦٤٠.

(٣) سبق تخريجه ص ٨٧.

(٤) شرح صحيح البخاري (٣٣٣/٩).

(٥) سورة المؤمنون: الآية ٥٣.

أما أهل الإيمان والفوز في الآخرة بأعلى درجات الجنان، فلسان حالهم ينطق بما نطق به الخليل عليه السلام **﴿فَانْتَهُم عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾**^(١).

قال الإمام الرازي: "اعلم أنه ما خسر على الله أحد، فإن الخليل عليه السلام اعتزل عن الخلق لما أبوا الإيمان، فقال: **﴿وَأَعْتَرَلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾**^(٢)؛ فبارك الله في أولاده، فقال: **﴿وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾**^(٣)، وأنه تبرأ من أبيه في الله تعالى على ما قال: **﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لِأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾**^(٤)، فسماه الله أباً للمسلمين فقال: **﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾**^(٥)، وعادى كل الخلق في الله فقال: **﴿فَانْتَهُم عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾**^(٦)، لا جرم اتخذه الله خليلاً على ما قال: **﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾**^(٧)؛ ليُعلم صحة قولنا إنه ما خسر على الله أحد"^(٨).



(١) سورة الشعراء: الآية ٧٧.

(٢) سورة مريم: الآية ٤٨.

(٣) سورة مريم: الآية ٤٩.

(٤) سورة التوبة: الآية ١١٤.

(٥) سورة الحج: الآية ٧٨.

(٦) سورة الشعراء: الآية ٧٧.

(٧) سورة النساء: الآية ١٢٥.

(٨) انظر: مفاتيح الغيب (١/٢١-٥٤٧-٥٤٨).

المبحث الثالث

الأهوال وأحوال الناس فيها

المطلب الأول: شدة الموقف.

المطلب الثاني: أحوال الكفار.

المطلب الثالث: أحوال العصاة والمذنبين.

المطلب الرابع: أحوال المؤمنين.

المطلب الأول: شدة الموقف

إن يوم القيامة شأنه عظيم، وأهواله شديدة؛ إذ إنه مصير الخلائق، فمن سلم من هوله وشدته فقد نجا وفاز، ومن زلت قدمه فقد هلك وأصابه الخسران الكبير، ولذلك يقول المولى عليه السلام: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾**، ففي هذه الآية يُحذِّرُ اللهُ عز وجل عباده من عقابه الشديد، ويصف عز وجل هول الموقف، وذلك يوم القيامة على الراجح من أقول المفسرين كما بيّن ذلك ابن جرير الطبري ^(٢)، وذلك أنه جاء من حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يؤيد هذا القول، فقد أخرج الترمذي ^(٣) - واللفظ له -، وأحمد ^(٤) - والحاكم ^(٥)، من حديث عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فِي سَفَرٍ، فَتَفَاوَتْ بَيْنَ أَصْحَابِهِ فِي السَّيْرِ ^(٦)، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم صَوْتَهُ بِهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ»**، إِلَى قَوْلِهِ **«وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ»** ^(٧)، فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ أَصْحَابُهُ حَثُّوا الْمَطِيَّ ^(٨)، وَعَرَفُوا أَنَّهُ عِنْدَ قَوْلِ يَقُولُهُ، فَقَالَ: "هَلْ تَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ ذَلِكَ؟" قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "ذَلِكَ يَوْمٌ يُنَادِي اللَّهُ فِيهِ آدَمَ، فَيُنَادِيهِ رَبُّهُ، فَيَقُولُ: يَا آدَمُ ابْعَثْ بَعَثَ النَّارِ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، وَمَا بَعَثَ النَّارِ؟ فَيَقُولُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعُ مِئَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ إِلَى النَّارِ وَوَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ"، فَيَسِسَ الْقَوْمُ، حَتَّى مَا أَبَدُوا بِضَاحِكَةٍ ^(٩)، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم الَّذِي بِأَصْحَابِهِ، قَالَ: "اعْمَلُوا وَأَبْشِرُوا... " الحديث ^(١٠).

(١) سورة الحج: الآيتان ١-٢.

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن (١٨ / ٥٥٧).

(٣) جامع الترمذي (٢٣١/٥)، كتاب تفسير القرآن، باب سورة الحج، حديث ٣١٦٩.

(٤) مسند أحمد (١٣٤/٣٣)، حديث ١٩٩٠١.

(٥) المستدرک على الصحيحين، للحاكم (٨١/١)، حديث ٧٨.

(٦) أي: وَقَعَ التَّفَاوُتُ وَالْبُعْدُ. (تحفة الأحوذی بشرح جامع الترمذی، للمبارکفوری ١٠/٩)

(٧) سورة الحج: الآيتان ١-٢.

(٨) أي: حَضُوها، وَالْمَطِيُّ جَمْعُ الْمَطِيَّةِ، وَهِيَ الدَّابَّةُ تَجِدُ وَتُسْرِعُ فِي سَيْرِهَا. (تحفة الأحوذی، للمبارکفوری ١٠/٩).

(٩) أي: مَا تَبَسَّمُوا، وَالضَّوَّاحِكُ الْأَسْنَانُ الَّتِي تَطْهَرُ عِنْدَ التَّبَسُّمِ. (المرجع نفسه ١٠/٩).

(١٠) قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح"، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه". (انظر:

جامع الترمذي ٣٢٣/٥، حديث ٣١٦٩، والمستدرک، للحاكم، مع التلخيص، للذهبي ٨١/١، حديث ٧٨).

وفي روايةٍ للبخاري^(١)، ومسلم^(٢)، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَقُولُ اللَّهُ ﻋَزَّ وَجَلَّ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، قَالَ: يَقُولُ: أَخْرِجْ بَعَثَ النَّارَ، قَالَ: وَمَا بَعَثَ النَّارَ، قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِئَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ، فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾^(٣).

ومن عِظَمِ الهول؛ أخبر النبي ﷺ أَنَّ الأمر يوم القيامة أشد من أن ينظر الناس بعضهم إلى بعض وهم حفاة عراة حين يبعثوا، فهم لا يلتفتون أصلاً إلى ذلك، ولا يفكرون في ذلك من شدة ما يرون من الأهوال والكربات حينئذ؛ لأنَّ همهم الوحيد نفسي نفسي، ونداءهم ربِّ سلم، ربِّ سلم، ففي الصحيحين -واللفظ للبخاري-، أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرُلًا"، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ، يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟ فَقَالَ: "الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهَمَّهُمْ ذَلِكَ"^(٤).

ومن المعالم الدالة على هول يوم القيامة طيُّ السماء وقبضُ الأرض، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٥).

ولقد بيَّن المولى رحمته الله عليه في آية أخرى كيفية طيِّه للسموات، فقال: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْهَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾^(٦).
ولقد دلَّت الأحاديث الصحيحة على ذلك، ففي الصحيحين عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه

(١) صحيح البخاري (١١٠/٨)، كتاب الرقاق، باب قوله ﷺ: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾، حديث ٦٥٣٠.

(٢) صحيح مسلم (٢٠١/١)، كتاب الإيمان، باب قول الله ﷻ: لآدم أخرج بعث النار، حديث ٢٢٢.

(٣) سورة الحج: الآية ٢.

(٤) صحيح البخاري (١٠٩/٨)، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر، حديث ٦٥٢٧، وصحيح مسلم (٢١٩٤/٤)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، حديث ٢٨٥٩.

(٥) سورة الزمر: الآية ٦٧.

(٦) سورة الأنبياء: الآية ١٠٤.

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: "يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ" (١).

وفي روايةٍ عند مسلمٍ، من حديث عبد الله بن عمرٍ رضي الله عنهما، قال رسول الله ﷺ: "يَطْوِي اللَّهُ ﷻ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ، أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟! ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ، أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟! (٢).

وفي روايةٍ في الصحيحين، من حديث ابن مسعودٍ رضي الله عنه، جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْأَخْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا بَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ؛ فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٣) (٤).

قال القرطبي: "هذه الأحاديث تدلُّ على أن الله ﷻ يُفني جميع خلقه أجمع؛ لأن المقصود إظهاره انفراده تعالى بالملك عند انقطاع دعوى المدَّعين، وانتساب المنتسبين، إذ قد ذهب كلُّ مَلِكٍ ومُلْكِهِ، وكلُّ جَبَّارٍ ومُتَكَبِّرٍ ومُلْكِهِ، وانقطعت نسبتهم ودعاويهم" (٥).

ومن المعالم الدالة على هول يوم القيامة اضطراب الكون واختلال الموازين، فقد أخرج الترمذي (٦)، وأحمد (٧)، والطبراني في الكبير (٨)، والحاكم (٩)، من حديث ابن عمرٍ رضي الله عنهما،

(١) سبق تخريجه ص ١٤٧.

(٢) صحيح مسلم (٤/ ٢١٤٨)، كتاب القيامة وصفة الجنة والنار، حديث ٢٧٨٨.

(٣) سورة الزمر: الآية ٦٧.

(٤) صحيح البخاري (٦/ ١٢٦)، كتاب التفسير، باب قوله ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾، حديث ٤٨١١، صحيح مسلم

(٤/ ٢١٤٧)، كتاب القيامة وصفة الجنة والنار، حديث ٢٧٨٦.

(٥) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، للقرطبي (١/ ٢١٥).

(٦) جامع الترمذي (٥/ ٣٥٨)، كتاب تفسير القرآن، باب وَمِنْ سُورَةِ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، حديث ٣٣٣٣.

(٧) مسند أحمد (٨/ ٥٢٨)، حديث ٤٩٣٤.

(٨) المعجم الكبير، للطبراني، ص ٣٣٨، حديث ١٤١٤٩.

(٩) المستدرک علی الصحیحین، للحاكم (٤/ ٥٧٦)، حديث ٨٧١٩.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأَى عَيْنٍ، فَلْيَقْرَأْ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ"^(١).

"والمراد هذه السور؛ فإنها مشتملة على ذكر أحوال يوم القيامة وأهواله"^(٢).

قال القرطبي: "وإنما كانت هذه السور الثلاث أخصَّ بالقيامة؛ لما فيها من انشقاق السماء، وانفطارها، وتكور شمسها، وانكدار نجومها، وتناثر كواكبها، إلى غير ذلك من أفزاعها وأهوالها، وخروج الخلق من قبورهم إلى سجونهم أو قصورهم بعد نشر صحفهم، وقراءة كتبهم وأخذها بأيامهم وشمائلهم، أو من وراء ظهورهم في موقفهم"^(٣).

ومن أعظم المعالم الدالة على هول القيامة وشدتها على الناس كافة؛ دنو الشمس من رؤوس العباد في ذلك اليوم، حتى لا يكون بينها وبينهم إلا مقدار ميل واحد، ولولا أنهم مخلوقون خلقًا غير قابل للفناء لانصهروا وذابوا وتبخروا، ولكنهم بعد الموت لا يموتون.

فقد أخرج الإمام مسلمٌ في صحيحه^(٤)، من طريق سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ، قال: حَدَّثَنِي الْمُقَدَّادُ بْنُ الْأَسْوَدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: "تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ"، قَالَ سُلَيْمٌ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ، أَمْسَافَةَ الْأَرْضِ، أَمْ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ؟ قَالَ: "فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ الْجَامَا"، قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ.

وفي الصحيحين من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٥) حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ"^(٦).

(١) قال الترمذي: "حديث حسن غريب"، وقال ابن حجر: "حديث جيد"، ووضحه الحاكم، ووافقه الذهبي. (جامع الترمذي ٣٥٨/٥، حديث ٣٣٣٣، فتح الباري ٦٩٥/٨، المستدرک، للحاكم، مع التلخيص، ٥٧٦/٤، حديث ٨٧١٩).

(٢) مرقاة المفاتيح، لعلي القاري (٣٥٢٢/٨)، وتحفة الأحوذى، للمباركفوري (٢٥٣/٩).

(٣) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص ٥٣٩.

(٤) صحيح مسلم (٢١٩٦/٤)، كتاب الجنة، باب في صفة القيامة، حديث ٢٨٦٤.

(٥) سورة المطففين: الآية ٦.

(٦) صحيح البخاري (١١١/٨)، كتاب الرقاق، باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾،

حديث ٦٥٣١، صحيح مسلم (٢١٩٦/٤)، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب صفة يوم القيامة، حديث ٢٨٦٢.

وحيثذ، وفي هذا الموقف الرهيب، يذهب عرقهم في الأرض حتى يرويهها، ثم يرتفع فوق الأرض، ويأخذهم على قدر أعمالهم.

قال ابن أبي جمرة: "فأشدهم في العرق الكفار، ثم أصحاب الكبائر، ثم من بعدهم، والمسلمون منهم قليل بالنسبة إلى الكفار، ويستثنى الأنبياء، والشهداء، ومن شاء الله" (١).
وفي الصحيحين - واللفظ للبخاري -، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "يَعْرِقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرْقُهُمْ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا، وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ" (٢).

قال ابن أبي جمرة: "من تأمل الحالة المذكورة، عرف عِظَمَ الهول فيها؛ وذلك أَنَّ النار تَحْفُ بِأَرْضِ الموقف، وتُدْنِي الشمس من الرؤوس قَدْرَ ميل، فكيف تكون حرارة تلك الأرض، وماذا يرويهها من العرق، حتى يبلغ منها سبعين ذراعًا، مع أَنَّ كُلَّ واحدٍ لا يَجِدُ إِلَّا قَدْرَ موضع قدمه، فكيف تكون حالة هؤلاء في عرقهم مع تنوعهم فيه، إن هذا لِمِمَّا يَبْهَرُ العقول، وَيَدُلُّ على عظيم القدرة، ويقتضي الإيمان بأمور الآخرة، أن ليس للعقل فيها مجال، ولا يُعترض عليها بعقلٍ ولا قياسٍ ولا عادة، وإنما يُؤخذ بالقبول، ويدخل تحت الإيمان بالغيب، ومن توقف في ذلك دَلٌّ على خسارته وحرمانه" (٣).

وقال ابن حجر: "وفائدة الإخبار بذلك أن يتنبه السامع، فيأخذ في الأسباب التي تَحْلُصُهُ من تلك الأهوال، ويبادر إلى التوبة من التبعات، ويلجأ إلى الكريم الوهاب في عونته على أسباب السلامة، ويتضرع إليه في سلامته من دار الهوان، وإدخاله دار الكرامة بمنه وكرمه" (٤).



(١) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٣٩٤/١١).

(٢) صحيح البخاري (١١١/٨)، كتاب الرقاق، باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أَوْلِيكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، حديث ٦٥٣٢، وصحيح مسلم (٢١٩٦/٤)، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب صفة يوم القيامة، حديث ٢٨٦٣.

(٣) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٣٩٤/١١).

(٤) انظر: المرجع نفسه (٣٩٤/١١).

المطلب الثاني: أحوال الكفار

إن الكفار لا يُرثى لحالهم في الأهوال؛ من شدة الندم والحسرة التي تحيط بهم على ما فرطوا في حياتهم الدنيا، فهم في موقف لا يحسدون عليه، يتمنى بعضهم أن يرجع إلى الدنيا لعله يستدك ما فات، ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾^(١)، وينادي آخرون: ﴿رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٢)، ويتمنى أكثرهم أن لو كانوا في الدنيا بهائم ودواب، فلا يؤاخذون بما كسبوا، فقال تعالى محذراً الكافرين: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾^(٣).

قال الإمام الطبري: "يقول الكافر تمنياً لما يلقي من عذاب الله الذي أعدّه لأصحابه الكافرين به؛ يا ليتني كنت تراباً كالبهائم التي جعلت تراباً"^(٤).

وقد أخرج الإمام الطبري في تفسيره، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: "إِنَّ اللَّهَ يَخْشُرُ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ، كُلَّ ذَابَّةٍ وَطَائِرٍ وَانْسَانٍ، يَقُولُ لِلْبَهَائِمِ وَالطَّيْرِ: كُونُوا تُرَابًا، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ الْكَافِرُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا"^(٥).

(١) سورة المؤمنون: الآيتان ٩٩ - ١٠٠

(٢) سورة المنافقون: الآية ١٠.

(٣) سورة النبأ: الآية ٤٠.

(٤) تفسير الطبري (١٨٠/٢٤).

(٥) المرجع نفسه (١٨٠/٢٤).

أولاً: سند الحديث: قال الإمام الطبري: حدثنا ابن عبد الأعلى - هو: محمد بن عبد الأعلى الصنعائي -، قال: حدثنا ابن ثور - هو: محمد بن ثور الصنعائي -، عن معمر - هو: ابن راشد -؛ قال: وحدثني جعفر بن بُرقان، عن يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة - موقوفاً -... الحديث.

قلت: هذا الحديث يأخذ حكم المرفوع؛ إذ إنه من الغيبات التي لا مجال للرأي والاجتهاد فيها.

ثانياً: تخريج الحديث: أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٨٦/٤)، حديث (٧٢٦٢)، من طريق جعفر بن بُرقان به بنحوه. ثالثاً: دراسة رجال الإسناد:

- جعفر بن بُرقان، أبو عبد الله الكلابي، مولاها، الرقي، ت ١٥١هـ، وقيل: بعدها.

وثقه جمع من العلماء في غير روايته عن الزهري، منهم: ابن معين، وأحمد بن حنبل، و محمد عبد الله بن نمير، والنسائي والدارقطني، وابن عدي.

قال ابن معين: "كان ثقة صدوقاً، وما أصح روايته عن ميمون بن مهران، وأصحابه، أما روايته عن الزهري ليست بمستقيمة، وقد روى عن يزيد بن الأصم أحاديث". وقال أحمد بن حنبل: "ثقة ضابط لحديث ميمون، وحديث يزيد =

ولقد صَوَّرَ القرآن الكريم مشهد القيامة بشدته عليهم، فقال تعالى: ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿١﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾^(١).

قال ابن كثير: "أي: شديد، غير سهل عليهم، كما قال تعالى: ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾^(٢)»^(٣).

ويُخبر القرآن الكريم عن حالة الفزع التي تسيطر على نفوس الكفار في يوم الموقف العظيم، فيقول: ﴿وَأَنْذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينٍ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾^(٤)، وأن هؤلاء الكافرين يُنادون بالويل والثبور عند الأحوال، متسائلين من ذا الذي بعثهم من رُقادهم وسباتهم العميق، فقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾^(٥).

ولقد تأملنا في المطلب السابق^(٦)، كيف تدنو الشمس من رؤوس العباد في هذا الموقف، حتى لا يكون بينها وبينهم إلا مقدار ميل واحد، ويذهب عرقهم في الأرض حتى يرويهما، ثم يرتفع فوق الأرض، ويأخذهم على قدر أعمالهم - ولا شك أن الكفار في هذا

= ابن الأصم، وهو في حديث الزهري يضطرب، ويختلف فيه". وقال الدارقطني: "فأما حديثه عن ميمون بن مهران ويزيد بن الأصم فثابت صحيح". أما ابن حجر، قال: "صدوق يهم في حديث الزهري". قلت: الراوي ثقة يخطئ في حديث الزهري. (انظر ترجمته: تهذيب الكمال، للمزي ١٣/٥، سؤالات ابن الجنيد لابن معين، ص ٣٨٥، ٣٩٥، تاريخ ابن معين - رواية الدوري - ٤/٤٤٦، علل الترمذي الكبير - ترتيب أبي طالب القاضي -، ص ١١٩، الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي ١/٤١٢، تهذيب التهذيب ٨٦/٢، تقريب التهذيب، لابن حجر، ص ٩٣).

- باقي رجال الإسناد ثقات.

رابعاً: الحكم على الحديث: إسناده صحيح، رواه ثقات، وجعفر بن بُرقان لم يرو عن الزهري، وإنما روى عن يزيد الأصم، وحديثه عنه ثابت صحيح كما صرح بذلك جمع من أهل العلم. وقد صححه الألباني، قال: "هذا إسناده صحيح، ورجاله ثقات رجال مسلم غير ابن ثور وهو محمد الصنعاني، وهو وإن كان موقوفاً فإنه شاهد قوي للمرفوع؛ لأنه لا يُقال من قبل الرأي". (السلسلة الصحيحة ٤/٦٠٧).

(١) سورة المدثر: الآيات ٩-١٠.

(٢) سورة القمَر: الآية ٨

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢٦٥/٨).

(٤) سورة غافر: الآية ١٨

(٥) سورة يس: الآيتان ٥١-٥٢

(٦) انظر المطلب السابق: "شدة الموقف على الناس عامة".

المشهد أسوأ الناس حالاً-، ولولا أنهم مخلوقون خلقاً غير قابل للفناء لانصهروا وذابوا وتبخروا، ولكنهم بعد الموت لا يموتون.

ولقد بيّن لنا النبي ﷺ أن الكافر يبعث ويحشر يوم القيامة ماشياً على وجهه، وهو في حالة ذلّ وهوان لم يسبقه إليه أحد، ففي الصحيحين من حديث قتادة^(١)، قال: حَدَّثَنَا أَنَسُ ابْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟! قَالَ: "أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرَّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟" قَالَ قَتَادَةُ: بَلَى وَعِزَّةَ رَبِّنَا^(٢).

وفي رواية من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ: صِنْفًا مُشَاءً، وَصِنْفًا رُكْبَانًا، وَصِنْفًا عَلَى وُجُوهِهِمْ"، قيل: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَمْشُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ؟ قَالَ: "إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَى أقدامِهِمْ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَمَا إِنَّهُمْ يَتَّقُونَ بِوُجُوهِهِمْ كُلَّ حَدَبٍ وَشَوْكٍ"^(٣).

قلت: وهذا مصداق لقول ربنا ﷻ: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِّيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(٥).

قال القاضي عياض: "يَتَّقُونَ بِوُجُوهِهِمْ: يُرِيدُ بِهِ بَيَانُ هَوَانِهِمْ وَاضْطِرَارِهِمْ، إِلَى حَدِّ جَعَلُوا وَجُوهِهِمْ مَكَانَ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلِ فِي التَّوَقُّيِ عَنِ مَوْذِيَاتِ الطَّرِيقِ وَالْمَشْيِ إِلَى الْمَقْصَدِ، لَمَّا لَمْ يَجْعَلُوا سَاجِدَةً لِمَنْ خَلَقَهَا وَصَوَّرَهَا"^(٦).

وقال ابن حجر: "ويؤخذ من مجموع الأحاديث؛ أن المقربين يُحشرون رُكبانًا، ومن دُونَهُمْ من

(١) هو: قَتَادَةُ بْنُ دِعَامَةَ السَّدُوسِيُّ. (سبقته ترجمته، ص ١٣٤).

(٢) صحيح البخاري (١٠٩/٨)، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر، حديث ٦٥٢٢، وصحيح مسلم (٢١٦١/٤)، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب يحشر الكافر على وجهه، حديث ٢٨٠٦.

(٣) سبق تخرجه، ص ١٥٧.

(٤) سورة الإسراء: الآية ٩٧.

(٥) سورة الفرقان: الآية ٣٤.

(٦) انظر: تحفة الأحوذى، للمباركفوري (٤٦٠/٨).

المسلمين على أقدامهم، وأمَّا الكفَّار فيُحشرون على وجوههم^(١)، والحكمة في حشر الكافر على وجهه؛ أنه عُوقِبَ على عدم السجود لله في الدنيا بأن يُسحب على وجهه في القيامة إظهاراً لهوانه، بحيث صار وجهه مكان يده ورجله في التَّوَقِّي عن المؤذيات"^(٢).

وقال علي القاري: "والمعنى أن وجوههم واقيةٌ لأبدانهم من جميع الأذى؛ لأجل أن غُلَّت أيديهم وأرجلهم، والأمر في الدنيا على عكس ذلك، وإمَّا كان كذلك لأن الوجه الذي هو أعز الأعضاء لم يضعه ساجداً على التراب، وعدَلَ عنه تكبُّراً، فجعل أمره على العكس"^(٣).

زعم بعضُ المفسِّرين أنَّ المراد بـ "أَنَّ يُمَشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ" من باب ضرب المثل، ولا يُراد به حقيقة المشي.

ويُجاب عن ذلك بأنَّ: "الظاهر بالمراد بالمشي حقيقته، فلذلك استغروه حتى سألوا عن كيفيته، فالجواب الصادر عن النبي ﷺ ظاهر في تقرير المشي على حقيقته"^(٤)، "وإخباره حق، ووعدده صدق، والله على كلِّ شيء قديرٌ، فلا ينبغي أن يُستبعد مثل ذلك"^(٥).

ويقصُّ علينا النبي ﷺ مشهداً من مشاهد الذل والهوان لإمامٍ من أئمة الكفر الذين كذَّبوا الرسل وحاربوا دعوة الله ﷻ، فتأمَّلْ مصير أبي إبراهيم عليه السلام وهو في الأهوال، فقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "يَلْقَى إِبْرَاهِيمَ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِهِ آزَرَ قَتْرَةٌ وَعَبْرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي؟ فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ، إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الْأَبْعَدِ^(٦)؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِدِيخٍ^(٧) مُلْتَطِخٍ^(٨)، فَيُؤْخَذُ

(١) فتح الباري، لابن حجر (٤٩٢/٨).

(٢) المرجع نفسه (٣٨٣/١١).

(٣) مرقاة المفاتيح (٣٥٢٢/٨).

(٤) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٣٨٢/١١).

(٥) مرقاة المفاتيح، لعلي القاري (٣٥٢١/٨)، تحفة الأحوذى، للمباركفوري (٤٦٠/٨).

(٦) الهالك، شديد البعد من رحمة الله. (فتح الباري، لابن حجر ٥٠٠/٨).

(٧) ذكر الضبع الكثير الشَّعر. (عمدة القاري، للبعيني ٢٤٤/١٥).

(٨) أي: متلطخ بالرجيع أو بالطين أو بالدم. (المرجع نفسه ٢٤٤/١٥).

بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ" (١).

قال العيني: "قَتْرَةٌ: أَي سَوَاد الدُّخَان، وَغَبْرَةٌ: أَي غُبَار، وَلَا يُرَوَى أَوْحَش من اجْتِمَاع الغبرة والسواد فِي الوُجْهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبْرَةٌ ﴿٢﴾ تَرَهَقُهَا قَتْرَةٌ﴾ (٣).

قال ابن حجر: "قيل: الحكمة في مسخه؛ لتنفّر نفس إبراهيم عليه السلام منه، وَلَقَّلاً يبقَى في النار على صورته؛ فيكون فيه غضاضة على إبراهيم عليه السلام، وقيل الحكمة في مسخه ضبعًا؛ أنّ الضبع من أحمق الحيوان، وآزر كان من أحمق البشر؛ لأنه بعد أن ظهر له من ولده من الآيات البينات أصرّ على الكفر حتى مات، ولأنّ إبراهيم بالغ في الخضوع له، وخفض الجناح، فأبى واستكبر وأصرّ على الكفر، فعومل بصفة الذلّ يوم القيامة" (٤).

وذكر القسطلاني نحوًا من كلام ابن حجر، لكنه زاد: "وفي هذا الحديث دليلٌ على أنّ شرف الولد لا ينفع الوالد إذا لم يكن مسلمًا" (٥).

وبعد هذا كله فلا عجب إذا من أن يتمنى الكافر أن يفتدي من عذاب الله وعجّل بأي ثمن، ولكن هيهات هيهات، قال تعالى: ﴿يُبْصِرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿٦﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿٧﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿٨﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿٩﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَلظَى ﴿١٠﴾، وقال عليه السلام: ﴿إِنَّ الدِّينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (٧).

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أنّ نبي الله صلى الله عليه وآله كان يقول: "يُجَاءُ بِالْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ لَهُ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا، أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟

(١) صحيح البخاري (١٣٩/٤)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى ﴿وَالتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾، حديث ٣٣٥٠.

(٢) سورة عبس: الآيتان ٤٠-٤١.

(٣) عمدة القاري (١٥ / ٢٤٤).

(٤) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٥٠٠/٨).

(٥) انظر: إرشاد الساري، للقسطلاني (٣٤٤/٥)، (٢٧٩/٧).

(٦) سورة المعارج: الآيات ١١-١٦.

(٧) سورة آل عمران: الآية ٩١.

فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقَالُ لَهُ: قَدْ كُنْتَ سَأَلْتَ مَا هُوَ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ" (١).

وفي روايةٍ لمسلم، قال: "فَيَقَالُ لَهُ: كَذَبْتَ قَدْ سَأَلْتَ مَا هُوَ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ" (٢).

وفي روايةٍ أخرى لمسلم، قال: "فيقول: قد أردتُ منك أهونَ من هذا وأنتَ في صلبِ

آدمَ، أن لا تُشركَ، ولا أدخلك النارَ فأبَيْتَ إلا الشركَ" (٣).

قال القاضي عياض: "يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ

ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ (٤)، فهذا الميثاق الذي أخذ عليهم في

صلب آدم، فمن وثق به بعد وجوده في الدنيا فهو مؤمن، ومن لم يوفَّ به فهو الكافر، فمراد

الحديث: أردت منك حين أخذت الميثاق؛ فأبيت إذ أخرجتك إلى الدنيا إلا الشرك" (٥).

وأما قوله: "فَيَقَالُ لَهُ كَذَبْتَ"، قال النووي: "معناه: أن يُقال له: لو رددناك إلى الدنيا،

وكانت لك كلها، أكنت تفتدي بها؟ فيقول: نعم، فيقال له: كذبت، قد سئلت أيسر من

ذلك؛ فأبيت، ويكون هذا من معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ

لِكَاذِبُونَ﴾ (٦)، ولا بد من هذا التأويل؛ ليُجمع بينه وبين قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا

فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (٧)، أي: لو كان لهم يوم

القيامة ما في الأرض جميعًا ومثله معه وأمكنتهم الافتداء لافتدوا" (٨).

ومن أعظم مظاهر خسران الكافرين في أهوال القيامة إحباط أعمالهم (٩)؛ وذلك أنها

(١) صحيح البخاري (١١٢/٨)، كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب، حديث ٦٥٣٨، صحيح مسلم

(٤/٢١٦٠)، كتاب القيامة وصفة الجنة والنار، باب طلب الكافر الفداء بمِلءِ الأرض ذهبًا، حديث ٢٨٠٥.

(٢) صحيح مسلم (٤/٢١٦٠)، كتاب القيامة وصفة الجنة والنار، باب طلب الكافر الفداء بمِلءِ الأرض ذهبًا،

حديث ٢٨٠٥.

(٣) المرجع نفسه (٤/٢١٦٠).

(٤) سورة الأعراف: الآية ١٧٢.

(٥) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم (٨/١٧٠).

(٦) سورة الأنعام: الآية ٢٨.

(٧) سورة الزمر: الآية ٤٧.

(٨) شرح النووي على صحيح مسلم (١٧/١٤٧).

(٩) لقد تحدثت عن مسألة إحباط أعمال الكفار بشيء من التفصيل، ص ٣٥.

تذهب هباءً منثورًا، كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾^(١). ومن هؤلاء اليهود والنصارى، ومن أشرك بالله ما لم ينزل به سلطانًا، وعبد غير الله عز وجل، فإن فريقًا منهم يُجهدون أنفسهم بالعبادة، وفعل الخيرات، ويظنون أن ذلك ينفعهم عند الله عز وجل، والله تعالى يقول في حقهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُورًا^(٢).

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ﴾ أي: "بطل عملهم واجتهادهم في الدنيا، وهم يظنون أنهم محسنون بأفعالهم"^(٣).

وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾ أي: "جحدوا دلائل توحيده، وكفروا بالبعث والجزاء، وذلك أنهم بكفروهم برسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن، صاروا كافرين بهذه الأشياء"^(٤). وقد أخرج البخاري من حديث مُصْعَبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ سَأَلْتُ أَبِي: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾^(٥)، هُمُ الْخُرُورِيُّ؟ قَالَ: "لَا، هُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، أَمَّا الْيَهُودُ فَكَذَّبُوا مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم، وَأَمَّا النَّصَارَى فَكَفَرُوا بِالْجَنَّةِ، وَقَالُوا: لَا طَعَامَ فِيهَا وَلَا شَرَابَ"^(٦). "ووجهُ خُسْرَانِهِمْ أَنَّهُمْ تَعَبَّدُوا عَلَىٰ غَيْرِ أَصْلِ فَاِبْتَدَعُوا؛ فَخَسِرُوا الْأَعْمَارَ وَالْأَعْمَالَ"^(٧).



(١) سورة الفرقان: الآية ٢٣.

(٢) سورة الكهف: الآيات ١٠٣-١٠٦.

(٣) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (١١٢/٣).

(٤) المرجع نفسه (١١٢/٣).

(٥) سورة الكهف: الآية ١٠٣.

(٦) نسبة إلى خُرُوراء، وهي القرية التي كان ابتداءً خروج الخوارج على علي عليه السلام منها. (فتح الباري، لابن حجر ٤٢٥/٨).

(٧) صحيح البخاري (٩٣/٦)، كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾، حديث ٤٧٢٨.

(٨) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٤٢٦/٨).

المطلب الثالث: أحوال العصاة والمذنبين

إن المعاصي توقع أصحابها يوم القيامة في أهوال وصعاب، ولذلك جاءت نصوص الشريعة الغرّاء لتحذّر العباد منها، أمّا لهم في الدنيا، ووقاية لهم في الآخرة، ومن أصحاب المعاصي:

أولاً: مانعو الزكاة:

توعّد الحقُّ ﷺ مانعي الزكاة بعذاب من جنس ما اقترفوه، فيأتي عذابهم على أحد وجهين: الأول: أن يُمثّل المأل لصاحبه شجاعاً أقرعاً، له زيتان، فيطوّق عنقه، ويأخذ بشدقيه، قائلاً له: أنا مالك، أنا كنزك.

أخرج البخاري، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ، مَثَّلَ لَهُ مَالُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعًا^(١) لَهُ زَيْبَتَانِ^(٢)، يُطَوِّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٣)، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلَهْزِمَتَيْهِ يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ^(٤)، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالِكُ، أَنَا كَنْزُكَ"، ثُمَّ تَلَا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(٥)»^(٦).

وفي رواية لمسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: "وَلَا مِنْ صَاحِبِ مَالٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهُ؛ إِلَّا تَحَوَّلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعًا يَتَّبِعُ صَاحِبَهُ حَيْثَمَا ذَهَبَ وَهُوَ يَفْرُ مِنْهُ، وَيُقَالُ: هَذَا مَالِكُ الَّذِي كُنْتَ تَبْخُلُ بِهِ، فَإِذَا رَأَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهُ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي فِيهِ،

(١) الشُّجَاعُ: الحَيَّةُ الذَّكْرُ، وَالْأَقْرَعُ: الَّذِي تُفْرَعُ وَتُمْعَطُ رَأْسُهُ؛ لِكَثْرَةِ سَمِّهِ. (فتح الباري، لابن حجر ٢٧٠/٣).

(٢) الزَّيْبَةُ: نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فَوْقَ عَيْنِ الْحَيَّةِ، وَقِيلَ: هُمَا نُقْطَتَانِ تَكْتَنِفَانِ فَاهَا، وَقِيلَ: هُمَا زَيْبَتَانِ فِي شِدْقَيْهَا. (النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، "زَبَب"، ٢٩٢/٢).

(٣) أي: يُجْعَلُ لَهُ كَالطَّوْقِ فِي عُنُقِهِ. (المرجع نفسه، "طَوَّقَ"، ١٤٣/٣).

(٤) أي: جانبي الفم. (إرشاد الساري، للقسطلاني ٩/٣).

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٨٠.

(٦) صحيح البخاري (١٠٦/٢)، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، حديث ١٤٠٣.

فَجَعَلَ يَفْضُمَهَا^(١) كَمَا يَفْضُمُ الْفَحْلُ^(٢).

قوله: "ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالِكٌ، أَنَا كَنْزُكَ": "يُخَاطَبُ بِهِ صَاحِبُ الْمَالِ لِمَزِيدِ الْغَصَةِ وَالْهَمِّ، لِأَنَّهُ شَرُّ أَتَاهُ مِنْ حَيْثُ كَانَ يَرْجُو فِيهِ خَيْرًا، فَتَكُونُ الْحَسْرَةُ وَالزِّيَادَةُ فِي التَّعْذِيبِ، حَيْثُ لَا يَنْفَعُهُ النَّدَمُ، وَفِيهِ نَوْعٌ تَهَكُّمٌ"^(٣).

أما الوجه الثاني: أن يؤتى بماله، فإن كان من الذهب أو الفضة جعل صفائح من نار، ثم عذب به صاحبه، وإن كان المال حيوانًا؛ إبلًا أو بقرةً أو غنمًا، أرسل على صاحبه فعذب به، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾^(٤).

وفي تفسير هذه الآيات الكريمة أخرج ابن أبي شيبة^(٥)، والطبراني^(٦)، والطبري^(٧)، وابن أبي حاتم^(٨)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه - موقوفًا^(٩) -، قَالَ: "وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، لَا يُعَذَّبُ اللَّهُ رَجُلًا يَكْنِزُ فِيمَسُّ دِرْهَمَ دِرْهَمًا، وَلَا دِينَارَ دِينَارًا، وَلَكِنْ يُوسِّعُ جِلْدَهُ حَتَّى يُوَضَعَ كُلُّ دِرْهَمٍ وَدِينَارٍ عَلَى حِدَّتِهِ"^(١٠).

"المعنى أنهم يكونون على الجهات الأربع؛ أمّا من مقدمه فعلى الجبهة، وأمّا من خلفه فعلى الظهر، وأمّا من يمينه ويساره فعلى الجنبين.

(١) الْقَضْمُ بِأَطْرَافِ الْأَسْنَانِ، وَمَعْنَاهُ يَعْضُّهَا. (شرح النووي على مسلم ١٦٠/١١).

(٢) صحيح مسلم، (٦٨٤/٢)، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، حديث ٩٨٨.

(٣) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٢٧٠/٣)، عمدة القاري، للعيني (٢٥٣/٨).

(٤) سورة التوبة: الآيتان ٣٤-٣٥.

(٥) المصنف (٤٢٧/٢)، حديث ١٠٦٩٧.

(٦) المعجم الكبير (١٥٠/٩)، حديث ٨٧٥٤.

(٧) جامع البيان في تأويل آي القرآن (٢٣٣/١٤)، حديث ١٦٦٨٢، ١٦٦٨٣.

(٨) تفسير ابن أبي حاتم (١٧٩٠/٦)، حديث ١٠٠٩٢.

(٩) هذا الحديث يأخذ حكم المرفوع؛ إذ إنه من الغيبات التي لا مجال للرأي والاجتهاد فيها.

(١٠) قال المنذري: "رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ مُؤَفَّقًا بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ"، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات، وقال في موضع آخر: "رجاله رجال الصحيح"، وأشار ابن حجر الهيثمي إلى تصحيحه. (الترغيب والترهيب، للمنذري ٣١٠/١، مجمع الزوائد، للهيثمي ٢٠٤/٣، ١٠٤/٧، الزواجر عن اقتراح الكبائر، لابن حجر الهيثمي ٢٨٢/١).

وخصت الجباه والجنوب والظهور بالكبي؛ لأن الغني صاحب الكنز إذا رأى الفقير قبض جبهته، وإذا جلس الفقير بجانبه تباعد عنه، وولى عليه ظهره، وأعرض عنه بشحّه، وهي النهاية في الردّ، والغاية في المنع الدال على كراهية الإعطاء والبدل، وهذا دأب مانعي البرّ والإحسان، وعادة البخلاء.

وقيل: لأنّ جمعهم وإمساكهم المال كان لطلب الوجاهة بالغنى، والتنعم بالمطاعم الشهية، والملابس البهية، أو لأنها أشرف الأعضاء الظاهرة لاشتمالها على الأعضاء الرئيسة^(١). وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "مَا مِنْ صَاحِبِ كَنْزٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهُ إِلَّا أُحْمِيَ عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُجْعَلُ صَفَائِحَ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبَاهُ وَجَبِينُهُ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَ عِبَادِهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ يَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ."

وَمَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهَا إِلَّا بُطِحَ^(٢) لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ^(٣) كَأَوْفَرٍ مَا كَانَتْ تَسْتَنْتُ عَلَيْهِ، كُلَّمَا مَضَى عَلَيْهِ أُخْرَاهَا رُدَّتْ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَ عِبَادِهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ يَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ.

وَمَا مِنْ صَاحِبِ غَنَمٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهَا إِلَّا بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ كَأَوْفَرٍ مَا كَانَتْ، فَتَطْوُهُ بِأَطْلَافِهَا^(٤)، وَتَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا، لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءُ^(٥) وَلَا جَلْحَاءُ^(٦)، كُلَّمَا مَضَى عَلَيْهِ أُخْرَاهَا رُدَّتْ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَ عِبَادِهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ، ثُمَّ يَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ^(٧).

(١) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي (٢/٣٤٤)، ولباب التأويل في معاني التنزيل، للحازن (٢/٣٥٦)، فتح الباري، لابن حجر (٣/٢٧٠)، والسراج المنير، للخطيب الشربيني (١/٦٠٩).

(٢) بَطِحَ: مَعْنَاهُ أُلْقِيَ عَلَى وَجْهِهِ، وَقِيلَ: لَيْسَ مِنْ شَرْطِهِ كَوْنُهُ عَلَى الْوَجْهِ، وَإِنَّمَا هُوَ بِمَعْنَى الْبَسْطِ وَالْمَدِّ، فَقَدْ يَكُونُ عَلَى وَجْهِهِ، وَقَدْ يَكُونُ عَلَى ظَهْرِهِ. (شرح النووي على مسلم ٧/٦٤).

(٣) الْقَاعُ، وَالْقَرْقَرُ: كِلَاهُمَا بِمَعْنَى الْمُسْتَوِيِّ الْوَاسِعِ مِنَ الْأَرْضِ. (المرجع نفسه ٧/٦٤).

(٤) طَرِحَ التَّشْرِيْبَ فِي شَرْحِ التَّقْرِيبِ، لِلْعِرَاقِيِّ (٤/١٣).

(٥) الْعَقْصَاءُ: مُلْتَوِيَةُ الْقُرْنَيْنِ. (شرح النووي على مسلم ٧/٦٥).

(٦) الْجَلْحَاءُ: الَّتِي لَا قُرْنَ لَهَا. (المرجع نفسه ٧/٦٥).

(٧) صحيح مسلم (٢/٦٨٠)، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، حديث ٩٨٧.

في قوله "مَا مِنْ صَاحِبِ كَنْزٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهُ إِلَّا أُحْمِيَ عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ"، قال ابنُ عمر رضي الله عنهما: "كُلُّ مَالٍ تَوَدَّى زَكَاتَهُ فَلَيْسَ بِكَنْزٍ وَإِنْ كَانَ مَدْفُونًا، وَكُلُّ مَالٍ لَا تَوَدَّى زَكَاتَهُ فَهُوَ كَنْزٌ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَدْفُونًا"^(١).

وفي قوله: "فَيُجْعَلُ صَفَائِحُ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبَاهُ وَجَبِينُهُ"، قال ابن حجر الهيتمي^(٢): "أي: يُوسِّعُ جِسْمَهُ لَهَا كُلَّهَا وَإِنْ كَثُرَتْ"^(٣).

وقوله: "كُلَّمَا مَضَى عَلَيْهِ أُخْرَاهَا رُدَّتْ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا": "فيه أن الله تعالى يحییها بعینها؛ ليعاقبه بها، وفي ذلك معاملة له بنقيض قصده؛ لأنه قصد بمنع حق الله فيها الارتفاق والانتفاع بما منعه منها، فكان ذلك الذي قصد الانتفاع به أضرَّ الأشياء عليه، وسُلِّطَ عليه حتى باشر عقوبته بنفسه"^(٤).

وفي قوله: "حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَ عِبَادِهِ...، ثُمَّ يَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ": فيه إشارة إلى أن هذا يحصل قبل بدء الحساب وفصل القضاء بين العباد، وقد ذكر أبو الفضل عبدالرحيم العراقي نحوًا مما أشرتُ إليه^(٥).

وبالجملة يُستفاد مما سبق: "إثم مانع الزكاة والوعيد الشديد المترتب على ذلك، وأنَّه كبيرة من الكبائر، وإلا لما ترتب عليه هذا الوعيد، وأنَّ العبد إذا لم يشكر النعمة، ويؤدي حق الله فيها تكون نقمة ووبالًا عليه يوم القيامة، وتتمثل له في أبشع الصور التي تؤلمه وتؤذيه"^(٦).

(١) شرح السنة، للبغوي (٤٧٧/٥).

(٢) هو: أبو العباس، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، ت ٩٧٤هـ، ومن أشهر كتبه: تحفة المحتاج لشرح المنهاج في فقه الشافعية، وشرح مشكاة المصابيح للتبريزي، وشرح الأربعين النووية، والدرر الزاهرة في كشف بيان الآخرة، الزواج عن اقتراف الكبائر. (الأعلام، للزركلي ١/٢٣٤).

(٣) الزواج عن اقتراف الكبائر (٢٧٧/١).

(٤) طرح التشريب في شرح التقريب، للعراقي (٦/٤).

(٥) المرجع نفسه (١٠/٤).

(٦) منار القاري، لحمزة محمد قاسم (١١/٣).

ثانياً: المتكبرون:

حيث يبعثون في صورة مهينة وذليلة، فقد روى الترمذي^(١)، وأحمد^(٢)، والبغوي^(٣)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرَّجَالِ، يَعْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ...". الحديث^(٤).

قلت: ولا تعارض بين هذا الحديث الذي يوحى بصغر حجم العصاة والكافرين يوم القيامة، وبين الحديث الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "مَا بَيْنَ مَنْكَبِي الْكَافِرِ مَسِيرَةٌ ثَلَاثَةٌ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ الْمُسْرِعِ"^(٥)، الذي يوحى بتعاضد أجسام الكفار في النار، فحديثنا يبين حالهم في العرصات والأهوال، وذاك يبين حالهم بعد ما يُساقون إلى النار. قال العيني: "هذا -أي حديثنا- في أول الأمر عند الحشر، والأحاديث المذكورة محمولة على ما بعد الاستقرار في النار"^(٦).

وقال ابن كثير: "قَالَ مُرَادُ أَنَّهُمْ يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْعَرَصَاتِ، فَإِذَا سَيِّقُوا إِلَى النَّارِ دَخَلُوهَا، وَقَدْ عَظُمَتْ خَلَقَتُهُمْ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَنْكَى فِي تَعْذِيهِمْ، وَأَعْظَمَ فِي تَعْبِهِمْ وَلَهِيهِمْ"^(٧). ومن الذل والهوان الذي يصيب المتكبرين في الآخرة، أن أسماءهم التي كانوا يفرحون ويتباهون ويفتخرون بها تصبح يوم القيامة أنكر الأسماء، وأحبثها، وأغیظها على الله ﻋَﻠَیْهِ. ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَخْنَى الْأَسْمَاءِ

(١) جامع الترمذي (٢٣٦/٤) كتاب صفة القيامة والرفائق والورع عن رسول الله ﷺ، حديث ٢٤٩٢.

(٢) مسند أحمد (٢٦٠/١١)، حديث ٦٦٧٧.

(٣) شرح السنة (١٦٧/١٣)، حديث ٣٥٩٠.

(٤) حسنه الترمذي والبغوي. (جامع الترمذي ٢٣٦/٤، حديث ٢٤٩٢، وشرح السنة، للبغوي ١٦٧/١٣، حديث ٣٥٩٠).

(٥) صحيح البخاري (١١٤/٨)، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، حديث ٦٥٥١، وصحيح مسلم (٢١٨٩/٤)،

كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، حديث ٢٨٥٢.

(٦) عمدة القاري، للعيني (١٢١/٢٣).

(٧) النهاية في الفتن والملاحم، لابن كثير (١٦٩/٢).

يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ؛ رَجُلٌ تَسْمَى مَلِكَ الْأَمْلاَكِ" (١).

وفي رواية لمسلم: "أَغِيظُ رَجُلٍ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَخْبَتْهُ، وَأَغِيظُهُ عَلَيْهِ؛ رَجُلٌ كَانَ يُسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلاَكِ، لَا مَلِكَ إِلَّا اللَّهُ" (٢).

قال المازري: "يكره لما فيه من التعظيم والكبر" (٣).

وقال القاضي عياض: "أخنع: معناه أشدُّ الأسماءِ صَعَارًا" (٤).

وقال ابن بطلال: "وإذا كان الاسمُ أذللَّ الأسماءِ، كان من تسمى به أشدَّ ذلًّا" (٥).

ثالثًا: الذين لا يكلمهم الله ولا يزكّيهم ولا ينظر إليهم:

ومعنى: "لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ: أي تكليم أهل الخيرات بإظهار الرضى لهم، بل بكلام أهل السخط والغضب، وقيل: المراد الإعراض عنهم، وقيل: لا يُكَلِّمُهُم بما ينفعهم ويسرّهم، ولا بما يحبون ويشتهون، وقيل: لا يرسل إليهم الملائكة بالتحية.

وَلَا يُزَكِّيهِمْ: أي لا يطهّره من دنس ذنوبهم.

وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ: أي يُعْرَضُ عَنْهُمْ، وَلَا يَعْطِفُ عَلَيْهِمْ بِخَيْرٍ؛ مقتًا من الله لهم، لأنَّ نظره بِحَالِهِمْ لعباده رحمته ولطفه بهم" (٦).

قلت: وهؤلاء العصاة والمذنبون على أنواع، فمنهم:

(١) صحيح البخاري (٤٥/٨)، كتاب الأدب، باب أبغض الأسماء عند الله، حديث ٦٢٠٥، وصحيح مسلم

(٢) (١٦٨٨/٣)، كتاب الآداب، باب تحريم التسمي بملك الأملاك وملك الملوك، حديث ٢١٤٣.

(٣) صحيح البخاري (٤٥/٨)، كتاب الأدب، باب أبغض الأسماء عند الله، حديث ٦٢٠٥، وصحيح مسلم

(٤) (١٦٨٨/٣)، كتاب الآداب، باب تحريم التسمي بملك الأملاك وملك الملوك، حديث ٢١٤٣.

(٥) المعلم بفوائد مسلم (٣/١٤٤).

(٦) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٧/١٨).

(٧) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٤١١/١٧). قلت: وقد بحثت عن عبارة ابن بطلال في كتابه شرح صحيح البخاري فلم أجدها.

(٨) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن، للطبري (٣/٣٣٠) (٦/٥٢٨)، شرح النووي على مسلم (٢/١١٦).

الذين يكتمون العلم؛ إرضاءً لحاكم، أو تحقيقًا لمصلحة، أو طلبًا لعرض دينوي^(١)، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢).

قال ابن كثير: "وذلك لأنه غضبان عليهم؛ لأنهم كتموا وقد علموا، فاستحقوا الغضب، فلا ينظر إليهم ولا يزيكهم، أي يثني عليهم ويمدحهم بل يعذبهم عذابًا أليمًا"^(٣).

ومنهم: الذين ينقضون عهد الله، ويشترون بأيمانهم ثمنًا قليلًا؛ تحقيقًا لكسب دينوي تافه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٤).

قلت: ولهذه الآية سبب نزول، فقد روى البخاري في صحيحه، من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا أَقَامَ سِلْعَةً وَهُوَ فِي السُّوقِ فَحَلَفَ بِاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَى بِهَا مَا لَمْ يُعْطَ لِيُوقِعَ فِيهَا رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَنَزَلَتْ... الآية^(٥).

وفي رواية في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ وَهُوَ فِيهَا فَاجِرٌ، لِيَقْتَطَعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ". قَالَ: فَقَالَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ رضي الله عنه: فِيَّ وَاللَّهِ كَانَ ذَلِكَ، كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ أَرْضٌ فَجَحَدَنِي، فَقَدَّمْتُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَلَاكَ بَيْنَةٌ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَقَالَ لِلْيَهُودِيِّ: اخْلِفْ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذَا يَخْلِفُ وَيَذْهَبُ بِمَالِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ^(٦).

(١) القيامة الكبرى، لعمر سليمان الأشقر، ص ١٤٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٧٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/٤٨٤).

(٤) سورة آل عمران: ٧٧.

(٥) صحيح البخاري (٣٤/٦)، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، حديث ٤٥٥١.

(٦) صحيح البخاري (١٢١/٣)، كتاب الخصومات، باب كلام الخصوم بعضهم في بعض، حديث ٢٤١٧، وصحيح

مسلم (١٢٢/١)، كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار، حديث ١٣٨.

قلت: تحذير النبي ﷺ من الحلف الكاذب؛ لأنه استهانة بحق الخالق ﷻ، وتضييع لحقوق العباد، فقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: "ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ: رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ لَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا أَكْثَرَ مِمَّا أُعْطِيَ وَهُوَ كَاذِبٌ، وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ، وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ، فَيَقُولُ اللَّهُ: الْيَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ بِدَاكِ"^(١).

قوله: "بَعْدَ الْعَصْرِ" قال الخطابي^(٢): "تخصيصه ذلك الوقت باليمين الفاجرة، وتعظيمه الإثم والجرح فيه، وقد عُلِمَ أَنَّ اليمين الفاجرة مُحَرَّمَةٌ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَأَوَانٍ؛ يَحْتَمِلُ ذَلِكَ وَجُوهًا: مِنْهَا:

أَنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ عَظَّمَ شَأْنَ هَذَا الْوَقْتِ، وَأَكَّدَ أَمْرَ الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ فِيهِ، وَقَدَّمَ عَلَيْهَا سَائِرَ الصَّلَوَاتِ فِي حَقِّ الْحَافِظَةِ، فَقَالَ: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾^(٣)، فَرُويَ عَلَى مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهَا صَلَاةُ الْعَصْرِ، وَرُويَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، وَعَنْ عَائِشَةَ ﷺ، فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ ﷺ أَنَّ الصَّلَاةَ الْوُسْطَى هِيَ الْعَصْرِ. وَقَدْ رُويَ أَنَّ مَلَائِكَةَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ يَجْتَمِعُونَ فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ^(٤).

وَيُرفَعُ فِيهَا الْأَعْمَالُ الَّتِي اكْتَسَبَهَا الْعِبَادُ مِنْ لَدُنْ أَوَّلِ النَّهَارِ، فَهُوَ خِتَامُ الْأَعْمَالِ وَسَائِقِهَا، وَالْأُمُورِ بِخَوَاتِيمِهَا، فَمِنْ خُصُوصِيَّةِ الْوَقْتِ بَعْدَ الْعَصْرِ أَنَّهُ وَقْتُ يَخْتَمُ فِيهِ صَحِيفَتُهُ بِمَا كَانَ مِنْهُ فِي نَهَارِهِ، مِنْ طَاعَةٍ، وَمَعْصِيَةٍ، وَيُرفَعُ عَلَى أَثَرِ ذَلِكَ عَمَلُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى^(٥).
وقيل: "ليس قيداً - أي: وقت العصر -، بل خرج مخرج الغالب، إذ كان مثله يقع آخر النهار عند فراغهم من المعاملات"^(٦).

(١) صحيح البخاري (١١٢/٣)، كتاب المساقاة، باب من رأى أن صاحب الحوض والقربة أحق بمائه، حديث ٢٣٦٩.
(٢) انظر: أعلام الحديث (١١٧٥-١١٧٧).
(٣) سورة البقرة: الآية ٢٣٨.
(٤) وقد أشار إلى هذا القول أيضاً: شمس الدين البرماوي في: اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح (٣٥٢/٧).
(٥) وقد أشار إلى هذا القول أيضاً: القسطلاني في: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٤١١/١٠).
(٦) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني (٤١١/١٠)، وانظر: الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، للكوراني (٢٤٧/١١).

وقيل: "قيّد به؛ لأنّ بعده هو وقت الرجوع إلى أهله بغير ربح، فحلف كاذبًا ليربح، أو ذكره لشرف ذلك الوقت، فيكون اليمين الكاذبة في تلك الساعة أغلظ وأشدّ، أو لأنه ﷺ كان يعقد للحكومة بعد العصر" (١).

وقيل: "ذلك الوقت وقت فراغ أصحاب الأعمال، واجتماع الأندية وشهود الناس، فإذا حملت إنسانًا جرأته على الله تعالى أن يحلف به كاذبًا في مشهد من المسلمين؛ فقد تعرض لسخط الله" (٢).

قال الخطابي: "فيُشبهه أن يكون - والله أعلم - إنما جرى ذكر هذا الوقت في الحديث خصوصًا، وغُلّظت العقوبة فيه، لتُحذر اليمين الفاجرة، ولا يُقدّم عليها، فإن من تركها تحرّجًا في ذلك الوقت تركها كذلك في سائر الأوقات، ومن تجرّأ عليها فاعتادها في غيره من الأوقات لم يتحرّج من فعلها في ذلك الوقت" (٣).

وفي صحيح مسلم من حديث أبي ذرّ الغفاريّ ﷺ، عن النبيّ ﷺ، قال: "ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"، قال: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَارٍ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: حَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ وَالْمُنْفِقُ سَلَعَتُهُ بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ" (٤).

ومن الذين لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم، كما يؤخذ من الأحاديث المتقدمة: المَنَّان؛ وهو الذي يمنُّ على الناس بالعطية، فعمله رياءٌ وسمعةٌ، فكان هباءً منثورًا. ومنهم الذي يمنع الناس الطعام والشراب؛ لا سيما الضعفاء منهم كالفقير والمسكين وابن السبيل، وهذا الصنف قد نعته الله ﷻ في كتابه أنه ممن يكذبُ بيوم الدين، فقال تعالى:

(١) شرح المصابيح السنة، لابن الملك الرومي (٤٩٢/٣).

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، لابن هبيرة (٣٤٧/٦).

(٣) انظر: أعلام الحديث (١١٧٥-١١٧٧).

(٤) صحيح مسلم (١٠٢/١)، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالخلف وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، حديث ١٠٦.

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ ﴿٦٠﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٦١﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾
إلى قوله ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾^(١).

فما بال الذين يحاربون الناس في أوقاتهم وأرزاقهم، وما بال الذين يحاصرون شعوباً وبلاداً مسلمة، فيمنعون عنهم الطعام والشراب والدواء إرضاءً لأعدائهم، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

ومنهم المُسبِلُ إزاره خيلاءً وتكبراً وتعالياً على عباد الله، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "لَا يَنْظُرُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطْرًا"^(٢).
وفي رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: إِنَّ أَحَدَ شَقِيئِي نُؤِي يَسْتَرْخِي، إِلَّا أَنْ أْتَعَاهَدَ ذَلِكَ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّكَ لَسْتَ تَصْنَعُ ذَلِكَ خِيَلَاءَ"^(٣).

ومن الذين توعدهم الله ﻋَظِيمًا بعدم تكليمهم، وترك تزكيتهم، وعدم النظر إليهم: الشيخ الزاني، والملك الكذاب، والفقير المستكبر، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ، قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ^(٤): وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ-: شَيْخُ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ"^(٥).

أما عن سبب عذاب هؤلاء الأصناف؛ "لأنهم التزموا المعاصي المذكورة مع بعدها منهم، وعدم ضرورته إليهم، وضعف دواعيها عندهم، فأشبهه إقدامهم عليها المعاندة والاستخفاف بحق الله تعالى.

(١) سورة الماعون: الآيات ١-٧.

(٢) صحيح البخاري (١٤١/٧)، كتاب اللباس، باب من جرَّ ثوبه من الخيلاء، حديث ٥٧٨٨، صحيح مسلم

(٣/١٦٥٣)، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم جرَّ الثوب خيلاء، حديث ٢٠٨٧.

(٣) صحيح البخاري (٦/٥)، كتاب المناقب، باب قول النبي ﷺ "لو كنتُ متخذاً خليلاً"، حديث ٣٦٦٥، صحيح

مسلم (٣/١٦٥١)، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم جرَّ الثوب خيلاء، حديث ٢٠٨٥.

(٤) أحد رواة الحديث، وهو: مُحَمَّدُ بْنُ خَازِمٍ، أَبُو مُعَاوِيَةَ الضَّرِيرِيُّ الْكُوَيْتِيُّ، عَمِيٌّ وَهُوَ صَغِيرٌ، ثِقَةٌ أَحْفَظُ النَّاسِ لِحَدِيثِ

الأعمش، وقد يهيم في حديث غيره، من كبار التاسعة، ت ١٩٥ هـ. (تقريب التهذيب، لابن حجر، ص ٤٧٥).

(٥) صحيح مسلم (١٠٢/١)، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالخلف

وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم، حديث ١٠٧.

فالشيخ لكمال عقله، وتمام معرفته بطول ما مر عليه من الزمان، وضعف أسباب الجماع والشهوة للنساء، واختلال دواعيه لذلك، عنده ما يريجه من دواعي الحلال في هذا ويخلى سره منه، فكيف بالزنى الحرام!

والملك غني عن الكذب مطلقاً؛ لأنه لا يخشى أحداً من رعيته، ولا يحتاج إلى مداهنته ومصانعته، فإنَّ الإنسان إنما يُداهن ويصانع بالكذب وشبهه من يحذره ويخشى أذاه ومعاتبته، أو يطلب عنده بذلك منزلةً أو منفعةً.

والعائل الفقير قد عُدم المال، وإنما سبب الفخر والخيلاء والتكبر والارتفاع على القرناء الثروة في الدنيا، فإذا لم يكن عنده أسبابها، فلماذا يستكبر ويحتقر غيره!"^(١).

ومنهم: العاق لوالديه، والمرأة المتشبهة بالرجال، والدِّيُوثُ^(٢)، ومدمن الخمر: فقد روى النسائي^(٣)، وأحمد^(٤)، والحاكم^(٥)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ ﷻ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْعَاقُ لِوَالِدَيْهِ، وَالْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ، وَالِدِّيُوثُ، وَثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: الْعَاقُ لِوَالِدَيْهِ، وَالْمُدْمِنُ عَلَى الْخَمْرِ، وَالْمَنَّانُ بِمَا أُعْطِيَ"^(٦).

ومنهم: الذي يأتي امرأته في دبرها، فقد روى ابن ماجه^(٧)، وأحمد^(٨)، والدارمي^(٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ الَّذِي يَأْتِي امْرَأَتَهُ فِي دُبُرِهَا، لَا يَنْظُرُ اللَّهُ ﷻ إِلَيْهِ"^(١٠).

(١) انظر: شرح النووي على مسلم (١١٧/٢).

(٢) هو الذي يقرُّ أهل بيته على المنكر ولا يغار عليهم، قال العلماء: "الدِّيُوثُ الذي لا غَيْرَةَ له على أهل بيته". (انظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر، لابن حجر الهيتمي ٨٢/٢).

(٣) سنن النسائي (٨٠/٥)، كتاب الزكاة، باب المنان بما أعطى، حديث ٢٥٦٢.

(٤) مسند أحمد (٣٢١/١٠)، حديث ٦١٨٠.

(٥) المستدرک للحاکم (٤ / ١٤٦)، حديث ٧٢٣٥.

(٦) قال الحاكم: "حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي. (المستدرک للحاکم، مع التلخيص للذهبي ١٤٦/٤، حديث ٧٢٣٥).

(٧) سنن ابن ماجه (١٠٨/٣)، كتاب النكاح، باب النَّهْيِ عَنِ إِتْيَانِ النِّسَاءِ فِي أَدْبَارِهِنَّ، حديث ١٩٢٣.

(٨) مسند أحمد (١١١/١٣)، حديث ٧٦٨٤.

(٩) سنن الدارمي (١ / ٧٣٥)، حديث ١١٨٠.

(١٠) قال البوصيري: "هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ". (انظر: مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه ١١٠/٢).

وله شاهد: أخرجه الترمذي^(١)، وابن حبان^(٢)، وابن الجارود^(٣)، وابن أبي شيبة^(٤)، والبخاري^(٥)، والنسائي في الكبرى^(٦)، عن ابن عباس^(٧)، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى رَجُلٍ أَتَى رَجُلًا، أَوْ امْرَأَةً فِي الدُّبْرِ"^(٧).

قال الترمذي: "وَفِي الْبَابِ عَنْ عُمَرَ، وَخُرَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ"^(٨).

رابعًا: ومن العصاة الذين يعدَّبون يوم القيامة: الأغنياء المُتَرَفُونَ: وذلك أنهم ركنوا إلى الدنيا وانغمسوا في ملذاتها، وانساقوا وراء شهواتهم، فلم يؤدُّوا حقوق الله ﷻ، ولم يعطوا العباد حقوقهم، فكان العقاب من جنس ما صنعوا أن ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾^(٩).

ولقد أخبرنا المصطفى ﷺ أنَّ الذين أغرقوا أنفسهم بمتاع الدنيا وملذاتها لن يستطيعوا أن يتجاوزوا عقبات وأهوال يوم القيامة، فقد أخرج البخاري^(١٠)، والحاكم^(١١)، والبيهقي في شعب الإيمان^(١٢)، أنَّ أبا الدرداء^(١٣)، قَالَتْ لَهُ زَوْجُهُ: أَلَا تَبْتَغِي لِأَضْيَافِكَ مَا يَبْتَغِي الرَّجَالُ

(١) جامع الترمذي (٤٦٠/٢)، كتاب الرِّضَاعِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ إِتْيَانِ النِّسَاءِ فِي أَذْبَارِهِنَّ، حديث ١١٦٥.

(٢) صحيح ابن حبان (٢٦٦/١٠)، حديث ٤٤١٨.

(٣) المنتقى، ص ١٨١، حديث ٧٢٩.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٢٥١/٤)، حديث ١٧٠٧٠.

(٥) المسند (٣٨٠/١١)، حديث ٥٢١٢.

(٦) السنن الكبرى (١٩٧/٨)، حديث ٨٩٥٢.

(٧) قال الترمذي: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ"، وصححه ابن دقيق العيد، ونقل ابن الملقن عن ابن حزم تصحيحه له أيضًا. (جامع الترمذي ٤٦٠/٢، حديث ١١٦٥، والإمام بأحاديث الأحكام، لابن دقيق العيد ٦٦٠/٢، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن ١٠٠/٢٢).

(٨) المرجع نفسه (٤٥٩/٢)، كتاب الرِّضَاعِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ إِتْيَانِ النِّسَاءِ فِي أَذْبَارِهِنَّ، حديث ١١٦٤.

(٩) جزء من سورة التوبة: الآية ٦٧.

(١٠) مسند البخاري (٥٤/١٠)، حديث ٤١١٨.

(١١) المستدرک للحاکم، (٥٧٣/٤)، حديث ٨٧١٣.

(١٢) شعب الإيمان، للبيهقي (٤٢/١٣)، حديث ٩٩٢٣-٩٩٢٤.

لَأَضْيَافِهِمْ؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: "إِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَثُودًا"^(١)، لَا يَجُوزُهَا الْمُثْقَلُونَ"، فَأَحِبُّ أَنْ أَتَخَفَّ لِتِلْكَ الْعَقَبَةِ"^(٢).

ومعنى الْمُثْقَلُونَ: "أي بالذنوب المتصمخون"^(٣) بأدناس العيوب، - لن يتجاوزوا هذه العقبة - إلا بمشقة عظيمة، وكرب شديد، وتلك العقبة هي الموت، ثم البعث، ثم الوقوف بين يدي الله، ثم الحساب، ثم الجنة أو النار، وكلما غدا المطلب وشرف، صعُب مسلكه، وطال منهجه، وكثرت عقباته، وشقت مقاساته"^(٤).

وفي معنى ذلك أيضًا؛ أخرج الترمذي^(٥)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: بَحْشًا^(٦) رَجُلٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: "كُفَّ عَنَّا جُشَاءَكَ، فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ شَبَعًا فِي الدُّنْيَا أَطْوَلُهُمْ جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ"^(٧).

ولذلك فَإِنَّ الأَغْيَاءَ المترفين، هم أقل الناس أجرًا وحظًا يوم القيامة، إن لم يبذلوا أموالهم في طرق البر، وينفقوها في سبيل الخير، ويجعلوها في مرضاة الله تعالى، ففي الصحيحين من حديث أَبِي ذَرٍّ الغفاري رضي الله عنه، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ الْمُكْشِرِينَ هُمُ الْمُثْقَلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ خَيْرًا، فَانْفَحَ فِيهِ يَمِينَهُ وَشِمَالَهُ وَيَبِينَ يَدَيْهِ وَوَرَاءَهُ، وَعَمِلَ فِيهِ خَيْرًا"^(٨).

(١) كَثُودًا: الصَّعْبَةُ. (الزواجر عن اقتراف الكبائر، لابن حجر الهيتمي ٣٩٤/٢).

(٢) صححه البزار، والحاكم، ووافقه الذهبي، وصحح إسناده المنذري والهيثمي والعجلوني، ومن المعاصرين الألباني. (مسند البزار ٥٤/١٠، حديث ٤١١٨، المستدرک للحاكم، مع التلخيص، للذهبي ٥٧٣/٤، حديث ٨٧١٣، الترغيب والترهيب للمنذري ٦٠/٤، كشف الخفاء ومزيل الإلباس، للعجلوني ٩٨/٢، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي بكر الهيثمي ٢٥٩/٣، صحيح الجامع الصغير، للألباني ٤٠٢/١).

(٣) أي: المتلطفون بالذنوب، "والتصمخ: التلطخ بالطيب وغيره والإكثار منه". (لسان العرب، "ضمخ"، ٣٦/٣).

(٤) انظر: فيض القدير، للمناوي (٤٣٠/٢).

(٥) جامع الترمذي (٦٤٩/٤)، صفة القيامة والرفائق والورع، بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوْلَادِ الْحَوْضِ، حديث ٢٤٧٨.

(٦) صَوْتٌ مَعَ رِيحٍ يَخْضُلُ مِنَ الْقَمِّ عِنْدَ حُضُولِ الشَّبَعِ. (المصباح المنير، للحموي، "ج ش ء"، ١٠٢/١).

(٧) قال الترمذي: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ". (جامع الترمذي ٦٤٩/٤، حديث ٢٤٧٨).

(٨) صحيح البخاري (٩٥/٨)، كتاب الرقاق، باب المكشرون هم المثقلون، حديث ٦٤٤٣، وصحيح مسلم (٦٨٧/٢)، كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة، حديث ٩٤.

وفي روايةٍ عند ابن ماجه^(١)، وأحمد^(٢)، قَالَ: "الْأَكْثَرُونَ هُمُ الْأَسْفَلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا مَنْ قَالَ بِالْمَالِ هَكَذَا وَهَكَذَا، وَهَكَذَا وَهَكَذَا، وَقَلِيلٌ مَا هُمْ"^(٣).

فمن قَلَّتْ حسناته لن تغني عنه أمواله من الله شيئًا، وإن كان في الدنيا من المُسَوِّدِينَ المُقَدَّمِينَ عند الناس، فإنه في الآخرة - حتمًا - سيكون من الأسفلين، والمؤخرين، والأخسرين.

خامسًا: ومنهم الغادر الذي يفضحه الله ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ففي الصحيحين - واللفظ لمسلم، من حديث ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوْلِيْنَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ، فَقِيلَ: هَذِهِ غَدْرَةُ فَلَانٍ بِنِ فَلَانٍ"^(٤).

قال النووي: "الغادرُ هو الذي يواعدُ على أمرٍ ولا يفي به، واللواءُ الرايةُ العظيمةُ لا يمسكها إلا صاحبُ جيشِ الحربِ أو صاحبُ دعوةِ الجيشِ، ويكون الناسُ تبعًا له، فمعنى لكلِّ غادرٍ لواءٌ: أي علامةٌ يُشهرُ بها في الناس؛ لأنَّ موضوعَ اللواءِ الشهرةُ، مكانَ الرئيسِ علامةً له، وكانت العربُ تنصبُ الألوِيَّةَ في الأسواقِ الحنْفَلَةَ لغدرةِ الغادرِ؛ لتشهيره بذلك"^(٥).

قلت: هذا من حكمته ﷻ، أن جعل العقاب على الطريقة التي عهدها وفهمها الناس، قال القرطبي: "جعل الله هذه المعاقبات حسب ما يعهده البشر ويفهمونه، فكانت العرب ترفع للغادر لواءً في المحافل ومواسم الحج، وكذلك يطاف بالجاني مع جنايته"^(٦).

ومن عدل الله بعباده، وانتقامه ممن يتعدى حدوده، أنه يفضح الغادر والخائن يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، فينصب له علامةً ولواءً عند استهائه، استهزاءً واستخفافاً به؛ لأنه كان يستخف بمصالح العباد، و يضيِّع حقوقهم بغدره وخيانتهم لهم، فكان الجزاء من جنس

(١) سنن ابن ماجه (١٣٨٤/٢)، كتاب الزهد، باب في المكثرين، حديث ٤١٣٠.

(٢) مسند أحمد (٣١٦/٣٥)، حديث ٢١٣٩٩.

(٣) قال البوصيري: "هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ". (مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه ٢٢٠/٤).

(٤) صحيح البخاري (١٠٤/٤)، كتاب الجزية، باب إثم الغادر للبر والفاجر، حديث ٣١٨٦، صحيح مسلم

(٣/١٣٦٠)، كتاب الجهاد والسير، باب تحريم الغدر، حديث ١٧٣٥.

(٥) شرح النووي على مسلم (٤٣/١٢).

(٦) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢٥٦/٤-٢٥٧)، والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، للقرطبي ص ٦٩٣-٦٩٤.

العمل، فقد روى مسلمٌ في صحيحه من حديث أبي سعيدٍ الخُدريِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ عِنْدَ اسْتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"^(١).

قال ابنُ المُنيِّر: "كَانَتْهُ عُوْمِلَ بِنَقِيضِ قَصْدِهِ؛ لِأَنَّ عَادَةَ اللُّوَاءِ أَنْ يَكُونَ عَلَى الرَّأْسِ، فَنُصِبَ عِنْدَ السُّفْلِ زِيَادَةً فِي فَضِيحَتِهِ؛ لِأَنَّ الْأَعْيُنَ غَالِبًا تَمْتَدُّ إِلَى الْأَلْوِيَةِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا لِامْتِنَادِهَا إِلَى الَّتِي بَدَتْ لَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، فَيَزْدَادُ بِهَا فَضِيحَةٌ"^(٢).

وفي روايةٍ، قال: "لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لَهُ بِقَدْرِ غَدْرِهِ، أَلَا وَلَا غَادِرَ أَعْظَمَ غَدْرًا مِنْ أَمِيرٍ عَامَّةٍ"^(٣).

قلت: أمير العامة هو الحاكم، وصاحب السلطان، وغدرته أعظم من غيره؛ لأنَّ ضرره تُبتلى به عامة الأمة، ولقد رأينا في زماننا هذا كيف غدر الطغاة بشعوبهم، فأهلكوا الحرث والنسل، فلم يسلم منهم الحجر والشجر فضلًا عن بني البشر، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

قال السيوطي: "وَلَا غَادِرَ أَعْظَمَ غَدْرًا مِنْ أَمِيرٍ عَامَّةٍ؛ لِأَنَّهُ يَتَعَدَّى ضَرَرَ غَدْرِهِ إِلَى خَلْقٍ كَثِيرِينَ"^(٤)، وَقِيلَ: لِأَنَّهُ غَيْرَ مُضْطَّرٍّ إِلَى الْغَدْرِ، لِقُدْرَتِهِ عَلَى الْوَفَاءِ"^(٥).

سادسًا: ومنهم الأمير والسلطان الذي يحتجب دون رعيته، فلا يقوم بحقوقهم، فيغلق الأبواب دونهم، ويحتجب عن منفعتهم والقيام بمصالحهم، فهذا لا ينظر الله إليه يوم القيامة، بل يحتجب عنه، فقد أخرج أبو داود^(٦) - واللفظ له -، والترمذي^(٧)، وأحمد^(٨)، والطبراني^(٩)،

(١) صحيح مسلم (١٣٦١/٣)، كتاب الجهاد والسير، باب تحريم الغدر، حديث ١٧٣٨.

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (٦/٢٨٤).

(٣) صحيح مسلم (١٣٦١/٣)، كتاب الجهاد والسير، باب تحريم الغدر، حديث ١٧٣٨.

(٤) الديباج على صحيح مسلم، للسيوطي (٤/٣٤٢).

(٥) شرح سنن ابن ماجه، للسيوطي، ص ٢٠٦.

(٦) سنن أبي داود (٣/١٣٥)، كتاب الإمارة والخراج والفيء، باب فيما يلزم الإمام من أمر الرعية، حديث ٢٩٤٨.

(٧) جامع الترمذي (٣/١٢)، كتاب الأحكام، باب ما جاء في إمام الرعية، حديث ١٣٣٢.

(٨) مسند أحمد (٤٠٨/٢٤)، حديث ١٥٦٥١.

(٩) المعجم الكبير للطبراني (٢٢/٣٣١)، حديث ٨٣٢.

والحاكم^(١)، من حديث أبي مريم الأزدي^(٢) رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: "مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ عَيْبًا شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ^(٣)، وَخَلَّتْهُمْ^(٤)، وَفَقَّرَهُمْ^(٥)، احْتَجَبَ اللَّهُ عَنْهُ دُونَ حَاجَتِهِ، وَخَلَّتْهُ، وَفَقَّرَهُ"^(٦).

"والمراد باحتجاب الوالي؛ أن يمنع أرباب الحوائج والمهمات أن يدخلوا عليه فيعرضوها له؛ ويعسر عليهم إنهاؤها، واحتجاب الله تعالى؛ أن لا يجيب دعوته ويخيّب آماله"^(٧).
"فمن احتجب دون حاجة الناس وخلتهم؛ فعل الله به يوم القيامة ما فعل بالمسلمين"^(٨).

سابعاً: ومن العصاة الذين يعذبهم الله: ذو الوجهين؛ وذلك أنه لا يثبت على حال وموقف واحد، فيأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه، قال تعالى: ﴿مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾^(٩).

قوله: "مذبذبين، يعني: المُتَنَافِقِينَ متحيرين بين الإيمان والكفر، فلا هم مع المؤمنين ظاهراً وباطناً، ولا هم مع الكفار ظاهراً وباطناً، بل ظواهرهم مع المؤمنين وبواطنهم مع الكافرين، ومنهم من يعتريه الشك، فتارة يميل إلى هؤلاء وتارة يميل إلى هؤلاء"^(١٠).

(١) المستدرک علی الصحیحین، للحاکم (٩٣/٤)، حدیث ٧٠٢٧.

(٢) هُو: عَمُرُو بْنُ مَرْثَةَ الْجُهَنِيِّ، كَانَ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ شَيْخًا كَبِيرًا، وَشَهِدَ مَعَهُ الْمَشَاهِدَ، يُكْنَى أَبُو طَلْحَةَ، وَأَبَا مَرِيَمَ، وَيُقَالُ: إِنَّ أَبَا مَرِيَمَ الْأَزْدِيَّ آخِرَ أَسْلَمٍ قَدِيمًا، مَاتَ فِي عَهْدِ مَعَاوِيَةَ، وَقِيلَ فِي عَهْدِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ. (الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر ١٢٠٠/٣، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر ٥٦٤/٤).

(٣) أَيِ امْتَنَعَ مِنَ الْخُرُوجِ، أَوْ مِنَ الْإِمْضَاءِ عِنْدَ احْتِيَاجِهِمْ إِلَيْهِ. (مرقاة المفاتيح، لعلي القاري ٢٤٢٣/٦).

(٤) أَي: عَرَّضَ شِكَايَتِهِمْ عَلَيْهِ. (المرجع نفسه ٢٤٢٣/٦).

(٥) أَي: مَسَكَنَتْهُمْ وَمَسَائَلَتْهُمْ لَدَيْهِ. (المرجع نفسه ٢٤٢٣/٦).

(٦) قال الحاكم: "صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وإسناده شامي صحيح، وله شاهد بإسناد البصريين صحيح، عن عمرو ابن مرة الجهني رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، ووافقه الذهبي. (المستدرک، مع التلخيص ٩٣/٤، حدیث ٧٠٢٧).

(٧) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، للبيضاوي (٥٥٨/٢)، ومرقاة المفاتيح، لعلي القاري (٦ / ٢٤٢٣).

(٨) شرح المشكاة، للطبري (٢٥٩٢/٨).

(٩) سورة النساء: الآية ١٤٣.

(١٠) انظر: عمدة القاري (١٦ / ٦٩).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "تَجِدُ مِنْ شَرِّ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ ذَا الْوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هَوْلَاءِ بِوَجْهِهِ وَهَوْلَاءِ بِوَجْهِهِ"^(١).

قال النووي: "سببه ظاهر؛ لأنه نفاقٌ محضٌ، وكذبٌ، وخداعٌ، وتحيلٌ على اطلاعهِ على أسرار الطائفتين، وهو الذي يأتي كلَّ طائفةٍ بما يُرضيها، ويُظهر لها أنه منها في خيرٍ أو شرٍّ، وهي مدهانةٌ محرمةٌ"^(٢).

ونقل ابن حجر عن القرطبي قوله: "إنَّما كان ذو الوجهين شرَّ الناس؛ لأن حاله حال المنافق، إذ هو متملق بالباطل وبالكذب، مدخل للفساد بين الناس"^(٣).

وجاء في حديثٍ أن ذا الوجهين يكون له لسانان من نار، فقد أخرج أبو داود^(٤) - واللفظ له -، والدارمي^(٥)، والبخاري في الأدب المفرد^(٦)، وابن أبي شيبة^(٧)، وأبو يعلى^(٨)، وابن حبان^(٩)، والبخاري^(١٠)، والبيهقي^(١١)، عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فِي الدُّنْيَا، كَانَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ"^(١٢).

ومعنى قوله: "لَهُ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ"، أي: "كما كان في الدنيا له لسان عند طائفةٍ ولسان عند آخريين، فالعادات قاهرات فمن اعتاد شيئاً في السرِّ فضحه في العلانية"^(١٣)، "فيعذب

-
- (١) صحيح البخاري (٨ / ١٨)، كتاب الأدب، باب ما قيل في ذي الوجهين، حديث ٦٠٥٨، وصحيح مسلم (٤ / ٢٠١٠)، كتاب البر والصلة والآداب، باب ذم ذي الوجهين وتحريم فعله، حديث ٢٥٢٦.
 - (٢) شرح النووي على مسلم (١٦ / ٧٩).
 - (٣) فتح الباري لابن حجر (١٠ / ٤٧٥).
 - (٤) سنن أبي داود (٤ / ٢٦٨)، كتاب الأدب، باب في ذي الوجهين، حديث ٤٨٧٣.
 - (٥) سنن الدارمي (٣ / ١٨١٩)، كتاب الرقاق، باب ما قيل في ذي الوجهين، حديث ٢٨٠٦.
 - (٦) الأدب المفرد، ص ٤٤٤، حديث ١٣١٠.
 - (٧) المصنف (٥ / ٢٢٣)، حديث ٢٥٤٦٣.
 - (٨) المسند (٣ / ٢٠٤)، حديث ١٦٣٧.
 - (٩) صحيح ابن حبان (١٣ / ٦٨)، حديث ٥٧٥٦.
 - (١٠) شرح السنة (١٣ / ١٤٦)، حديث ٣٥٦٨.
 - (١١) شعب الإيمان (٦ / ٥٠٧)، حديث ٤٥٤٠، وكتاب الآداب، ص ١٢٦، حديث ٣٠٤.
 - (١٢) حسنه ابن المديني، والعراقي، والمناوي. (انظر: تهذيب الكمال، للمزي ٢٩ / ٤٨٢، والمغني عن حمل الأسفار، للحافظ العراقي، ص ١٠٥٢، والتيسير بشرح الجامع الصغير، لعبد الرؤوف المناوي ٢ / ٤٣٩).
 - (١٣) التيسير بشرح الجامع الصغير، لعبد الرؤوف المناوي (٢ / ٤٣٩).

بذلك جزاءً وفاقاً؛ لأنه كان يلوي لسانه عند كلِّ بالباطل، إنما لو جامل كلاً منهما، ولم يتكلم بباطل فهذا لا إثم فيه" (١).

وفي المعنى ذاته؛ قيل لابن عمر رضي الله عنهما: "إننا ندخل على سلطاننا، فنقول لهم بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم"، قال: "كُنَّا نَعُدُّ هَذَا نِفَاقًا" (٢).

ثامناً: ومنهم الغالُّ، فقد توعد الله بفضحه على رؤوس الأشهاد يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٣). قال القرطبي: "أي يأتي به حاملاً له على ظهره ورقبته، معذباً بحمله وثقله، ومرعوباً بصوته، وموَّجَّحاً بإظهار خيانتته على رؤوس الأشهاد" (٤).

وفي الصحيحين، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَامَ فِيْنَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، فَذَكَرَ الْعُلُولَ (٥)، فَعَظَّمَهُ وَعَظَّمَ أَمْرَهُ، قَالَ: "لَا أَلْفِينَ أَحَدَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا تُغَاءٌ" (٦)، عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ (٧)، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، وَعَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ (٨)، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، وَعَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ (٩)، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ،

(١) التنوير شرح الجامع الصغير، للضعاني (٣٧٣/١٠).

(٢) انظر: شرح السنة للبعوي (١٤٦/١٣).

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٦١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢٥٦/٤).

(٥) هو الخيانة في المعتم والسرقعة من الغنيمة قبل القسمة، وسميت غلولا لأن الأيدي فيها مغلولة: أي ممنوعة بجعل فيها غلٌّ وهو الحديد التي تجتمع يد الأسير إلى عنقه. (النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، "غلل"، ٣/٣٨٠).

(٦) الثغاء: صياح الغنم. (المرجع نفسه، "ثغأ"، ٢١٤/١).

(٧) الحمحمة: صوت الفرس، دون الصهيل. (المرجع نفسه، "حمحم"، ٤٣٦/١).

(٨) الرغاء: صوت الإبل. (المرجع نفسه، "رغأ"، ٢/٢٤٠).

(٩) صامت: يعني الذهب والفضة. (المرجع نفسه، "صمت"، ٥٢/٣).

أَوْ عَلَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفِقُ^(١)، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اغْنِنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ^(٢).

وفي الصحيحين من حديث أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ^(٣)، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى الْعَمَلِ مِمَّا وَلَّانِي اللَّهُ، فَيَأْتِي فَيَقُولُ: هَذَا مَالِكُمْ، وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ لِي، أَفَلَا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ حَتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ؟ وَاللَّهِ لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا بغيرِ حَقِّهِ إِلَّا لَقِيَ اللَّهَ، يَحْمِلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَا عَرَفَنَ أَحَدًا مِنْكُمْ لَقِيَ اللَّهَ، يَحْمِلُ بغيرِ لَهُ رُغَاءً، أَوْ بَقْرَةً لَهَا خُوَازٌ"^(٤)، أَوْ شَاةً تَيَعَّرُ"^(٥)، ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ حَتَّى رُئِيَ بَيَاضُ إِبْطِهِ، يَقُولُ: "اللَّهُمَّ، هَلْ بَلَغْتُ؟"، بَصَرَ عَيْنِي، وَسَمِعَ أُذُنِي"^(٦).

قلت: يؤخذ من الحديث؛ أنَّ معنى الغلول لا يقتصر على سرقة الغنائم وإخفائها فحسب، بل المعنى يتعدى ذلك، فمن الغلول: غلول الحكام، والولادة، والموظفين، والعمال، وغيرهم، عندما يسرقون من الأموال العامة بغير حق، أو يقصرون في واجباتهم وأعمالهم مع علمهم وتعمدتهم ذلك.

قال ابن الأثير: "وكلُّ مَنْ خَانَ فِي شَيْءٍ خَفِيَّةً فَقَدْ غَلَّ"^(٧).

تاسعًا: ومنهم: غاصب الأرض؛ لأنه قد سلب شيئًا بغير حق، فيكون ذلك وبالًا عليه يوم القيامة، ففي صحيح البخاري من حديث ابن عُمرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "مَنْ أَخَذَ مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا بغيرِ حَقِّهِ؛ خُسِفَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ"^(٨).

(١) أراد بالرقاع ما عليه من الخقوق المكتوبة في الرقاع، وخفوفها حركتها. ((النهاية في غريب الحديث، "رَفَعَ"، (٢) صحيح البخاري (٧٤/٤)، كتاب الجهاد، باب الغلول، حديث ٣٠٧٣، وصحيح مسلم (١٤٦١/٣)، كتاب الإمامة، باب تحريم غلظ الغلول، حديث ١٨٣١.

(٣) صحابي مشهور، يُعرف بكنيته، واختلف في اسمه واسم أبيه، وأصحُّ ما قيل: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَعْدِ بْنِ الْمُنْذَرِ، توفي آخر خلافة معاوية رضي الله عنه. (الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر ٨٣٤/٢، ١٤٤٨/٤، ١٦٣٣).

(٤) خُوَازٌ: صَوْتُ الْبَقْرِ. (النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، "خَوَزٌ"، ٨٧/٢).

(٥) يُقَالُ: يَعَرَّتِ الْعَنْزُ، تَيَعَّرٌ، يُعَارًا: أَي صَاحَتْ. (المرجع نفسه، "يَعَرَ"، ٢٩٧/٥).

(٦) صحيح البخاري (٢٨/٩)، كتاب التعبير، باب احتيال العامل ليُهدى له، حديث ٦٩٧٩، وصحيح مسلم (١٤٦٣/٣)، كتاب الإمامة، باب تحريم هدايا العمال، حديث ١٨٣٢.

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، "غَلَّلَ"، (٣٨٠/٣).

(٨) صحيح البخاري (١٣٠/٣)، كتاب المظالم والغصب، باب إثم من ظلم شيئًا من الأرض، حديث ٢٤٥٤.

قلت: هذا من سرق شيئاً قليلاً من الأرض، فما بالكم بمن سرق البلاد وخيراتها، وحرّم منها العباد، وسلّمها للكفار والأعداء!

عاشراً: ومنهم صنفان: من كذب في حلمه، ومن استمع لحديث قوم وهم له كارهون: روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُفْلًا أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَلَنْ يَفْعَلَ، وَمَنْ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ أَوْ يَفْرُونَ مِنْهُ صُبَّ فِي أُذُنِهِ الْآنُكَ" ^(١) يَوْمَ الْقِيَامَةِ... الحديث ^(٢).

قوله: "مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ": "إنما اشتدّ فيه الوعيد مع أن الكذب في اليقظة قد يكون أشدّ مفسدة منه؛ لأنّ الكذب في المنام كذبٌ على الله أنّه أراه ما لم يره، والكذب على الله أشدّ من الكذب على المخلوقين" ^(٣).

وقوله: "يَعْقِدُ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ": "أي يفتل إحداها بالأخرى، وهو مما لا يمكن عادة" ^(٤).
وقوله: "صُبَّ فِي أُذُنِهِ الْآنُكَ"، فيه: "الجزء من جنس العمل" ^(٥)، "فكما أنه تصنت على الناس بأذنه، فإنه يعاقب يوم القيامة بأن يصب الرصاص المذاب في أذنه" ^(٦).



(١) قال ابن الأثير: "هُوَ الرَّصَاصُ الْأَبْيَضُ، وَقِيلَ: الْأَسْوَدُ، وَقِيلَ: هُوَ الْخَالِصُ مِنْهُ"، وقال ابن حجر: "هو: الرصاص

المذاب". (النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، "أنك"، ٧٧/١، وفتح الباري، لابن حجر ٤٢٩/١٢).

(٢) صحيح البخاري (٤٢/٩)، كتاب التعبير، باب من كذب في حلمه، حديث ٧٠٤٢.

(٣) فتح الباري، لابن حجر (٤٢٨ / ١٢).

(٤) المرجع نفسه (٤٢٨ / ١٢).

(٥) المرجع نفسه (٤٢٩/١٢).

(٦) محاضرة صوتية، للشيخ سلمان العودة، بعنوان "قصة مكالمة هاتفية". انظر: الموقع الشخصي للشيخ على شبكة

الإنترنت: (<http://www.islamtoday.net/salman/index.htm>).

المطلب الرابع: أحوال المؤمنين

لقد وعد الله أوليائه الصالحين بالأمن والراحة والسكينة عند الأحوال، فلا يفرعون كما يفرع الناس، ولا يخافون عندما يخاف الناس، ولا يجزنون مثل الناس، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(١).

والسبب في ذلك أنهم وطنوا نفوسهم في الدنيا على مخافة الله ﷻ، وحصنوا أنفسهم بتقوى الله ﷻ، فلم يتعدوا حدوده، ولم ينتهكوا محارمه، فكانوا يقولون: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾^(٢)، فكافأهم بمزيد فضله، قال تعالى: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿٦٤﴾ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾^(٣).

وقد أخرج ابن حبان، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم يروي عن ربه ﷻ، قال: "وَعَزَّتِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفِينَ وَأَمْنِينَ، إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا؛ أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا أَمَّنَنِي فِي الدُّنْيَا؛ أَخَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"^(٤).

(١) سورة يونس: الآيات ٦٢-٦٤.

(٢) سورة الإنسان: الآية ١٠.

(٣) سورة الإنسان: الآيتان ١١-١٢.

(٤) صحيح ابن حبان (٤٠٦/٢)، حديث ٦٤٠.

أولاً: سند الحديث: قال ابن حبان: "أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ سَفْيَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَعْقُوبَ الْجَوْزَجَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَطَاءٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ - ابن عبد الرحمن -، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ... الحديث. ثانياً: تخريج الحديث: أخرجه ابن عساكر في معجمه (١١٠١/٢)، حديث (١٤٢٨)، من طريق الجوزجاني به، بنحوه. وأخرجه ابن المبارك في (الزهد ٥١/١)، حديث (١٥٨)، والبيهقي في (شعب الإيمان ٢٢٣/٢)، حديث (٧٥٩)، وفي (الآداب، ص ٣٣٣، حديث ٨٢٦) من طريق محمد بن يحيى العتكي عن عبد الوهاب بن عطاء به، بنحوه. وله شاهد، من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه أخرجه الطبراني في (مسند الشاميين ٢٦٦/١)، حديث (٤٦٢)، وأبو نعيم في (حلية الأولياء ٩٨/٦).

ثالثاً: دراسة رجال الإسناد:

- محمد بن عمرو: وهو ابن علقمة بن وقاص الليثي، أبو عبد الله وقيل: أبو الحسن المدني، ت ١٤٥ هـ. اختلف فيه، فوثقه جماعة من النقاد، منهم: ابن معين وابن المدني والنسائي، وضعفه بعضهم بسبب سوء حفظه، منهم: يحيى بن سعيد القطان، وتوسط به آخرون، منهم: أبو حاتم وابن عدي والذهبي وابن حجر.

"فمن كان خوفه في الدنيا أشدَّ، كان أمنه يوم القيامة أكثرَ، وبالعكس؛ وذلك لأنَّ من أُعطي علم اليقين في الدنيا، طالع الصراط وأهواله بقلبه، فذاق من الخوف، وركب من الأهوال ما لا يوصف؛ فيضعه عنه غداً، ولا يذيقه مرارته مرة ثانية"^(١).

ولقد أخبر النبي ﷺ أنه يُخَفَّفُ وَيُهَوِّنُ على المؤمنين هولَ الموقفِ وشِدَّتَهُ، فيكون يوم القيامة لهم - على الرغم من طولهِ وصعوبته-، كمن صلى صلاةً مكتوبةً، أو كوقت تدلي

= قال ابن حجر: "تكلّم فيه بعضهم من قِبَل حفظه"، وقال في موضعٍ آخر: "ومحمد صدوق في حفظه شيءٌ، وحديثه في مرتبة الحسن، وإذا توبع بمعتبرٍ قُبِلَ، وقد يتوقف في الاحتجاج به إذا انفرد بما لم يُتابع عليه ويُخالف فيه فيكون حديثه شاذّاً، لكن لا ينحطّ إلى الضعف فضلاً عن الوضع".

قلت: والذي يميل إليه القلب أنه صدوق حسن الحديث ربما وهم. (انظر ترجمته: سؤلات ابن أبي شيبَةَ لابن المديني ص ٩٤، وتاريخ ابن أبي خيثمة ٣٢٣/٤، وتهذيب التهذيب، لابن حجر ٣٧٦/٩، وتهذيب الكمال، للمزي ٢١٥/٢٦ - ٢١٧، والثقات، لابن حبان ٣٧٧/٧، والطبقات الكبرى - القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم - لابن سعد ص ٣٦٣، والجرح والتعديل، لابن أبي حاتم ٣٠/٨، وذكر من تُكَلِّم فيه وهو موثق، للذهبي، ص ١٦٥، وتقريب التهذيب، لابن حجر ص ٤٥٥، والكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي ٢٢٥/٦، وهدي الساري مقدمة فتح الباري ١١٨٢/٢، مرقاة المفاتيح، لعلي القاري ١/٥٤٤).

- عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنِ عَطَاءٍ الْبَصْرِيُّ الْخَفَّافُ، ت ٢٠٤هـ، ويقال ٢٠٦هـ. اختلف فيه، فوثقه جماعة من النقاد، منهم: ابن معين والدارقطني وابن حبان وابن شاهين، وضعفه بعضهم، منهم أحمد بن حنبل والبخاري والبخاري، وتوسط به آخرون، منهم: يحيى القطان وابن سعد والساجي والذهبي وابن حجر.

قال ابن حجر: "صدوق ربما أخطأ، أنكروا عليه حديثاً في العباس، يقال: دلسه عن ثور".

قلت: الراوي صدوق ربما أخطأ. (انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد ٣٣٣/٧، والجرح والتعديل، لابن أبي حاتم ٧٢/٦، وتاريخ ابن معين - رواية الدوري ٨٣/٤، وتاريخ ابن معين - رواية الدارمي، ص ١٥٠، وتاريخ بغداد، للخطيب البغدادي ٢٧٦/١٢، والثقات لابن حبان ١٣٣/٧، وتاريخ أسماء الثقات، لابن شاهين، ص ١٦٧، والكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي ٥١٧/٦، والضعفاء الكبير للعقيلي ٧٧/٣، والضعفاء الصغير، للبخاري، ص ٩٢، والضعفاء والمتروكون، للنسائي، ص ٦٨، وتهذيب الكمال، للمزي ٥٠٩/١٨، وإكمال تهذيب الكمال، لمغلطاي ٣٧٧/٨، وميزان الاعتدال، للذهبي ٦٨١/٢، وذكر من تكلم فيه وهو موثق، للذهبي، ص ١٢٨، وسير أعلام النبلاء، للذهبي ٤٥٢/٩، وتهذيب التهذيب، لابن حجر ٤٥٢/٦ - ٤٥٣، وتقريب التهذيب، لابن حجر، ص ٣٦٨).

- باقي رجال الإسناد ثقات.

رابعاً: الحكم على الإسناد: حسن لغيره، وهذا إسناده ضعيف، بسبب محمد بن عمرو بن علقمة، وعبد الوهاب بن عطاء، فكلاهما صدوقان ربما وهما، ولم يتابعا، لكنه يرتقي لدرجة الحسن لغيره بالشاهد كما هو واضح في التخريج.

(١) فيض القدير، للمناوي (٤/٤٩٥).

الشمس للغروب.

فقد روى الإمام أحمد^(١) - واللفظ له -، وأبو يعلى^(٢)، وابن حبان^(٣)، والبعوي^(٤)،
وعبد الغني المقدسي^(٥)، من حديث أبي سعيد الخدري^(٦)، قال: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَوْمًا
كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، مَا أَطْوَلَ هَذَا الْيَوْمَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ،
إِنَّهُ لِيُخَفَّفُ عَلَى الْمُؤْمِنِ، حَتَّى يَكُونَ أَخْفَ عَلَيْهِ مِنْ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ يُصَلِّيَهَا فِي الدُّنْيَا"^(٦).

وفي رواية لأبي يعلى^(٧)، وابن حبان^(٨)، عن أبي هريرة^(٩)، عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ:
"يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مِقْدَارَ نِصْفِ يَوْمٍ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، يَهُونُ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
كَتَدَلَّى الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ إِلَى أَنْ تَغْرِبَ"^(٩).

ومن مظاهر رحمة الله ﷻ بالمؤمنين عند الموقف، ألا يتركهم يجوعون، كالكفار
والمنافقين.

دَلَّ عَلَى ذَلِكَ مَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، عَنِ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْرَةً وَاحِدَةً، يَكْفُوهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ، كَمَا يَكْفُو أَحَدُكُمْ
خُبْرَتَهُ فِي السَّفَرِ، نَزْلًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ"^(١٠).

قال ابن حجر: "يستفاد منه أنَّ المؤمنين لا يُعاقبون بالجوع في طول زمان الموقف، بل

(١) مسند أحمد (٢٤٦/١٨)، حديث ١١٧١٧.

(٢) مسند أبي يعلى الموصلي (٥٢٧/٢)، حديث ١٣٩٠.

(٣) صحيح ابن حبان (٣٢٩/١٦)، حديث ٧٣٣٤.

(٤) شرح السنة، للبعوي ١٢٩/١٥، حديث ٤٣١٨.

(٥) ذكر النار، لعبد الغني المقدسي، ص ٥٣، حديث ٣١.

(٦) حسنه كلُّ من: ابن حجر، والعيبي، والعراقي، والهيثمي. (فتح الباري، لابن حجر ٤٤٨/١١، عمدة القاري،

للعيني ١٣٣/٢٣، المغني عن حمل الأسفار، للعراقي، ص ١٩٠١، مجمع الزوائد، للهيثمي ٦١٠/١٠).

(٧) مسند أبي يعلى الموصلي (٤١٥/١٠)، حديث ٦٠٢٥.

(٨) صحيح ابن حبان (٣٢٨/١٦)، حديث ٧٣٣٣.

(٩) صححه المنذري، والهيثمي، وقال العراقي: "إسناده جيد". (الترغيب والترهيب، للمنذري ٢١١/٤، مجمع الزوائد،

للهيثمي ٦١٠/١٠، المغني عن حمل الأسفار، للعراقي ص ١٩٠١).

(١٠) سبق تخريجه، ص ١٤٩.

يقلبُ الله لهم بقدرته طبع الأرض، حتى يأكلوا منها من تحت أقدامهم ما شاء الله، بغير علاج ولا كلفة" (١).

وتتجلى رحمة الله ﷻ بعباده المؤمنين في هذا الموقف الرهيب بأن يظلمهم تحت ظل عرشه عندما تدنو الشمس من رؤوس الخلائق، فمن أصناف هؤلاء الذين يستظلون بظل العرش حيثئذ: الإمام العادل، والشاب الطائع لربه ﷺ، والمواظب والمحب لصلاة الجماعة في المسجد، والمحب لأخيه في الله، والمتقي لله ﷻ، والحريص على صدقة السر، والبكاء من خشية الله ﷻ، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ؛ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ؛ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى؛ حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا؛ ففَاضَتْ عَيْنَاهُ" (٢).

ولأهمية الحب في الله؛ فإنه يترتب عليه منافع عظيمة في وحدة المجتمع المسلم، وإعانتته على طاعة الله ﷻ، أكد النبي ﷺ أكثر من مرة على أن المتحابين في الله يكونون في ظل العرش يوم القيامة، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيُّنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي" (٣).

قال القاضي عياض: "ظِلُّ عَرْشِي": "ظاهره؛ كونه في ظلّه من الحرّ والشمس، ووهج الموقف، وأنفاس الخلق" (٤).

هل ظلُّ العرش محصور في الأصناف السبعة المذكورة في الحديث آنفاً؟!

(١) فتح الباري (١١/٣٧٤).

(٢) صحيح البخاري (١٣٣/١)، كتاب الصلاة، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، حديث ٦٦٠، وصحيح مسلم (٢/٧١٥)، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، حديث ١٠٣١.

(٣) صحيح مسلم (٤/١٩٨٨)، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الحب في الله، حديث ٢٥٦٦.

(٤) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض (٨/١٦١).

قال الكرماني: "أما التخصيص بذكر هذه السبعة، فيحتمل أن يقال فيه ذلك؛ لأن الطاعة إما أن تكون بين العبد وبين الله، أو بينه وبين الخلق، والأول: إما أن يكون باللسان، أو بالقلب، أو بجميع البدن، والثاني: إما أن يكون عامًا، وهو العدل، أو خاصًا، وهو إما من جهة النفس، وهو التحاب، أو من جهة البدن، أو من جهة المال"^(١).

قلت: حصر الإِظلال في ظل العرش، واقتصاره على هؤلاء السبعة؛ فيه تكلفٌ وتضييقٌ لسعةِ رحمةِ الله ﷻ، فقد جاءت نصوصٌ كثيرةٌ تدلُّ على أنَّ الله يُظِلُّ غيرهم، وقد جمع الحافظُ ابنُ حجرٍ خصلاً آخر في كتابٍ سمَّاه "معرفة الخصال الموصلة إلى الظلال"^(٢).

فمن هذه الخصال: إنظار المعسر، أو الوضع عنه بمسامحته بشيء من الدين، فقد روى مسلمٌ في صحيحه من حديثِ أبي اليسر^(٣)، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قال: "مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ؛ أَظَلَّهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ"^(٤).

قلت: إكرام الله تعالى لمن يُنظِرُ المعسرين والبائسين لا يقتصرُ على الإِظلال بظل العرش، وإن كانت هي لوحدها لكفت، بل إن الله ﷻ يتجاوز عن سيئاته التي عملها، بتجاوزه عن المعسرين في الدنيا، فكان الجزء من جنس العمل، قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾^(٥)، وفي الصحيحين من حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "كَانَ الرَّجُلُ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهُ: إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِرًا فَتَجَاوَزْ عَنْهُ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، قَالَ: فَلَقِيَ اللَّهَ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ"^(٦).

(١) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، للكرماني (٤٧/٥).

(٢) انظر: فتح الباري، لابن حجر (١٤٤/٢).

(٣) هو: كَعْبُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَبَّادِ الْأَنْصَارِيِّ السَّلْمِيِّ، أحد الصحابة الكرام، مشهور باسمه وكنيته، شهد العقبة، وبدراً والمشاهد، وله فيها آثار كثيرة، ت ٥٥٥ هـ بالمدينة. (الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر ٤٦٨/٧).

(٤) صحيح مسلم (٢٣٠١/٤)، كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر، حديث ٣٠٠٦.

(٥) سورة الرحمن: الآية ٦٠.

(٦) صحيح البخاري (١٧٦/٤)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، حديث ٣٤٨٠، وصحيح مسلم

(١١٩٦/٣)، كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر، حديث ١٥٦٢.

وفي رواية، إنَّ هذا الرجل لم يكن يعمل في حياته خيراً قط، ومع ذلك تجاوز الله عنه؛ لتجاوزه عن المعسرين، ففي صحيح مسلم من حديث أبي مسعود^(١)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ يُوْجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَكَانَ مُوسِرًا، فَكَانَ يَأْمُرُ غُلَمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ، قَالَ: قَالَ اللَّهُ ﷻ: نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ"^(٢).

ولذلك كان الصحابة الكرام يتمثلون هذه المعاني الجميلة، فكانوا قدوةً يُحتذى بهم في البرِّ والإحسان والعفو عن المعسرين، وما أحوج أبناء هذه الأمة في هذا الزمان لتحقيق هذه الأخلاق الكريمة، وتطبيقها في ميدان الحياة، لا سيما في ظلِّ هذه الظروف الصعبة التي تحياها الأمة من قتلٍ وتشريدٍ وتعذيب.

روى مسلمٌ في صحيحه من طريق عبدِ اللهِ بنِ أبي قتادة^(٣)، أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ^(٤) طَلَبَ غَرِيماً لَهُ، فَتَوَارَى عَنْهُ، ثُمَّ وَجَدَهُ، فَقَالَ: إِنِّي مُعْسِرٌ، فَقَالَ: آله؟ قَالَ: آله، قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللَّهُ مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلْيَنْفَسْ عَن مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ"^(٥).

ومنها: التنفيس عن المكروب، والسعي في حاجات المسلمين، وستر عوراتهم، وإقالة عوراتهم، فقد روى مسلمٌ في صحيحه، من حديثِ أبي هريرة^(٦)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ نَفَسَ عَن مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ، مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ"^(٦).

(١) هو: عقبة بن عمرو بن ثعلبة، أبو مسعود الأنصاري البديري، من الصحابة الكرام. (سبقت ترجمته ص ٥٧).

(٢) صحيح مسلم (٣/١١٩٥)، كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر، حديث ١٥٦١.

(٣) هو: عبدُ اللهِ بنُ أبي قَتَادَةَ الأنصاريُّ المدينيُّ ثقة من الثالثة، ت ٩٥هـ. (تقريب التهذيب، لابن حجر، ص ٣١٨).

(٤) أبو قَتَادَةَ الأنصاريُّ السُّلَمِيُّ، واسمُه الحارثُ بنُ ربيِّعٍ على المشهور، فارسُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، شَهِدَ أُحُدًا وَمَا بَعْدَهَا، وَاخْتَلَفَ فِي شُهُودِهِ بَدْرًا، ت ٤٠هـ. (الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر ٤/١٧٣٢)، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر ٧/٢٧٢).

(٥) صحيح مسلم (٣/١١٩٦)، كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر، حديث ١٥٦٣.

(٦) صحيح مسلم (٤/٢٠٧٤)، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، حديث ٢٦٩٩.

وفي الصحيحين، من حديث ابن عُمر رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ، كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"^(١).

قال النووي: "في هذا فضل إعانة المسلم، وتفريج الكرب عنه، وستر زلاته، ويدخل في كشف الكربة وتفريجها مَنْ أزالها بماله، أو جاهه، أو مساعدته، والظاهر أنه يدخل فيه من أزالها بإشارته ورأيه ودلالته.

وأما الستر المندوب إليه هنا، فهو الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس هو معروفًا بالأذى والفساد، فأما المعروف بذلك؛ فيستحب أن لا يستر عليه، بل ترفع قضيته إلى ولي الأمر إن لم يخف من ذلك مفسدة؛ لأن الستر على هذا يُطْمَعُه في الإيذاء والفساد وانتهاك الحرمات، وجسارة غيره على مثل فعله، هذا كله في ستر معصية وقعت وانقضت، أما معصية رآه عليها وهو بعد متلبس بها، فتجب المبادرة بإنكارها عليه ومنعه منها على من قدر على ذلك، ولا يحل تأخيرها؛ فإن عجز لزمه رفعها إلى ولي الأمر إذا لم تترتب عليه مفسدة"^(٢).

وَالَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلَوْ، مِمَّنْ يَتَوَلَّاهُمُ اللَّهُ بِمَعِيَّتِهِ وَحَفِظَهُ، فَيَنْجُونَ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَكُرْبَاتِهِ؛ بَلْ إِنَّهُمْ عَلَىٰ مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ يَوْمَئِذٍ، فَقَدْ رَوَىٰ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ الْمُفْسِدِينَ فِي حُكْمِهِمْ، وَأَهْلِيهِمْ، وَمَا وَلَوْ"^(٤).

قلت: هذه فضيلة لمن اتَّسَمَ بالعدل وتحزَّاه في كُلِّ شَيْءٍ، سواء أكان على ولاية كبرى، أم ولاية صغرى، أم أقلَّ من ذلك، حتى المعلم يعدلُّ بين طلابه ولا يحابي أحدًا، والرجل يعدل

(١) صحيح البخاري (١٢٨/٣)، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يُسْلِمُهُ، حديث ٢٤٤٢، صحيح مسلم

(٤/١٩٩٦)، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث ٢٥٨٠.

(٢) شرح النووي على مسلم (١٣٥/١٦).

(٣) المُفْسِدُونَ: هم العادلون، وعكسه المُقَابِطُونَ: إذا جازوا. (شرح النووي على مسلم ٢١١/١٢)

(٤) صحيح مسلم (٣/١٤٥٨)، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعفوية الجائر، حديث ١٨٢٧.

في أهله، فلا يميّز زوجًا على أخرى، أو أحد أبناءه عن سواه، بل يعدل مع غريمه ولو على نفسه، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾^(١).

قال النووي: "إنَّ هذا الفضل إنما هو لمن عدل فيما تقلده من خلافة، أو إمارة، أو قضاء، أو حسبة، أو نظر على يتيم، أو صدقة، أو وقف، وفيما يلزمه من حقوق أهله، وعياله، ونحو ذلك"^(٢).

ومعنى قوله "عَلَىٰ مَنَابِرٍ مِّنْ نُورٍ": قال القاضي عياض: "يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونُوا عَلَىٰ مَنَابِرٍ حَقِيقَةٍ عَلَىٰ ظَاهِرِ الْحَدِيثِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ كِنَايَةً عَنِ الْمَنَازِلِ الرَّفِيعَةِ"^(٣).

قال النووي: "الظاهر الأول، ويكون متضمنًا للمنازل الرفيعة، فهم على منابر حقيقة، ومنازلهم رفيعة"^(٤).

والشهداء والمرابطون يأمنون من الكرب والفرع كذلك، فقد روى الترمذي^(٥)، وابن ماجه^(٦)، وأحمد^(٧)، من حديثِ الْمُقَدَّامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ^(٨)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَىٰ مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَرْعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَىٰ رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ"^(٩).

قلت: السرُّ في تأمين الشهيد من الفرع؛ أنه لا يجتمع للعبد فرعان، فمن فرع في الدنيا فلا يفرع في الآخرة.

(١) سورة المائدة: الآية ٨.

(٢) شرح النووي على مسلم (٢١٢/١٢).

(٣) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض (١١٧/٦).

(٤) شرح النووي على مسلم (٢١١/١٢).

(٥) جامع الترمذي (٢٣٩/٣)، كتاب، فضائل الجهاد، باب في ثواب الشهيد، حديث ١٦٦٣.

(٦) سنن ابن ماجه (٨٢/٤)، كتاب الجهاد، باب فضل الشهادة في سبيل الله، حديث ٢٧٩٩.

(٧) مسند أحمد (٤١٩/٢٨)، حديث ١٧١٨٢.

(٨) هو: الْمُقَدَّامُ بْنُ مَعْدِي كَرِبَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ يَزِيدَ، أَبُو كَرِيمَةَ، وَقِيلَ: أَبُو بَجْحَى، نَزِيلٌ حِمصَ بِالشَّامِ، ت ٨٧هـ، أَحَدُ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ. (الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٢٠٤/٦).

(٩) قال الترمذي: "حَدِيثٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ". (جامع الترمذي ٢٣٩/٣، حديث ١٦٦٣).

وقد أخرج النسائي في سننه^(١)، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا بَأَلُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ؟ قَالَ: "كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ^(٢) عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً"^(٣).

قال الحكيم الترمذي^(٤): "مَعْنَاهُ أَنَّهُ أَظْهَرَ صَدَقَ مَا فِي ضَمِيرِهِ، حَيْثُ بَرَزَ لِلْحَرْبِ وَالْقَتْلِ، فَلِمَاذَا يُعَادُ عَلَيْهِ السُّؤَالُ!"^(٥).

وقال القرطبي: "معناه؛ أنه لو كان في هؤلاء المقتولين نفاق؛ كان إذا التقى الزحفان، وبرقت السيوف فرؤوا؛ لأنه من شأن المنافق الفرار والروغان عند ذلك، ومن شأن المؤمن البذل، والتسليم لله نفساً، وهيجان حمية الله، والتعصب له؛ لإعلاء كلمته، فهذا قد أظهر صدق ما في ضميره، حيث برز للحرب والقتل، فلماذا يعاد عليه السؤال!"^(٦).

والمرابطون كذلك لا يفزعون؛ لأنهم كانوا في الدنيا في حال حذر مع خوف من مباحثة العدو في أي لحظة؛ لأن الرباط هو: "الإقامة بالثغر تقويةً للمسلمين على الكفار، والثغر كل مكان يخيف أهله العدو، ويُخيفهم"^(٧).

وقد روى مسلم في صحيحه من حديثِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: "رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِي عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْقَتْلَانُ"^(٨).

(١) سنن النسائي (٩٩/٤)، كتاب الجنائز، باب الشهيد، حديث ٢٠٥٣.

(٢) أي: لمعناها. (النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، "برق"، ١/١٢٠).

(٣) حسنه أبو الحسن ابن القطان. (بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام ٥/٧٤٣).

(٤) الحكيم أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي، كان ذا رحلة ومعرفة، وله مصنفات وفضائل، وحكم ومواعظ، لكن اتهم بتفضيل الولاية على النبوة، إلا أن بعض العلماء قد ردّ هذه التهمة عنه، توفي نحو ٣٢٠ هـ، ومن أهم مؤلفاته: نوادر الأصول في أحاديث الرسول. (انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي ١٣/٤٣٩، الأعلام للزركلي ٦/٢٧٢).

(٥) نوادر الأصول في أحاديث الرسول (٤/١٦١).

(٦) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص ٤٢٤.

(٧) الموسوعة الفقهية الكويتية (١٧/١٦٥).

(٨) صحيح مسلم (٣/١٥٢٠)، كتاب الإمامة، باب فضل الرباط في سبيل الله، حديث ١٩١٣.

وفي رواية لابن ماجه^(١) - واللفظ له-، وأحمد^(٢)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: "مَنْ مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أُجْرِي عَلَيْهِ أَجْرُ عَمَلِهِ الصَّالِحِ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ، وَأُجْرِي عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ مِنَ الْفُتَّانِ، وَبِعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ آمِنًا مِنَ الْفَرْعِ"^(٣).

ومنهم: الكاظمون الغيظ: فإنهم يأمنون من فزع الأهوال، بل يُكْرَمُونَ على رؤوس الأشهاد، ويُخَيَّرُونَ من الحور العين كما يشاؤون، قال تعالى: ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٤).

وقد أخرج الترمذي^(٥)، وأبو داود^(٦)، وابن ماجه^(٧)، وأحمد^(٨)، وأبو يعلى الموصلي^(٩)، والطبراني^(١٠)، والبيهقي^(١١)، من حديث مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: "مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ، حَتَّى يُخَيَّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ"^(١٢).

قال الطيبي: "كَظَمُ الْغَيْظِ: تَجْرُعُهُ، واحتمالُ سبِّهِ، والصبرُ عليه، وإنما حُجِدَ الكظمُ لأنه قهر للنفس الأمارة بالسوء، ومن نهي النفس عن هواه، فإنَّ الجنةَ مثواه، والحور العين جزاؤه،

(١) سنن ابن ماجه (٤/٦١)، كتاب الجهاد، باب فضل الرياط، حديث ٢٧٦٧.

(٢) مسند أحمد (١٥/١٣٧)، حديث ٩٢٤٤.

(٣) قال البوصيري: "إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ". (مصباح الزجاجة، للبوصيري ٣/١٥٥).

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٣٤.

(٥) جامع الترمذي (٣/٤٤٠)، كتاب البر والصلة، باب كظم الغيظ، حديث ٢٠٢١.

(٦) سنن أبي داود (٤/٢٤٨)، كتاب الآداب، باب كظم الغيظ، حديث ٤٧٧٧.

(٧) سنن ابن ماجه (٥/٢٨٠)، كتاب الزهد، باب الحلم، حديث ٤١٨٦.

(٨) مسند أحمد (٢٤/٣٩٨)، حديث ١٥٦٣٧.

(٩) مسند أبي يعلى الموصلي (٣/٦٦)، حديث ١٤٩٧.

(١٠) المعجم الكبير للطبراني (٢٠/١٨٨)، حديث ٤١٥، المعجم الأوسط (٩/١٠٤)، حديث ٩٢٥٦.

(١١) شعب الإيمان (١٠/٥٣٦)، حديث ٧٩٥٠، السنن الكبرى للبيهقي (٨/٢٧٩)، حديث ١٦٦٤٥.

(١٢) مُعَاذُ بْنُ أَنَسٍ الْجُهَنِيُّ، حليف الأنصار، كان بمصر والشام، توفي في خلافة عبد الملك بن مروان. (الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر ٦/١٠٧).

(١٣) قال الترمذي: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ". (جامع الترمذي ٣/٤٤٠، حديث ٢٠٢١).

والمراد بقوله: **عَلَى زُؤوسِ الْخَلَائِقِ**: أنه يَشْتَهَرُ بين الناس، ويُباهي به، ويقال في حقه: هذا الذي صدرت منه هذه الخصلة العظيمة^(١).

قلت: هذا الإكرام والعفو من الله للعافين عن الناس وقت الشدائد والأهوال؛ لأنهم كانوا في الدنيا منشغلين بالآخرة، لم يكن لديهم وقت للعداوات والحقد وغيرها من توافه الأمور، فقد كانوا يقرؤون قوله ﷺ: **﴿وَأِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾**^(٢).

وأبناء الأمة اليوم وهم يعيشون في حالة تنافر وتناحر - مما أتاح لعدوهم أن يستبيح مقدساتهم، ويعتدي على حرمتهم، وهل يأكل الذئب من الغنم إلا القاصية؟-، ما أحوجهم لترسيخ منهج العفو عن الآخرين، وتثبيت فقه الاختلاف بينهم، تحت مبدأ نعمل فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه؛ كي يبقى المجتمع المسلم قوياً، ومتماسكاً، لا متفرقاً، ومتشتتاً، كغشاء السيل.

ومما يُفْرِجُ الكُرْبَاتِ، وَيُدْفَعُ البَلَاءَ فِي الآخِرَةِ، وَلَا تُفْتَحَمُ العُقْبَاتُ الكَادَاءُ إِلَّا بِهِ: عتق الرقاب المسلمة، ففي الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً، أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهَا عَضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ، حَتَّى فَرَجَهُ بِفَرَجِهِ"^(٣).

وفي رواية، قال سَعِيدُ بْنُ مَرْجَانَةَ^(٤): "فَانْطَلَقْتُ حِينَ سَمِعْتُ الْحَدِيثَ مِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَذَكَرْتُهُ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ^(٥)، فَأَعْتَقَ عَبْدًا لَهُ، فَدَأَّعَطَاهُ بِهِ ابْنُ جَعْفَرٍ^(٦) عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ أَوْ

(١) الكاشف عن حقائق السنن، للطبي (١٠ / ٣٢٣٨-٣٢٣٩).

(٢) سورة الحجر: الآية ٨٥.

(٣) صحيح البخاري (١٤٥/٨)، كتاب كفارات الأيمان، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ تَحْرِيرِ رَقَبَةٍ﴾، وَأَيُّ الرِّقَابِ أَرْكَى، حَدِيثُ ٦٧١٥، وصحيح مسلم (١١٤٧/٢)، كتاب العتق، بَاب فَضْلِ الْعِتْقِ، حَدِيثُ ١٥٠٩.

(٤) هو سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَلَى الصَّحِيحِ، وَمَرْجَانَةُ أُمُّهُ، أَبُو عُمَانَ الْحِجَازِيُّ، ثِقَّةٌ فَاضِلٌ، مَاتَ قَبْلَ الْمِئَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ. مِنَ الثَّلَاثَةِ. (تَقْرِيبُ التَّهْذِيبِ، لابن حجر، ص ٢٤٠).

(٥) عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الْهَاشِمِيُّ، زَيْنُ الْعَابِدِينَ، ثِقَّةٌ نَبَتْ، عَابِدٌ فَحِيهٌ فَاضِلٌ مَشْهُورٌ، مِنَ الثَّلَاثَةِ، مَاتَ سَنَةَ ثَلَاثِ وَتِسْعِينَ، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ. (المرجع نفسه، ص ٤٠٠).

(٦) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، أَبُو جَعْفَرِ الْهَاشِمِيِّ، هُوَ أَوَّلُ مَوْلُودٍ وُلِدَ فِي الْإِسْلَامِ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَبَاعَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ، وَهُوَ أَحَدُ الْأَجْوَادِ، مَاتَ بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ ثَمَانِينَ. (مَعْرِفَةُ الصَّحَابَةِ لِأَبِي نَعِيمٍ ١٦٠٥/٣، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر ٨٨٠/٣).

أَلْفَ دِينَارٍ" (١).

قال النووي : "فيه بيان فضل العتق، وأنه من أفضل الأعمال، ومما يحصل به العتق من النار ودخول الجنة" (٢).

وقد قال الله ﷻ، من قبل: ﴿فَلَا افْتَحِمَ الْعَقْبَةَ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقْبَةُ ﴿فَكُ رَقَبَةً﴾ (٣)، "وقوله ﴿الْعَقْبَةُ﴾: أي الطريق التي في الجبل، سُمِّيَتْ بذلك لصعوبة سلوكها، وهو مثل ضربه ﷻ لمجاهدة النفس والهوى والشيطان، فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة، وقوله ﴿فَكُ رَقَبَةً﴾: أي إعتاقها وتخليصها من أسار الرق، فقد بَيَّنَّ ﷻ أن العقبة هي هذه القُرْبَ المذكورة التي تكون بها النجاة" (٤).

قلت: ويدخل في عتق الرقاب فكاك الأسرى من قبضة الأعداء، وذلك بشتى الوسائل سواء أكان بالفداء، أم بمبادلتهم بأسرى الكفار، أم بإعلان النفي العام لاستخلاصهم، وعدم تركهم يُفْتَنُونَ، ويُعَذَّبُونَ في سجون الأعداء، ففضية الأسرى في زماننا من الأولويات، كما كان في صدر الدعوة عتق العبيد ممن كانوا عند الكفار من الأولويات.

قال الشهيد سيّد قطب: "لقد كان أبو بكر ﷺ يقتحم العقبة، وهو يعتقد هذه الرقاب العانية لله، وكانت الملابس الحاضرة في البيئة تجعل هذا العمل يُذكر في مقدمة الخطوات والوثبات لاقتحام العقبة في سبيل الله" (٥).

وفكاك الأسرى اليوم يجب أن يُذكر في مقدمة الخطوات والوثبات لاقتحام العقبات الكأداء في الآخرة، قال السعدي (٦): "فكُّها من الرِّق، بعثتها أو مساعدتها على أداء كتابتها،

(١) صحيح البخاري (١٤٤/٣)، كتاب العتق، باب ما جاء في العتق وفضله، حديث ٢٥١٧، وصحيح مسلم

(٢) كتاب العتق، باب فَضْلِ الْعِتْقِ، حديث ١٥٠٩.

(٣) شرح النووي على مسلم (١٠ / ١٥١).

(٤) سورة البلد: الآيات ١١-١٣.

(٥) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٥/٥٤٠-٥٤١).

(٦) في ظلال القرآن (٦/٣٩١٢).

(٦) هو: الشيخ عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي، ت ١٣٧٦هـ، ومن أشهر مؤلفاته: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. (انظر: الأعلام للزركلي ٣/٣٤٠).

ومن باب أولى فكاك الأسير المسلم عند الكفار" (١).

ومن ينجو في هذا اليوم العصيب من الزحام والأهوال: المؤذنون؛ فهم أطول الناس أعناقاً، "وطول العنق جمال، ثم هو مناسب لما قاموا به من عمل، حيث كانوا يبلغون الناس بأصواتهم كلمات الأذان التي تعلن التوحيد وتدعو للصلاة" (٢).

أخرج مسلمٌ في صحيحه، من حديثِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: "الْمُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (٣).

قال النووي: "اختلف السلف والخلف في معناه، فقيل: معناه أكثر الناس تشوقاً إلى رحمة الله تعالى؛ لأنَّ المتشوّفَ يُطِيلُ عنقه إلى ما يتطلّع إليه، فمعناه كثرة ما يروّنه من الثواب، وقيل: إذا أُجْمِ الناس بالعرق يوم القيامة طالت أعناقهم؛ لثلا ينالهم ذلك الكرب والعرق، وقيل: إنهم سادة ورؤساء، والعرب تصف السادة بطول العنق، وقيل: معناه أكثر أتباعاً وقيل: أكثر الناس أعمالاً، وقيل: إسراعاً إلى الجنة" (٤).

قلت: لا تعارض بين جميع الأقوال، فلا مانع من أن يكون المؤذنون من أكثر الناس أتباعاً، وأعمالاً، وثواباً، وتشوقاً إلى رحمة الله تعالى، ونجاةً من الكرب، وبالتالي إسراعاً إلى الجنة. ومن إكرام الله للمؤذن أن يشهد له في هذا الموقف العصيب كلُّ شيء سمع أذانه في الدنيا، لتكون هذه الشهادة ممراً وجسراً للنجاة من كرب يومئذ.

روى البخاريُّ في صحيحه من حديثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رضي الله عنه، قَالَ لَهُ: إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الْعَنَمَ وَالْبَادِيَةَ، فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ أَوْ بَادِيَتِكَ، فَأَذَّنْتَ بِالصَّلَاةِ، فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ، "فَإِنَّهُ لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جَنًّا وَلَا إِنْسًا وَلَا شَيْءًا، إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ". قَالَ أَبُو سَعِيدٍ رضي الله عنه: سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (٥).

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٩٢٥.

(٢) القيامة الكبرى، لعمر سليمان الأشقر، ص ١٦٩.

(٣) صحيح مسلم (١/٢٩٠)، كتاب الصلاة، باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه، حديث ٣٨٧.

(٤) انظر: شرح النووي على مسلم (٤/٩٢).

(٥) صحيح البخاري (١/١٢٥)، كتاب الأذان، باب رفع الصوت بالنداء، حديث ٦٠٩.

قال ابن حجر: "فيه استحباب رفع الصوت بالأذان؛ ليكثر من يشهد له، ما لم يُجْهدهُ أو يتأذى به.

وفائدة السرِّ في هذه الشهادة- مع أنها تقع عند عالم الغيب والشهادة- قيل: إن أحكام الآخرة جرت على نعت أحكام الخلق في الدنيا من توجيه الدعوى والجواب والشهادة، وقيل: المراد من هذه الشهادة اشتهار المشهود له يوم القيامة بالفضل وعلوِّ الدرجة، وكما أن الله يفضح بالشهادة قومًا، فكذلك يكرم بالشهادة آخرين"^(١).

ومن الذين يأمنون من الفرع: الذين يشيرون في الإسلام، فقد أخرج الترمذي^(٢)، والنسائي^(٣)، وأحمد^(٤)، من حديثِ عَمْرٍو بْنِ عَبَسَةَ^(٥) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: "مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي سَبِيلِ اللهِ، كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ"^(٦).

قوله: "مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي سَبِيلِ اللهِ": "معناه من مارس المُجَاهِدَةَ حَتَّى يَشِيبَ طَاقَةً من شعره، فله ما لا يُوصَفُ من الثَّوَابِ"^(٧).

وقوله: "كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ": "أي ضياءً وَمُخْلِصًا عن ظُلُمَاتِ الموقِفِ وشِدَائِدِهِ"^(٨).

قد يقال الشيب ليس من اكتساب العبد، فما وجه ثوابه عليه؟
والجواب: "أنه إذا كان بسبب الجهاد، أو غيره من أعمال البرِّ، كالدأب في العمل، والخوف من الله، كان له الجزاء المذكور"^(٩).

(١) انظر: فتح الباري (٨٩/٢).

(٢) جامع الترمذي (٢٢٤/٣)، كتاب الجهاد، باب مَا جَاءَ فِي فَضْلِ مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي سَبِيلِ اللهِ، حديث ١٦٣٥.

(٣) سنن النسائي (٢٦/٦)، كتاب الجهاد، ثَوَابُ مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ ﷻ، حديث ٣١٤٢.

(٤) مسند أحمد (٢٤١/٢٨)، حديث ١٧٠٢٠.

(٥) عَمْرٍو بْنُ عَبَسَةَ بن عامر السُّلَمِيُّ، أسلم قديمًا أول الإسلام، سكن الشام ومات بجمص، ويُقال: إنه مات في أواخر خلافة عثمان. (الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر ٦٥٨/٤. أسد الغابة لابن الأثير ٢٦٧/٤).

(٦) قال الترمذي: "حسن صحيح". (جامع الترمذي ٢٢٤/٣، حديث ١٦٣٥).

(٧) الكاشف عن حقائق السنن، للطبي (٢٦٦٩/٨).

(٨) مرقاة المفاتيح، لعلي القاري (٢٨٣١/٧).

(٩) انظر: قوت المغتذي على جامع الترمذي، للسيوطي (٤١٩/١).

قلت: إنما كان الشيب منجياً من شدائد الموقف من وجهين:
الأول: أنه نذير للموت يذكر صاحبه ويحذره من الوقوع في المعاصي، فقد قال تعالى:
﴿أُولَٰئِكَ نَعْمَ لَكُمْ مَأْوًى مَّا يُتَذَكَّرُ فِيهِ مَنِ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾^(١).
قال البخاري: "النَّذِيرُ يَعْنِي الشَّيْبُ"^(٢).
والثاني: "أنه سكينه، ووقارٌ لصاحبه، مما يجعله يستحي من فعل المنكرات.
قال الطيبي: "وذلك؛ لأنَّ الوقار يمنع الشخص عن الغرور والطرب، ويميل إلى الطاعة
والتوبة، وتنكسر نفسه عن الشهوات، فيصير ذلك نوراً يسعى بين يديه في ظلمات الحشر إلى
أن يدخله الجنة"^(٣).

ومن الأعمال المستحبة التي تنجي أصحابها من كربات يوم القيامة: المواظبة على
إسباغ الوضوء؛ فهو مطهرة للنفس من الأدران الحسية والمعنوية، فقد جاء في صحيح مسلم
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ
بِهِ الدَّرَجَاتِ؟" قَالُوا: بَلَىٰ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخَطَا إِلَى
المَسَاجِدِ، وَانتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكَ الرِّبَاطُ"^(٤).

قال ابنُ عبد البر: "هذا الحديث من أفضل ما يروى في فضائل الأعمال"^(٥).
قلت: وذلك؛ لاحتوائه على أعمال جليلة ويسيرة، بأجور مضاعفة عظيمة.
قال القاضي عياض: "محو الخطايا: كناية عن غفرانها، ويحتمل محوها من كتاب
الحفظة، ويكون دليلاً على غفرانها، ورفع الدرجات: إعلاء المنازل في الجنة"^(٦).
وقال القاضي البيضاوي: "إنَّ هذه الأعمال هي المرابطة الحقيقية؛ لأنها تسد طرق
الشیطان على النفس، وتقهر الهوى، وتمنعها من قبول الوسوس، فيغلب بها حزب الله جنود

(١) سورة فاطر: الآية ٣٧.

(٢) صحيح البخاري (٨٩/٨)، كتاب الرقاق، باب مَنْ بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً فَقَدْ أَعَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي العُمْرِ.

(٣) الكاشف عن حقائق السنن، للطيبي (٢٩٣٤/٩).

(٤) صحيح مسلم (٢١٩/١)، كتاب الطهارة، باب فَضْلِ إِسْبَاغِ الوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، حديث ٢٥١.

(٥) الاستذكار (٣٠٢/٢).

(٦) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٥٥/٢).

الشیطان، وذلك هو الجهاد الأكبر"^(١).

وقال السَّفیري^(٢): "قوله "فَذَلِكُمُ الرَّبَّاطُ"، فيه وجهان:

أحدهما: أنه شبه الذي يتوضأ في شدة البرد، ويكثر الذهاب إلى المسجد، وينتظر الصلاة بعد الصلاة في الأجر بالمرابط في سبيل الله قبالة أعدائه.

والثاني: أنه رباط صاحبه عن إثم الخطيئة، فكأنه عقله عنها بفعله"^(٣).

ولا يقتصر أثر الوضوء على العبد في الدنيا فحسب، ففي الآخرة يكون نوراً لصاحبه في ظلمات الحشر والأهوال، ففي الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: "إِنَّ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ"^(٤).

قوله: "غُرًّا": أصلُ الغُرَّةُ لمعةٌ بيضاءُ تكون في جبهة الفرس، ثمَّ استعملت في الجمال، والشهرة، وطيب الذكر، والمراد بها هنا النور الكائن في وجوه أمة محمد صلى الله عليه وسلم، إذا دُعوا على رؤوس الأشهاد نودوا بهذا الوصف، وكانوا على هذه الصفة، وأما قوله: "مُحَجَّلِينَ": من التَّحْجِيلِ، وهو بياض يكون في ثلاث قوائم من قوائم الفرس، وأصله من الحِجْلِ وهو الخُلْخَالُ، والمراد به هنا أيضا النور"^(٥).

قال فضلُ الله التُّوريشي: "غُرًّا مُحَجَّلِينَ، أي: يبض الوجوه يبض مواضع من الأيدي والأقدام، إذا دُعوا على رؤوس الأشهاد أو إلى الجنة كانوا على هذه الشية"^(٦).

(١) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة (١/١٦٩).

(٢) هو: محمد بن عمر بن أحمد السَّفیري، شمس الدين: عالم بالحديث، من الشافعية، حلبيُّ المولد والوفاء، زار دمشق والقاهرة، ت ٩٥٦هـ، ومن أشهر كتبه: "شرح الجامع الصحيح للبخاري". (الأعلام، للزركلي ٦/٣١٧).

(٣) المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية، شرح البخاري، للسَّفیري (٢/٢٤٩).

(٤) صحيح البخاري (١/٣٩)، كتاب الوضوء، باب فضل الوضوء والغر المحجلون من آثار الوضوء، حديث ١٣٦، وصحيح مسلم (١/٢١٦)، كتاب الطهارة، باب إطالة الغُرَّة والتَّحْجِيلِ في الوُضُوءِ، حديث ٢٤٦.

(٥) انظر: فتح الباري، لابن حجر (١/٢٣٦).

(٦) الميسر في شرح مصابيح السنة (١/١٢٣).

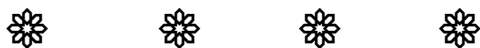
ومن فضائل إسباغ الوضوء وإتمامه؛ أنه يكون حليةً لأصحابه يوم القيامة، ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت خليلي رضي الله عنه، يقول: "تَبْلُغُ الْحَلِيَّةُ مِنَ الْمُؤْمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الْوُضُوءُ"^(١).

ومعنى الحديث، كما قال الطيبي: "أي تتمكّن من المؤمن الحلية مبلغاً يتمكّنهُ الوضوء منه"^(٢).

والمراد بِالْحَلِيَّةِ هاهنا، كما قال الثوريشتي: "هي التحجيل يوم القيامة من أثر الوضوء، وعبر عنه بِالْحَلِيَّةِ؛ لأنه العلامة الفارقة بين هذه الأمة وبين سائر الأمم"^(٣).

وقال الشيخ عبد الله سراج الدين^(٤): "أي: فيحليه الله تعالى بنورٍ وجمالٍ وحسنٍ في جميع المواضع التي ينتهي إليها وضوؤه"^(٥).

وقال أيضاً: "فبالوضوء يتحلى المتوضئ بنور وجهه وجماله، ويصير أغرّاً، وتتحلى مواضع الوضوء من يديه ورجليه بالنور والبياض فيصير مُحَجَّلًا"^(٦).



(١) صحيح مسلم (١/ ٢١٩)، كتاب الطهارة، باب تَبْلُغُ الْحَلِيَّةُ حَيْثُ يَبْلُغُ الْوُضُوءُ، حديث ٢٥٠.

(٢) الكاشف عن حقائق السنن (٣/ ٧٤٩).

(٣) الميسر في شرح مصابيح السنة (١/ ١٢٣).

(٤) هو: الشيخ العلامة المفسر المحدّث عبد الله محمد نجيب سراج الدين الحسيني، ت ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، وله مؤلفات كثيرة وقيّمة، من أشهرها: "هدي القرآن الكريم إلى معرفة العوالم والتفكير في الأكوان، والإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها".

(انظر: الحافظ عبد الله سراج الدين رضي الله عنه وأثره في الحديث وعلومه، لشيخنا: أ. د. علي نايف بقاعي، ص ٩-٢٥).

(٥) التقرب إلى الله تعالى "فضله، طريقه، مراتبه"، ص ٢٥.

(٦) المرجع نفسه، ص ٢٥.

الفصل الثالث

الحساب والشهادة والشفاعة

المبحث الأول: صفة الحساب والقواعد التي يحاسب عليها العباد.

المبحث الثاني: الشهادة على العباد.

المبحث الثالث: ما يحاسب عليه العباد.

المبحث الرابع: الشفاعة.

المبحث الأول

صفة الحساب والقواعد التي يحاسب عليها العباد

المطلب الأول: وصف الحساب.

المطلب الثاني: القواعد التي يحاسب على وفقها العباد.

المطلب الأول: وصف الحساب

أولاً: تعريف الحساب:

في اللغة: الحِسَابُ والحِسَابَةُ: عَدُّكَ الشَّيْءَ، وَحَسَبَ الشَّيْءَ يَحْسُبُهُ حَسَبًا وَحِسَابًا وَحِسَابَةً. وَحُسْبَانُكَ عَلَى اللَّهِ أَي حِسَابُكَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(١)؛ أَي حِسَابُهُ وَقَعَّ لَا مَحَالَةَ، وَكُلُّ وَقَعٍ فَهُوَ سَرِيعٌ، وَقَوْلُهُ وَجَّكَ: ﴿أَفْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾^(٢)؛ أَي كَفَىٰ بِكَ لِنَفْسِكَ مُحَاسِبًا^(٣).

وفي الاصطلاح: قال السَّقَّارِيُّ: "توقيف الله عباده قبل الانصراف من المحشر على أعمالهم، خيرًا كانت أو شرًا، تفصيلًا لا بالوزن، إلا من استثنى منهم"^(٤). وقال الثعلبي^(٥): "الحساب تعريف الله ﷻ الخلائق بمقادير الجزاء على أعمالهم، وتذكيره إياهم ما قد نسوه من ذلك، يدلُّ على هذا قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾"^(٦)^(٧).

وعرّفه القرطبي، قال: "ومعناه أن البارئ ﷻ يعدد على الخلق أعمالهم من إحسان وإساءة، يعدد عليهم نعمه ثم يقابل البعض بالبعض"^(٨).

ووصفه الدكتور عمر الأشقر بصورة إجمالية، قال: "يراد بالحساب؛ أن يوقف الحق ﷻ عباده بين يديه، ويعرّفهم بأعمالهم التي عملوها، وأقوالهم التي قالوها، وما كانوا عليه في حياتهم

(١) سورة البقرة: الآية ٢٠٢.

(٢) سورة الإسراء: الآية ١٤.

(٣) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، "حسب"، (١١٠/١)، مقاييس اللغة، لابن فارس، "حسب"، (٥٩/٢)، ولسان العرب، لابن منظور، "حسب"، (٣١٣/١-٣١٤).

(٤) لوامع الأنوار البهية (١٧١/٢-١٧٢).

(٥) هو: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق الخراساني، مفسر، من أهل نيسابور له اشتغال بالتأريخ، والثعلبي لقب، وليس نسب، ت ٤٢٧ هـ، ومن أشهر كتبه: الكشف والبيان عن تفسير القرآن. (الدر الثمين في أسماء المصنفين، لابن الساعي، ص ٢٨٩، ومعجم المفسرين، لعادل نويهض ١/٦٢، والأعلام، للزركلي ١/٢١٢).

(٦) سورة المجادلة: الآية ٦.

(٧) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١١٧/٢).

(٨) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص ٥٦٢.

الدنيا من إيمان وكفر واستقامة وانحراف وطاعة وعصيان، وما يستحقونه على ما قدموه من إثابة وعقوبة، وإيتاء العباد كتبهم بأيامهم إن كانوا صالحين، وبشمالهم إن كانوا طالحين، ويشمل الحساب ما يقوله الله لعباده، وما يقولونه له، وما يقيمه عليهم من حجج وبراهين، وشهادة الشهود، ووزن للأعمال، والحساب منه اليسير، ومنه العسير، ومنه التكريم، ومنه التويخ، والتبكيث^(١)، ومنه الفضل، والصفح، ومتولي ذلك أكرم الأكرمين^(٢).

ثانياً: كيفية الحساب:

لقد تقرر أن الله ﷻ يحاسب عباده على ما قدموه من أعمال في حياتهم الدنيا، كما قال تعالى: ﴿فَوَرِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٣).

قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: "لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا؟ لأنه أعلم بذلك منهم، ولكن يقول لهم: لم عملتم كذا وكذا؟"^(٤).

وقال الرازي: "إنَّ القوم لا يُسألون عن الأعمال، لأنَّ الكتب مشتملةٌ عليها، ولكنهم يُسألون عن الدواعي التي دعتهم إلى الأعمال، وعن الصوارف التي صرفتهم عنها"^(٥).

هذا بالنسبة لطبيعة السؤال عن الأعمال التي سيسأل عنها العباد، أمَّا الوقت، فقد يسأل سائل، كيف يحاسب الله العباد في آن واحد؟

فيجيب ابنُ تيمية قائلاً: "والربُّ سبحانه لا يشغله سمعٌ عن سمع، ولا تغلظه المسائل، بل هو سبحانه يكلم العباد يوم القيامة، ويحاسبهم لا يشغله هذا عن هذا، والله سبحانه في الدنيا يسمع دعاء الداعين ويحيي السائلين؛ مع اختلاف اللغات وفنون الحاجات، والربُّ سبحانه واسعٌ عليهم، وسع سمعُه الأصواتِ كلَّها، وعطاؤه الحاجاتِ كلَّها"^(٦).

(١) أي: العَلْبَةُ بِالْحَجَّةِ. (مقاييس اللغة، لابن فارس، "بَكَت"، ٢٨٧/١).

(٢) القيامة الكبرى، ص ١٩٣.

(٣) سورة الحجر: الآيتان ٩٢ - ٩٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٥٠/١٧).

(٥) مفاتيح الغيب (٢٠١/١٤).

(٦) مجموع الفتاوى (٢٤٦/٥).

وقد قيل لابن عباسٍ رضي الله عنهما: كَيْفَ يُكَلِّمُهُم يَوْمَ الْقِيَامَةِ كُلَّهُمْ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ؟ قَالَ: "كَمَا يَرَزُقُهُمْ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ"^(١).

وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٢)، أي: "يُحَاسِبُ الْخَلَائِقَ كُلَّهُمْ، كَمَا يُحَاسِبُ نَفْسًا وَاحِدَةً"^(٣)، "فَحِسَابُهُ وَقِعٌ لَا مَحَالَةَ، وَكُلُّ وَقِعٍ فَهُوَ سَرِيعٌ، وَسُرْعَةُ حِسَابِ اللَّهِ، أَنَّهُ لَا يَشْغَلُهُ حِسَابٌ وَاحِدٌ عَنِ مُحَاسَبَةِ الْآخَرِ؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَشْغَلُهُ سَمْعٌ عَنِ سَمْعٍ، وَلَا شَأْنٌ عَنِ شَأْنٍ"^(٤)، وهو كقوله تعالى: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾^(٥)، أي: "كَخَلَقَ نَفْسٍ وَاحِدَةً، وَبَعَثَهَا، لَا يَتَعَدَّرُ عَلَيْهِ"^(٦).

قلت: كذلك الحساب، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَا يَتَعَدَّرُ عَلَيْهِ شَيْءٌ، كُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهِ هَيِّئٌ. ولقد جاء في كيفية الحساب أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَكَلِّمُ عِبَادَهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدِهِمْ وَاسِطَةٌ أَوْ تَرْجَمَانٌ، فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَسَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَهُ تَرْجَمَانٌ، ثُمَّ يَنْظُرُ فَلَا يَرَى شَيْئًا قَدَامَهُ، ثُمَّ يَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَتَسْتَقْبِلُهُ النَّارُ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِيَ النَّارَ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ"^(٧).

قال ابن حجر: "المراد بالحجاب نفي المانع من الرؤية، والله سُبْحَانَهُ منزه عما يحجبه؛ إذ الحجاب إنما يحيط بمقدر محسوس، ولكن المراد بحجابه؛ منعه أبصار خلقه، وبصائرهم بما شاء، متى شاء، كيف شاء، وإذا شاء كشف ذلك عنهم"^(٨).

(١) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢٤٦/٥).

(٢) سورة غافر: الآية ١٧.

(٣) تفسير ابن كثير (١٣٦/٧).

(٤) لسان العرب، لابن منظور، "حسب"، (٣١٤/١).

(٥) سورة لقمان: الآية ٢٨.

(٦) تفسير البغوي (٥٩١/٣).

(٧) صحيح البخاري (١١٢/٨)، كتاب الرقاق، باب مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُدُّبَ، حديث ٦٥٣٩، وصحيح مسلم

(٨) (٧٠٣/٢)، كتاب الزكاة، باب الْحُثِّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ أَوْ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ وَأَنَّهَا حِجَابٌ مِنَ النَّارِ، حديث ١٠١٦.

(٨) فتح الباري (٤٣١/١٣).

وقال العيني: "فيه كلامه ﷺ مع البشر يوم القيامة بخلاف ما حرمهم في الدنيا، لحجابه الأبصار عن رؤيته فيها، فيرفع في الآخرة ذلك الحجاب عن أبصارهم ويكلمهم على حال المشاهدة" (١).

قلت: دلَّ الحديث أنَّ الحساب من الله لعبده يكون مباشرةً من غير واسطة أو ترجمان، وأَنَّهُ لا يستحيل على الله ﷻ أن يحاسب عباده كلهم في وقت واحد، فهو على كل شيء قدير.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: "فجميع الخلق سيكلمهم الله مباشرةً من دون ترجمان ولا واسطة، ويسألهم عن جميع أعمالهم: خيرها وشرها، دقيقها وجليلها، سابقها ولاحقها، ما علمه العباد وما نسوه منها، وذلك أنه لعظمته وكبريائه كما يخلقهم ويرزقهم في ساعة واحدة، ويبعثهم في ساعة واحدة، فإنه يحاسبهم جميعهم في ساعة واحدة، فتبارك من له العظمة والمجد، والملك العظيم والجلال" (٢).

ثالثاً: أنواع الحساب:

تفاوت مراتب العباد في الحساب، فبعضهم يكون حسابه عسيراً، كالكفرة والمنافقين، وبعضهم يدخلون الجنة بلا حساب، وهم صفوة من هذه الأمة عددهم سبعون ألفاً، سيأتي ذكر بيانهم وصفاتهم في أثناء البحث، وبعضهم يكون حسابهم يسيراً، وهؤلاء لا يناقشون الحساب، بل تعرض عليهم ذنوبهم، ثم يعفو الله تعالى عنهم ويتجاوز عن سيئاتهم. ولذلك تختلف طريقة المحاسبة ونوعها من شخص لآخر حسب مرتبته، بين العرض، والمناقشة، ومعاتبة الرب ﷻ لعبده على تقصيره، وهي كالاتي:

النوع الأول: العرض: والمراد به: "عرض ذنوب المؤمنين عليهم، كي يدركوا مدى نعمة الله عليهم في غفرانها لهم" (٣).

(١) عمدة القاري (١٦٤/٢٥).

(٢) بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخيار، لعبد الرحمن السعدي، ص ١٦٢.

(٣) القيامة الكبرى، عمر الأشقر، ص ٢٢٥.

مثاله ما جاء في الصحيحين من حديث صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزِ الْمَازِنِيِّ^(١)، قَالَ: "بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَخَذَ بِيَدِهِ، إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ، فَقَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: "إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟، فَيَقُولُ: نَعَمْ، أَيُّ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَعْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: ﴿هُؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾"^(٢)^(٣).

أما قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ": فَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ يُقَرِّبُهُ مِنْ رَحْمَتِهِ وَكَرَامَاتِهِ وَعَطْفِهِ وَلَطْفِهِ، وَهَذَا سَائِعٌ فِي اللُّغَةِ أَنْ يَقَالَ: فُلَانٌ قَرِيبٌ مِنْ فُلَانٍ، وَيُرَادُ بِهِ قَرَبُ الْمَنْزِلَةِ، وَعَلُو الدَّرَجَةِ عِنْدَهُ؛ لِاسْتِحَالَةِ الْمَسَاحَةِ، وَالْمَسَافَةِ، وَبَعْدِ الْمَكَانِ، وَالنِّهَايَةِ عَلَى اللَّهِ صلى الله عليه وسلم^(٤).

وقال القرطبي في قوله: "فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ": أي ستره ولطفه وإكرامه، فيخاطب خطاب ملاطفة، ويناجيه مناجاة المصافاة والمحادثة، فيقول له: هل تعرف؟ فيقول: رب أعرف، فيقول الله ممتناً عليه، ومظهرًا فضله لديه: فإني قد "سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا"، أي لم أفضحك بها فيها، وأنا أعفرها لك اليوم"^(٥).

أخرج البخاري ومسلم من حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسِبُ إِلَّا هَلَكَ"، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ صلى الله عليه وسلم: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا^(٦)، قَالَ: "ذَلِكَ الْعَرَضُ

(١) صَفْوَانُ بْنُ مُحْرِزِ الْمَازِنِيِّ، ثِقَةٌ عَابِدٌ، مِنَ الرَّابِعَةِ، ت ١٧٤ هـ. (تقريب التهذيب، لابن حجر، ص ٢٧٧).

(٢) سورة هود: الآية ١٨.

(٣) صحيح البخاري (١٢٨/٣)، كتاب التفسير، باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، حديث ٢٤٤١، وصحيح مسلم (٢١٢٠/٤)، كتاب التوبة، باب قُبُولِ تَوْبَةِ الْقَاتِلِ وَإِنْ كَثُرَ قَتْلُهُ، حديث ٢٧٦٨.

(٤) مشكل الحديث وبيانه، لابن فورك، ص ١٥٥.

(٥) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص ٦٣٣.

(٦) سورة الانشقاق: الآيتان ٧-٨.

يُعْرَضُونَ، وَمَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ" (١).

فظاهر الآية ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (٢)، يتعارض مع ظاهر قوله في الحديث

"وَمَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ"، فكيف يمكن الجمع بينهما؟!

ولحلّ هذا التعارض، والجمع بين الحديث والآية؛ قال ابن حجر: "وجه المعارضة؛ أنّ لفظ الحديث عام في تعذيب كل من حوسب، ولفظ الآية دال على أنّ بعضهم لا يُعذب، وطريق الجمع أن المراد بالحساب في الآية العرض، وهو إبراز الأعمال وإظهارها، فيُعرف صاحبها بذنوبه، ثم يتجاوز عنه" (٣).

وقال القاضي عياض: "له معنيان، أحدهما: أنّ نفس المناقشة وعرض الذنوب والتوقيف عليها هو التعذيب لما فيه من التوبيخ، والثاني: أنّه مفض إلى العذاب بالنار" (٤).

قال النووي: "الثاني هو الصحيح، ومعناه: أن التقصير غالب في العباد، فمن استقصي عليه ولم يسامح هلك ودخل النار، ولكن الله تعالى يعفو ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء" (٥).
ويؤيد ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اِعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ، وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فَيَقُولُ: رَبِّ، قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَا هُنَا..." الحديث (٦).

(١) صحيح البخاري (١٦٧/٦)، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾، حديث ٤٩٣٩،

وصحيح مسلم (٤/٢٢٠٥)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب، حديث ٢٨٧٦.

(٢) سورة الانشقاق: الآية ٨.

(٣) فتح الباري، لابن حجر (٤٠٢/١١).

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٤٠٧/٨).

(٥) شرح النووي على مسلم (٢٠٩/١٧).

(٦) صحيح مسلم (١٧٧/١)، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث ١٩٠.

النوع الثاني: المناقشة: وهي كما قال النبي ﷺ في الحديث: "وَمَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ"^(١).

والمراد بالمناقشة: "الاستقصاء والتفتيش في الحساب، والمطالبة بالجليل والحقير، وترك المسامحة فيه، حتى لا يترك منه شيء"^(٢)، و"قيل: هو نقش عذابه، أي: يعذب بحسابه، وقيل: بل إذا نوقش ووزنت أعماله وخطراته وهمه وصغائره وكبائره لم يكد يتخلص إن لم يعف الله عنه"^(٣).

ومن الأمثلة على المناقشة، مناقشة الملك ﷺ لأصناف من المرائين من عباده، فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ، فَأَتَىٰ بِهِ، فَعَرَفَهُ نِعْمَةً فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟، قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ، حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ..."^(٤) الحديث.

وفي رواية للترمذي^(٥)، وابن خزيمة^(٦)، وابن حبان^(٧)، والحاكم^(٨)، أن أبا هريرة رضي الله عنه، لما حدث به نَشَعٌ نَشَعَةٌ^(٩)، فَمَكَثَ قَلِيلًا ثُمَّ أَفَاقَ، ثُمَّ نَشَعَ نَشَعَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ أَفَاقَ فَمَسَحَ وَجْهَهُ، ثُمَّ نَشَعَ نَشَعَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ مَالَ خَارًا عَلَىٰ وَجْهِهِ فَاسْتَدْوَاهُ طَوِيلًا، ثُمَّ أَفَاقَ، فَذَكَرَهُ... وفيه أن معاوية رضي الله عنه لما أخبر بحديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: "قَدْ فُعِلَ بِهَذَا هَذَا، فَكَيْفَ بِمَنْ بَقِيَ مِنَ النَّاسِ؟ ثُمَّ بَكَى بُكَاءً شَدِيدًا حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهُ هَالِكٌ، ثُمَّ أَفَاقَ وَمَسَحَ عَن وَجْهِهِ،

(١) سبق تحريجه، ص ٢٣٨.

(٢) انظر: شرح السنة، للبعوي (١٣٢/١٥)، وعمدة القاري، للعيني (١١٣/٢٣)

(٣) مطالع الأنوار على صحاح الآثار، لابن قرقول (٢٠٧/٤).

(٤) صحيح مسلم (١٥١٣/٣)، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسُّمعة استحق النار، حديث ١٩٠٥.

(٥) جامع الترمذي (١٦٩/٤)، كتاب الزهد، باب ما جاء في الرياء والسُّمعة حديث ٢٣٨٢.

(٦) صحيح ابن خزيمة (١١٥/٤)، حديث ٢٤٨٢.

(٧) صحيح ابن حبان (١٣٥/٢)، حديث ٤٠٨.

(٨) المستدرک للحاكم (٤١٨/١)، حديث ١٥٢٧.

(٩) النشع: الشهيق حتى يكاد يبلغ به الغشي، شوقًا وأسفًا على النبي ﷺ. (شرح السنة، للبعوي ٣٣٤/١٤، الفائق في

غريب الحديث، للزمخشري، "نَشَعٌ"، (٤٣١/٣).

وَقَالَ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُوفٌ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ ﴿١﴾ ﴿٢﴾. مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣﴾.

فهذا الحديث يبين هذا النوع من المحاسبة بالمناقشة والاستقصاء والتفتيش عن كل شيء من غير مساححة؛ وذلك: "لكون هذه العبادات رفيعة القدر عند الله تعالى، وهؤلاء طلبوا بها العاجل، وآثروا الفاني على الباقي، فحازاهم الله تعالى بأن جعلهم أول من تُسعر بهم النار؛ إذ العقاب على قدر عظم الجُرم" (٣).

النوع الثالث: معاتبة الرب ﷻ عبده فيما وقع منه من تقصير:

مثال ذلك ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا بَنَ آدَمَ، مَرَضْتُ فَلَمْ تُعْذِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَعُوذُكَ، وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا مَرِضٌ، فَلَمْ تُعْذِهِ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ، لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا بَنَ آدَمَ، اسْتَطَعْمْتِكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ، وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطَعَمَكَ عَبْدِي فَلَانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟ يَا بَنَ آدَمَ، اسْتَسْقَيْتَكَ فَلَمْ تَسْقِنِي؟ قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فَلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي" (٤).

قلت: ولا إشكال في معنى الحديث، من نسب المرض والجوع والعطش إلى الله تعالى، فهو ﷻ أراد عبده، لا ذاته، فعبر عن نفسه تكريماً لعبده.

(١) سورة هود: الآية ١٥-١٦.

(٢) صححه الحاكم، وقال: "على شرطهما ولم يخرجا مثله"، ووافقه الذهبي، وحسنه الترمذي. (المستدرک للحاکم

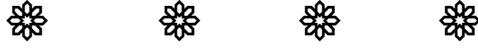
٤١٨/١، حديث ١٥٢٧، جامع الترمذي ١٦٩/٤، حديث ٢٣٨٢).

(٣) ذخيرة العقبى في شرح المجتبى، لمحمد بن علي الولوي (٢٦/٢٠٠).

(٤) صحيح مسلم (٤/١٩٩٠)، كتاب البرِّ والصَّلةِ والأَدَابِ، باب فَضْلِ عِبَادَةِ الْمَرِيضِ، حديث ٢٥٦٩.

قال ابن فورك^(١): وأما قوله: "مَرِضْتُ"، فقد فسره النبي ﷺ، وَبَيَّنَّ أَنَّ مَعْنَى ذَلِكَ إِشَارَةً إِلَى مَرَضٍ وَلِيَّهِ، فَأُضِيفَ إِلَى نَفْسِهِ؛ إِكْرَامًا لَوْلِيَّهِ، وَرَفْعًا لِقَدْرِهِ، وَهَذِهِ طَرِيقَةٌ مُعْتَادَةٌ فِي الْخُطَابِ عَرَبِيَّةٌ وَأَعْجَمِيَّةٌ، وَذَلِكَ أَنَّ يَخْبِرُ السَّيِّدَ عَنِ نَفْسِهِ، وَيُرِيدُ عَبْدَهُ؛ إِكْرَامًا لَهُ وَتَعْظِيمًا، حَتَّى كَأَنَّهُ هُوَ تَوْهَمٌ مِنْ جَلَالَتِهِ وَعَظَمِ مَنَزَلَتِهِ مَسَاوَاتِهِ لَهُ فِي الْمَنزَلَةِ وَالْجَلَالَةِ^(٢).

وقال النووي: "قال العلماء: إنما أضاف المرض إليه ﷺ والمراد العبد؛ تشریفًا للعبد وتقريبًا له، قالوا: ومعنى "لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ"، أي وجدت ثوابي وكرامتي، ويدلُّ عليه قوله تعالى في تمام الحديث "لَوْ أَطَعَمْتُهُ لَوَجَدْتَهُ ذَلِكَ عِنْدِي"، "لَوْ سَقَيْتُهُ وَجَدْتَهُ ذَلِكَ عِنْدِي"، أي: ثوابه، والله أعلم"^(٣).



(١) هو: أبو بكر، محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، ت ٤٠٦هـ، ومن أشهر مؤلفاته: مشكل الحديث وبيانه. (وفيات الأعيان، لابن خلكان ٤/٢٧٢، وسير أعلام النبلاء، للذهبي ١٧/٢١٥).

(٢) مشكل الحديث وبيانه، ص ١٥١.

(٣) شرح النووي على مسلم (١٦/١٢٦).

المطلب الثاني: القواعد التي يحاسب على وفقها العباد

كما أن الله ﷻ لم يخلق البشر عبثاً، فإنه لا يحاسبهم عبثاً أيضاً، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ^(١)، وإنما يكون الحساب وفق قواعد عادلة، ونظام حكيم، لا يشوبه الظلم، ولا يعتريه النقص، ولقد أعلمنا الله ﷻ به كي نكون على بينة منه، فنجتهد في تحقيق ما يرضيه وفق ما أمر ﷻ، وهذه القواعد التي يحاسب الله بها العباد تتمثل فيما يأتي:

أولاً: العدل المطلق والتام:

وفي ذلك يقول الحق ﷻ: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٢).

والمعنى: "أنه ستُجزى كل نفس من النفوس المكلفة، برةً أو فاجرةً بما كسبت من خير أو شر، لا ظلم اليوم على أحد منهم بنقص ثواب، أو زيادة عذاب"^(٣).

وقد أخرج الإمام مسلمٌ في صحيحه من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى، أنه قال: "يا عبادي إني حرمتُ الظلمَ على نفسي، وجعلتهُ بينكم مُحَرَّمًا، فلا تظالموا"^(٤).

قال الإمام النووي: "أي: تقدّستُ عنه وتعاليتُ، والظلمُ مستحيلٌ في حق الله ﷻ، كيف يجاوز سبحانه حدًّا، وليس فوقه من يطيعه؟ وكيف يتصرف في غير مُلك، والعالم كله في ملكه وسلطانه"^(٥).

وقال الشيخ عبد المحسن العباد: "الظلم وضعُ الشيء في غير موضعه، وقد حرّمه الله

(١) سورة المؤمنون: الآيتان ١١٥ - ١١٦.

(٢) سورة غافر: الآية ١٧.

(٣) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، لمحمد الأمين بن عبد الله الأرمي (١٣٨/٢٥).

(٤) صحيح مسلم (٤/١٩٩٤)، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث ٢٥٧٧.

(٥) شرح النووي على مسلم (١٣٢/١٦).

على نفسه ومنعها منه، مع قدرته عليه وعلى كل شيء، فلا يقع منه الظلم أبدًا؛ لكمال عدله ﷻ، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾^(١)، وقال: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾^(٢)، أي: لا يخاف نقصًا من حسناته ولا زيادة في سيئاته، أو تحميله سيئات غيره، ونفي الظلم عن الله ﷻ متضمنٌ لإثبات كمال عدله ﷻ^(٣).

ولا يقتصر عدل الله ﷻ على بني البشر فحسب، بل العدل يقع على البهائم والدواب وجميع المخلوقات، ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لَتُؤَدَّنَ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ"^(٤) مِنْ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ"^(٥).

أفاد الحديث حشر البهائم، ووقوع الاقتصاص بينها على سبيل المقابلة، لا المجازاة، إذ إنها ليست من المكلفين، ويُقاس عليها الصبيان والمجانين ومن لم تبلغه دعوة الله.

قال النووي: "هذا تصريح بحشر البهائم، وإعادتها يوم القيامة، كما يعاد أهل التكليف من الآدميين، وكما يعاد الأطفال، والمجانين، ومن لم تبلغه دعوة، وعلى هذا تظاهرت دلائل القرآن والسنة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾"^(٦)، وإذا ورد لفظ الشرع، ولم يمنع من إجرائه على ظاهره عقل، ولا شرع؛ وجب حمله على ظاهره"^(٧).

قال العلماء: "وليس من شرط الحشر والإعادة في القيامة المجازاة والعقاب والثواب، وأمَّا القصاص من القرناء للجلحاء، فليس هو من قصاص التكليف إذ لا تكليف عليها، بل هو قصاص مقابلة"^(٨).

ولذلك حذر الله ﷻ من الظلم، وجعله سببًا لكرب صاحبه يوم القيامة، وظلمة عليه في المحشر والحساب، فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه،

(١) سورة غافر: الآية ٣١.

(٢) سورة طه: الآية ٢٠.

(٣) فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتممة الخمسين، ص ٨٣.

(٤) هي التي لا قرن لها. (النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، "جلح"، ٢٨٤/١).

(٥) صحيح مسلم (١٩٩٧/٤)، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث ٢٥٨٢.

(٦) سورة التكوير: الآية ٥.

(٧) شرح النووي على مسلم (١٣٦/١٦).

(٨) المرجع نفسه (١٣٧/١٦).

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..." الحديث^(١).

قال القاضي عياض: "قيل:- هو على ظاهره- إنه ظلمات على صاحبه حتى لا يهتدي يوم القيامة سبيلاً، حيث يسعى نور المؤمنين بين أيديهم وبأيمانهم، وقد تكون الظلمات هنا الشدائد، ويحتمل أنها عبارة عن الأنكال والعقوبات"^(٢).

ولذلك أمرنا النبي ﷺ أن نتحلل من مظالم الناس قبل فوات الأوان، ففي صحيح البخاري من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ تَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ"^(٣).

بل إن النبي ﷺ قد سمى الظالم الذي لم يعد الحقوق لأصحابها مفلساً؛ لأنَّ حقيقة الإفلاس، هي من الحسنات، وليس من المال، ففي صحيح مسلمٍ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ النبي ﷺ: "اتَّذَرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: "إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُفْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ"^(٤).

قال ابن هبيرة: "فيه: أنه إذا خلت الأكف في القيامة من الأغراض التي كانت يتعاطاها الناس في الدنيا، ويتظالمون فيها، انتقل جنس الأثمان إلى الحسنات، فأخذ منها ما يقوّم به المظالم، فإن لم يكن للظالم حسنات وضع عليه من سيئات خصمه ما يقوّم به أيضاً مظلمته؛ ليخف عن المظلوم، ويتضاعف الثقل على الظالم؛ عملاً بالحق، ووزناً بالقسط، ويجزئ من ذلك كله أن يستحل الرجل من أخيه في هذه الدنيا"^(٥).

(١) صحيح مسلم (٤/١٩٩٦)، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث ٢٥٧٨.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٤٨/٨).

(٣) صحيح البخاري (٨/١١١)، كتاب الرقاق، باب الفصاحي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حديث ٦٥٣٤.

(٤) سبق تحريجه ص ٦٠.

(٥) الإفصاح عن معاني الصحاح (٧/٣٣٨).

إذا قيل: إنَّ ثواب الحسنة خالدٌ أبدًا غيرُ متناهٍ، وجزاء السيئة من الظلم وغيره متناهٍ، فكيف يقع غيرُ المتناهي موقعَ المتناهي، وكيف يقوم مقامه فيصير المظلوم ظالمًا؟

فالجواب: بما قاله الكرماني، واختاره ابن حجر، والعيني، وهو: "أن يعطي خصمه من أصل ثواب الحسنة ما يوازي عقوبة سيئته، إذ الزائد عليه فضل من الله عليه خاصة، فإن لم تف حسناته بذلك أخذ من عقوبة خصومه، فيحط عليهم فيزداد في عقابه"^(١).

إذا قيل: ما التوفيق بين الحديث، وبين قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(٢)؟

فالجواب: "لا تعارض بينهما؛ لأنه إنما يُعاقب بسبب فعله وظلمه، أو معناه: لا تزر باختياره وإرادته"^(٣).

قلت: هذا العدل وإيصال الحقوق لأصحابها في الآخرة؛ إنما هو بين المؤمنين الذين خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا، أما الكافر فإنه يأتي ولا حسنة له؛ لأنها تذهب هباءً منثورًا كما بيَّنت سابقًا، ومن جانب آخر إنَّ الله ﷻ قد وفَّاهم وكافأهم عليها في الدنيا؛ فقد أخرج الإمام مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزَى بِهَا فِي الآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا"^(٤).

ومعناه كما قال الطيبي: "إنَّ المؤمن إذا اكتسب حسنة، يكافئه الله تعالى بأن يوسِّع عليه رزقه ويرغد عيشه في الدنيا، وبأن يجزيه ويشبهه في الآخرة، والكافر إذا اكتسب حسنة في الدنيا، بأن يفك أسيرًا أو ينقذ غريقًا، يكافئه الله تعالى في الدنيا ولا يجزيه في الآخرة"^(٥).

وقال النووي: "أجمع العلماء على أن الكافر لا ثواب له في الآخرة، وإنما يُطعم في الدنيا بما عمله من الحسنات متقربًا به إلى الله ﷻ، وأمَّا إذا فعل هذه الحسنات ثم أسلم، فإنَّه

(١) الكواكب الدراري، للكرماني(٤١/٢٣)، وفتح الباري، لابن حجر(٣٩٧/١١)، وعمدة القاري، للعيني(١١٢/٢٣).

(٢) سورة فاطر: الآية ١٨.

(٣) الكواكب الدراري، للكرماني(٤١/٢٣)، وفتح الباري، لابن حجر(٣٩٧/١١)، وعمدة القاري، للعيني(١١٢/٢٣).

(٤) سبق تخريجه، ص ٣٦.

(٥) الكاشف عن حقائق السنن، للطيبي (٣٢٧٣/١٠).

يثاب عليها في الآخرة على المذهب الصحيح"^(١).

ثانياً: الجزاء من جنس العمل:

من القواعد التي يحاسب الله عليها العباد يوم القيامة قاعدة الجزاء من جنس العمل، قال ابن القيم: "وقد دلَّ الكتاب والسنة، في أكثر من مئة موضع على أنَّ الجزاء من جنس العمل في الخير والشر"^(٢)، كما قال تعالى: ﴿جَزَاءٌ وَفَاءً﴾^(٣)، أي: "موافقاً لأعمالهم"^(٤).

ولقد تعرضت لجملة من الأمثلة في الفصل السابق^(٥)، تدلُّ على هذه القاعدة العظيمة، فعلى سبيل الذكر لا الحصر، ذكرتُ أنَّ من نفَّس عن مسلمٍ كربةً في الدنيا، فإنَّ الله ينفس عنه من كرب يوم القيامة، وكذلك من تجاوز عن المعسرين، فإنَّ الله يتجاوز عن سيئاته، هذا على سبيل أهل الطاعات، الذين قال الله في حقهم ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾^(٦).

أمَّا أهل المعاصي فإنَّ الله عَجَلُ يعاقبهم بجنس ما اقترفوا، كما قال ﷻ: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾^(٧)، ومن ذلك: من احتجب من الولاية عن رعيته؛ فإنَّ الله يحتجب عنه يوم القيامة، ومن تصنَّت على الناس واستمع لحديثهم وهم له كارهون، يصبُّ الله في آذنه الآنك، وهو الرصاص المذاب، وغير ذلك مما يطول ذكره.

ومن هذه الأمثلة مما لم يرد ذكره، ما أخرجه البخاريُّ ومسلمٌ في صحيحيهما من حديث أسامة بن زيدٍ رضي الله عنه، قال النبيُّ ﷺ: "وَأِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحَمَاءَ"^(٨)، وفي المقابل

(١) انظر: شرح النووي على مسلم (١٥٠/١٧).

(٢) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود مع عون المعبود (١٧٦/١٢)، وانظر: ذخيرة العقبى، ل محمد الولوي (٩٣/٣٦).

(٣) سورة النبأ: الآية ٢٦.

(٤) تفسير القرطبي (١٨١/١٩).

(٥) وبالتحديد تحت مبحث الأهوال، عند الحديث عن أحوال المؤمنين، وكيف يكون جزاؤهم من جنس أعمالهم، والكفار، والعصاة، كيف يكون عقابهم من جنس أعمالهم كذلك.

(٦) سورة الرحمن: الآية ٦٠.

(٧) سورة النساء: الآية ١٢٣.

(٨) صحيح البخاري (١٣٣/٩)، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، حديث ٧٤٤٨، وصحيح مسلم (٦٣٥/٢)، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، حديث ٩٢٢.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا"، أخرجه مسلم^(١) من حديث هِشَامِ بْنِ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ^(٢)، أَنَّهُ مَرَّ عَلَى أَنَسٍ، قَدْ أَقِيمُوا فِي الشَّمْسِ، فَقَالَ: مَا شَأْنُهُمْ؟ قَالُوا حُجِسُوا فِي الْجَزِيَةِ، فَقَالَ هِشَامٌ: أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَذَكَرَهُ.

قال ابن رجب في هذين الحديثين: "هذا يرجع إلى أن الجزاء من جنس العمل"^(٣)؛ وذلك أن الراحمين يكافون بالرحمة يوم القيامة مقابل رحمتهم الخلق، والصنف الآخر يواجهون أعتى أنواع العذاب بسبب تعذيبهم الخلق، وما هو بمصروف عنهم، إلا أن يشاء الله ﷻ.

ثالثًا: الرحمة بالعباد:

أخرج البخاري في صحيحه من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "لَمَّا فَضِيَ اللَّهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي"^(٤).

وفي رواية في الصحيحين، قال: "إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي"^(٥).

"والمراد بالسبق والغلبة هنا؛ كثرة الرحمة وشمولها"، قاله النووي والطبري^(٦).

وأخبر النبي ﷺ أن الله خلق الرحمة مائة جزء، ادخر منها تسعة وتسعين جزءًا ليوم القيامة، فقد أخرج مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنَّ لِلَّهِ مِئَةَ رَحْمَةٍ، أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحِمُونَ، وَبِهَا تَعَطَّفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللَّهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"^(٧).

(١) صحيح مسلم (٤/٢٠١٧)، كتاب البرِّ والصَّلة، باب الوَعِيدُ الشَّدِيدُ لِمَنْ عَذَّبَ النَّاسَ بِغَيْرِ حَقٍّ، حديث ٢٦١٣.

(٢) هِشَامُ بْنُ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ الْأَسَدِيُّ، أسلم يوم الفتح، ومات قبل أبيه، وكان من فضلاء الصحابة، ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. (الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر ٤/١٥٣٨، والإصابة في تمييز الصحابة ٦/٤٢٢).

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/٢٨٥).

(٤) صحيح البخاري (٩/١٣٥)، كتاب التوحيد، باب قوله ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾، حديث ٧٤٥٣.

(٥) صحيح البخاري (٩/١٢٠)، كتاب التوحيد، باب قوله ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾، حديث ٧٤٠٤، وصحيح مسلم (٤/٢١٠٧)، كتاب التوبة، باب سِعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّهَا سَبَقَتْ غَضَبَهُ، حديث ٢٧٥١.

(٦) شرح النووي على مسلم (١٧/٦٨)، والكاشف عن حقائق السنن (٦/١٨٦٠).

(٧) صحيح مسلم (٤/٢١٠٧)، كتاب التوبة، باب سِعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّهَا سَبَقَتْ غَضَبَهُ، حديث ٢٧٥١.

وفي روايةٍ للبخاريّ، قال: "فَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَيْئَسْ مِنَ الْجَنَّةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ"^(١).

قال النووي: "هذه الأحاديث من أحاديث الرجاء والبشارة للمسلمين؛ لأنه إذا حصل للإنسان من رحمة واحدة في هذه الدار المبنية على الأكدار، بالإسلام والقرآن والصلاة والرحمة في قلبه وغير ذلك مما أنعم الله تعالى به، فكيف الظن بمئة رحمة في الدار الآخرة، وهي دار القرار ودار الجزاء!"^(٢).

وقال مظهر الدين الزيداني في معنى الحديث الثاني: "فيه بيان كثرة عقوبته ورحمته كي لا يغترّ المؤمن برحمته فيأمن من عذابه، فإنه لو أمن من عذابه يصير كافراً، وكى لا ييأس من رحمته بكثرة ذنوبه، وكى لا يخاف كافراً من الإيمان بعد سنين كثيرة كان فيها في الكفر، فإنه يُغفر له ما فعل في الكفر في سنين كثيرة إذا دخل في الإسلام، وليس المراد منه: إن مات في الكفر يُغفر له، أو يُخرج من النار في وقت من الأوقات، بل لا يخرج من النار أبداً وإن كانت رحمة الله كثيرة واسعة، بل لا ينال رحمته يوم القيامة إلا المؤمنون"^(٣).

قلت: فالمراد من شمول الرحمة في الآخرة المؤمنون، أما الكفار والمنافقون فأمرهم مرهون بدخولهم في الإسلام، وتوبتهم من كبائر الذنوب، وهذا معنى قول الله ﷻ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾^(٤).

رابعاً: لا يؤاخذ الله أحداً بجريرة غيره:

من تمام عدل الله ﷻ أنه لا يحاسب أحداً بذنب غيره، حيث يقول ﷻ: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾^(٥).

(١) صحيح البخاري (٩٩/٨)، كتاب الرقاق، باب الرجاء مع الخوف، حديث ٦٤٦٩.

(٢) شرح النووي على مسلم (٦٨/١٧-٦٩).

(٣) انظر: المفاتيح في شرح المصابيح (٣/١٩٦).

(٤) سورة الأعراف: الآية ١٥٦.

(٥) سورة الأنعام: الآية ١٦٤.

فكل إنسان ليس له إلا ما عمل في هذه الدنيا، فإن عمل خيرًا فلنفسه، وإن أساء فعليها، ولا يحمل أحدٌ من خطيئة أحدٍ شيئًا.

يقول الشيخ السعدي في قوله تعالى: ﴿أَلَا تَرَىٰ وَازِرَةً وَّرَزْرَ أُخْرَىٰ﴾ وَأَنَّ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ^(١)، أي: "كلُّ عاملٍ له عمله الحسن والسَّيِّءُ، فليس له من عمل غيره وسعيهم شيء، ولا يتحمل أحدٌ عن أحدٍ ذنبًا، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ^(٢)، جزاءً تقرُّ بعدله وإحسانه الخليفة كلُّها، وتحمد الله عليه، حتى إنَّ أهل النار ليدخلون النار، وإنَّ قلوبهم مملوءة من حمد ربهم، والإقرار له بكمال الحكمة ومقت أنفسهم، وأنهم الذين أوصلوا أنفسهم وأوردوها شرَّ الموارد"^(٣).

هل هذه القاعدة تخالف قول الله تعالى: ﴿وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلِيَسْأَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾^(٤).

الجواب؛ في نقطتين:

الأولى: أنَّ السياق لهذه الآية مع التي قبلها ينفي التعارض، حيث يقول الله ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٥)، فيصبح المعنى، كما قال الإمام الطبري: "وليحملن هؤلاء المشركون بالله القائلون للذين آمنوا به اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم أوزار أنفسهم وآثامها، وأوزار من أضلوا وصدّوا عن سبيل الله مع أوزارهم"^(٦).

الثانية: إنَّ هذه الآية نظير قوله ﷻ في الحديث: "وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا"^(٧)، وكقوله ﷻ فيما أخرج البخاريُّ ومسلمٌ

(١) سورة النجم: الآيتان ٣٨-٣٩.

(٢) سورة النجم: الآيتان ٤٠-٤١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص ٨٢٢.

(٤) سورة العنكبوت: الآية ١٣.

(٥) سورة العنكبوت: الآية ١٢.

(٦) تفسير الطبري (١٦/٢٠)

(٧) سبق تخريجه، ص ٥٧.

من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: "لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْهَا"^(١). قال الكلاباذي^(٢): "فإذا جاز أن يكون علي من مات من سنين إثم من عمل بعده، كذلك يجوز أن يطرح سيئات من عملها علي من لم يعملها، فابن آدم إنما قتل نفسًا واحدة، ويطرح عليه آثام كل من قتل نفسًا بغير حق إلى يوم القيامة، وذلك جزاء فعله، كأن الله جعل عقوبة ابن آدم في النار إثمه وآثام القاتلين، لا أن يكون يؤاخذ بذنب غيره، ويعاقب علي معصية لم يعملها، كذلك الظالم جعل الله عقوبته أن يعاقب بآثام من ظلمه، ويكون ذلك عقوبة له علي من ظلمه، وعلي ما اكتسبه، لا أن يكون مؤاخذًا بذنب غيره، أو مُعاقبًا بما لم يجنبه"^(٣).

خامسًا: اطلاع العباد علي ما قدموه من أعمال:

يتم اطلاع العباد علي ما قدموه من أعمال من خلال إعطائهم صحائف أعمالهم. وقراءتهم لها، كما قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً^(٤). قوله: ﴿طَائِرَهُ﴾: "أي: ما طار عنه من عمله، من خير وشر، يلزم به ويجازى عليه"^(٥). فيقرأ الإنسان كتابه، ويطلع علي أعماله، ويشاهدها كأنها حاضرة للتو، عندها يعرف المجرمون نتائجهم، فيشفقون من عذاب الله الواقع بهم، كما قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾^(٦).

(١) صحيح البخاري (٣/٩)، كتاب الديات، باب قول الله تعالى ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾، حديث ٦٨٦٧، صحيح مسلم

(٢) كتاب القسامة والمحارِبين والقصاص والديات، باب بيان إثم من سنَّ القتل، حديث ١٦٧٧.

(٣) هو: أبو بكر، محمد بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري، من حفاظ الحديث، ت ٣٨٠هـ، ومن أشهر مؤلفاته: "بحر الفوائد"، ويعرف بمعاني الأخبار. (انظر: الأعلام للزركلي ٥/٢٩٥).

(٤) بحر الفوائد، ص ٣٨٧.

(٥) سورة الإسراء: الآيتان ١٣-١٤.

(٥) تفسير ابن كثير (٥/٥٠).

(٦) سورة الكهف: الآية ٤٩.

وإنما كانت هذه القاعدة؛ "من باب إعدار الله ﷻ خلقه، وعدله في عباده أن يطلعهم على ما قدموه من صالح أعمالهم وطالحها، حتى يحكموا على أنفسهم، فلا يكون لهم بعد ذلك حجة"^(١).

سادساً: مضاعفة الحسنات دون السيئات:

أخرج البخاري ومسلم - واللفظ له -، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا إِلَى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، لَمْ تُكْتَبْ، وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ"^(٢).
وفي رواية أخرى لمسلم: "قالت الملائكة: رَبِّ ذَاكَ عَبْدُكَ، يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً - وهو أَبْصَرَ بِهِ - فقال: ارْزُقُوهُ، فَإِنْ عَمِلَهَا فَارْزُقُوهُ، وَإِنْ تَرَكَهَا فَارْزُقُوهُ، إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَايٍ...". الحديث^(٣).

قوله: "وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا إِلَى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ": "هذا يدل على أن تضعيف حسنة العمل إلى عشرة مجزوم به، وما زاد عليها جائز وقوعه بحسب الزيادة في الإخلاص، وصدق العزم، وحضور القلب، وتعدي النفع، كالصدقة الجارية، والعلم النافع، والسنة الحسنة، وشرف العمل، ونحو ذلك"، قاله ابن حجر^(٤).

قلت: وهذا نظير قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٥)، وهذا دليل على مضاعفة الأجور من قِبَلِ الرَّبِّ الرَّحِيمِ، كما قال مظهر الدين الزيداني: "هذا من جملة إنعامه الكامل على عباده،

(١) القيامة الكبرى، لعمر الأشقر، ص ٢٠٦.

(٢) صحيح البخاري (١٧/١)، كتاب الإيمان، باب حسن إسلام المرء، حديث ٤٢، صحيح مسلم (١١٨/١)، كتاب الإيمان، باب إذا همَّ العبدُ بِحَسَنَةٍ كُتِبَتْ وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ، حديث ١٣٠.

(٣) صحيح مسلم (١١٨/١)، كتاب الإيمان، باب إذا همَّ العبدُ بِحَسَنَةٍ كُتِبَتْ وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ، حديث ١٢٩.

(٤) فتح الباري (٣٢٦/١١).

(٥) سورة الأنعام: الآية ١٦٠.

ونتائج سبق رحمته على غضبه" (١).

سابعاً: تبديل السيئات إلى حسنات:

وهذا خاص بعباد الرحمن من المؤمنين والموحدين، قال تعالى في صفات عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٢).

وفي الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةِ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا؛ رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، وَكَذَا، وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، وَكَذَا، وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ، وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فَيَقُولُ: رَبِّ قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَا هُنَا"، فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِدُهُ (٣).

قلت: هذا الفضل من الله تعالى على هذا العبد بأن بدّل سيئاته إلى حسنات من بعد ما أدخل النار، وقد أصابته شدة عظيمة دليل على رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين، إذ إنّه يغفر الذنوب، ويسامح عباده؛ بشرط أن يجتنبوا الشرك، فلقد قضى الله تعالى في كتابه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (٤).

قال ابن هبيرة في بيان فضل الله تعالى على هذا العبد: "وإنّه لينتهي به الأمر إلى الشدة الشديدة التي تنهت به إلى أن تخلف في النار بعد خروج أهلها المذنبين بأسرهم منها، وناهيك

(١) المفاتيح في شرح المصابيح (٦/١٩٧).

(٢) سورة الفرقان: الآيات ٦٨ - ٧٠.

(٣) سبق تخریجه، ص ٢٣٨.

(٤) سورة النساء: الآية ٤٨.

بذلك شدة، ثمَّ إنَّه بعد ذلك تناهى به الفضل من الله ﷻ، فيكون ما تفضل الله ﷻ به عليه أن وقَّفه على صغار ذنوبه ثمَّ بدَّل له مكان كلِّ سيئة حسنة، لأنَّ كرم الله ﷻ لا يقاس بكرم الخلق إذ غاية ما في كرم الخلق إذا أحسن إليهم أن يجازوا بالإحسان، فإذا أساء إليهم مسيء فقصاراه أن لا تحيط حسناته عندهم بإساءته، فأما إن تناهى كرم الكريم إلى أن تنقلب السيئة بعينها حسنة، فإنَّ هذا مما لا يقاس بالمعهود في عادة الخلق، بل هذا مما يتفرد الله ﷻ به" (١).

قلت: وأما ضحك رسول الله ﷺ فقد كان لسببين؛ الأول: أنَّه ضحك لتحوُّل حال هذا العبد من اليأس والقنوط إلى الطمع بمزيد كرم الله تعالى عليه، والآخر: أنَّه ﷺ فرح بهذه الكرامة من الله ﷻ لعباده المؤمنين بتبديله سيئاتهم إلى حسنات.

قال ابن هبيرة: "فإنه يجوز أن يكون تعجباً من سرعة تقلب الآدمي من اليأس الشديد إلى الطمع العتيد، فإنَّ هذا مما كان خائفاً كبار ذنوبه أن تظهر له، فلما عرف ما منَّ الله به عليه زاد طمعه في وقته وحاله إلى أن قال: "رَبِّ قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَا هُنَا"، وإنما قصد بذلك الحسنات التي تُبدَّل منها، فيكون ضحك رسول الله ﷺ من شدة قنوطه أولاً، ثم تعقيب ذلك باتساع الطمع ثانياً، ويجوز أن يكون ضحك رسول الله ﷺ سروراً بما من الله به على هذا العبد الذي كان آخر أهل النار خروجاً منها استدلالاً على ما يضاعف الله به الحسنات لمن هو فوق المذكورين من المؤمنين" (٢).

قلت: إذا كان فضل الله على هذا العبد الذي أسرف على نفسه بالذنوب والمعاصي - لدرجة أنه خشي أن تنكشف وتنفضح كبائره-، بأن بدَّل سيئاته إلى حسنات، فإنَّ أهل التوبة والطاعة والإيمان والإحسان أولى بهذا الكرم الربانيِّ من غيرهم، فقد قال ابن رجب الحنبلي: "فإذا بُدِّلت السيئات بالحسنات في حق من عوقب على ذنوبه بالنار، ففي حق من محيت سيئاته بالإسلام والتوبة النصوح أولى، لأنَّ محوها بذلك أحب إلى الله من محوها بالعقاب" (٣).

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح (١٧٧/٢).

(٢) المرجع نفسه (١٧٧/٢).

(٣) جامع العلوم والحكم (٢٩٩/١).

ثامناً: إقامة الشهادة على العباد:

تقام الشهادة على العباد؛ حتى لا تبقى لهم حجة، وهذا ما سوف أتحدث عنه في المبحث الآتي.



المبحث الثاني

الشهادة على العباد

المطلب الأول: شهادة الأعضاء الجوارح.

المطلب الثاني: شهادة الأرض وسائر المخلوقات.

المطلب الثالث: شهادة الأنبياء.

المطلب الأول: شهادة الأعضاء والجوارح

ثبت في القرآن والسنة أن الألسنة والأيدي والأرجل وسائر الجوارح هم من الشهود العدول على الإنسان يوم القيامة، فمن ذلك:

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١﴾ يَوْمَئِذٍ يُؤْفِكُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٢).

قلت: وغير هذه الأعضاء التي ذكرت في الآيات السابقة، هناك أعضاء أخرى تشارك في الشهادة على أصحابها، ألا وهي: السمع والبصر والجلد الذي يحدث بينه وبين صاحبه تخصص وجدال كبير، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣﴾ وَقَالُوا لِيَجْلُدُوهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٣).

ولهذه الآيات سبب نزول؛ فقد أخرج مسلم في صحيح من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال: اجتمع عند البيت ثلاثة نفر فُرَشِيَانِ وَتَفْفِيي، أَوْ تَفْفِيَانِ وَفُرَشِيي، قَلِيلٌ فَفَهُ قُلُوبِهِمْ، كَثِيرٌ شَحْمٌ بُطُونِهِمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَتُرَوْنَ اللَّهَ يَسْمَعُ مَا نَقُولُ؟، وَقَالَ الْآخَرُ: يَسْمَعُ إِنْ جَهَرْنَا، وَلَا يَسْمَعُ إِنْ أَخْفَيْنَا، وَقَالَ الْآخَرُ: إِنْ كَانَ يَسْمَعُ إِذَا جَهَرْنَا، فَهُوَ يَسْمَعُ إِذَا أَخْفَيْنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ **وَعَلَيْكُمْ** ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ الآية^(٤).

والحكمة من إيراد ذلك؛ تذكيرهم بشهادة أعضائهم عليهم يوم القيامة، ومن باب أولى علمه سبحانه بذلك، وكفى به شهيدًا.

(١) سورة النور: الآيتان ٢٤-٢٥.

(٢) سورة يس: الآية ٦٥.

(٣) سورة فصلت: الآيات ٢٠-٢٢.

(٤) صحيح مسلم (٤/٢١٤١)، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، حديث ٢٧٧٥.

وقد أخرج مسلمٌ عن أنسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: "كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَضَحِكَ، فَقَالَ: "هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟"، قَالَ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: "مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟!"، قَالَ: "يَقُولُ: بَلَى"، قَالَ: "فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي"، قَالَ: "فَيَقُولُ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا"، قَالَ: "فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيَقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي"، قَالَ: "فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ"، قَالَ: "ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ"، قَالَ: "فَيَقُولُ: بَعْدًا لَكِنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكَنَّ كُنْتُ أَنَاضِلُ"^(١).

وفي روايةٍ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ صلى الله عليه وسلم: "ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبَعْتُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ، وَتَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ، مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟! فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخْدِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخِذَهُ وَلَحْمَهُ وَعِظَامَهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ، وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ"^(٢).

قوله: "كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا": "فيه أَنَّ اللَّهَ تعالى أنطق جوارحه؛ لتزكية الشهود - من الملائكة والرسل -، لا لارتياح بهم، ولا لتتيميم شهادتهم"^(٣).

وقوله: "فَعَنْكَنَّ كُنْتُ أَنَاضِلُ": أي أجادل وأخاصم وأدافع"^(٤)، "فإذا لم يكن العبد عمل بالجوارح مكروهاً؛ لم تشهد عليه إلا بخير أعماله، وسديد أفعاله، وطيب أقواله، فهي حينئذ خير شهود له عند ربه ومولاه"^(٥).

وأخرج ابن ماجه ^(٦) - واللفظ له -، وابن حبان ^(٧)، وأبو يعلى ^(٨)، وابن أبي الدنيا ^(٩)، من

(١) سبق تخريجه، ص ١٣٢.

(٢) سبق تخريجه، ص ١٣٢.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، لابن هبيرة (٣٩٨/٥).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، "نَضَلَّ"، (٧٢/٥)، لسان العرب، "نَضَلَّ"، (٦٦٥/١١).

(٥) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، للسفاريني (٤٩٣/٢).

(٦) سنن ابن ماجه (١٤٣/٥)، كتاب الفتن، بَابُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالتَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، حديث ٤٠١٠.

(٧) صحيح ابن حبان (٤٤٣/١١)، حديث ٥٠٥٨.

(٨) مسند أبي يعلى الموصلي (٧/٤)، حديث ٢٠٠٣.

(٩) الأوهال، ص ١٩٧، حديث ٢٤٣.

حديث جابر رضي الله عنه، قال: لَمَّا رَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُهَاجِرَةً الْبَحْرِ^(١)، قَالَ: "أَلَا تُحَدِّثُونِي بِأَعَاجِيبِ مَا رَأَيْتُمْ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ؟"، قَالَ فِتْيَةٌ مِنْهُمْ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَرَّتْ بِنَا عَجُوزٌ مِنْ عَجَائِزِ رَهَابِيْنِهِمْ، تَحْمِلُ عَلَى رَأْسِهَا قُلَّةً^(٢) مِنْ مَاءٍ، فَمَرَّتْ بِفَتَى مِنْهُمْ، فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ بَيْنَ كَتِفَيْهَا ثُمَّ دَفَعَهَا، فَخَرَّتْ عَلَى رُكْبَتَيْهَا، فَانْكَسَرَتْ قُلَّتُهَا، فَلَمَّا ارْتَفَعَتْ التَّفَتَّتْ إِلَيْهِ، فَقَالَتْ: سَوْفَ تَعْلَمُ يَا غَدْرُ^(٣) إِذَا وَضَعَ اللَّهُ الْكُرْسِيَّ، وَجَمَعَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَتَكَلَّمَتِ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، فَسَوْفَ تَعْلَمُ كَيْفَ أَمْرِي وَأَمْرُكَ عِنْدَهُ غَدًا. قَالَ: يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "صَدَقْتَ صَدَقْتَ، كَيْفَ يُقَدِّسُ اللَّهُ أُمَّةً لَا يُؤْخَذُ لِضَعْفِهِمْ مِنْ شَدِيدِهِمْ؟"^(٤).

قوله: "صَدَقْتَ صَدَقْتَ": فيه إقرار من النبي ﷺ لكلام العجوز على ما قالت من حشر الناس، وحسابهم، والاقتصاص بينهم، وشهادة الأعضاء عليهم.
وقوله: "كَيْفَ يُقَدِّسُ اللَّهُ أُمَّةً لَا يُؤْخَذُ لِضَعْفِهِمْ مِنْ شَدِيدِهِمْ؟": استخبار فيه إنكار وتعجيب، أي: أخبروني كيف يطهر الله قومًا لا ينصرون العاجز الضعيف على الظالم القوي مع تمكنهم من ذلك؟ أي: لا يطهرهم الله أبدًا، فما أعجب حالكم، إن ظننتم أنكم مع تلاميذكم في ذلك يطهركم"^(٥).

(١) في رواية ابن حبان، قال: "مُهَاجِرَةُ الْحَبَشَةِ". (صحيح ابن حبان ١١/٤٤٣، حديث ٥٠٥٨).
(٢) سُمِّيَتْ قُلَّةً؛ لِأَنَّهَا تَقْلُ: أَي تَرْفَعُ وَتَحْمَلُ، وَهِيَ مَا تَأْخُذُ مِنْهَا مَزَادَةٌ مِنَ الْمَاءِ. (النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، "قُلَّةٌ"، ١٠٤/٤).
(٣) أَي: غَادِرٌ لِلْمُبَالِغَةِ، يُقَالُ لِلذَّكَرِ غُدْرٌ، وَلِلْأُنْثَى غَدَارٌ، وَهِيَ مُخْتَصِّصَةٌ بِالنِّدَاءِ فِي الْعَالِيَةِ. (المرجع نفسه، "غَدْرٌ"، ٣/٣٤٥).
(٤) حسنه ابن حجر، والبوصيري، وقال الذهبي: إسناده صالح. (المطالب العالية، لابن حجر ١٣/٧٥٠، مصباح الزجاجية، للبوصيري ٤/١٨٣، العلو للعلي الغفاري، للذهبي، ص ٨٥).
وله شاهد أخرجه البزار في مسنده (١٠/٣٣٤، حديث ٤٤٦٤)، وابن أبي عاصم في السنة (١/٢٥٧، حديث ٥٨٢)، والطبراني في المعجم الأوسط (٥/٢٥٢، حديث ٥٢٣٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/١٥٧، حديث ١١٥١٤) عن بريدة بن الحبيب رضي الله عنه، وبذلك يرتقي الحديث إلى صحيح لغيره.
(٥) فيض القدير، للمناوي (٥/٥٩).

أما عن الحكمة، والمقصود من استشهاد الأعضاء؛ فهي كما قال ابن هبيرة: "فيه من الفقه إظهارُ الله ﷻ لعباده عدله، ومن عدله أنه لم يُجر على تثبيت الحقوق بين يديه أن تكون قضية من قضاياها يحكم فيها بالشهود العدول، ثم إن جحدَ الجاحدُ فلا يُظهر الله على رؤوس الأشهاد كذب ذلك الجاحد وافتراءه؛ فأنطق الله ﷻ جوارح الإنسان بما جحدته مزكيةً للشهود. ولو كان مع الشقي توفيق لنطق بفيه، وهو يقدر أن ينطق معترفًا لله ﷻ، فكان لا يجمع بين فعل ما لا يجوز له فعله، وبين أن يجاهد الله ﷻ ذلك، ومن أن يجهل أن الله قادرٌ على أن يُظهر كلَّ خفي، فاجتمع لهذا الشقي معصية وكذب وجهل بربه"^(١).

وقال المعلّم^(٢): "فيه إبلاغ الغاية القصوى في إظهار العدل، فالإنسان إذا رأى يوم القيامة أن الله ﷻ يُقرّره بعمله، ولا يأخذ بمجرد علمه تعالى، يتوهم أن الإنكار ينفعه، ثم لا يرضى بشهادة الملائكة ولا الرسل، فتشهد عليه أعضاؤه، فحينئذ يظهر له ولغيره عينَ اليقين الغاية القصوى في عدل الله تبارك وتعالى، ومع ذلك يعترف بلسانه صريحًا عند دخوله النار، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾"^(٣)»^(٤).

قلت: ولذلك فليحذر العاقل في استخدام هذه الأعضاء في معصية ربه؛ لأنها ستكون يوم القيامة ضده، وحجةً عليه.

قال قتادة بن دعامة السدوسي: "يا بن آدم، والله إنَّ عليك لشهودًا غير متهمة من بدنك، فراقبهم واتق الله في سر أمرك وعلانيتك، فإنَّه لا يخفى عليه خافية، الظلمة عنده ضوء، والسر عنده علانية، فمن استطاع أن يموت وهو بالله حسن الظنِّ؛ فليفعل، ولا قوَّة إلا بالله"^(٥).

(١) انظر: الإفصاح عن معاني الصحاح (٥/ ٣٩٨).

(٢) عبد الرحمن المعلّم اليمني، ولد ونشأ بالعتمة سنة ١٣١٣هـ، ومن أهم أعماله: أنه عُيِّن في رئاسة القضاء، ثم سافر إلى الهند وعمل في دائرة المعارف العثمانية بجيدر آباد، ثم عاد إلى مكة، وعين أمينًا لمكتبة الحرم المكي سنة ١٣٧٢هـ، وبقي فيها إلى أن توفي سنة ١٣٨٦هـ، ودفن بمكة. (موسوعة مواقف السلف، لمحمد المغراوي ٩/ ٤٦٨).

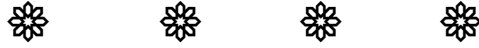
(٣) سورة الزمر: الآية ٧١.

(٤) آثار الشيخ عبد الرحمن المعلّم (١١/ ٤٨١).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤٥٤).

وقال أبو حامد الغزالي: "فنعوذ بالله من الافتضاح على ملاء الخلق بشهادة الأعضاء،
إلا أنّ الله تعالى وعد المؤمن بأن يستر عليه، ولا يُطلع عليه غيره" (١).

وقال ابن الجوزي: "يا قوة الأسي إذا نوقش من أساء، يا خجل العاصين، يا حسرة
المفرطين، يا أسف المقصرين، يا سوء مصير الظالمين، كيف يصنع من بضائعه القبائح، كيف
يفعل من شهوده الجوارح، عدموا والله الوسيلة، وأظلمت في وجوههم وجوه الحيلة، أصبحوا
جنثًا على رُكبهم، مأسورين بما في كُتبهم، لا يدرون ما يراد بهم، قد جُمعوا في صعيد ينتظرون
حلول الوعيد، والأرض بالخلق كلهم تميد، والعَبَرَات على العثرات تزيد، إنّ بطش ربك
لشديد" (٢).



(١) إحياء علوم الدين (٤/ ٥١٩).

(٢) التبصرة (١/ ٣٥٦).

المطلب الثاني: شهادة الأرض وسائر المخلوقات

مما يشهد للعبد أو يشهد عليه يوم القيامة من المخلوقات مما جاء ذكره في القرآن والسنة، الأرض، فقد قال الله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زُلْزَالَهَا ﴿۱﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿۲﴾ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴿۳﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿۴﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿۵﴾﴾.

وقد بيّن النبي ﷺ معنى هذه الآيات، وأفاد أنّ الأرض تشهد على العبد يوم القيامة بما كان يعمل على ظهرها، فقد أخرج الترمذي^(٢)، وأحمد^(٣)، وابن المبارك^(٤)، وابن حبان^(٥)، والحاكم^(٦)، والبيهقي^(٧)، والبغوي^(٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: "أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟"، قالوا: اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "فَإِنْ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَيَّ كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَيَّ ظَهْرُهَا، أَنْ تَقُولَ: عَمِلَ كَذَا وَكَذَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا"، قَالَ: "فَهَذِهِ أَخْبَارُهَا"^(٩).

قال القاري: قوله: "أَخْبَارُهَا": "يعني تحديتها وشهادتها، وقوله: "أَنْ تَقُولَ: عَمِلَ كَذَا وَكَذَا"، أي: من الطاعة أو المعصية، فهذه الشهادات أو المذكورات، هي أخبارها"^(١٠). وقال ابنُ علّانِ الدمشقي^(١١): قوله: "أَنْ تَشْهَدَ عَلَيَّ كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ": "الظاهر أنّ

(١) سورة الزلزلة: الآيتان ١-٥.

(٢) جامع الترمذي (١٩٧/٤)، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في العَرْضِ، حديث ٢٤٢٩، (٣٠٣/٥)، كتاب التفسير، باب سُورَةِ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ، حديث ٣٣٥٣.

(٣) مسند أحمد (٤٥٥/١٤)، حديث ٨٨٦٧.

(٤) مسند عبد الله بن المبارك، ص ٥٦، حديث ٩٣.

(٥) صحيح ابن حبان (٣٦٠/١٦)، حديث ٧٣٦٠.

(٦) المستدرک علی الصحیحین (٢٥٦/٢)، حديث ٣٠١٢.

(٧) شعب الإيمان (٤٢١/٩)، حديث ٦٩١٥.

(٨) شرح السنة (١١٦/١٥)، حديث ٤٣٠٨.

(٩) قال الترمذي: "حسن صحيح غريب"، وقال الحاكم: "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، وحسنه البغوي. (جامع الترمذي ٣٠٣/٥، حديث ٣٣٥٣، المستدرک للحاكم، مع التلخيص للذهبي ٢٥٦/٢، حديث ٣٠١٢، شرح السنة ١١٦/١٥، حديث ٤٣٠٨).

(١٠) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣٥٢٠/٨).

(١١) هو: الشيخ محمد علي بن محمد بن علّان البكري الصديقي الشافعي، ت ١٠٥٧هـ، ومن أشهر مؤلفاته: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين. (انظر: خلاصة الأثر، للمحيي ١٨٤/٤).

العموم فيه مخصوص بغير ذي الأعمال المكفرة، ويحتمل عموم الخبر لهم، ويكون شهادتها بذلك تذكيراً لمزيد إنعام الله عليه، حيث ساعه بسوء عمله، ولم يعاقبه عليه، بل أثابه من فضله" (١).
 ومما يشهد على أعمال العباد يوم القيامة؛ الحجر الأسود، فإنه يشهد لمن استلمه بحقه، فقد أخرج الترمذي (٢)، وابن ماجه (٣)، وأحمد (٤)، والدارمي (٥)، وابن خزيمة (٦)، وابن حبان (٧)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فِي الْحَجَرِ: "وَاللَّهِ لَيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ، يَشْهَدُ عَلَى مَنْ اسْتَلَمَهُ بِحَقِّ" (٨).
 وفي رواية له: عند أحمد (٩)، وابن خزيمة (١٠)، وابن حبان (١١)، والحاكم (١٢)، قال: "إِنَّ لِهَذَا الْحَجَرِ لِسَانًا وَشَفَتَيْنِ، يَشْهَدُ لِمَنْ اسْتَلَمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَقِّ" (١٣).
 قَوْلُهُ: "عَلَى مَنْ اسْتَلَمَهُ بِحَقِّ"، أي: "متلبساً بحق وهو دين الإسلام، واستلامه بحق هو طاعة الله واتباع سنة نبيه ﷺ، لا تعظيم الحجر نفسه، والشهادة عليه هي الشهادة على أدائه حق الله المتعلق به" (١٤).

"ويجوز أن يتعلق "بِحَقِّ" بقوله: "يَشْهَدُ" أي: يشهد بحق على من استلمه بغير حق،

-
- (١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٣٠١/٤).
 (٢) جامع الترمذي (٢٨٦/٢)، كتاب الحج، بَابُ مَا جَاءَ فِي الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ، حديث ٩٦١.
 (٣) سنن ابن ماجه (٩٨٢/٢)، كتاب المناسك، بَابُ اسْتِلَامِ الْحَجَرِ، حديث ٢٩٤٤.
 (٤) مسند أحمد (٩١/٤)، حديث ٢٢١٥.
 (٥) سنن الدارمي (٦٣/٢)، حديث ١٨٣٩.
 (٦) صحيح ابن خزيمة (٢٢٠/٤)، حديث ٢٧٣٥.
 (٧) صحيح ابن حبان (٢٦/٩)، حديث ٣٧١٢.
 (٨) قال الترمذي: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ". (جامع الترمذي ٢٨٦/٢، حديث ٩٦١).
 (٩) مسند أحمد (٢٢٦/٤)، حديث ٢٣٩٨.
 (١٠) صحيح ابن خزيمة (٢٢١/٤)، حديث ٢٧٣٦.
 (١١) صحيح ابن حبان (٢٥/٩)، حديث ٣٧١١.
 (١٢) المستدرک علی الصحیحین (٤٥٧/١)، حديث ١٦٨٠.
 (١٣) قال الحاكم: "صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُجَرِّجْهُ"، ووافقه الذهبي. (المستدرک للحاکم، مع التلخیص للذهبي ٤٥٧/١، حديث ١٦٨٠).
 (١٤) حاشية السندي على سنن ابن ماجه (٢٢١/٢)، ومرعاة المفاتيح، للمباركفوري (١١١/٩).

كالكافر والمستهزئ، ويكون خصمه يوم القيامة، ويشهد بحق لمن استلمه بحق، كالمؤمن المعظم لحرمة" (١).

قلت: وهذا الحديث نظير قوله ﷺ: "إِنَّهُ لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جِنَّ وَلَا إِنْسٍ وَلَا شَيْءٍ، إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (٢).

قال العيني: قوله ﷺ: "مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ"، فيه تنبيه على أن آخر ما ينتهي إليه صوت المؤذن يشهد له، كما يشهد له الأولون، وقوله: "جِنَّ وَلَا إِنْسٍ وَلَا شَيْءٍ" من باب عطف العام على الخاص، فإنه يشمل الإنس والجن والحيوانات حتى الجمادات، والله تعالى يخلق لها إدراكًا وعقلًا، وهو غير ممتنع عقلاً ولا شرعاً" (٣).

وقال ابن حجر: "فيه استحباب رفع الصوت بالأذان؛ ليكثر من يشهد له، ما لم يُجْهِدُهُ أَوْ يَتَأَذَّى بِهِ" (٤).

ولذلك استحَبَّ ابن القيم الإكثار من ذكر الله ﷻ في كل وقتٍ ومكان؛ كي يكثر العبد من الشهود له عند الله يوم القيامة، حيث قال: "إِنَّ فِي دَوَامِ الذِّكْرِ فِي الطَّرِيقِ وَالْبَيْتِ وَالْحَضَرِ وَالسَّفَرِ وَالْبَقَاعِ تَكْثِيرًا لَشُهُودِ الْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِنَّ الْبَقْعَةَ وَالِدَارَ وَالْجَبَلَ وَالْأَرْضَ تَشْهَدُ لِلذَّاكِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (٥).

ومما يشهد على العبد يوم القيامة ماله إن أنفقه في غير طريقه المشروع، وضيعه في الحرام، فقد أخرج البخاري ومسلم عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرٌ حُلْوٌ، وَنِعْمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ هُوَ لِمَنْ أَعْطَى مِنْهُ الْمَسْكِينِ، وَالْيَتِيمِ، وَابْنَ السَّبِيلِ، وَإِنَّهُ مَنْ يَأْخُذْهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ كَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَيَكُونُ عَلَيْهِ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ..." (٦) الحديث.

(١) الكاشف عن حقائق السنن، للطبي (١٩٨٢/٦)، وفيض القدير، للمناوي (٣٤٥/٥).

(٢) سبق تخريجه، ص ٢٢٦.

(٣) انظر: عمدة القاري (١١٥/٥).

(٤) فتح الباري (٨٩/٢).

(٥) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ص ٨١.

(٦) صحيح البخاري (٢٦/٤)، كتاب الجهاد، باب فَضْلِ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، حديث ٢٨٤٢، صحيح مسلم

(٢٢٨/٢)، كتاب الزكاة، باب تَخَوُّفِ مَا يَخْرُجُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا، حديث ١٠٥٢.

فأفاد الحديث؛ أنّ المال إن استخدمه صاحبه في ما يرضي الله ﷻ كان له ذخراً ورفعةً في الآخرة، وإلا فإنه سيكون شاهداً وحجةً عليه، ووبالاً وحسرةً وذلاً، والعياذ بالله. والمراد بقوله: "وَيَكُونُ عَلَيْهِ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ": "وذلك بأن ينطق الله الصامت منه بما فعل أو يمثل مثاله"^(١).

قال ابن حجر: "ويحتمل أن يشهد عليه حقيقة، بأن ينطقه الله تعالى، ويجوز أن يكون مجازاً، والمراد شهادة الملك الموكّل به"^(٢).

قال القرطبي: "فتفكر يا أخي؛ وإن كنت شاهداً عدلاً بأنك مشهود عليك في كل أحوالك، من فعلك، ومقالك، وأعظم الشهود لديك المطلّع عليك الذي لا تخفى عليه خافية عين، ولا يغيب عنه زمان ولا أين، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾"^(٣)، فاعمل عمل من يعلم أنه راجع إليه وقادم عليه يجازي على الصغير والكبير والقليل والكثير، سبحانه لا إله إلا هو"^(٤).



(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٦٥/٥).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٢٤٧/١١).

(٣) سورة يونس: الآية ٦١.

(٤) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص ٦٨٠-٦٨١.

المطلب الثالث: شهادة الأنبياء

جاء في القرآن والسنة أن كل نبي يشهد على أمته، قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبَعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾^(١).
وقال أيضاً: ﴿وَيَوْمَ نَبَعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾^(٢).

والمعنى كما قال الطبري: "نسأل نبيهم الذي بعثناه إليهم للدعاء إلى طاعتنا؛ لأنه تعالى ذكره كان يبعث إلى أمم أنبياءها، ومن هذه الأسئلة: ماذا أجابوكم، وما ردوا عليك.
ويقول لنبيه محمد ﷺ: وجئنا بك يا محمد شاهدا على قومك وأمتك الذين أرسلتك إليهم بما أجابوك، وماذا عملوا فيما أرسلتك به إليهم"^(٣).

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال لي النبي ﷺ: "اقرأ علي"، فقلت: يا رسول الله، اقرأ عليك، وعليك أنزل؟ قال: "نعم"، فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾^(٤)، قال: "حسنبك الآن"، فالتفت إليه، فإذا عيناه تذرفان"^(٥).

قال ابن بطال: "يحتمل أن يكون أمره ﷺ بقطع القراءة تبيها له على الموعدة والاعتبار في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾، ألا ترى أنه ﷺ بكى عندها، وبكاؤه إشارة منه إلى معنى الوعد؛ لأنه مثل لنفسه أهوال يوم القيامة، وشدة الحال الداعية له إلى شهادته لأمته بتصديقه، والإيمان به وسؤاله الشفاعة لهم، ليرجهم من طول الموقف وأهواله،

(١) سورة النحل: الآية ٨٤.

(٢) سورة النحل: الآية ٨٩.

(٣) تفسير الطبري (٢٧٨/١٧).

(٤) النساء: الآية ٤١.

(٥) صحيح البخاري (١٩٦/٦)، كتاب فضائل القرآن، باب قول المُفَرِّئِ لِلْفَارِيِّ حَسْبُكَ، حديث ٥٠٥٠، وصحيح مسلم (٥٥١/١)، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظ للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر، حديث ٨٠٠.

وهذا أمر يحق له طول البكاء والحزن^(١).

وأما شهادة عيسى عليه السلام؛ فقد ذكر الله تعالى ذلك بقوله: ﴿وَأَنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾^(٢).

ومعنى الآية: "أي ويوم القيامة يشهد عيسى عليهم بما تظهر به حقيقة حاله معهم كما حكى الله عنه من قوله: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُمْ فِيهِمْ﴾"^(٣)، فهو يشهد للمؤمنين منهم بالإيمان حال التكليف والاختيار، وعلى الكافر بالكفر، إذ هو مرسل إليهم وكل نبي شهيد على قومه"^(٤).

والله تعالى له من خلقه شهداء كثيرون، فيشهد كل نبي على قومه، وتشهد أمة محمد صلى الله عليه وسلم على غيرها من الأمم، إكرامًا وتفضلاً من الله لهذه الأمة.

أخرج البخاري في صحيحه، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "يُجَاءُ بَنُو حَيٍّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَغْتَ؟، فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ، فَتَسْأَلُ أُمَّتُهُ هَلْ بَلَغْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ شُهِدْتُكَ؟، فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ، وَأُمَّتُهُ، فَيُجَاءُ بِكُمْ فَتَشْهَدُونَ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، قَالَ: عَدَلًا، ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾"^(٥)^(٦).

قال ابن الجوزي: "اعلم أن هذا الحديث يتضمن الشهادة على الشهادة، وهي مقبولة عند عامة العلماء، وأمة محمد شهدوا على شهادة الله تعالى عندهم بالتبليغ"^(٧).

قال ابن بطال: "ولا يجوز أن يكونوا شهداء غير مقبولي القول، ولما كان الرسول واجبًا اتباعه وجب اتباع قولهم؛ لأن الله جمع بينه وبينهم في قبول قولهم وزكاهم وأحسن الثناء عليهم

(١) شرح صحيح البخاري (١٠/٢٧٨-٢٧٩).

(٢) سورة النساء: الآية ١٥٩.

(٣) سورة المائدة: الآية ١١٧.

(٤) تفسير المراغي (٦/١٥-١٦).

(٥) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

(٦) صحيح البخاري (٩/١٠٧)، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قوله ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، حديث ٧٣٤٩.

(٧) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/١٦٠).

بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، يعنى عدلاً^(١).

قوله: ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾، قال ابن الجوزي:

"فيه قولان: أحدهما لتكونوا شهداء يوم القيامة للأنبياء على أممهم بأنهم قد بلغوا، والثاني:

لتكونوا شهداء لمحمد ﷺ على الأمم اليهود والنصارى والمجوس، ويكون الرسول شهيدا عليكم بأعمالكم"^(٢).



(١) شرح صحيح البخاري (٣٧٩/١٠).

(٢) التبصرة لابن الجوزي (٤٩٣/١-٤٩٤).

المبحث الثالث

ما يحاسب عليه العباد

المطلب الأول: أول من يحاسب وأول ما يحاسب عليه العباد.

المطلب الثاني: ما يُسأل عنه العباد من الأعمال.

المطلب الثالث: الذين يدخلون الجنة بغير حساب.

المطلب الأول: أول من يحاسب وأول ما يحاسب عليه العباد

أولاً: أول من يحاسب من الأمم والعباد:

إنَّ أول من يحاسب من العباد يوم القيامة أمة محمد ﷺ على ما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: "نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..."^(١) الحديث.

وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة وَحَدِيثَهُ ﷺ: "وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْأَوْلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ"^(٢).

قال ابن حجر: "فهي سابقة لهم في الآخرة، بأنهم أول من يحشر، وأول من يحاسب، وأول من يقضى بينهم، وأول من يدخل الجنة"^(٣).

وقال ابن كثير: "أمة محمد ﷺ أول الأمم حساباً يوم القيامة، ويقضى بين هذه الأمة، لشرف نبينا ﷺ، كما أنهم أول من يجوز على الصراط، وأول من يدخل الجنة"^(٤).

وقال ابن القيم: "فهذه الأمة أسبق الأمم خروجاً من الأرض، وأسبقهم إلى أعلى مكان في الموقف، وأسبقهم إلى ظل العرش، وأسبقهم إلى الفصل والقضاء بينهم"^(٥).

ولكن هل ثبت نصٌّ بأولية من يحاسب؟

والجواب؛ لقد ثبت في بعض النصوص المتفرقة ذكر أفرادٍ، يوحي ظاهرها بأنهم أول من يقع

عليهم الحساب قبل غيرهم، منهم:

الأنبياء والرسل، لما جاء في صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه،

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " يُجَاءُ بِنُوحٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَغْتَ؟، فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ، فَتُسْأَلُ أُمَّتُهُ هَلْ بَلَغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ شُهِدْتُكَ؟، فَيَقُولُ:

(١) سبق تخريجه، ص ١٦٥.

(٢) سبق تخريجه، ص ١٦٥.

(٣) فتح الباري (٢/٣٥٤).

(٤) النهاية في الفتن والملاحم (٢/٥١).

(٥) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ص ١١٢.

مُحَمَّدٌ، وَأُمَّتُهُ، فَيَجَاءُ بِكُمْ فَتَشْهَدُونَ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، قَالَ: عَدْلًا، ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾^(١)»^(٢).

ومنهم: الذين تبارزوا يوم بدرٍ، وهم: علي بن أبي طالب، وحمزة بن عبد المطلب، وعبيدة بن الحارث رضي الله عنه، والدليل على ذلك ما أخرجه البخاريُّ من حديثِ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ^(٣)، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: "أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَجْتُو بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ لِلْخُصُومَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"، وَقَالَ قَيْسُ بْنُ عُبَادٍ: وَفِيهِمْ أَنْزَلَتْ: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾^(٤)، قَالَ: هُمُ الَّذِينَ تَبَارَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ، حَمْزَةُ وَعَلِيٌّ، وَعُبَيْدَةُ، أَوْ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْحَارِثِ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَيْعَةَ، وَعُتْبَةُ بْنُ رَيْعَةَ، وَالْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ^(٥).

وفي روايةٍ للبخاري ومسلمٍ من حديثِ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، أَنَّهُ كَانَ يُقْسِمُ قَسَمًا إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي حَمْزَةَ وَصَاحِبَيْهِ، وَعُتْبَةَ وَصَاحِبَيْهِ، يَوْمَ بَرَزُوا فِي يَوْمِ بَدْرٍ^(٦).

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

(٢) سبق ترجمته، ص ٢٦٦.

(٣) قَيْسُ بْنُ عُبَادٍ الضُّبَعِيُّ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَصْرِيُّ، ثَقَّةٌ مِنَ الثَّانِيَةِ مَخْضَرَمٍ، مَاتَ بَعْدَ الثَّمَانِينَ، وَوَهَمَ مِنْ عَدُوِّهِ فِي الصَّحَابَةِ. (تقريب التهذيب، لابن حجر، ص ٨٠٥).

(٤) سورة الحج: الآية ١٩.

(٥) صحيح البخاري (٩٨/٦)، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾، حديث ٤٧٤٤.

(٦) صحيح البخاري (٩٨/٦)، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾، حديث ٤٧٤٣.

صحيح مسلم (٢٣٢٣/٤)، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾، حديث ٣٠٣٣. قلت: قد ذكر أنه قد اضطرب في رواية هذا الحديث، وأنه مما استدركه الدارقطني، فقال: "أخرجه البخاري عن أبي مجلز - واسمه لَاحِقُ بْنُ حَمِيدٍ - عن قيس عن علي رضي الله عنه، قال: "أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَجْتُو بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ"، قال قيس: وفيهم نزلت الآية، ولم يجاوز به قيسًا، ثم قال البخاري: وقال عثمان عن جرير عن منصور عن أبي هاشم عن أبي مجلز قوله".

وقد ردَّ الإمام النووي هذا الكلام، حيث قال: "فلا يلزم من هذا ضعف الحديث واضطرابه لأن قيسًا سمعه من أبي ذر رضي الله عنه فرواه عنه، وسمع من علي رضي الله عنه بعضه، وأضاف إليه ما سمعه من أبي ذر رضي الله عنه، وأفتى به أبو مجلز تارة، ولم يقل: إنه من كلام نفسه ورأيه، وقد عملت الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم بمثل هذا، فيفتي الإنسان منهم بمعنى الحديث عند الحاجة إلى الفتوى دون الرواية ولا يرفعه، فإذا كان وقت آخر وقصد الرواية رفعه وذكر لفظه، وليس في هذا اضطراب". (إكمال المعلم، للقاضي عياض ٥٩٤/٨، وشرح النووي على مسلم ١٦٦/١٨).

ومنهم جاران؛ فقد أخرج الإمام أحمد^(١)، والطبراني^(٢)، وابن أبي عاصم^(٣)، من حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَوَّلُ خَصْمَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَارَانِ"^(٤).

قال المناوي: "أي: لم يحسن أحدهما جوار صاحبه ولم يف له بحقه، ومقصود الحديث: الحث على كف الأذى عن الجار وإن جار، وأنه ﷺ يهتم بشأنه وينتقم للجار المظلوم من الظالم، ويفصل القضاء بينهما، وإلا فمن شعائر الإيمان؛ الكف عن أذى الجيران، وعدم منازعتهم ومعارضتهم فيما يصدر منهم وعنهم من الأضرار، وسوء العشرة والجوار، ويجب أن تعلم أن ذلك ليس إلا بتسليط الله إياهم عليك لما تستوجه أفعالك الذميمة، وما يعفو عنه الله ﷻ أكثر، فالحذر من المنازعة الحذر"^(٥).

هل يوجد تعارض بين هذه الأحاديث في أول من يحاسب؟

والجواب؛ لا تعارض بين هذه الأخبار، فيمكن الجمع بينها؛ "بأن كلَّ حديث منها يُحمل على أولية مقيدة في بابه"^(٦)، فالأنبياء يحاسبون قبل أقوامهم، وفي القتال والمبارزة حمزة وصاحبه رضي الله عنه مقابل عُتْبَةَ وصاحبيه قبل غيرهم، وفي حقوق العشرة والصحبة جاران، والله تعالى أعلم.

ثانياً: أول ما يحاسب عليه العباد:

لقد اختلفت الروايات في تحديد أول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة، فذكر في بعضها أنها الصلاة، وفي بعضها ذكر أنها الدماء، وسأبين فيما يأتي الروايات في ذلك، ثم أذكر التوفيق والجمع بينها:

(١) مسند أحمد (٦٠١/٢٨)، حديث ١٧٣٧٢.

(٢) المعجم الكبير (٣٠٣/١٧)، حديث (٨٣٦)، (٣٠٩/١٧)، حديث (٨٥٢).

(٣) الأوتال، ص ٧٢، حديث ٤٥.

(٤) حسنه المنذري، وأبو بكر الهيثمي، والسيوطي، وابن حجر الهيتمي، وزاد أبو بكر الهيثمي مرة أخرى: "أحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح، غير أبي عُشَّانَةَ - وهو: حَيُّ بْنُ يُؤْمِنَ الْمَعَاوِرِيُّ -، وهو ثقة". (التزغيب والترهيب، للمنذري ٢٤١/٣، مجمع الزوائد، للهيتمي ٣١١/٨، الدر المنثور، للسيوطي ٢٢٧/٧، الزواجر، لابن حجر الهيتمي ٤٩١/١).

(٥) انظر: فيض القدير (٨٤/٣).

(٦) انظر: الحياة الآخرة، لغالب عواجي (٩٧٢/٢).

فأما ما جاء في إثبات أن أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة، فهو ما أخرجه أبو داود^(١)، والترمذي^(٢)، والنسائي^(٣)، وابن ماجه^(٤)، وأحمد^(٥)، والبخاري^(٦)، والحاكم^(٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: "إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الصَّلَاةُ الْمَكْتُوبَةُ، فَإِنْ أَتَمَّهَا، وَإِلَّا قِيلَ: انظُرُوا هَلْ لَهُ مِنْ تَطَوُّعٍ؟ فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ أَكْمَلَتِ الْفَرِيضَةَ مِنْ تَطَوُّعِهِ، ثُمَّ يُفْعَلُ بِسَائِرِ الْأَعْمَالِ الْمَفْرُوضَةِ مِثْلُ ذَلِكَ"^(٨).

وأما ما جاء في إثبات أن أول ما يحاسب عليه الناس الدماء، فهو ما أخرجه الشيخان، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ بِالْدِّمَاءِ"^(٩).

قلت: ولا تعارض بينهما؛ إذ يمكن الجمع بينهما بالقول بأن هذه الأوليات مقيدة بموضوعها، فيقال: أول ما يحاسب عليه العبد من حقوق الله ﷻ والفرائض الصلاة، وأول ما يحاسب عليه من حقوق الناس والخصومات الدماء.

-
- (١) سنن أبي داود (٢٢٩/١)، كتاب الصلاة، باب قوله: "كُلُّ صَلَاةٍ لَا يُؤْتَمُّهَا صَاحِبُهَا تُتَمُّ مِنْ تَطَوُّعِهِ"، حديث ٨٦٤.
- (٢) جامع الترمذي (٥٣٥/١)، كتاب الصلاة، بَابُ أَوَّلِ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ، حديث ٤١٣.
- (٣) سنن النسائي (٢٣٢/١)، كتاب الصلاة، باب المحاسبة على الصلاة، حديث ٤٦٥.
- (٤) سنن ابن ماجه (٤٢٥/٢)، كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة، حديث ١٤٢٥.
- (٥) مسند أحمد (٢٩٩/١٥)، حديث ٩٤٩٤.
- (٦) شرح السنة (١٥٩/٤)، حديث ١٠١٩.
- (٧) المستدرک على الصحيحين (٢٦٢/١)، حديث ٩٦٥.
- (٨) حسنه الترمذي، والبخاري، وابن رجب الحنبلي. (جامع الترمذي ٥٣٥/١، حديث ٤١٣، شرح السنة، للبخاري ١٥٩/٤، حديث ١٠١٩، فتح الباري، لابن رجب ١٤٢/٥).
- والحديث له شاهد عن تميم الداري رضي الله عنه أخرجه ابن ماجه في سننه (٤٢٥/٢)، كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة، حديث (١٣٥٥).
- وبالتالي يرتقي بشاهده إلى صحيح لغيره، وقد صححه الحاكم، قال: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُجَرَّحْهُ، وَلَهُ شَاهِدٌ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ"، ووافقه الذهبي، وصححه ابن عبد البر، والنووي، وابن القطان. (المستدرک للحاكم، مع التلخيص للذهبي ٢٦٢/١، التمهيد، لابن عبد البر ٧٩/٢٤، خلاصة الأحكام، للنووي ٥٣٠/١، بيان الوهم والإيهام، لابن القطان ٢٢٩/٥).

- (٩) صحيح البخاري (١١١/٨)، كتاب الرقاق، بَابُ الْقِصَاصِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حديث ٦٥٣٣، وصحيح مسلم (١٣٠٤/٣)، كتاب الديات، بَابُ الْمُجَازَاةِ بِالْدِّمَاءِ فِي الْأَخِرَةِ وَأَنَّهَا أَوَّلُ مَا يُقْضَى فِيهِ بَيْنَ النَّاسِ، حديث ١٦٧٨.

قال ابن بطّال: "ليس بمتعارض، ومعناه: أول ما ينظر فيه في خاصة نفس كل مؤمن من بعد ما ينتصف الناس بعضهم من بعض" (١).

وقال النووي: "يحمل حديث الصلاة فيما بين العبد وبين الله تعالى، وأما حديث الدماء فهو فيما بين العباد" (٢)، وكذا قال الطيبي (٣).

وقال ابن حجر: "أحدهما محمول على ما يتعلق بمعاملات الخلق، والآخر فيما يتعلق بعبادة الخالق، وقد جمع النسائي في روايته في حديث ابن مسعود رضي الله عنه بين الخبرين" (٤).

فقد أخرج النسائي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ الصَّلَاةَ، وَأَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الدِّمَاءِ" (٥).

(١) شرح صحيح البخاري (٤٩٣/٨).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٦٧/١١).

(٣) الكاشف عن حقائق السنن (٢٤٥٤/٨).

(٤) فتح الباري (٣٩٦/١١).

(٥) سنن النسائي (٨٣/٧)، كتاب تحريم الدم، باب تَعْظِيمُ الدَّمِ، حديث ٣٩٩١.

أولاً: سند الحديث: قال الإمام النسائي: أَخْبَرَنَا سَرِيْعُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْوَاسِطِيُّ الْحَضِيْمِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ يُوْسُفَ الْأَزْرَقِيُّ، عَنْ شَرِيْكَ - يعني ابن عبد الله النخعي -، عَنْ عَاصِمٍ - يعني ابن أبي النجود -، عَنْ أَبِي وَائِلٍ - يعني شقيق ابن سلمة، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُوْدٍ رضي الله عنه. الحديث.

ثانياً: تخريج الحديث: أخرجه النسائي في (السنن الكبرى للنسائي ٤١٧/٣، حديث ٣٤٣٩)، به، بمثله.

وأخرجه أبو يعلى في (مسنده، ٢٨٥/٩، حديث ٥٤١٤)، عن القاسم بن أبي عبيد، وفي (معجمه، ص ٢٣٤، حديث ٢٨٦)، عن القاسم بن محمد بن أبي شيبه.

وأخرجه محمد بن نصر المروزي في (تعظيم قدر الصلاة ٢٠٩/١، حديث ١٧٩)، عن سعيد بن يحيى بن أزهر الواسطي.

وأخرجه الشهاب القضاعي في (مسنده ١٥٤/١، حديث ٢١٣)، من طريق إسماعيل بن إبراهيم الواسطي.

أربعتهم (ابن أبي عبيد، وابن أبي شيبه، وسعيد بن يحيى، وإسماعيل بن إبراهيم) عن إسحاق الأزرق به، بمثله.

ثالثاً: دراسة رجال الإسناد:

- سَرِيْعُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْوَاسِطِيُّ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَضِيْمِيُّ، من الحادية عشرة، من شيوخ النسائي.

قال الذهبي: صدوق، وقال ابن حجر: مقبول. (ميزان الاعتدال، للذهبي ١١٧/٢، تقريب التهذيب، لابن حجر، ص ٢٣٠).

قلت: الراوي صدوق، من شيوخ النسائي.

- شريك: هو ابن عبد الله بن أبي شريك النخعي، أبو عبد الله الكوفي القاضي، ت ١٧٧هـ، وقيل بعدها. =

= مختلف فيه: فقد وثقه جماعة من النقاد، منهم ابن معين، وابن سعد، والعجلي، ويعقوب بن أبي شيبة، وإبراهيم الحري، والدارقطني، والهيثمي، وذكره ابن شاهين في الثقات، إلا أنهم قالوا: بأنه يخطئ، وإذا خالف، فغيره أحبُّ منه، وكان أروى الناس عنه إسحاق الأزرق.

وتوسط فيه بعض النقاد، مع تأكيدهم بأنه كان له أغيليط، وأنه تغير حفظه بعد توليه القضاء، منهم: ابن أبي حاتم، وأبو زرعة، وابن عدي، وصالح جزرة، والأزدي.

قال ابن حبان: "ولي القضاء بواسط سنة ١٥٠، ثم ولي الكوفة بعد، و مات بها سنة ١٨٧ أو ١٨٨، وكان في آخر أمره يخطئ فيما روى، تغير حفظه، فسماع المتقدمين منه ليس فيه تخليط، و سماع المتأخرين منه بالكوفة فيه أوهم كثيرة". وقال الذهبي: "صدوق"، وقال في موطن آخر: "أحد الأعلام، على لين في حديثه، توقف بعض الأئمة عن الاحتجاج بمفاريده"، وقال في موطن ثالث: "كان شريك حسن الحديث، إمامًا فقيهاً ومحدثاً، مكثراً، ليس هو في الإتقان كحماد بن زيد، وقد استشهد به البخاري، و خرج له مسلم متابعة... وحديثه من أقسام الحسن".

وقال ابن حجر: "صدوق يخطئ كثيراً، تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة، وكان عادلاً، فاضلاً، عابداً، شديداً على أهل البدع"، وقال في موطن آخر: "شريك القاضي، مشهور، كان من الأثبات، ولما ولي القضاء تغير حفظه".

وقد أطلق جماعة من النقاد القول بتضعيفه، منهم ابن المبارك، ويحيى بن سعيد القطان، والترمذي، والنسائي، والدارقطني مرة، وقال الحاكم: "ليس بالمتين"، و ذكره العُقيلي في الضعفاء، وكذلك ابن الجوزي، وقال ابن حزم: "شريك مطرح، مشهور بتدليس المنكرات إلى الثقات، و قد أسقط حديثه الإمامان: ابن المبارك، ويحيى بن القطان".

(تاريخ أسماء الثقات، لابن شاهين، ص ١٦٩، وتاريخ الثقات، للعجلي، ص ٢١٧، وتذكرة الحفاظ، للذهبي ٢٣٢/١، وتقريب التهذيب، لابن حجر، ص ٢١٧، وتهذيب التهذيب، لابن حجر ٢٩٥/٤-٣٠٧، وتهذيب الكمال، للمزي ٤٧١/١٢، والثقات، لابن حبان ٤٤٤/٧، والجرح والتعديل، لابن أبي حاتم ٣٦٦/٤، وسير أعلام النبلاء، للذهبي ٢٠٠-٢١٦، والطبقات الكبرى، لابن سعد ٣٧٨/٦، وطبقات المدلسين، لابن حجر، ص ٣٣، والعلل، للدارقطني ٢٢٥/٢، والكمال في ضعفاء الرجال، لابن عدي ٧/٤-٢٢، ومجمع الزوائد، للهيثمي ١٥٥/٩، والمغني في الضعفاء، للذهبي ٤٦٨/١، و"من كلام أبي زكريا يحيى بن معين في الرجال" - رواية ابن طهمان - ص ٣٦، وميزان الاعتدال، للذهبي ٣٧٣/٣، وجامع الترمذي كتاب الوضوء باب ٣٥، حديث ٤٦، وكتاب الضعفاء، للعقيلي ١٩٣/٢، الضعفاء والمتروكين، لابن الجوزي ٣٩/٢، والمخلى لابن حزم ٢٤١/٥).

قلت: هو صدوق ساء حفظه بعد توليته القضاء، وأتم بأمرين:

الأول: الاختلاط: لكن أهل العلم قيدوا هذا التغير وسوء الحفظ بعد توليته قضاء الكوفة وانشغاله به، وضابط الاختلاط عنده: أن من سمع منه قبل قضاء الكوفة فسماعه صحيح، ومن سمع منه بعده ففيه اختلاط، والراوي عنه في هذا الحديث هو إسحاق الأزرق، ولم يُذكر فيمن سمع منه بعد الاختلاط، بل هو أروى الناس عنه.

الثاني: التدليس: لكن نص العلماء على قلة تدليسه، ولذلك ذكره ابن حجر في الطبقة الثانية من المدلسين التي احتل الأئمة تدليسهم واغتفروه.

(سير أعلام النبلاء، للذهبي ٢١٣/٨، وتقريب التهذيب، لابن حجر ص ٢١٧، والاعتباط، لسبط ابن العجمي - المطبوع مع نهاية الاعتباط - ص ١٧٠، والثقات، لابن حبان ٤٤٤/٦، وشرح علل الترمذي، لابن رجب ٧٥٩/٢، =

قلت: ومن فقه الحديث غير ما تقدم، أهمية الصلاة والمحافظة عليها لأنها عمود الدين، وفيه شدة حرمة الدماء، فالابتداء بهما عند الحساب يؤكد أهميتهما وعظمتهما عند الله ﷻ. قال النووي: "فيه تغليظ أمر الدماء، وأنها أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة؛ وهذا لعظم أمرها، وكثير خطرهما"^(١). وقال ابن حجر: "فيه عظم أمر القتل؛ لأن الابتداء إنما يقع بالأهم"^(٢).



= وطبقات المدلسين، لابن حجر، ص ٣٣، وكتاب المدلسين، لأبي زرعة، ص ٥٨، والتبيين لأسماء المدلسين، لسبط ابن العجمي، ص ٣٣، وأسماء المدلسين، للسيوطي ص ٥٨).
والخلاصة: أنه صدوق ساء حفظه، فلا يُقبل تفرد، ومن سمع منه قبل توليته قضاء الكوفة فحديثه صحيح، وأما تدليسه فقد اغتفره الأئمة واحتملوه.
- باقي رجال الإسناد ثقات.
رابعًا: الحكم على الحديث: ضعيف الإسناد، بسبب شريك بن عبد الله النخعي، سيئ الحفظ ولم يتابع، لكن هذا الحديث لشطره الأول شاهد أخرجه أصحاب السنن وغيرهم بإسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، وآخر عن تميم الداري رضي الله عنه، وقد سبق تخريجهما ص ٢٧٢، وشطره الثاني له متابعة في الصحيحين، وقد سبق تخريجها ص ٢٧٢، وبالتالي يرتقي إلى حسن لغيره.

(١) شرح النووي على مسلم (١١/١٦٧).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٢/١٨٩).

المطلب الثاني: ما يُسأل عنه العباد من الأعمال

هناك مجموعة من الأمور جاء ذكرها في القرآن والسنة، لا بد من أن يُسأل عنها كلُّ

عبدٍ يوم القيامة، وهي:

أولاً: الكفر والشرك:

يسألهم المولى ﷻ عن الشركاء والأنداد الذين كانوا يعبدونهم من دون الله، قال تعالى:

﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٦٦﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ﴾^(١).

ومعنى قوله: ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، أي: من الأنداد، هل ينصرونكم اليوم

من الله، فينقذونكم من عذابه، أو ينتصرون لأنفسهم، فينجونها مما يُراد بها؟^(٢).

ويُسالون عن عبادتهم لغير الله من تقديم القرابين للآلهة التي كانوا يعبدونها، قال تعالى:

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾^(٣).

وقوله: ﴿تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾، أي: من أنها آلهة حقيقة بالتقرب إليها، وهو

وعيد لهم عليه^(٤).

ويُسالون عن تكذيبهم للرسول، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ

الْمُرْسَلِينَ﴾^(٥).

والمعنى كما قال ابن كثير: "ماذا كان جوابكم للمرسلين إليكم؟ وكيف كان حالكم معهم؟

وهذا كما يُسأل العبد في قبره: من ربك؟ ومن نبيك؟ وما دينك؟ فأما المؤمن فيشهد أنه لا إله إلا

الله، وأن محمداً عبد الله ورسوله، وأما الكافر، فيقول: هاه هاه، لا أدري^(٦)؛ ولهذا لا جواب له يوم

القيامة غير السكوت؛ لأنَّ من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً،

(١) سورة الشعراء: الآيتان ٩٢-٩٣.

(٢) جامع البيان، للطبري (١٩/٣٦٧).

(٣) سورة النحل: الآية ٥٦.

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٣/٢٣٠).

(٥) سورة القصص: الآية ٦٥.

(٦) جزء من حديث طويل، أخرجه أبو داود في سننه ٤/٢٣٩، كتاب السنة، باب الْمَسْأَلَةِ فِي الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ،

حديث ٤٧٥٣، وأحمد في مسنده ٣٠/٤٩٩، حديث ١٨٥٣٤، عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

ولهذا قال تعالى: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾^(١) «(٢)» .

ثانياً: ما عمله في دنياه:

حيث يُسأل المرء في يوم القيامة عن جميع أعماله التي عملها في الحياة الدنيا، كما قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٣) .

وقد أخرج الترمذي^(٤)، والدارمي^(٥)، عن أبي بَرزَةَ الْأَسْلَمِيِّ^(٦)، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عَمَلِهِ فِي مَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِي مَا فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِي مَا أَبْلَاهُ"^(٧) .

وله شواهد: عن معاذ بن جبل^(٨)، وعبد الله بن مسعود^(٩)، وأبي سعيد الخدري^(١٠)، وابن عباس^(١١) .

إن المتأمل في هذا الحديث يعلم أن النبي ﷺ دعا إلى التخفف من المال؛ لأنه كلما كثر مال العبد كثر حسابه وطال، وكلما قلَّ ماله خف حسابه وأسرع به إلى الجنة، ولذلك فإنَّ الفقراء يسبقون الأغنياء في دخول الجنة بأربعين سنة.

= وقد أخرجه مختصراً؛ البخاري ٦/٨٠، كتاب التفسير، باب ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾، حديث (٤٦٩٩)، ومسلم ٤/٢٢٠١، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب عَرْضُ مَقْعَدِ الْمَيِّتِ، حديث (٢٨٧١)، عن البراء رضي الله عنه. قال الهيثمي: "رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح"، وقال المنذري: "حديث حسن رواه محتج بهم في الصحيح". (مجمع الزوائد، للهيثمي ٣/١٧٠، والترغيب والترهيب، للمنذري ٤/١٩٧).

(١) سورة القصص: الآية ٦٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٦/٢٥٠).

(٣) سورة الحجر: الآيتان ٩٢ - ٩٣.

(٤) جامع الترمذي (٤/١٩٠)، كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَابُ الْقِيَامَةِ، حديث ٢٤١٧.

(٥) سنن الدارمي (١/١٤٤)، حديث ٥٣٧.

(٦) أَبُو بَرزَةَ الْأَسْلَمِيُّ، غَلِبَتْ عَلَيْهِ كُنْيَتُهُ، وَاخْتَلَفَ فِي اسْمِهِ، وَعَلَى الْأَصَحِّ نَضَلَهُ بِنُ عُمَيْدٍ، أَحَدِ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ، تُوْفِيَ بَعْدَ ٦٥ هـ عَلَى الصَّحِيحِ. (الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤/١٤٩٥، والإصابة في تمييز الصحابة ٦/٣٤١).

(٧) قال الترمذي: "حسن صحيح". (جامع الترمذي ٤/١٩٠، حديث ٢٤١٧).

(٨) سنن الدارمي (١/١٤٥)، حديث ٥٣٩، والمعجم الكبير، للطبراني (٢٠/٦٠)، حديث ١١١.

(٩) مسند البزار (٤/٢٦٦)، حديث ١٤٣٥، والمعجم الصغير، للطبراني (٢/٤٩)، حديث ٧٦٠.

(١٠) تعظيم قدر الصلاة، لمحمد بن نصر المروزي (٢/٨٤٠)، حديث ٨٤٧.

(١١) المعجم الكبير للطبراني (١١/١٠٢)، حديث ١١١٧٧.

فقد أخرج أحمد^(١)، والبخاري^(٢)، وأبو عمرو الداني^(٣)، وأبو نعيم^(٤)، من حديث مُحَمَّدِ بْنِ لَيْدٍ^(٥)، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: "اِثْنَتَانِ يَكْرَهُهُمَا ابْنُ آدَمَ: الْمَوْتُ، وَالْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ الْفِتْنَةِ، وَيَكْرَهُ قَلَّةَ الْمَالِ، وَقَلَّةَ الْمَالِ أَقْلٌ لِلْحِسَابِ"^(٦).

قوله: "وَقَلَّةَ الْمَالِ أَقْلٌ لِلْحِسَابِ": أي: "أبعد من العذاب"^(٧)، يعني عند "السؤال عنه، ولو كان حلالاً. وسمي المال مالا؛ لأنه يميل القلوب عن الله تعالى"^(٨).

وقد أخرج الإمام الطبراني^(٩)، من حديث سَعِيدِ بْنِ عَامِرٍ^(١٠)، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: "يَجِيءُ فُقَرَاءَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى كُورِهِمْ، فَيُقَالُ لَهُمْ: قِفُوا لِلْحِسَابِ، فَيَقُولُونَ: مَا أَعْطَيْتُمُونَا شَيْئًا فَتَحَاسِبُونَا عَلَيْهِ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ النَّاسِ بِأَرْبَعِينَ سَنَةً"^(١١).

(١) مسند أحمد (٣٦/٣٩)، حديث ٢٣٦٢٥.

(٢) شرح السنة، للبخاري (٢٦٧/١٤)، حديث ٤٠٦٦.

(٣) السنن الواردة في الفتن (٢٣٦/١)، حديث ٣٦.

(٤) معرفة الصحابة (٢٥٢٥/٥)، حديث ٦١١٤.

(٥) مُحَمَّدُ بْنُ لَيْدٍ بْنِ عُقْبَةَ بْنِ رَافِعِ الْأَنْصَارِيِّ، أَبُو نُعَيْمِ الْأَوْسِيِّ، الْأَشْهَلِيُّ، الْمَدِينِيُّ، ولد على عهد النبي ﷺ، وله صحبة. (الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١٣٧٨/٣، والإصابة في تمييز الصحابة ٣٥/٦).

(٦) صححه السيوطي، وقال الهيثمي: "رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح"، وقال المنذري: "رواه أحمد بإسنادين رواه أحدهما محتج بهم في الصحيح". (الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، للسيوطي ٤٠/١، مجمع الزوائد، للهيثمي ٦٢/٣، الترغيب والترهيب، للمنذري ٧٣/٤).

(٧) مرقاة المفاتيح، للمباركفوري (٣٢٨٦/٨).

(٨) فيض القدير، للمناوي (١٥١/١).

(٩) هو: سَعِيدُ بْنُ عَامِرِ بْنِ حَلَسَمِ الْقُرَشِيِّ الْجَمْحِيُّ، أسلم قبل خيبر، وهاجر فشهدها وما بعدها، توفي زمن عمر ﷺ سنة ٥٢٠هـ، وقيل: غير ذلك. (الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٦٢٤/٢، والإصابة في تمييز الصحابة ٩٣/٣).

(١٠) المعجم الكبير للطبراني (٥٨/٦)، حديث ٥٥١٠.

أولاً: سند الحديث: قال الإمام الطبراني: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ بَسْطَامِ الرَّعْفَرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ - وهو: محمد بن العلاء -، عَنْ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا بْنِ أَبِي زَائِدَةَ، عَنْ شُعْبَةَ - وهو: ابن الحجاج -، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ خَتِيمٍ، عَنْ ابْنِ سَابِطٍ - وهو: عبد الرحمن بن عبد الله -، قَالَ: قَالَ سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ ﷺ... الحديث.

ثانياً: تخريج الحديث: أخرجه أبو نعيم في (معرفة الصحابة ١٢٩٣/٣، حديث ٣٢٤٩)، من طريق الطبراني به، بمثله. وأخرجه المعافى بن عمران الموصلية، في (الزهدي، ص ٢٠٦، حديث ٤٢)، والفاكهي في (أخبار مكة ٣٠١/٣، حديث ٢١٦٥)، وابن أبي خيثمة في (التاريخ الكبير ٢٥٦/١، حديث ٨٧١)، والطبراني في (المعجم الكبير ٥٨/٦) =

قوله: "عَلَى كُورِهِمْ": "جمع كُور، وهو رَجُل النَّاقَةِ بأداته، وهو كَالسَّرَجِ وآلته للفرس"^(١)، وفي هذا إشارة إلى إكرامهم كونهم يأتون ركباناً، وهو موافق لما جاء في الحديث: "إِنَّ النَّاسَ يُخْشَرُونَ ثَلَاثَةَ أَفْوَاجٍ: فَوْجِ رَاكِبِينَ طَاعِمِينَ كَاسِينَ..."^(٢).

وأفاد الحديث أن الزهد في المال، والإقبال على الله، يخفف من حساب العبد، ويجعله من السابقين لدخول جنة رب العالمين.

= حديث (٥٥٠٨)، والبغوي في (معجم الصحابة ٧٦/٣، حديث ٩٧٦)، والفاخر الأصبهاني في (موجبات الجنة، ص ٢١٣، حديث ٣١٥)، إلا أنهم قالوا بسبعين سنة، بدل أربعين سنة، من طريق يزيد بن أبي زياد، عن ابن سابط به، بنحوه.

ثالثاً: دراسة رجال الإسناد:

- عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ خَيْثَمِ الْقَارِي، أبو عثمان المكِّي، من صغار التابعين، ت ١٣٢هـ. وثقه ابن معين مرة، والعجلي، والنسائي مرة، وابن سعد، وقال: "وله أحاديث حسنة"، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: "وكان يخطئ"، وقال الذهبي: "ثقة"، واستشهد به البخاري في "الصحيح"، وروى له في "القراءة خلف الإمام"، وغيره، وقال عمرو بن علي الفلاس: "كان يجي القطان وعبد الرحمن بن مهدي يحدثان عنه"، وقال أبو حاتم: "ما به بأس، صالح الحديث"، وقال ابن عدي: "هو عزيز الحديث، وأحاديثه أحاديث حسان"، وقال ابن حجر: "صدوق"، وقال النسائي في موضع آخر: ليس بالقوي، وابن معين كذلك، قال في موضع آخر: "أحاديثه ليست بالقوية"، ونقل النسائي عن علي ابن المديني قوله: "ابن خيثم منكر الحديث"، وكان علي خُلِقَ للحديث، وقال الدارقطني: "ضعيف". قلت: الراوي صدوق.

(الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم ١١٢/٥، والطبقات الكبرى، لابن سعد ٤٨٧/٥، والكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي ٢٦٦/٥، والثقات للعجلي ٤٦/٢، والإلزامات والتتبع، للدارقطني، ص ٣٥٢، والثقات لابن حبان ٣٤/٥، وتهذيب الكمال، للمزي ٢٨١/١٥، وتهذيب التهذيب، لابن حجر ٣١٥/٥، وتقريب التهذيب، لابن حجر، ص ٣١٣، وديوان الضعفاء، للذهبي، ص ٢٢٢، وكتاب ذكر من تكلم فيه وهو موثق، للذهبي، ص ١١١).

باقي رجال الإسناد ثقات.

رابعاً: الحكم على الإسناد: إسناده صحيح لغيره، فيه عبد الله بن عثمان بن خثيم صدوق، لكنه توبع بيزيد بن أبي زياد، كما هو واضح في التخريج، ولا يضر إرسال ابن سابط، فإنه لم يُذكر أنه أرسل عن سعيد بن عامر رضي الله عنه. (جامع التحصيل في أحكام المراسيل، للعلائي، ص ٢٢٢).

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، "كُور"، (٢٠٨/٤).

(٢) سبق تخريجه، ص ١٥٧.

ثالثاً: العهود والمواثيق:

يسأل الله عباده عما عاهدوه عليه، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الأدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾^(١).

وكل عهد مشروع بين العباد، فإن الله سائل العبد عن الوفاء به، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾^(٢).

فالله ﷻ يسأل عن الوفاء بالعهد، ويحاسب عليه من ينكث به وينقضه، وفي الصحيحين أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قال: "إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِيَؤْتَى، فَقِيلَ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ بِنِ فُلَانٍ"^(٣).

وقد تقدم الحديث عن فضيحة الغادر على رؤوس الأشهاد يوم القيامة^(٤).

رابعاً: السمع والبصر والفؤاد:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(٥).

فالله ﷻ سيسأل عباده عن جميع ما يقولونه، ولذلك حذرهم من القول بلا علم. قال قتادة بن دُعامة السدوسي: "لا تقل: رأيت، ولم تر، وسمعت، ولم تسمع، وعلمت، ولم تعلم؛ فإن الله سائلك عن ذلك كله"^(٦).

وقال ابن كثير: "إن الله تعالى نهي عن القول بلا علم، بل بالظن الذي

(١) سورة الأحزاب: الآية ١٥.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٣٤.

(٣) سبق تخريجه، ص ٢٠٧.

(٤) انظر: ص ٢٠٧.

(٥) سورة الإسراء: الآية ٣٦.

(٦) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٧٥/٥).

هو التوهم والخيال" (١)، وهذا مصداق قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ (٢). ونظير ذلك في السنة ما أخرجه البخاري ومسلم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا" (٣)، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا" (٤)، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا" (٥).

خامساً: النعيم الذي يتمتع به:

لقد أخبر الله ﷻ أنه سائلٌ عباده يوم القيامة عن جميع نعمه التي منحها لهم، هل شكره عليها بالطاعات، أو أنهم كفروها وجحدوها واقترفوا المنكرات، فقال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ (٦).

والمراد بالنعيم: "كل لذة من لذات الدنيا، من شبع البطون، وبارد الماء، وظلال المساكن، واعتدال الخلق، ولذة النوم، وصحة الأبدان، والأسماع، والأبصار، والغذاء والعشاء..." (٧)، وغير ذلك من أنواع النعيم التي لا تُعدُّ ولا تحصى.

أخرج الترمذي (٨)، وابن حبان (٩)، والحاكم (١٠)، والخرائطي (١١)، وابن أبي عاصم (١٢)،

(١) تفسير القرآن العظيم (٧٥/٥).

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٢

(٣) التحسس الاستماع لحديث القوم، والتجسس البحث عن العورات، وقيل: هو التفتيش عن بواطن الأمور، وأكثر ما يقال في الشر، والجاسوس صاحب سر الشر، والناموس صاحب سر الخير. (شرح النووي على مسلم ١١٩/١٦).

(٤) النجش: أن يزيد في السلعة ولا رغبة له في شرائها؛ بل ليغر غيره في شرائها. (المرجع نفسه ١٢٠/١٦)، وانظر: الموسوعة الفقهية الكويتية ٤٠/١١٨.

(٥) صحيح البخاري (١٩/٨)، كتاب الأدب، باب قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾، حديث ٦٠٦٦، وصحيح مسلم (١٩٧٤/٤) كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن والتجسس، حديث ٢٥٦٣.

(٦) سورة التكاثر: الآية ٨.

(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٣٤٦٠/١٠).

(٨) جامع الترمذي (٣٠٥/٥)، كتاب التفسير، باب سورة التكاثر، حديث ٣٣٥٨.

(٩) صحيح ابن حبان (٣٦٤/١٦)، حديث ٧٣٦٤.

(١٠) المستدرک للحاكم (١٣٨/٤)، حديث ٧٢٠٣.

(١١) فضيلة الشكر لله على نعمته، ص ٥٠، حديث ٥٤.

(١٢) الأوائل، ص ١٠٢، حديث ١٥٥.

والطبراني^(١)، والبخاري^(٢)، والبيهقي^(٣)، وابن أبي الدنيا^(٤)، وأبو بكر الدينوري^(٥)،
وتمام^(٦)، وعبدالغني المقدسي^(٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ أَوْلَ
مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَعْنِي الْعَبْدَ مِنَ النَّعِيمِ، أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ نُصَحِّحْ لَكَ جِسْمَكَ، وَنَزَوِيكَ
مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ؟"^(٩).

قلت: وهذه كلها من النعيم الذي يتغافل عنه كثير من الناس؛ لأنهم يحسبون أن النعيم
في القصور، والأموال، وقناطير الذهب، والفضة فقط، والحق أن الأمر غير ذلك، فكلُّ نعمةٍ
كانت صغيرة أم كبيرة، من النعيم الذي يحاسب الله عليه عباده، ففي صحيح مسلم من
حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، وَقَدْ سَأَلَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: أَلَسْنَا مِنْ فُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ؟، فَقَالَ لَهُ
عَبْدُ اللَّهِ: أَلَكِ امْرَأَةٌ تَأْوِي إِلَيْهَا؟، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَلَكِ مَسْكِنٌ تَسْكُنُهُ؟، قَالَ: نَعَمْ. قَالَ:
فَأَنْتِ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ، قَالَ: فَإِنَّ لِي خَادِمًا، قَالَ: فَأَنْتِ مِنَ الْمُلُوكِ"^(١٠).

وأخرج ابن ماجه^(١١)، أحمد^(١٢)، والبخاري في الأدب المفرد^(١٣)، والرويانى^(١٤)،

(١) المعجم الأوسط (٢٦/١)، حديث ٦٢، مسند الشاميين (٤٤٢/١)، حديث ٧٧٩ - (٣٧٢/٤)، حديث ٣٥٨٧.
(٢) مسند البخاري (٢٣٩/١٦)، حديث ٩٤٠٨.
(٣) شرح السنة (٣١١/١٤)، حديث ٤١٢٠.
(٤) شعب الإيمان (٣٣٤/٦)، حديث ٤٢٨٧.
(٥) الصمت، ص ٢٧٩، حديث ٦٢٤.
(٦) المجالسة وجواهر العلم (١٢٤/٧)، حديث ٣٠١٨.
(٧) فوائد تمام (٩٦/١)، حديث ٢١٨.
(٨) ذكر النار، ص ٤٦، حديث ٢٠.
(٩) قال الترمذي: "حديث غريب"، وقال الحاكم: "صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، وقال الصدر المناوي:
سند الترمذي جيد. (المستدرک للحاکم، مع التلخیص للذهبي ١٣٨/٤، حديث ٧٢٠٣، فيض القدير، لعبد الرؤوف
المناوي ٤٤٣/٢).

(١٠) صحيح مسلم (٢٢٨٥/٤)، كتاب الزهد والرفائق، باب منه، حديث ٢٩٧٩.
(١١) سنن ابن ماجه (٢٧٣/٣)، كتاب التجارات، باب الحث على المكاسب، حديث ٢١٤١.
(١٢) مسند أحمد (٢٢٨/٣٨)، حديث ٢٣١٥٨.
(١٣) ص ١١٣، حديث ٣٠١.
(١٤) مسند الرويانى (٤٥٢/٢)، حديث ١٤٧٢.

وابن أبي الدنيا^(١)، والحاكم^(٢)، والبيهقي^(٣)، من حديث عبد الله بن حبيب^(٤)، عن عمه^(٥)، قال رسول الله ﷺ: "لَا بَأْسَ بِالْغِنَى لِمَنِ اتَّقَى اللَّهَ، وَالصَّحَّةَ لِمَنِ اتَّقَى اللَّهَ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى، وَطِيبُ النَّفْسِ مِنَ النَّعِيمِ"^(٦).

قال القاري: قوله: "لَا بَأْسَ بِالْغِنَى لِمَنِ اتَّقَى": وَهُوَ بَعِيرٌ تَقْوَى هَلَكَةٌ يَجْمَعُهَا مِنْ غَيْرِ حَقِّهِ، وَيُضَعُّهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ، فَإِذَا كَانَ مَعَهُ تَقْوَى، فَقَدْ ذَهَبَ الْبَأْسُ، وَقَوْلُهُ: "وَالصَّحَّةَ لِمَنِ اتَّقَى اللَّهَ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى": فَإِنَّ صِحَّةَ الْبَدَنِ عَوْنٌ عَلَى الْعِبَادَةِ، فَالصَّحَّةُ مَالٌ مَمْدُودٌ، وَالسَّقِيمُ عَاجِزٌ، وَقَوْلُهُ: "وَطِيبُ النَّفْسِ مِنَ النَّعِيمِ": لِأَنَّ طَيِّبَهَا مِنْ رُوحِ الْيَقِينِ، وَهُوَ النُّورُ الْوَارِدُ الَّذِي أَشْرَقَ عَلَى الْقَلْبِ"^(٧).

قال ابن رجب الحنبلي: "هذه النعم مما يُسأل الإنسان عن شكرها يوم القيامة، ويُطالَبُ به"^(٨).

وفي صحيح مسلمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ، فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَقَالَ: مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟، قَالَ: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، فَوُومُوا، فَقَامُوا مَعَهُ، فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ^(٩)، فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ، قَالَتْ: مَرَحَبًا وَأَهْلًا، فَقَالَ لَهَا

(١) إصلاح المال، ص ٣٢، حديث ٤٤٤.

(٢) المستدرک علی الصحیحین (٣/٢)، حديث ٢١٣١.

(٣) شعب الإيمان (٤٤٤/٢)، حديث ١١٨٨، والآداب، ص ٣٢٠، حديث ٧٩١.

(٤) عبد الله بن حبيب الجهني، خليف للأنصار مديني، من الصحابة الكرام. (الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣/٨٩٤، والإصابة في تمييز الصحابة ٤/٦٤).

(٥) قال الحاكم: الصحابي الذي لم يسم: يسار بن عبد الله الجهني. (المستدرک ٣/٢).

(٦) قال الحاكم: حديث مديني صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وقال البوصيري: "هذا إسناد صحيح رجاله ثقات". (المستدرک للحاكم، مع التلخيص للذهبي ٣/٢، حديث ٢١٣١، ومصباح الزجاجة، للبوصيري ٦/٣).

(٧) التيسير بشرح الجامع الصغير (٤٨٨/٢)، وفيض القدير (٣٨٢/٦).

(٨) جامع العلوم والحكم (٧٦/٢).

(٩) قال النووي: "هُوَ أَبُو الْهَيْثَمِ مَالِكُ بْنُ التَّيْهَانِ، وَفِيهِ جَوَازُ الْإِذْلَالِ عَلَى الصَّاحِبِ الَّذِي يُوثَقُ بِهِ، وَفِيهِ مَنْقَبَةٌ لِأَبِي الْهَيْثَمِ إِذْ جَعَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَهْلًا لِذَلِكَ، وَكَفَى بِهِ شَرَفًا". (شرح النووي على مسلم ١٣/٢١٢).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيْنَ فُلَانٌ؟ قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْدِبُ لَنَا مِنَ الْمَاءِ^(١)، إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ فَنظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبِيهِ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، مَا أَحَدُ الْيَوْمِ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي، قَالَ: فَانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِدْقٍ^(٢) فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطْبٌ، فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ، وَأَخَذَ الْمُدِّيَةَ^(٣)، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِيَّاكَ وَالْحُلُوبَ^(٤)، فَذَبَحَ هُمُ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ، وَمِنْ ذَلِكَ الْعِدْقِ، وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُسْأَلَنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ الْجُوعَ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ"^(٥).

والمعنى: "ستُحاسبون يومَ القيامة عما أكلتم وشربتم؛ لأنَّ من الحلال حسابًا، ومن الحرام عذابًا"^(٦).

قال القاضي عياض: "أما السؤال عن هذا النعيم، فالمراد به: السؤال عن القيام بحق شكره، والذي نعتقده أنَّ السؤال هنا؛ سؤال تعداد النعم، وإعلام بالامتنان بها، وإظهار الكرامة بإسباغها"^(٧).

ولقد بيَّن النبي ﷺ أن طبيعة السؤال عن النعم، إنما يراد بها حقيقة شكرها، فإذا شكر العبد فقد أدى حق النعمة، وإن أبي وكفر، أغضب عليه الله، فقد أخرج مسلمٌ في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ، فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرِبَ الشَّرْبَةَ، فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا"^(٨).

(١) أي: يأتينا بماء عذب، وهو الطَّيْبُ. (شرح النووي على مسلم ٢١٣/١٣).

(٢) الْعِدْقُ: الْعُصْبُ مِنَ النَّخْلِ. (المرجع نفسه ٢١٣/١٣).

(٣) الْمُدِّيَةُ: هِيَ السَّكِينُ. (المرجع نفسه ٢١٣/١٣).

(٤) الْحُلُوبُ: ذَاتُ اللَّبَنِ. (المرجع نفسه ٢١٣/١٣).

(٥) صحيح مسلم (١٦٠٩/٣)، كتاب الأشربة، باب جَوَازِ اسْتِتْبَاعِهِ غَيْرَهُ إِلَى دَارٍ مِنْ يَثِقُ بِرِضَاهُ بِذَلِكَ وَبِتَحَقُّقِهِ تَحَقُّقًا تَامًا وَاسْتِحْبَابِ الْاجْتِمَاعِ عَلَى الطَّعَامِ، حديث ٢٠٣٨.

(٦) المفاتيح في شرح المصابيح، للمظهري (٥٢٥/٤).

(٧) انظر: شرح النووي على مسلم (٢١٤/١٣).

(٨) صحيح مسلم (٢٠٩٥/٤)، كتاب الذَّكْرِ وَالِدُعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، باب اسْتِحْبَابِ حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى بَعْدَ الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ، حديث ٢٧٣٤.

قلت: هذا الحديث نظير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(١).

ولذلك بين النبي ﷺ أن كفران النعمة هو الخسارة الحقيقية في الآخرة، وهي مما ينخدع عنها كثير من الناس، فلا يؤدون حق الله تعالى فيها بشكره وطاعته له، فقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ"^(٢).

قلت: قوله: "مَغْبُونٌ"، أي: "أُصِيبُ بِخَسَارَةٍ"^(٣)، ولا يندفع هذا الغبن إلا بطاعة الله ﷻ وشكره على نعمه.

ولقد صور لنا النبي ﷺ مشهداً من مشاهد الحساب والسؤال عن النعيم في الآخرة، فقد أخرج مسلمٌ عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "فَيَلْقَى الْعَبْدَ، فَيَقُولُ: أَيُّ فُلٍ، أَلَمْ أُكْرِمَكَ، وَأُسَوِّدَكَ، وَأَزَوَّجَكَ، وَأَسَخَّرَ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذْرَكَ تَرَاسُ، وَتَرَبَعُ، فَيَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ؟، فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنَسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي..."^(٤).

قال النووي: قوله: "أَيُّ فُلٍ": معناه يا فلان، وقوله: "أُسَوِّدَكَ": أي أجعلك سيِّداً على غيرك، وقوله: "تَرَاسُ": أي تكون رئيس القوم وكبيرهم، وقوله: "تَرَبَعُ": أي تأخذ المربع الذي كانت ملوك الجاهلية تأخذه من الغنيمة وهو ربعها، ومعناه ألم أجعلك رئيساً مطاعاً؟^(٥) وقال القاضي عياض: "تَرَبَعُ": "يُظْهِرُ لِي أَنْ أَوْجِهَ مَعَانِيهِ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: يَتَوَدَّعُ"^(٦)، ولا يحتاج إلى بُجَعَةٍ^(٧) وطلب، من قولهم: أربع على نفسك، أي: أرفق بها، واثبت"^(٨).

(١) سورة إبراهيم: الآية ٧.

(٢) سبق تخريجه، ص ٧٧.

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار عمر، "خَسَرَ"، (١/٦٤٢).

(٤) صحيح مسلم (٤/٢٢٧٩)، كتاب الزهد والرفائق، حديث ٢٩٦٨.

(٥) شرح النووي على مسلم (١٨/١٠٣).

(٦) أي: السكون وطلب الراحة، وَرَجُلٌ مُتَدَبِّعٌ: صَاحِبُ رَاحَةٍ، وَقَدْ نَالَ الشَّيْءَ وَادِعًا مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ. وَالْوَدِيعُ: الرَّجُلُ السَّاكِنُ. (انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، "وَدَعُ"، ٦/٩٦).

(٧) النَّجْعَةُ: طَلَبُ الْكَلِّ فِي مَوْضِعِهِ. (مختار الصحاح، للرازي، "بَجَعُ"، ص ٣٠٥).

(٨) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/٥٢٠).

والمعنى: "تتودع- أي: تتنعم مرتاحًا- مقيمًا في ظل نعمتي لا تُحَوِّج إلى حركة في بُجَعَةٍ- أي: في طلب الطعام والكلاء-، وفي رواية: "وَتَرْتَعُ"، أي: تتنعم وتلهو، كما قيل في قوله تعالى: ﴿أَرْسَلُهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ﴾^(١)، وقيل: يلهو ويأكل"^(٢).

قلت: وهذا كله من نعم الله عليه؛ فجحدها، ولم يشكرها، ولذلك يقال له: "فإنِّي أَنَسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي"، ومعناه: "أي أمنعك الرحمة، كما امتنعت من طاعتي"^(٣)، وهو نظير قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نُنَسِّئُكُمْ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾^(٤).

قال الطيبي: "فإنِّي أَنَسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي" مسبب عن قوله: "أَفْطَنْتَ أَنْتَ مُلَاقِي؟"، يعني: سؤدتك، وزوجتك، وفعلت بك من الإكرام؛ حتى تشكرني، وتلقاني؛ لأزيد في الإنعام وأجازيك عليه، فلما نسيتني في الشكر نسيتك، وتركتنا جزاءك، وعليه قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسَيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾^(٥)«^(٦).

قال ابن هبيرة: "وفيه من الفقه: أن عدل الله ﷻ وإعذاره إلى عباده بلغ إلى أن يقول ﷻ للواحد من خلقه يا فل! يعني يا فلان باسمه، ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل؟ فيعترف بذلك كله اعترافًا لا يمكنه غيره؛ لأن أحوال هذه الأشياء كلها شاهدة عليه. فإذا حمل إلى النار كان حمله من جملة كرامات الإيمان في الدنيا؛ لأنه لو كان يتناول العفو من لم يؤمن بالله، لكان ذلك مُسَوِّبًا بين الإيمان والكفر- تعالى الله عن ذلك- فإذا أقر هذا الكافر على نفسه أنه لم يكن مؤمنًا بالله، ولا استدلل شيء من هذه النعم التي أنعم بها عليه يومًا من الدهر على حاله كان ذلك إيضاحًا كافيًا عند الخلائق، ثم يحمل إلى النار بعدل الله ﷻ وحقه"^(٧).



(١) سورة يوسف: الآية ١٢.

(٢) انظر: مطالع الأنوار على صحاح الآثار، لابن قرقول (٣/ ١١٥).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٨/ ١٠٣).

(٤) سورة الجاثية: الآية ٣٤.

(٥) سورة طه: الآية ١٢٦.

(٦) الكاشف عن حقائق السنن (١١/ ٣٥٠٩).

(٧) الإفصاح عن معاني الصحاح (٨/ ٩٦).

المطلب الثالث: الذين يدخلون الجنة بغير حساب

لقد بين النبي ﷺ أنّ هناك صنفاً من أمته يدخلون الجنة بغير حساب، ففي الصحيحين من حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: "عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ..."، وفيه: "ثُمَّ قِيلَ لِي: انظُرْ، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأُفُقَ، فَقِيلَ لِي: انظُرْ هَكَذَا وَهَكَذَا، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأُفُقَ، فَقِيلَ: هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ، وَمَعَ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ"، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ، وَمِمَّنْ يُبَيِّنُ لَهُمْ، فَتَدَاكَرَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: أَمَا نَحْنُ فَوَلَدْنَا فِي الشَّرْكِ، وَلَكِنَّا آمَنَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ هُمْ أَبْنَاؤُنَا، فَبَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: "هُمُ الَّذِينَ لَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَكْتُونُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ"، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مُحْصَنٍ، فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "نَعَمْ"، فَقَامَ آخِرُ، فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا؟ فَقَالَ: "سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ"^(١).

قوله: "لَا يَتَطَيَّرُونَ": أي لا يتشاءمون، مأخوذٌ من الطَّيْرَةِ، وهي التَّشَاؤُمُ بِالشَّيْءِ، وأصله التَّطَيَّرُ بالسَّوَانِحِ^(٢) والبَوَارِحِ^(٣) مِنَ الطَّيْرِ وَالظُّبَاءِ وَغَيْرِهِمَا، وَكَانَ ذَلِكَ يَصُدُّهُمْ عَنِ مَقَاصِدِهِمْ، فَنَفَاهُ الشَّرْعُ، وَأَبْطَلَهُ وَهَى عَنْهُ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ تَأْثِيرٌ فِي جَلْبِ نَفْعٍ أَوْ دَفْعِ ضَرٍّ^(٤).

وقوله: "وَلَا يَسْتَرْقُونَ": أي: لا يأخذون بالرُّقِيَةِ، وهي العُوذَةُ الَّتِي يُرْفَى بِهَا صَاحِبُ الْأَفَةِ، كَالْحَمَى، وَالصَّرْعِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَفَاتِ^(٥).

وقوله: "وَلَا يَكْتُونُونَ": أي لا يفعلون الكَيَّْ بِالنَّارِ، وهو عِلَاجٌ مَعْرُوفٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرَاضِ^(٦).

(١) صحيح البخاري (١٣٤/٧)، كتاب الطب، باب مَنْ لَمْ يَزِقْ، حديث ٥٧٥٢، وصحيح مسلم (١٩٩/١)، كتاب الإيمان، باب الدَّلِيلِ عَلَى دُخُولِ طَوَائِفَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، حديث ٢٢٠.
(٢) السَّنَائِحُ: مَا أَتَاكَ عَنْ يَمِينِكَ مِنْ طَائِرٍ أَوْ غَيْرِهِ. (انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، "سنخ"، ١٠٤/٣).
(٣) البَوَارِحُ: الرِّيَاحُ الَّتِي تَحْمِلُ التُّرَابَ لِشِدَّةِ هُبُوبِهَا. (انظر: المرجع نفسه، "برح"، ٢٤١/١).
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، "طير"، (١٥٢/٣).
(٥) المرجع نفسه، "رقي"، (٢٥٤/٢).
(٦) المرجع نفسه، "كوى"، (٢١٢/٤).

وأما قوله: "وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ": فقد اختلف العلماء في حقيقة التوكل، على أقوالٍ منها:
الأول: أن حد التوكل؛ الثقة بالله تعالى، والإيقان بأن قضاءه نافذ، واتباع سنة نبيه
ﷺ، وذلك في السعي فيما لا بد منه من المطعم، والمشرب، والتحرز من العدو، كما فعله
الأنبياء صلوات الله تعالى عليهم أجمعين، وهذا المذهب هو اختيار الإمام الطبري وعمامة
الفقهاء.

الثاني: لا يصح اسم التوكل مع الالتفات والطمأنينة إلى الأسباب؛ لأنها لا تجلب نفعاً،
ولا تدفع ضرراً، وهو مذهب المحققين من المتصوفة.

الثالث: أنه لا يستحق اسم التوكل إلا من لم يخالط قلبه خوف غير الله تعالى من سبُع
أو عدو، حتى يترك السعي في طلب الرزق ثقةً بضمأن الله تعالى له رزقه، وهذا مذهب بعض
المتصوفة وأصحاب علم القلوب والإشارات^(١).

الرأي الرابع: هو الرأي الأول، ومقتضاه أن التوكل أن تأخذ بالأسباب وكأنها كل
شيء، مع الاعتماد على الله ﷻ وكأن الأسباب لا شيء.

قال ابن القيم: "التوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب، ويندفع بها
المكروه، فمن أنكر الأسباب لم يستقم معه التوكل، ولكن من تمام التوكل: عدم الركون إلى
الأسباب، وقطع علاقة القلب بها، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها، وحال بدنه قيامه بها،
فالأسباب محلّ حكمة الله وأمره ونهيه، والتوكل متعلق بربوبيته وقضائه وقدره، فلا تقوم عبودية
الأسباب إلا على ساق التوكل، ولا يقوم ساق التوكل إلا على قدم العبودية"^(٢).

وقال الشوكاني^(٣): "والحق أن من وثق بالله، وأيقن أن قضاءه عليه ماض، لم يقدر في
توكله تعاطيه الأسباب؛ اتباعاً لسنته في خلقه، وسنة رسوله ﷺ، فقد ظاهر^(٤) بين درعين،

(١) انظر: شرح النووي على مسلم (٩١/٣)، فتح الباري، لابن حجر (٢١٢/١٠).

(٢) مدارج السالكين (١٤٧/٢).

(٣) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء، ت ١٢٥٠هـ،
أشهر مؤلفاته: نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، وفتح القدير في التفسير.
(الأعلام للزركلي ٦/٢٩٨).

(٤) أي: جمع وليس إحداهما فوق الأخرى. (النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، "ظهر"، ١٦٦/٣).

ولبس على رأسه المِغْفَرَ، وأقعد الرماة على فم الشَّعْبِ، وخذق حول المدينة، وأذِنَ في الهجرة إلى الحبشة، وإلى المدينة، وهاجر هو، وتعاطى أسباب الأكل والشرب، وادَّخَرَ لأهله قوتهم، ولم ينتظر أن ينزل عليه من السماء، وهو كان أحقَّ الخلق أن يحصل له ذلك" (١).

هل التداوي بالكَيِّْ، والرُّقِيَّة، وغيرهما، يتنافى مع حقيقة التوكل على الله ﷻ؟

الجواب: لا يتنافى ذلك مع حقيقة التوكل؛ لأن التوكل كما بيَّنت آنفًا معناه الاعتماد على الله ﷻ، مع الأخذ بالأسباب، والتداوي من الأسباب التي يتم بها الشفاء.

أمَّا ما ورد في صفات الذين يدخلون الجنة بغير حساب أنهم لا يكتبون، ولا يسترقون، فلذلك عدة توجيهات، ذكرها الحافظ ابن حجر (٢)، كالآتي:

الأول: أنه محمول على من جانب اعتقاد الطبائعيين، في أنَّ الأدوية تنفع بطبعها، كما كان أهل الجاهلية يعتقدون.

وأنَّ الرقى التي يحمدها، ما كان من كلام الجاهلية، ومن الذي لا يُعقل معناه؛ لاحتمال أن يكون كفرًا، بخلاف الرقى بالذكر ونحوه.

وهذا رأي الطبري، والمازري، وطائفة من أهل العلم، واختاره النووي (٣)، والطبي (٤). وقد تعقبه القاضي عياض، وغيره، بأن الحديث يدلُّ على أن للسبعين ألفًا مزيةً على غيرهم، انفردوا بها عن شاركهم في أصل الفضل، والديانة، ومن كان يعتقد أن الأدوية تؤثر بطبعها، أو يستعمل رقى الجاهلية ونحوها، فليس مسلمًا، فلم يسلم هذا الجواب (٥).

الثاني: قال الداودي (٦): إنَّ المراد بالحديث الذين يجتنبون فعل ذلك في الصحة؛ خشية وقوع الداء، وأما من يستعمل الدواء بعد وقوع الداء به فلا.

(١) نيل الأوطار (٢٣٢/٨).

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (٢١١/١٠).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٦٨/١٤).

(٤) انظر: الكاشف عن حقائق السنن (٣٣٣/١٠).

(٥) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم (٦٠١/١).

(٦) أبو جعفر، أحمد بن نصر الداودي الأسدي التلمساني، من أئمة المالكية، وهو أول من شرح صحيح البخاري، ت ٤٠٢ هـ. (تاريخ الإسلام، للذهبي ٤١/٩، معجم أعلام الجزائر، ص ١٤١).

وقد قال بهذا ابنُ قتيبة^(١)، وغيره، وهذا اختيار ابنِ عبد البرِّ، غير أنه معترض بما ثبت من الاستعاذة قبل وقوع الداء.

الثالث: قال الحلبي: يحتمل أن يكون المراد بمؤلاء المذكورين في الحديث، من غفل عن أحوال الدنيا، وما فيها من الأسباب المعدة لدفع العوارض، فهم لا يعرفون الاكتواء، ولا الاسترقاء، وليس لهم ملجأ فيما يعتريهم إلا الدعاء، والاعتصام بالله، والرضا بقضائه، فهم غافلون عن طب الأطباء، ورُقَى الرُقاة، ولا يحسنون من ذلك شيئاً. والله أعلم.

الرأي الرابع: الرأي الثالث؛ باعتبار أنَّ التداوي جائز، والتوكل درجة أعلى منه.

قال ابن الأثير: "فهذا من صفة الأولياء المعرضين عن أسباب الدنيا، الذين لا يلتفتون إلى شيء من علائقها، وتلك درجة الخواص لا يبلغها غيرهم، فأما العوام فمرخص لهم في التداوي والمعالجات، ومن صبر على البلاء، وانتظر الفرج من الله بالدعاء، كان من جملة الخواص والأولياء، ومن لم يصبر رخص له في الرقية والعلاج والدواء"^(٢).

وقال الأمير الصنعاني^(٣): "إنَّ فضيلة الصبر، والرضا بما نزل من الألم، والتجرُّع بمرارة السقم، رتبةٌ تروى على فعل المندوب، ولا يبلغ كنهها، ولا يدنو إليها، فالتداوي فاعل للمندوب؛ فيثاب على فعله، والصابر على الألم القارس لذلك أكثر ثواباً، وأعلى رتبة من حيث الصبر والرضا، لا من حيث ترك المندوب، أو لأن حظ النفوس في التداوي وطلبها للعافية لا يكاد يتمحص فيه قصد الندب فإنه يفهم منه أن فعل الرقى مباح وإن ترك المندوب لا يفضل على فعله"^(٤).



(١) أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّيَنَوْرِيُّ، من أشهر مصنفاته، غريب القرآن، وغريب الحديث، ومشكل القرآن، ومشكل الحديث، وعيون الأخبار. (سير أعلام النبلاء، للذهبي ١٣/٢٩٦).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، "رُقَى"، (٢/٢٥٥).

(٣) أبو إبراهيم، محمد بن إسماعيل الحسني الكحلاني الصنعاني، ولد بمدينة كحلان، ونشأ وتوفي بصنعاء، ت ١١٨٢ هـ، ومن أشهر كتبه: سبل السلام، شرح بلوغ المرام، لابن حجر، وشرح الجامع الصغير، للسيوطي. (الأعلام، للزركلي ٦/٣٨).

(٤) التنوير شرح الجامع الصغير (٢/٢٩٣).

المبحث الرابع

الشفاعة

المطلب الأول: تعريف الشفاعة وشروطها.

المطلب الثاني: شفاعة النبي ﷺ وأقسامها.

المطلب الثالث: أنواع الشفعاء غير النبي ﷺ.

المطلب الرابع: الأسباب التي تحصل فيها الشفاعة وموانعها.

المطلب الأول: تعريف الشفاعة وشروطها

أولاً: معنى الشفاعة في اللغة:

الشفاعة في لغة العرب مشتقة من مادة شَفَعَ، وهي أصل صحيح يدل على مقارنة الشيئين، من ذلك الشفع خلاف الوتر، تقول: كان فرداً فَشَفَعْتُهُ، قال الله تعالى: ﴿وَالشُّفَعُ وَالْوُتْرُ﴾^(١)، فالوتر: الله تعالى، والشفع: الخلق، وَالشُّفَعَةُ في الدار من هذا، سميت شُفَعَةً؛ لأنه يشفع بها ماله، والشاة الشافع: التي معها ولدها، وشفع فلان لفلان إذا جاء ثانيه ملتمسًا مطلبه ومعينًا له، ومن الباب ناقة شفوع، وهي التي تجمع بين محلبين في حلبة واحدة^(٢).
"فالشفع خلاف الوتر، وهو الزوج، تقول: كان وترًا فشفعتُه شفعا، وشفع الوتر من العدد شفعا: صيره زوجًا"^(٣).

ومنها: "المشفع، وهو الذي يقبل الشفاعة، وأما المشفع فهو الذي تقبل شفاعته"^(٤).

ثانياً: معنى الشفاعة في الاصطلاح:

لا يخرج التعريف الشرعي للشفاعة عن معناه اللغوي، من كونه انضمام شيء إلى آخر، وزيادته في شيء ما، وكذلك في الاصطلاح فالشفاعة السؤال والطلب في الآخرة من الله عَزَّ وَجَلَّ حصول منفعة لأحدٍ من الخلق، ولزيادة المعنى وضوحًا، أنقل أقوال بعض أهل العلم في تعريفها:
قال ابن الأثير: "الشَّفَاعَةُ: هي السُّؤالُ في التجاوز عن الذُّنوب والجرائم بينهم"^(٥).
وقال الجرجاني: "هي السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقع الجنابة في حقه"^(٦).

(١) سورة الفجر: الآية ٣.

(٢) مقاييس اللغة، لابن فارس، "شَفَعَ"، (٢٠١/٣).

(٣) لسان العرب، لابن منظور، "شَفَعَ"، (١٨٣/٨).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، "شَفَعَ"، (٤٨٥/٢).

(٥) المرجع نفسه، "شَفَعَ"، (٤٨٥/٢).

(٦) التعريفات، ص ١٢٧.

وقال الكفوي: "سؤال فعل الخير وَتَرَكَ الضَّرَّ عَنْ الْغَيْرِ لِأَجْلِ الْغَيْرِ عَلَى سَبِيلِ الضَّرَاعَةِ"^(١).

وقال أيضاً: "الشَّفَاعَةُ عِنْدَنَا طَلَبُ الْعَفْوِ مِنَ الَّذِي وَقَعَتِ الْجَنَايَةُ فِي حَقِّهِ"^(٢).
ومن هنا يتبين لنا العلاقة بين تعريف الشفاعة في اللغة وتعريفها في الاصطلاح، والنسبة بينهما: أنَّ المعنى اللغوي عام يشمل المعنى الاصطلاحي وغيره؛ وذلك أن المعنى اللغوي كما بيَّنت سابقاً يراد به كل ما يدل على الانضمام والزيادة، سواء أكانت بخير أم بشر، وسواء أكانت في الدنيا أم في الآخرة.

أما في الاصطلاح، فإنها تتميز بأنها يراد بها أن تكون في الآخرة، ولا تكون إلا بخير.

ثالثاً: شرط الشفاعة:

إنَّ لقبول الشفاعة عند الله يوم القيامة شرطين مهمَّين، وهما الإذن والرضى من الله ﷻ بذلك، وهذا مصداق قول ربنا ﷻ: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾^(٣).

قال الطبري: "هذا توييح من الله ﷻ لعبدة الأوثان والملأ من قريش وغيرهم الذين كانوا يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾"^(٤)، فقال الله ﷻ لهم: ما تنفع شفاعة ملائكتي الذين هم عندي لمن شفَعوا له، إلا من بعد إذني لهم بالشفاعة له ورضاي، فكيف بشفاعة من دونهم، فأعلمهم أن شفاعة ما يعبدون من دونه غير نافعتهم"^(٥).

وقال الشيخ حافظ الحكمي^(٦) في شرح هذين البيتين من منظومته سُلِّم الوصول:

(١) الكليات، ص ٥٣٦.

(٢) المرجع نفسه، ص ٥٣٦.

(٣) سورة النجم: الآية ٢٦.

(٤) سورة الزمر: الآية ٣.

(٥) تفسير الطبري (٥٢٩/٢٢).

(٦) هو: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، ت ١٣٧٧هـ، ومن أشهر مؤلفاته: "سلم الوصول إلى علم الأصول" أرجوزة، و"معارج القبول" شرح لها، (انظر: الأعلام، للزركلي ١٥٩/٢).

كَذَا لَهُ الشَّفَاعَةُ الْعُظْمَى كَمَا قَدْ خَصَّهُ اللَّهُ بِهَا تَكْرُمًا
مِنْ بَعْدِ إِذْنِ اللَّهِ لَا كَمَا يَرَى كُلُّ قُبُورِيٍّ عَلَى اللَّهِ افْتَرَى

قال: "وتلك الشفاعة لا تكون إلا من بعد إذن الله ﷻ، سواء في ذلك شفاعة نبينا ﷺ، وشفاعة من دونه، وذلك الإذن يتعلق بالشافع والمشفوع فيه، وبوقت الشفاعة، فليس يشفع إلا من أذن الله له في الشفاعة، وليس له أن يشفع إلا بعد أن يأذن الله له، وليس له أن يشفع إلا فيمن أذن الله تعالى له أن يشفع فيه"^(١).

وقد قال الله تعالى أيضًا: ﴿بِوَسِيلَةٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾^(٢).

قال البغوي: "يعني: إلا من أذن له الله أن يشفع، ورضي قوله، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني قال: لا إله إلا الله، فهذا يدل على أنه لا يشفع لغير المؤمن"^(٣).
وقال السعدي: "ومن تمام ملكه أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه؛ فكل الوجهاء والشفعاء عبيد له، مما ليك لا يقدمون على الشفاعة لأحد حتى يأذن لهم، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾"^(٤)، ولا يشفعون إلا لمن ارتضاه الله، ولا يرضى إلا عن قام بتوحيده واتباع رسله، فمن لم يتصف بهذا فليس له في الشفاعة نصيب"^(٥).

رابعًا: أقسام الشفاعة: تنقسم الشفاعة إلى قسمين:

الأول: الشفاعة المثبتة: حيث ذكر الله ﷻ، ونبأه ﷺ كثيراً من الآيات والأحاديث في إثبات الشفاعة، وتحقق وقوعها في يوم القيامة بعد إذنه ﷻ للشافع، ورضاه عن المشفوع، حيث سيأتي كثير من الأدلة على ذلك في أثناء هذا المبحث؛ فبيان هذا القسم هو المراد والمقصود من هذا المبحث.

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/٨٨٧).

(٢) سورة طه: الآية ٩.

(٣) تفسير البغوي (٣/٢٧٥).

(٤) سورة الزمر: الآية ٤٤.

(٥) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن (١/١٨١).

الثاني: الشفاعة المنفية: وهي الشفاعة التي نفاها الله ﷻ ونفاها رسوله ﷺ؛ لأنها شفاعة باطلة مبنية على الشرك والكفر بالله ﷻ، كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾^(١).

قال ابن القيم: "الشفاعة التي أبطلها الله شفاعة الشريك، فإنه لا شريك له، والتي أثبتها شفاعة العبد المأمور الذي لا يشفع ولا يتقدم بين يدي مالكة حتى يأذن له، ويقول: أشفع في فلان، ولهذا كان أسعد الناس بشفاعة سيد الشفعاء يوم القيامة أهل التوحيد الذين جردوا التوحيد وخلصوه من تعلقات الشرك وشوائبه، وهم الذين ارتضى الله ﷻ"^(٢).

تأكيداً على هذا الأمر أضع سؤالاً مهماً، وهو: هل تُقبل الشفاعة للكافر يوم القيامة؟

والجواب: لا، فقد بيّنت سابقاً^(٣) أنّ أعمالهم الصالحة لا تنفعهم يوم القيامة: لأنها افتقرت إلى شرطي القبول أو أحدهما، وهما الإخلاص لله رب العالمين، وموافقة النبي الأمين ﷺ، ومن باب أولى ألا ينتفعوا بأعمال ودعاء وشفاعة غيرهم، وقد قال الله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾^(٤)، وقال أيضاً: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾^(٥).

قال ابن تيمية: "فالشفاعة للكفار بالنجاة من النار، والاستغفار لهم مع موتهم على الكفر لا تنفعهم، ولو كان الشفيع أعظم الشفعاء جاهاً، فلا شفيع أعظم من محمد ﷺ، ثم الخليل إبراهيم عليه السلام، وقد دعا الخليل عليه السلام لأبيه واستغفر له، وقد كان ﷺ أراد أن يستغفر لأبي طالب اقتداءً بإبراهيم عليه السلام، وأراد بعض المسلمين أن يستغفر لبعض أقاربه، فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾^(٦)، ثم ذكر الله عذر إبراهيم عليه السلام، فقال: ﴿وَمَا كَانَ

(١) سورة يونس: الآية ١٨.

(٢) إغاثة اللهفان من مصاديق الشيطان (١/٢٢٠).

(٣) انظر: ص ٣٥.

(٤) سورة المدثر: الآية ٤٨.

(٥) سورة غافر: الآية ١٨.

(٦) سورة التوبة: الآية ١١٣.

اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ
لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١﴾ (٢).

وقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ
أَزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتْرَةٌ وَغَبْرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي؟
فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ، إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِنِي يَوْمَ
يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الْأَبْعَدِ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّي حَرَمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ،
ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِدِيحٍ مُلْتَطِحٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى
فِي النَّارِ" (٣).

قال القسطلاني: "فيه دليل على أن شرف الولد لا يرفع الوالد إذا لم يكن مسلماً" (٤).
حتى النبي صلى الله عليه وسلم لما طلب من ربه أن يدعو لأمه ويستغفر لها، ما أذن له في ذلك، ففي
صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: زَارَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قَبْرَ أُمِّهِ، فَبَكَى، وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ، فَقَالَ:
"اسْتَأذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا، فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي،
فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُدَكِّرُ الْمَوْتَ" (٥).

قال الشوكاني: "فيه دليل على عدم جواز الاستغفار لمن مات على غير ملة
الإسلام" (٦).

(١) سورة التوبة: الآية ١١٤.

(٢) قاعدة حليلة في التوسل والوسيلة (٥/١).

(٣) سبق تخريجه، ص ١٩٠.

(٤) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٢٧٩/٧).

(٥) سبق تخريجه، ص ٧٨.

(٦) نيل الأوطار (١٣٣/٤).

قلت: اختلف العلماء في بيان مال والدي النبي صلى الله عليه وسلم، والرأي المختار عندي أنهما من أهل الجنة، والأسلم التوقف عن
الخوض في مثل هذه المسألة؛ تأدباً مع النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد ذكر هذا الاختلاف الشيخ عبد الله سراج الدين - رحمه الله - مرجحاً أنهما ناجيان من العذاب، وأنهما على الإيمان،
وذلك: إمّا عن طريق أن الله تعالى أحيهما له فأمننا به صلى الله عليه وسلم، كما روى ذلك جماعة من المحدثين - وهذا من باب الإكرام
لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم -، أو لأنهما من أهل الفترة وهم ناجون، أو باعتبار أنهما ماتا على الفطرة الدينية، بدليل أنهما لم يشركا،
ولم يعبدوا صنماً، قال: "فالحق كل الحق أنهما مؤمنان ناجيان، فلو لم يكن سوى أنهما على الملة الحنيفية لكفاهما ذلك =

قلت: فلو كانت الشفاعة جائزة في حق الكفار، لكانت شفاعة الأنبياء ﷺ وعلى رأسهم نبينا محمد ﷺ بأهلهم وأقاربهم أولى من غيرهم.



= إيماناً وتوحيداً، حتى قال بعض المفسرين المحققين: وأنا أخشى الكفر على من يقول فيهما بغير ذلك". (انظر تفصيل هذه المسألة: هدي القرآن الكريم إلى معرفة العوالم والتفكير في الأكوان، لعبد الله سراج الدين، ص ٢٧٨-٢٩٣).

المطلب الثاني: شفاعة النبي ﷺ وأقسامها

من إكرام الله ﷻ لنبيه محمد ﷺ أن جعله أول شافع يوم القيامة، وخصه بأنواع من الشفاعات التي لم تعط لأحدٍ غيره، كما قال ابن تيمية: "فله ﷺ شفاعات يختص بها، لا يشركه فيها أحد، وشفاعات يشركه فيها غيره من الأنبياء والصالحين، لكن ما له فيها أفضل مما لغيره؛ فإنه ﷺ أفضل الخلق، وأكرمهم على ربه ﷻ، وله من الفضائل التي ميزه الله بها على سائر النبيين"^(١).

وقد عدّد بعض أهل العلم هذه الشفاعات، كما نقل ابن حجر، فمنها: "الإراحة من هول الموقف، وفي إدخال قوم الجنة بغير حساب، وفي إدخال قوم حوسبوا فاستحقوا العذاب أن لا يعذبوا، وفي إخراج من أدخل النار من العصاة، وفي رفع الدرجات، والتخفيف عن أبي طالب في العذاب، والشفاعة لأهل المدينة، وشفاعته في أهل الكبائر من أمته، ومن استوت حسناته وسيئاته أن يدخل الجنة، وشفاعته فيمن قال: لا إله إلا الله، ولم يعمل خيراً قط"^(٢).

قلت: وبذلك يصبح عدد أنواع شفاعاته ﷺ عشر شفاعات، إلا أن شفاعته لأهل المدينة لا يصح أن يطلق عليه نوعاً بذاته، من وجهين؛ أحدهما: أن سُنَّها سبب من أسباب نيل شفاعته ﷺ، بشرط تحقيق الإيمان، والالتزام بما شرع الله ﷻ، وأن يكون ممن ارتضى الله ﷻ، ومعلوم أنه من لم يحقق هذا الشرط فليس بداخل في الشفاعه^(٣).

والوجه الآخر: أنه لا يخرج عن أحد الأنواع الأخرى المذكورة، كما قال ابن حجر: "وهذه غير واردة؛ لأن متعلقها لا يخرج عن واحدة من الخمسة الأول"^(٤).

وكذلك؛ قوله: "وشفاعته فيمن قال: لا إله إلا الله، ولم يعمل خيراً قط"، لا يصح أن نجعلها منفردة بذاتها؛ وذلك من وجهين أيضاً؛ الأول: أنها داخلة في شفاعته من أخرج من النار من العصاة، وكذلك من أخرج من أهل الكبائر.

(١) مجموع الفتاوى (٣١٣/١).

(٢) فتح الباري، لابن حجر (٤٢٩/١١).

(٣) حيث سأذكره ضمن المطلب الرابع من هذا البحث، في أسباب نيل الشفاعه.

(٤) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٤٢٩/١١).

والوجه الآخر: أن نص الحديث الذي ورد فيهم يفيد أنهم يخرجون بشفاعة الله ﷻ ورحمته، لا بشفاعة أحدٍ من عباده، ففي الصحيحين، - واللفظ لمسلم - من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: "يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ، قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ..."^(١) الحديث.

وبالتالي فإن عدد شفاعاته ﷺ تصبح ثماني شفاعات فقط، وهذا ما سوف أبيّنه في

النقاط الآتية:

أولاً: الشفاعة العظمى "المقام المحمود":

وهي الشفاعة الأولى الخاصة بالنبي ﷺ من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وذلك حين يتوسل الناس يوم القيامة إلى آدم، ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى عليه السلام، من أجل الشفاعة عند الله ﷻ؛ لإراحة الخلائق من هول ذلك اليوم العصيب وشدته، بتعجيل حسابهم، وفصل القضاء بينهم بين يدي الله ﷻ، حتى ينتهي الأمر إلى نبينا محمد ﷺ، فيشفع عند ربه ﷻ لأهل الموقف، وهذه الشفاعة أعظم الشفاعات كلها، ولهذا تسمى الشفاعة العظمى، فهي شفاعة عامة لجميع أهل الموقف، على اختلاف أديانهم.

فقد أخرج البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، يقول: "...كُلُّ أُمَّةٍ تَتَّبِعُ نَبِيَّهَا، يَقُولُونَ: يَا فَلَانُ اشْفَعْ، يَا فَلَانُ اشْفَعْ، حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللَّهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ"^(٢). الحديث.

دلّ هذا الحديث على إثبات الشفاعة العظمى لنبينا ﷺ، وهي التي تكون لفصل القضاء، وإراحة الناس من ذلك الموقف الشديد الذي تشتد فيه الأهوال وتتفاقم، وهو المقام المحمود الذي وعده الله به في قوله: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾^(٣)، فقد أطمع الله

(١) صحيح البخاري (١٢٩/٩)، كتاب التوحيد، باب قوله ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾، حديث ٧٤٣٩،

صحيح مسلم (١٦٧/١)، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ﷻ، حديث ١٨٣.

(٢) صحيح البخاري (٨٦/٦)، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾، حديث ٤٧١٨.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٧٩.

نبيه ﷺ، وأعطاه الشفاعة، فأصبح ما أطعمه فيه حقيقة ثابتة لا يتخلف أبدًا^(١).

ومن الأدلة على ذلك؛ ما أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال النبي ﷺ: "...إِنَّ الشَّمْسَ تَدْنُو يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَبْلُغَ الْعِرْقَ نِصْفَ الْأُذُنِ، فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ اسْتَعَاثُوا بِآدَمَ، ثُمَّ بِمُوسَى، ثُمَّ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَشْفَعُ لِيُقْضَى بَيْنَ الْخَلْقِ، فَيَمْشِي حَتَّى يَأْخُذَ بِحَلْقَةِ الْبَابِ، فَيَوْمئِذٍ يَبْعَثُهُ اللَّهُ مَقَامًا مَحْمُودًا، يَحْمَدُهُ أَهْلُ الْجَمْعِ كُلُّهُمْ"^(٢). الحديث.

قال الطبري: "قال أكثر أهل العلم: ذلك هو المقام الذي يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس؛ ليرجهم بهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم"^(٣).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: "يَجْمَعُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ...، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟، أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا، لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا...، فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا...، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ ﷺ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ...، فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا...، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى...، فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَى ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا...، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ﷺ...، فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا...، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَأْتُونَ، فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟، أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟، فَأَنْطَلِقُ، فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ، وَيُلْهَمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، اذْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهُ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ،

(١) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، لحمزة محمد قاسم (٦٠/٥).

(٢) صحيح البخاري (١٢٤/٢)، كتاب الزكاة، باب من سأل الناس تكثيرًا، حديث ١٤٧٥.

(٣) تفسير الطبري (٥٢٦/١٧).

فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيَمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ..."^(١). الحديث.

قوله: "ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ، وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي": هذه خطبة الشفاعة حين لا يؤذن لأحد في الاعتذار، ولا يقوى أحد على الإنكار، فيقوم ﷺ، وقد أعطي من القدرة على الكلام، والثبات في ذلك المقام، دون سائر الأنام، فينطلق لسانه الشريف بالثناء على الله تعالى بما هو أهله^(٢).

قال ابن خزيمة معقبًا على هذا الحديث: "هذه الشفاعة أولى الشفاعات التي يشفع بها النبي ﷺ، ليقضي الله بين الخلق، فعندها يأمره الله ﷻ أن يدخل من لا حساب عليه من أمته الجنة من الباب الأيمن"^(٣).

وقال القرطبي: "وهذه الشفاعة العامة لأهل الموقف، إنما هي ليعجل حسابهم ويراحوا من هول الموقف، وهي الخاصة به ﷺ، فقوله: "فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ" يدلُّ على أنه شفع فيما طلب من تعجيل حساب أهل الموقف، فإنه لما أمر بإدخال من لا حساب عليه من أمته، فقد شرع في حساب من عليه حساب من أمته وغيرهم"^(٤).

وقال ابن تيمية: "أما الشفاعة الأولى؛ فيشفع في أهل الموقف، حتى يقضى بينهم بعد أن يتراجع الأنبياء آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ابن مريم ﷺ عن الشفاعة، حتى تنتهي إليه ﷺ"^(٥).

(١) صحيح البخاري (٤/١٤١)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب منه، حديث ٣٣٦١، وصحيح مسلم (١/١٨٤)، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة، حديث ١٩٤.
(٢) فتح المنان، لنبييل الغمري (١/٤١١).
(٣) انظر: التوحيد، لابن خزيمة (٢/٥٩٦).
(٤) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ٥٩٩-٦٠٠.
(٥) العقيدة الواسطية، ص ١٠١.

ثانيًا: شفاعته ﷺ في دخول أهل الجنة الجنة بعد الفراغ من حسابهم:

قال ابن تيمية: "ويشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة، وهي شفاعته خاصة له ﷺ" (١).
والدليل على هذه الشفاعة؛ ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك
رضي الله عنه، قال النبي ﷺ: "أنا أول شفيع في الجنة، لم يصدق نبي من الأنبياء ما صدقت، وإن من
الأنبياء نبيًا ما يصدق من أمته إلا رجل واحد" (٢).

وأخرج مسلم أيضًا من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "آتي
باب الجنة يوم القيامة، فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟، فأقول: مُحَمَّدٌ، فيقول: بك
أمرت، لا أفتح لأحد قبلك" (٣).

وأخرج مسلم أيضًا عن أبي هريرة وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ:
"يجمع الله تبارك وتعالى الناس، فيقوم المؤمنون حتى تُرْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ، فيأتون آدم،
فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم،
لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله، قال: فيقول إبراهيم: لست
بصاحب ذلك، إنما كنت خليلًا من وراء وراء، اعمدوا إلى موسى ﷺ الذي كلمه الله تكليمًا،
فيأتون موسى ﷺ، فيقول: لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى عيسى كَلِمَةَ اللَّهِ وَرُوحِهِ، فيقول
عيسى ﷺ: لست بصاحب ذلك، فيأتون مُحَمَّدًا ﷺ، فيقوم فيؤذن له... " (٤). الحديث.

فهذه الأحاديث تدلُّ أنه لن يدخل أحد الجنة إلا بعد أن يشفع النبي ﷺ عند ربه
لدخولها، فتفتح له أولًا، ثم لإخوانه الأنبياء ﷺ، ثم لأمته، ثم لمؤمني باقي الأمم.

ثالثًا: الشفاعة في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب:

جاء في الصحيحين، عن العباس رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله، إن أبا طالب كان

(١) العقيدة الواسطية، ص ١٠٢.

(٢) صحيح مسلم (١/١٨٨)، كتاب الإيمان، باب قوله: "أنا أول الناس يشفع في الجنة"، حديث ١٩٦.

(٣) صحيح مسلم (١/١٨٨)، كتاب الإيمان، باب قوله: "أنا أول الناس يشفع في الجنة"، حديث ١٩٧.

(٤) صحيح مسلم (١/١٨٦)، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث ١٩٥.

يُحَوِّطُكَ وَيُنْصُرُكَ، فَهَلْ نَفَعَهُ ذَلِكَ؟ قَالَ: "نعم وَجَدْتُهُ فِي غَمْرَاتٍ^(١) مِنَ النَّارِ فَأَخْرَجْتُهُ إِلَى ضَحْضَاحٍ^(٢)"^(٣).

وفي روايةٍ لهما عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ، فَقَالَ: "لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ، يَبْلُغُ كَعْبِيهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ"^(٤).

وأخرج مسلمٌ عن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: "أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ، وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ"^(٥).

فأخف أهل النار عذابًا أبو طالب، وذلك بشفاعته النبي صلى الله عليه وسلم له؛ لأنه نصر النبي صلى الله عليه وسلم في محنته، ودافع عنه، إلا أنه قد مات على الشرك.

فإن قال قائل: هل ما ورد في شفاعته النبي صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب على الرغم من أنه مات على الشرك يتعارض مع قول الله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾^(٦)؟

فالجواب: لا يوجد تعارض بين الآية والأحاديث السابقة، وإن كان ظاهرها كذلك، وتتوجه أحاديث الشفاعة لأبي طالب في نقطتين:

الأولى: أن هذه الشفاعة لا تتعدى التخفيف عنه من العذاب، فما تنفعه للخروج من النار، وإن نفعته بكونه أهون أهل النار عذابًا.

الأخرى: أن هذه الشفاعة خاصة في أبي طالب، دون المشركين.

(١) الْعَمْرَاتُ: هي المعظم من الشيء، والمراد بها هنا: المواضع التي تكثُر فيها النَّارُ. (انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، "عَمْرًا"، ٣/٣٨٣، وشرح النووي على مسلم ٣/٨٤).

(٢) الضَّحْضَاحُ: هو ما رُقَّ من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبين واستعير في النَّارِ. (انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، "ضَحْضَاحٌ"، ٣/٧٥، وشرح النووي على مسلم ٣/٨٤).

(٣) سبق تخريجه، ص ٣٧.

(٤) صحيح البخاري (٥/٥٢)، كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، حديث ٣٨٨٥، وصحيح مسلم (١/١٩٥)، كتاب الإيمان، باب شفاعته النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالبٍ والتَّخْفِيفِ عنه بِسَبَبِهِ، حديث ٢١٠.

(٥) صحيح مسلم (١/١٩٦)، كتاب الإيمان، باب أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا، حديث ٢١٢.

(٦) سورة المدثر: الآية ٤٨.

قال ابن حجر: "فهذه الأحاديث تبين أن سبب شفاعة الرسول ﷺ لعمه أبي طالب في تخفيف العذاب عنه؛ هو دفاعه عن الرسول ﷺ ونصرتة له، وإلا هو مات كافراً، والله ﷻ أعلم".
أخبر أن الكافرين لا تنفعهم شفاعة الشافعين، ولكن شفاعة الرسول ﷺ لعمه شفاعة خاصة، حتى ورد أنه أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة"^(١).

رابعاً: الشفاعة في رفع درجات بعض أهل الجنة:

ودليل ذلك ما أخرجه الشيخان، من حديث أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ﷺ، قَالَ: لَمَّا فَرَغَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ حُجَيْنٍ بَعَثَ أَبَا عَامِرٍ ﷺ^(٢) عَلَى جَيْشٍ إِلَى أُوطَاسٍ^(٣)، فَرَمِيَ أَبُو عَامِرٍ فِي رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، انْطَلِقْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ أَبُو عَامِرٍ: اسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: وَاسْتَعْمَلَنِي أَبُو عَامِرٍ عَلَى النَّاسِ، وَمَكَتَ يَسِيرًا، ثُمَّ إِنَّهُ مَاتَ، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، دَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبْرِنَا، وَخَبَرَ أَبِي عَامِرٍ، وَقُلْتُ لَهُ: قَالَ: قُلْ لَهُ: يَسْتَغْفِرْ لِي، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَاءٍ، فَتَوَضَّأَ مِنْهُ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبِيدِ أَبِي عَامِرٍ"، حَتَّى رَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطِيهِ، ثُمَّ قَالَ: "اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ مِنْ النَّاسِ"، فَقُلْتُ: وَيَا رَسُولَ اللَّهِ، فَاسْتَغْفِرْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ، وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُدْخَلًا كَرِيمًا"^(٤)... الحديث.

ومن ذلك أيضاً ما أخرجه مسلم من حديث أمِّ سَلَمَةَ ﷺ، قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سَلَمَةَ، ثُمَّ قَالَ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقْبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَأَفْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ"^(٥).

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر (١١٥/٤).

(٢) عبيد بن سليم بن حضار، أبو عامر الأشعري، عم أبي موسى مشهور بكنيته، من الصحابة الكرام. (الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤/١٧٠، والإصابة في تمييز الصحابة ٤/٣٤٣).

(٣) أوطاس: واد في ديار هوازن، فيه كانت وقعة حنين للنبي ﷺ ببني هوازن، ويومئذ قال النبي ﷺ: حمي الوطيس، وذلك حين استعرت الحرب، وهو ﷺ أول من قاله. (معجم البلدان، لياقوت الحموي ١/٢٨١).

(٤) صحيح البخاري (١٥٥/٥)، كتاب المغازي، باب غزوة أوطاس، حديث ٤٣٢٣، صحيح مسلم (١٩٤٣/٤)، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي موسى وأبي عامر الأشعريين ﷺ، حديث ٢٤٩٧.

(٥) صحيح مسلم (٦٣٤/٢)، كتاب الجنائز، باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر، حديث ٩٢٠.

قلت: دعاؤه ﷺ لأبي عامر رضي الله عنه: "اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ"،
ولأبي موسى رضي الله عنه: "وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُدْخَلًا كَرِيمًا"، ولأبي سلمة رضي الله عنه: "وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي
الْمَهْدِيِّينَ": دليل على هذا النوع من الشفاعة، وهي الشفاعة في رفع درجات بعض أهل
الجنة، أسأل الله الكريم أن نكون من أهلها.

خامسًا: الشفاعة في دخول بعض المؤمنين الجنة بغير حساب ولا عذاب:

قلت: وقد مرَّ معنا حديث السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب،
بفضل شفاعة النبي ﷺ لهم، وذلك بفضل تحقيقهم لمعنى التوكل على الله ﷻ^(١).

سادسًا: الشفاعة في أهل الكبائر من أمته ﷺ ممن دخلوا النار بذنوبهم أن يخرجوا منها:
المقصود بأهل الكبائر: العصاة من الموحدين، وهم الذين يدخلون النار بذنوبهم،
فيشفع لهم النبي ﷺ وغيره، لإخراجهم منها، ويُطلق عليهم لقب الجهنميين.

ودليله ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه، وفيه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "ثُمَّ
أَعُوذُ الرَّابِعَةَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ
يُسْمَعُ، وَسَلِّ تَعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، انْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَقُولُ:
وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَانِي وَعَظَمَتِي، لِأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ"^(٢). الحديث.

وفي الصحيحين أيضًا من حديث أنس رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَجْمَعُ اللَّهُ
النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا، حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ..."
إلى أن قال ﷺ: "فَيَأْتُونِي، فَاسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ،
ثُمَّ يُقَالُ لِي: ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلِّ تَعْطَهُ، وَقُلْ يُسْمَعُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّي
بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِي، ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحْدُ لِي حَدًّا، ثُمَّ أَخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُوذُ
فَأَقْعُ سَاجِدًا مِثْلَهُ، فِي الثَّلَاثَةِ، أَوْ الرَّابِعَةِ، حَتَّى مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ،

(١) انظر: ص ٢٨٧-٢٩٠.

(٢) صحيح البخاري (١٤٦/٩)، كتاب التوحيد، باب كلام الرب ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ، حديث ٧٥١٠،
وصحيح مسلم (١٨٢/١)، كتاب الإيمان، باب أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ فِيهَا، حديث ١٩٣.

أَيُّ: وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ" (١). الحديث.

وأخرج البخاري في صحيحه من حديث عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ (٢)، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، يُسَمَّوْنَ الْجَهَنَّمِيِّينَ" (٣).

قوله "الْجَهَنَّمِيِّينَ": قال الطيبي: "ليست التسمية بها تنقيصًا لهم بل استذكارة، ليزيدوا فرحًا على فرح، وابتهاجًا على ابتهاج، ولأن يكون ذلك علمًا لكونهم عتقاء الله تعالى" (٤). وقال المناوي: "فيه إشارة إلى طول تعذيبهم في جهنم، حَتَّى أُطْلَقَ عَلَيْهِمْ هَذَا الْإِسْمُ، وَأَيْسَ مِنْ خُرُوجِهِمْ، فَيَخْرُجُونَ بِشَفَاعَتِهِ ﷺ" (٥).

وقال الصنعاني: "تسميتهم بذلك نسبة إلى جهنم، وكان هذا الاسم يكون مدحًا لهم، حيث أخرجوا من عذاب الله، وقد ثبت أنه يخرج الله أقوامًا منها لا بشفاعه، وأنهم يسمون عتقاء الله، وكان هذا الاسم يختص بمن يشفع لهم المصطفى ﷺ بالإخراج منها" (٦). وقد أخرج الترمذي (٧)، وأبو داود (٨)، وأحمد (٩)، وابن حبان (١٠)، والبخاري (١١)،

(١) صحيح البخاري (١١٦/٨)، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، حديث ٦٥٦٥، وصحيح مسلم (١٨٠/١)، كتاب الإيمان، باب أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا، حديث ١٩٣.

(٢) أَبُو نُجَيْدٍ، عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنِ بْنِ عُبَيْدِ الْحُرَاعِيِّ، أَسْلَمَ عَامَ خَيْبَرَ، وَكَانَ مِنْ فَضَلَاءِ الصَّحَابَةِ وَفَقِهَائِهِمْ، وَهُوَ وَأَبُوهُ أَفْضَلُ مَنْ سَكَنَ الْبَصْرَةَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَاتَ بِهَا سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَخَمْسِينَ فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. (الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١٢٠٨/٣، والإصابة في تمييز الصحابة ٥٨٦/٤).

(٣) صحيح البخاري (١١٦/٨)، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، حديث ٦٥٦٦.

(٤) الكاشف عن حقائق السنن (٣٥٣٨/١١).

(٥) التيسير بشرح الجامع الصغير، للمناوي (٣١٨/٢).

(٦) التنوير شرح الجامع الصغير (٢١٤/٩).

(٧) جامع الترمذي (٢٠٣/٤)، كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، باب من الشفاعة، حديث ٢٤٣٥.

(٨) سنن أبي داود (١١٩/٧)، كتاب السنة، باب الشفاعة، حديث ٤٧٣٩.

(٩) مسند أحمد (٤٣٩/٢٠)، حديث ١٣٢٢٢.

(١٠) صحيح ابن حبان (٣٨٧/١٤)، حديث ٦٤٦٨.

(١١) مسند البزار (٣٤٠/١٣)، حديث ٦٩٦٣.

وابن أبي عاصم^(١)، والطبراني^(٢)، والحاكم^(٣)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي"^(٤).

قال الطيبي في معنى الحديث: "إِنَّ شَفَاعَتِي الَّتِي تَنْجِي الْمَالِكِينَ؛ مَخْتَصَةٌ بِأَهْلِ الْكِبَائِرِ"^(٥).
وأخرج أحمد^(٦)، وابن أبي عاصم^(٧)، والطبراني^(٨)، من حديث ابنِ عُمَرَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "خِيَرْتُ بَيْنَ الشَّفَاعَةِ، وَبَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ، لِأَنَّهَا أَعْمُ وَأَكْفَى، أَتْرُونَهَا لِلْمُتَّقِينَ؟ لَا، وَلَكِنَّهَا لِلْمُذْنِبِينَ، الْخَطَّائِينَ الْمُتَلَوِّثِينَ"^(٩).

قال ابن خزيمة: "أراد بهذه الشفاعة لمن قد أدخل النار من المؤمنين، بذنوب وخطايا، قد ارتكبوها، لم يغفرها الله لهم في الدنيا، فيخرجوا من النار بشفاعته ﷺ، فالمعنى: شفاعتي لأهل الكبائر، أي من ارتكب من الذنوب الكبائر، فأدخلوا النار بالكبائر، وهي شفاعة غير الشفاعة العظمى التي قد عمت جميع الخلق، فخلصهم بها من كرب الموقف، فكان سبباً بتعجيل حسابهم"^(١٠).

وقال الطبري: "إن الأخبار المروية عن رسول الله ﷺ متظاهرةً بنقل من يمتنع في نقله

(١) السنة لابن أبي عاصم (٣٩٩/٢)، حديث ٨٣١.

(٢) المعجم الكبير للطبراني (٢٥٨/١)، حديث ٧٤٩.

(٣) المستدرک علی الصحیحین (٦٩/١)، حديث ٢٢٨.

(٤) قال الترمذي: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ"، قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ"، ووافقه الذهبي. (جامع الترمذي ٤/٢٠٣، حديث ٢٤٣٥، المستدرک للحاكم، مع التلخيص للذهبي ٦٩/١، حديث ٢٢٨).

(٥) الكاشف عن حقائق السنن (٣٥٤٦/١١).

(٦) مسند أحمد (٣٢٧/٩)، حديث ٥٤٥٢.

(٧) السنة (٣٦٨/٢)، حديث ٧٩١.

(٨) المعجم الكبير (١٩١/١٣)، حديث ١٣٩٠٠.

(٩) قال البوصيري: "هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ"، وقال الهيثمي: "رواه أحمد والطبراني، ورجال الطبراني رجال الصحيح غير النعمان بن قراد وهو ثقة، وقال المنذري، وابن حجر الهيتمي: "إسناده جيد". (مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، للبوصيري ٤/٢٦٠، ومجمع الزوائد، للهيتمي ١٠/٦٨٦، والترغيب والترهيب، للمنذري ٤/٢٤٢، والزواجر عن اقتراف الكبائر، لابن حجر الهيتمي ٢/٤١٥).

(١٠) التوحيد لابن خزيمة (٢/٦٥٦).

الخطأ والسهو والكذب، ويوجب نقله العلم، أنه ذكر أن الله ﷻ يخرج من النار قومًا بعد ما امتحشوا" (١).

وقال ابن عبد البر: "وهذا الأصل - أي ما ورد في الأحاديث في الشفاعة لأهل الكبائر - الذي ينازعنا فيه أهل البدع، وقد عوّل أهل العلم والسنة والحقّ عليها، والحمد لله الموقّق لهم إلى الصواب" (٢).

وقال أبو عبد الله الحاكم: "إنّ هذه الشفاعة فيها قمع المبتدعة المفرقة بين الشفاعة لأهل الصغائر والكبائر" (٣).

وقال البيهقي: "هذا يوجب أن تكون الشفاعة لأهل الكبائر يختص بها رسول الله ﷺ دون الملائكة، إنما يشفعون في الصغائر أو في استزادة الدرجات، وقد يكون القصد منه بيان كون المشفوع له مرتض بإيمانه، وإن كانت له كبائر الذنوب دون الشرك" (٤).

وقال ابن تيمية: "أجمع المسلمون على أن النبي ﷺ يشفع للخلق يوم القيامة، بعد أن يسأله الناس ذلك، وبعد أن يأذن الله له في الشفاعة، ثم إن أهل السنة والجماعة متفقون على ما اتفق عليه الصحابة ﷺ، واستفاضت به السنن من أنه ﷺ يشفع لأهل الكبائر من أمته، ويشفع أيضًا لعموم الخلق" (٥).

سابعًا: شفاعته ﷺ في أقوام قد أمر بهم إلى النار أن لا يدخلوها:

الدليل على هذه الشفاعة ما رواه ابن أبي الدنيا (٦)، من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "أمر بقوم من أمّتي قد أمر بهم إلى النار، فيقولون: يا محمد: ننشدك الشفاعة،

(١) التبصير في معالم الدين، ص ١٨٤-١٨٥.

(٢) انظر: الاستذكار (٥٢١/٢).

(٣) المستدرک على الصحيحين (٦٩/١).

(٤) البعث والنشور، للبيهقي، ص ٥٥.

(٥) مجموع الفتاوى (٣١٣/١).

(٦) لم أجده في كتب ابن أبي الدنيا، ووجدت ابن كثير قد نقله عن ابن أبي الدنيا بسنده. (انظر: النهاية في الفتن والملاحم، لابن كثير ٢/٢٠٥-٢٠٦).

قَالَ: فَأَمْرُ الْمَلَائِكَةِ أَنْ يَنْفُخُوا فِيهِمْ، قَالَ: فَأَنْطَلِقُ وَأَسْتَأْذِنُ عَلَى الرَّبِّ ﷻ، فَيُؤْذَنُ لِي، فَأَسْجُدُ، وَأَقُولُ: رَبِّ، قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي قَدْ أَمَرْتَهُمْ إِلَى النَّارِ، قَالَ: فَيَقُولُ: أَنْطَلِقْ فَأَخْرَجَ مِنْ شَاءِ اللَّهِ أَنْ تَخْرُجَ، ثُمَّ يُنَادِي الْبَاقُونَ يَا مُحَمَّدُ: نَنْشُدُكَ الشَّفَاعَةَ، فَأَرْجِعْ إِلَى الرَّبِّ، فَأَسْتَأْذِنُ، فَيُؤْذَنُ لِي، فَأَسْجُدُ، فَيَقُولُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تَعْطُ، وَاشْفَعْ تَشْفَعُ، فَأَقُولُ فَأَتْنِي عَلَى اللَّهِ بِشَاءِ لَمْ يَشَأْ عَلَيْهِ أَحَدٌ، ثُمَّ أَقُولُ: قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي قَدْ أَمَرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، فَيَقُولُ: أَنْطَلِقْ فَأَخْرَجَ مِنْهُمْ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَأَقُولُ: وَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ، قَالَ: فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ لَيْسَتْ تِلْكَ لَكَ، تِلْكَ لِي، قَالَ: فَأَنْطَلِقُ فَأَخْرَجَ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ أُخْرَجَ، قَالَ: وَبَقِيَ قَوْمٌ فَيَدْخُلُونَ النَّارَ، فَيُعِيرُهُمْ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُونَ بِهِ، وَقَدْ أَدْخَلَكُمْ إِلَى النَّارِ، قَالَ: فَيَحْزَنُونَ لِذَلِكَ، قَالَ: فَيَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا بِكَفٍّ مِنْ مَاءٍ، فَيَنْضَحُ بِهَا فِي النَّارِ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِلَّا وَقَعَتْ فِي وَجْهِهِ قَطْرَةٌ قَالَ: فَيَعْرِفُونَ بِهَا، وَيَعْبُطُهُمْ أَهْلُ النَّارِ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَنْطَلِقُوا، فَيُضِيفُونَ النَّاسَ، فَلَوْ أَنَّ جَمِيعَهُمْ نَزَلُوا بِرَجُلٍ وَاحِدٍ، كَانَ لَهُمْ عِنْدَهُ سَعَةٌ، وَيُسَمُّونَ الْمَجْرِدِينَ" (١).

(١) أولاً: سند الحديث: قال ابن أبي الدنيا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ بْنِ عَمِيرٍ بْنِ أَبِي كَرِيمَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلْمَةَ - يَعْنِي الْحَرَّانِيَّ -، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحِيمِ - هُوَ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ الْحَرَّانِيَّ -، حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ أَبِي أَنَيْسَةَ، عَنِ الْمُنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ... الحديث.

ثانياً: تخريج الحديث: تفرد به ابن أبي الدنيا بهذا اللفظ.

ثالثاً: دراسة رجال الإسناد:

- الْمُنْهَالُ بْنُ عَمْرٍو، أَبُو عَمْرٍو الْأَسَدِيُّ مَوْلَاهُمُ الْكُوَيْتِيُّ، مِنْ صِغَارِ التَّابِعِينَ.

وثقه ابن معين، والنسائي، والعجلي، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال الدارقطني: صدوق، وقال ابن حجر: صدوق ربما وهم.

قلت: وقد ذمه بعض أهل العلم وضعفه من جهة أنه سُمع من داره صوت غناء، منهم: شعبة، ويحيى القطان، وابن حزم، والجوزجاني.

قال وهب بن جرير عن شعبة: أتيت منزل منهل بن عمرو فسمعت منه صوت الطنبور، فرجعت ولم أسأله، قلت: فهلا سألته عسى كان لا يعلم.

وقد رد ذلك أبو الحسن بن القطان، وابن حجر، قال ابن القطان: ليس على المنهال حرج، وذكر حكايته المتقدمة، وقال: فإن هذا ليس يجرح إلا إن تجاوز إلى حد تحريم، ولم يصح ذلك عنه، وجرحه بهذا تعسف ظاهر، وقد وثقه ابن معين، والعجلي، وغيرهما.

وقال ابن حجر: راوي الحكاية فيه نظر .

قال ابن كثير: "وهذا السياق يقتضي تعدد الشفاعة، فيمن أمر بهم إلى النار ثلاث مرات أن لا يدخلوها، ويكون معنى قوله: فأخرج: أَنْقَذَ، بدليل قوله بعد ذلك: "وَبَقِيَ قَوْمٌ فَيَدْخُلُونَ النَّارَ"، والله تعالى أعلم"^(١).

ثامناً: الشفاعة في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم بأن يدخلوا الجنة:

ذكر هذا النوع ابن كثير، حيث قال: "شفاعته ﷺ في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم ليدخلوا الجنة"^(٢).

واستدل ابن حجر له؛ بقول ابن عباس رضي الله عنهما: "السابق يدخل الجنة بغير حساب، والمقتصد برحمة الله، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلونها بشفاعة النبي ﷺ"^(٣).
وأصحاب الأعراف: هم قوم قد استوت حسناتهم وسيئاتهم، قاله جمع من المفسرين^(٤).

تاسعاً: ما المواطن التي تُرجى عندها شفاعة النبي ﷺ أكثر من غيرها؟

الجواب؛ هي التي أخبر عنها النبي ﷺ؛ فقد أخرج الترمذي^(٥)، وأحمد^(٦)،

= (العلل ومعرفة الرجال لأحمد - رواية ابنه عبد الله ٤٢٧/١، والجرح والتعديل، لابن أبي حاتم ٣٥٧/٨، وتاريخ ابن معين - رواية الدوري ٤٠٧/٣، وتاريخ ابن معين - رواية ابن محرز ٩٨/١، والثقات، للعجلي ٣٠٠/٢، والضعفاء الكبير، للعقيلي، ٢٣٦/٤، وأحوال الرجال، للجوزجاني، ص ٧٣، والمحلى بالآثار، لابن حزم ٤٢/١، وتهذيب الكمال، للمزي ٥٧١/٢٨، وتهذيب التهذيب، لابن حجر ٣٢١/١٠، وتقريب التهذيب، ص ٥٤٧).

قلت: الراوي ثقة، وذممه من حيث إنه سمع من بيته صوت غناء، فيه تعسف، حيث إنه لم يثبت ذلك عنه.

- باقي رجال الإسناد ثقات.

رابعاً: الحكم على الإسناد: إسناده صحيح، رواه ثقات.

(١) النهاية في الفتن والملاحم (٢٠٦/٢).

(٢) المرجع نفسه (٢٠٤/٢).

(٣) فتح الباري (٤٢٨/١١).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٤٥٢/١٢ - ٤٥٧).

(٥) جامع الترمذي (١٩٩/٤)، كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي شَأْنِ الصَّرَاطِ، حديث ٢٤٣٣.

(٦) مسند أحمد (٢١٠/٢٠)، حديث ١٢٨٢٥.

والكلاباذي^(١)، واللالكائي^(٢)، والضياء المقدسي^(٣)، والذهبي^(٤)، عَنِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَأَلْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ، أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ: "أَنَا فَاعِلٌ"، قَالَ: فَأَيَّنَ أَطْلُبُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟، قَالَ: "أَطْلُبُنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ"، قَالَ: قُلْتُ: فَإِذَا لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ؟، قَالَ: "فَأَنَا عِنْدَ الْمِيزَانِ"، قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ؟، قَالَ: "فَأَنَا عِنْدَ الْحَوْضِ، لَا أُحْطِي هَذِهِ الثَّلَاثَ مَوَاطِنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"^(٥).

فمن ذلك يتبين لي أَنَّ النبي ﷺ سيقف عند ثلاثة مواطن ليشفع لأمته، وهي: عند الصِّرَاطِ، وعند الحوض، وعند الميزان.



(١) بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخبار، ص ٣٠٤.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٦/١٢٥١)، حديث ٢٢٢٠.

(٣) الأحاديث المختارة (٧/٢٤٦)، حديث ٢٦٩١.

(٤) إثبات الشفاعة، للذهبي، ص ٢٧، حديث ٨.

(٥) قال الترمذي: "حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ"، وَأَقْرَبُهُ ابْنُ حَجْرٍ، وَقَالَ الْذَّهَبِيُّ: "إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ"، وَقَدْ جَوَّدَ إِسْنَادَهُ الضِّيَاءُ الْمَقْدِسِيُّ، وَقَالَ: "قَدْ رَوَى مُسْلِمٌ حَدِيثًا بِهَذَا الطَّرِيقِ". (جامع الترمذي ٤/١٩٩، حديث ٢٤٣٣، وهداية الرواة، لابن حجر ٥/١٩٣، وإثبات الشفاعة، للذهبي، ص ٢٧، حديث ٨، والأحاديث المختارة، للضياء المقدسي ٧/٢٤٦، حديث ٢٦٩١).

المطلب الثالث: أنواع الشفعاء غير النبي ﷺ

إنَّ أمر الشفاعة يوم القيامة ليس مقتصرًا على نبينا ﷺ، وإن كانت شفاعته أعظم الشفاعات؛ لأنه أكرم الخلق على الله ﷻ، فإنَّ من رحمة الله ﷻ بعباده أنه وسَّع دائرة الشفاعة إلى غيره من الأنبياء والصدّيقين والشهداء والصالحين، لتشمل عددًا كبيرًا من خلقه، وفي ذلك يقول السفاريني: "يجب أن يعتقد أن غير النبي ﷺ؛ من سائر الرسل، والأنبياء، والملائكة، والصحابة، والشهداء، والصدّيقين، والأولياء على اختلاف مراتبهم ومقاماتهم عند ربهم يشفعون، ويقدر جاههم ووجاهتهم يشفعون؛ لثبوت الأخبار بذلك وترادف الآثار على ذلك، وهو أمر جائز غير مستحيل، فيجب تصديقه والقول بموجبه لثبوت الدليل"^(١).

أولاً: شفاعة الملائكة ﷺ:

والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾^(٢).

وفي الصحيحين، - واللفظ لمسلم - من حديث أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: "يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ..."^(٣) الحديث.

ثانياً: شفاعة الأنبياء ﷺ:

والدليل على هذه الشفاعة، الحديث السابق، فإنه قد قال فيه: "وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ"، ومنها: ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث عن جابرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا مُيزَ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ، فَدَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، قَامَتِ الرُّسُلُ فَشَفَعُوا،

(١) لوامع الأنوار البهية (٢/٢٠٩).

(٢) سورة النجم: الآية ٢٦.

(٣) سبق تخريجه، ص ٢٩٩.

فَيَقُولُ: انْطَلِقُوا - أَوْ اذْهَبُوا - فَمَنْ عَرَفْتُمْ، فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدْ امْتَحَشُوا^(١)، فَيَلْقَوْنَهُمْ فِي نَهْرٍ - أَوْ عَلَى نَهْرٍ - يُقَالُ لَهُ: الْحَيَاةُ^(٢).

(١) أي: اخترقوا، والمَحَش: اختراق الجلد وظهور العظم. (النهاية في غريب الحديث والأثر، "مَحَش"، ٣٠٢/٤).

(٢) مسند أحمد (٣٧٤/٢٢)، حديث ١٤٤٩١.

أولاً: سند الحديث: قال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ - وهو: هاشم بن القاسم -، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ - هو: أبو خيشمة زهير ابن سلمة -، حَدَّثَنَا أَبُو الزُّبَيْرِ - هو: محمد بن مسلم بن تدرس -، عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه... الحديث.

ثانياً: تخريج الحديث: أخرجه أحمد في مسنده (٢٩٠/٢٣)، حديث (١٥٠٤٨)، من طريق الحسين بن واقد الليثي عن أبي الزبير به، مختصراً.

وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٤٠٩/١)، حديث (١٨٣)، من طريق أبي خيشمة به، بنحوه.

ثالثاً: دراسة رجال الإسناد:

- أبو الزبير المكي: هو محمد بن مسلم بن تَدْرُسِ الأَسَدِيِّ، مولاهم، ت ١٢٦هـ.

وثقه ابن سعد، وابن المديني، وابن معين، والعجلي، والنسائي، وقال أحمد: "ليس به بأس"، وقال في رواية ابن هانئ: "هو حُجَّةٌ أَحْتَجُّ بِهِ"، وذكره ابن حبان، وابن شاهين في ثقاهما.

وقال الذهبي: "ثقة"، وقال ابن حجر: "صدوق، إلا أنه يدلّس".

أما أبو حاتم فضعفه فقال: "يُكْتَبُ حَدِيثُهُ، وَلَا يُحْتَجُّ بِهِ"، وسأل ابن أبي حاتم أبا زرعة عنه فقال: "يُحْتَجُّ بِحَدِيثِهِ؟ قال: إنما يُحْتَجُّ بِحَدِيثِ الثَّقَاتِ".

أما شعبة، فقد ترك حديثه، وذكر لذلك أسباباً ثلاثة، الأول: أنه لا يحسن يصلي، والثاني: أنه رأى يزن ويسترحج في الميزان، والثالث: أن رجلاً أغضبه فافتري عليه، وهو حاضر.

وأجاب على ذلك ابن حبان فقال: "لم يُنْصَفْ من قَدَحٍ فِيهِ؛ لِأَنَّ مَنْ اسْتَرْحَجَ فِي الْوِزْنِ لِنَفْسِهِ، لَمْ يَسْتَحِقِ التَّرْكَ مِنْ أَجْلِهِ" وقال ابن رجب: "لم يذكر -يعني شعبة- عليه كذباً ولا سوء حفظ".

وقال ابن عدي: "وَرَوَى مَالِكٌ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ أَحَادِيثَ، وَكَفَى بِأبي الزُّبَيْرِ صِدْقًا أَنْ يُحَدِّثَ عَنْهُ مَالِكٌ، فَإِنَّ مَالِكًا لَا يَرُوي إِلَّا عَنْ ثِقَةٍ، وَلَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ الثَّقَاتِ تَخَلَّفَ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ إِلَّا قَدْ كَتَبَ عَنْهُ، وَهُوَ فِي نَفْسِهِ ثِقَةٌ، إِلَّا أَنْ يَرُوي عَنْهُ بَعْضُ الضَّعْفَاءِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ مِنْ جِهَةِ الضَّعِيفِ، وَلَا يَكُونُ مِنْ قِبَلِهِ، وَأَبُو الزُّبَيْرِ يَرُوي أَحَادِيثَ صَالِحَةً، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ أَحَدٌ، وَهُوَ صَدُوقٌ، وَثِقَةٌ، لَا بِأَسْ بِهِ".

(الطبقات الكبرى، لابن سعد ٤٨١/٥، وسؤالات ابن أبي شيبه، لعلي بن المديني ص ٨٧، وتاريخ ابن معين - رواية الدارمي - ص ١٩٧. ٢٠٣، ومعرفة الثقات، للعجلي ٢/٢٥٣، وتهذيب الكمال، للمزي ٢٦/٤٠٩، والعلل ومعرفة الرجال، لأحمد بن حنبل ٢/٤٨٠، وشرح علل الترمذي، لابن رجب ٢/٥٧١-٥٧٣، والثقات، لابن حبان ٣٥١/٥-٣٥٢، وتاريخ أسماء الثقات، لابن شاهين ص ١٩٨، والكاشف، للذهبي ٢/٢١٦، وتقريب التهذيب، لابن حجر ص ٨٩٥، والجرح والتعديل، لابن أبي حاتم ١/١٥١، ٧٦/٨، والضعفاء الكبير، للعقيلي ٤/١٢٨٤-١٢٨٤، والكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي ٦/١٢٥).

ثالثاً: شفاعة المؤمنين:

الدليل على هذه الشفاعة حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه - السابق -، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يَقُولُ اللَّهُ عز وجل: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ..."^(١) الحديث.

فقد ذكر في الحديث أن المؤمنين من بين هؤلاء الشفعاء، في قوله: "وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ". وأخرج الترمذي^(٢) - واللفظ له -، وأحمد^(٣)، وابن خزيمة^(٤)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قَالَ: "إِنَّ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَشْفَعُ لِلْفِتَامِ مِنَ النَّاسِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلْقَبِيلَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلْعَصْبَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلرَّجُلِ حَتَّى يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ"^(٥). قوله: "إِنَّ مِنْ أُمَّتِي": أي: بعض أفرادهم، من العلماء والشهداء والصلحاء، "وَالْفِتَامِ": هو الجماعة من الناس، والأظهر أن يقال هاهنا: معناه القبائل^(٦). وقوله: "حَتَّى يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ": يحتمل أن يكون غاية يشفع، والضمير لجميع الأمة،

= قلت: خلاصة القول فيه أنه ثقة، إلا أنه يدلّس، قال الليث بن سعد: "قدمت مكة، فجمعت أبا الزبير، فدفعت إليّ كتابين، وانقلبت بهما، ثم قلت في نفسي: لو عاودته؟، فسألته: أسمع هذا كله من جابر؟ فقال: منه ما سمعت، ومنه ما حدثناه عنه. فقلت له: أعلم لي على ما سمعت. فأعلم لي على هذا الذي عندي". قال العلائي: "ولهذا توقف جماعة من الأئمة عن الاحتجاج بما لم يروه الليث، عن أبي الزبير، عن جابر"، وذكره ابن حجر في الثالثة من طبقات المدلسين، التي لا يُقبل حديث أصحابها إلا إذا صرحوا بالسماع، وقد صرح بالسماع في هذا الحديث كما في رواية أخرى لأحمد، فانتفت عنه علة التدليس. (الضعفاء الكبير، للعقيلي ١٢٨٧/٤، وجامع التحصيل، للعلائي ص ١١٠، وطبقات المدلسين، لابن حجر ص ٤٥، ومسند أحمد ٢٣/٢٩٠، حديث ١٥٠٤٨).

- باقي رجال الإسناد ثقات.

رابعاً: الحكم على الحديث: إسناده صحيح.

(١) سبق تخرجه، ص ٢٩٩.

(٢) جامع الترمذي (٢٠٦/٤)، كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، حديث ٢٤٤٠.

(٣) مسند أحمد (٢٣٦/١٧)، حديث ١١١٤٨.

(٤) التوحيد، لابن خزيمة (٢/٦٣٦).

(٥) قال الترمذي: "هذا إسناده حسن". (جامع الترمذي ٢٠٦/٤، حديث ٢٤٤٠).

(٦) مرقاة المفاتيح، للقاري (٨/٣٥٦٩).

أي تنتهي شفاعتهم إلى أن يدخلوا جميعهم في الجنة" (١).

وأخرج الترمذي (٢)، وابن ماجه (٣)، وأحمد (٤)، والدارمي (٥)، والطيالسي (٦)، وابن أبي شيبة (٧)، وأبو يعلى (٨)، وابن خزيمة (٩)، وابن حبان (١٠)، والحاكم (١١)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْجَدْعَاءِ (١٢)، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: "لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَكْثَرُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ"، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، سِوَاكَ؟، قَالَ: "سِوَايَ سِوَايَ" (١٣).

وله شاهد عن أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ﷺ، أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٤)، وَالطَّبْرَانِيُّ (١٥)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ لَيْسَ بِبَنِيٍّ مِثْلُ الْحَيَّيْنِ، أَوْ مِثْلُ أَحَدِ الْحَيَّيْنِ؛ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ" (١٦).

(١) الكاشف عن حقائق السنن، للطبي (٣٥٤٦/١١).

(٢) جامع الترمذي (٢٠٥/٤)، كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، باب منه، حديث ٢٤٣٨.

(٣) سنن ابن ماجه (٣٦٩/٥)، كتاب الزهد، بابُ ذِكْرِ الشَّفَاعَةِ، حديث ٤٣١٦.

(٤) مسند أحمد (١٨٩/٢٥)، حديث ١٥٨٥٨.

(٥) سنن الدارمي، ص ٦٧٣، حديث ٣٠١٥.

(٦) مسند أبي داود الطيالسي (١٨١/١)، حديث ١٢٨٣.

(٧) مسند ابن أبي شيبة (٦٧/٢)، حديث ٥٧١.

(٨) مسند أبي يعلى الموصلي (٢٨٠/١٢)، حديث ٦٨٦٦.

(٩) التوحيد، لابن خزيمة (٧٤٠/٢).

(١٠) صحيح ابن حبان (٣٧٦/١٦)، حديث ٧٣٧٦.

(١١) المستدرک للحاكم (٧٠/١)، حديث ٢٣٧.

(١٢) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْجَدْعَاءِ التَّمِيمِي، وَيُقَالُ: الْكِنَانِي، وَيُقَالُ: الْعَبْدِيُّ، لَهُ صُحْبَةٌ، وَقِيلَ: إِنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْحَمْسَاءِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ غَيْرُهُ. (الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٨٨٠/٣، والإصابة في تمييز الصحابة ٣٣/٤).

(١٣) قال الترمذي: "حديث حسن صحيح غريب"، وقال الحاكم: "صحيح الإسناد"، ووافقه الذهبي، وصححه المناوي. (جامع الترمذي ٢٠٥/٤، حديث ٢٤٣٨، والمستدرک للحاكم، مع التلخيص للذهبي ٧٠/١، حديث ٢٣٧، والتيسير بشرح الجامع الصغير، للمناوي ٣١٨/٢).

(١٤) مسند أحمد (٥٤٧/٣٦)، حديث ٢٢٢١٥.

(١٥) المعجم الكبير (١٤٣/٨)، حديث ٧٦٣٨.

(١٦) قال المنذري: "إسناده جيد"، وقال الهيثمي: "رواه أحمد والطبراني، ورجاله رجال الصحيح، غير عبد الرحمن بن مسيرة، وهو ثقة"، وقال العراقي، والسيوطي: "إسناده حسن"، وقال البوصيري: "رواه ثقات". =

فالمؤمنون يشفعون يوم القيامة، وكلّما كان المؤمن أكثر إيماناً كان أحرى بالشفاعة لإخوانه المؤمنين، ولذلك يقول الحسن البصري: "اسْتَكْبَرُوا مِنَ الْأَصْدِقَاءِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ لَهُمْ شَفَاعَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ"^(١).

وقال الإمام الشافعي^(٢):

أحبُّ الصّالحين ولسْتُ منهم لعلِّي أنالَ بهم شفاعَةَ
وأكرهُ من تجارته المعاصي ولو كنّا سواً في البضاعة

أسأل الله أن يرزقنا الشفاعة، والإخلاص في القول والعمل، ومن الإيمان ما هو أكمل.

رابعاً: شفاعة الشهداء:

دليل ذلك حديث المقدم بن معدي كرب، قال: قال النبي ﷺ: "لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ..."، وذكر منها: "وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ". الحديث^(٣).

وأخرج أبو داود^(٤)، والبيهقي^(٥)، والبخاري^(٦)، وأبو بكر الأجري^(٧)، من حديث نمران بن عتبة الدماري^(٨)، قال: دَخَلْنَا عَلَى أُمِّ الدَّرْدَاءِ^(٩) وَنَحْنُ أَيْتَامٌ صِغَارٌ، فَمَسَحَتْ رُؤُوسَنَا، وَقَالَتْ: أَبْشِرُوا بَنِيَّ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا فِي شَفَاعَةِ أَبِيكُمْ رَحِمَهُ اللَّهُ، إِنِّي سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه يَقُولُ:

= (الترغيب والترهيب، للمنذري ٢٤١/٤، مجمع الزوائد، للهيتمي ٦٩٣/١٠، المغني عن حمل الأسفار، للعراقي، ص ١٩١٥، الحاوي للفتاوي، للسيوطي ٣٦٠/١، إتحاف الخيرة المهرة، للبوصيري ١٩٩/٨).

(١) انظر: تفسير البغوي (٤٧٣/٣).

(٢) ديوان الشافعي، ص ٩٠.

(٣) سبق تخريجه، ص ٢٢١.

(٤) سنن أبي داود (١٧٦/٤)، كتاب الجهاد، باب في الشهيد يشفع، حديث ٢٥٢٢.

(٥) السنن الكبرى (٢٧٧/٩)، حديث ١٨٥٢٧.

(٦) مسند البزار (٢٥/١٠)، حديث ٤٠٨٥.

(٧) الشريعة (١٢٤٤/٣)، حديث ٨١٣.

(٨) نمران بن عتبة الدماري، مقبول من السادسة. (تقريب التهذيب، ص ٥٦٦).

(٩) أم الدرداء الصغرى: هجيمة، أو هجيمة الأوصائية الدمشقية، ثقة فقيهة، ت ٨١هـ. (المرجع نفسه، ص ٧٥٦).

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يُشَفَّعُ الشَّهِيدُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ"^(١).

قال الصنعاني: "يؤذن له في هذا القدر من آله، ويُحتمل أن له شفاعاة أخرى في قوم آخرين، ويُحتمل أن هذا العدد ليس حصراً بل مبالغة"^(٢).

خامساً: شفاعاة أولاد المؤمنين لأبائهم:

أخرج مسلمٌ في صحيحه من حديث أبي حَسَّانَ^(٣)، قَالَ: قُلْتُ: لِأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّهُ قَدْ مَاتَ لِي ابْنَانِ، فَمَا أَنْتَ مُحَدِّثِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِحَدِيثٍ تُطَيِّبُ بِهِ أَنْفُسَنَا عَنْ مَوْتَانَا؟ قَالَ: نَعَمْ، صِغَارُهُمْ دَعَامِيصُ^(٤) الْجَنَّةِ، يَتَلَقَى أَحَدَهُمْ أَبَاهُ، أَوْ قَالَ: أَبَوَيْهِ، فَيَأْخُذُ بِخَوْبِهِ، أَوْ قَالَ: بِيَدِهِ، كَمَا آخُذُ أَنَا بِصَنْفَةِ^(٥) ثَوْبِكَ هَذَا، فَلَا يَتَنَاهَى، أَوْ قَالَ: فَلَا يَنْتَهِي، حَتَّى يَدْخُلَهُ اللَّهُ وَأَبَاهُ الْجَنَّةَ"^(٦).

قال الطيبي: "الدمعوص الدخال في الأمور، أي أنهم سيأحون في الجنة، دخالون في منازلها، لا يُمنعون من موضع، كما أن الصبيان في الدنيا لا يُمنعون من الدخول على المحرم، ولا يُحتجب منهم"^(٧).

وأخرج البخاريُّ من حديثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "مَا مِنْ نَاسٍ مِنْ مُسْلِمٍ يُتَوَفَّى لَهُ ثَلَاثٌ، لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْتَ"^(٨)، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِبَائِهِمْ"^(٩).

(١) قال الصنعاني: رمز السيوطي لتحسينه. (التنوير شرح الجامع الصغير، للصنعاني ٢٠١/١١).

قلت: ويشهد له الحديث السابق.

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير (٢٠١/١١).

(٣) خَالِدُ بْنُ غَلَاقِ الْقَيْسِيُّ، وَيُقَالُ: الْعَيْشِيُّ، أَبُو حَسَّانَ الْبَصْرِيُّ، مقبول، من الثالثة. (تقريب التهذيب، ص ١٩٠).

(٤) دُعْمُوصٌ: أَي صِغَارُ أَهْلِهَا، وَأَصْلُ الدُّعْمُوصِ دُوَيْبَةُ، تَكُونُ فِي الْمَاءِ لَا تُفَارِقُهُ، أَي: أَنَّ هَذَا الصَّغِيرَ فِي الْجَنَّةِ لَا يُفَارِقُهَا. (شرح النووي على مسلم ١٨٢/١٦).

(٥) بِصَنْفَةِ ثَوْبِكَ: هُوَ طَرَفُهُ، وَيُقَالُ لَهَا أَيضًا: صَنْفَةٌ. (المرجع نفسه ١٨٢/١٦).

(٦) صحيح مسلم (٢٠٢٩/٤)، كِتَابُ الرِّبِّ وَالصَّلَاةِ وَالْأَدَابِ، بَابُ فَضْلِ مَنْ يَمُوتُ لَهُ وَكَذَلِكَ فَحَسَبَهُ، حديث ٢٦٣٥.

(٧) الكاشف عن حقائق السنن (١٤٣٠/٤).

(٨) أي: لم تجرى عليهم الأقلام بالأعمال، والحنث: الذنب العظيم. (شرح صحيح البخاري، لابن بطال ٣٦٨/٣).

(٩) صحيح البخاري (٧٣/٢)، كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ فَضْلِ مَنْ مَاتَ لَهُ وَكَذَلِكَ فَحَسَبَهُ، حديث ١٢٤٨.

قوله: "بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ"، أي: بفضل رحمة الله للأولاد، وقيل: إنَّ الضمير في رحمته للأب؛ لكونه كان يرحمهم في الدنيا، فيجازى بالرحمة في الآخرة، والأول أولى، وخصَّ الصغيرُ بذلك؛ لأنَّ الشفقةَ عليه أعظمُ، والحبُّ له أشدُّ، والرحمةُ له أوفرُ"^(١).

وعند النسائي^(٢)، وأحمد^(٣)، وأبي يعلى^(٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ لَهَا ثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ لَمْ يَبْلُغُوا الْجَنَّةَ، إِلَّا أَدْخَلَهُمَا اللَّهُ وَإِيَّاهُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ الْجَنَّةَ، يُقَالُ لَهُمْ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُونَ: حَتَّى يَجِيءَ أَبَوَانَا، فَيَقُولُونَ مِثْلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَبَوَاكُمْ"^(٥).

فقوله: "ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَبَوَاكُمْ": بشارة بالشفاعة بفضل هؤلاء الأبناء، بشرط

الصبر عند وقوع المصيبة.

وأخرج أحمد^(٦)، وابن حبان^(٧)، والحاكم^(٨)، مِنْ حَدِيثِ قُرَّةَ بِنِ إِيَّاسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ، وَمَعَهُ ابْنٌ لَهُ، فَقَالَ لَهُ: النَّبِيُّ ﷺ: "أَتُحِبُّهُ؟"، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَحَبُّكَ اللَّهُ كَمَا أُحِبُّهُ، فَفَقَدَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: "مَا فَعَلَ ابْنُ فَلَانٍ؟"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَاتَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَيِّهِ: "أَمَا تُحِبُّ أَنْ لَا تَأْتِيَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، إِلَّا وَجَدْتَهُ يَنْتَظِرُكَ؟"، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَهُ خَاصَّةٌ، أَمْ لِكُلِّنَا؟ قَالَ: "بَلْ لِكُلِّكُمْ"^(٩).

(١) فتح الباري، لابن حجر (٣/١٢٠-١٢١).

(٢) سنن النسائي (٤/٢٥)، كتاب الجنائز، باب مَنْ يُتَوَفَّى لَهُ ثَلَاثَةٌ، حديث ١٨٧٦.

(٣) مسند أحمد (١٦/٣٦٤)، حديث ١٠٦٢٢.

(٤) مسند أبي يعلى الموصلي (١٠/٤٦٤)، حديث ٦٠٧٩.

(٥) صححه ابن حجر. (فتح الباري، لابن حجر ٣/١٢١).

(٦) مسند أحمد (٢٤/٣٦١)، حديث ١٥٥٩٥.

(٧) صحيح ابن حبان (٧/٢٠٩)، حديث ٢٩٤٧.

(٨) المستدرک علی الصحیحین (١/٣٨٤)، حديث ١٤١٧.

(٩) قُرَّةُ بِنْتُ إِيَّاسِ بْنِ هَلَالِ الْمُزَيَّنِيِّ، أَبُو مُعَاوِيَةَ، مِنَ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ، ت ٦٤هـ. (الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣/١٢٨، والإصابة في تمييز الصحابة ٥/٣٣٠).

(١٠) صححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وصححه ابن حجر، وقال المنذري، والهيثمي: "رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح". (المستدرک للحاکم، مع التلخیص للذهبي ١/٣٨٤، حديث ١٤١٧، وفتح الباري، لابن حجر ١١/٢٤٣، والترغيب والترهيب، للمنذري ٣/٥٧، ومجمع الزوائد، للهيثمي ٣/٩٣).

قوله "إِلَّا وَجَدْتَهُ يَنْتَظِرُكَ": أي مُفْتَحًا لَكَ، مُهَيَّبًا لدخولك، كما قال تعالى: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾^(١)، فاستعير للفتح الانتظار مبالغةً. قاله الطيبي^(٢).
وقال القاري: "أي لِيُشَفِّعَكَ، وليدخُلها معك، وفيه إشارة إلى خرق العادة من تعدُّ الأجساد المكتسبة، حيث إنَّ الولد موجود في كلِّ باب من أبواب الجنة"^(٣).
قلت: إنَّ أحوال الآخرة كلُّها من الأمور الخارقة للعادة إذا قورنت بأحوال الدنيا، ولكن تختلف الحياة الآخرة عن الحياة الدنيا فلا مقارنة؛ إذ لكلِّ منهما نظام يختلف عن الأخرى.
قلت أيضًا: ولا مانع أن يكون قوله: "أَمَّا تُحِبُّ أَنْ لَا تَأْتِيَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، إِلَّا وَجَدْتَهُ يَنْتَظِرُكَ؟" إشارة إلى سرعة تنقله في الجنة من باب إلى باب، وهذا ليس من الخوارق للعادة.



(١) سورة ص: الآية ٥٠.

(٢) الكاشف عن حقائق السنن (٤/٤٣١).

(٣) مرقاة المفاتيح (٣/١٢٥٣).

المطلب الرابع: الأسباب التي تحصل فيها الشفاعة وموانعها

أولاً: الأسباب التي تحصل فيها الشفاعة:

إنَّ من رحمة الله ﷻ بعباده المؤمنين أن يوفقههم للأسباب التي توصلهم إلى الشفاعة، بل يجعلهم شفعاء عند الله ﷻ بإذنه لبقية عباده، ومن هذه الأسباب:

١. القرآن الكريم: وذلك بقراءته، وحفظه، وتدبُّر معانيه، والعمل بما فيه، من أوامر، ونواه، فقد أخرج مسلم في صحيحه، من حديث أبي أمامة الباهليؓ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "افْرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ..."^(١). الحديث. ففي هذا الحديث: الأمرُ بتلاوة القرآن، وأنه يشفع لأصحابه، أي أهلِه القارئِين له، المتمسِّكين بهُدْيِهِ، القائمِين بما أمر به، والتاركِين لما نهى عنه^(٢).

٢. الصيام: وذلك بصوم الفرض، وصوم النفل رغبة وطمعًا في رحمة الله وفضله، فقد أخرج أحمد^(٣)، وابن المبارك^(٤)، والحاكم^(٥)، والبيهقي^(٦)، والطبراني^(٧)، من حديث عبد الله بن عمروؓ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيُّ رَبِّ، مَنْعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفَّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنْعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفَّعْنِي فِيهِ؛ فَيُشَفَّعَانِ"^(٨).

(١) صحيح مسلم (١/٥٥٣)، كتاب صلاة المسافرين، باب فَضْلِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَسُورَةِ الْبَقَرَةِ، حديث ٨٠٤.

(٢) تطريز رياض الصالحين، لفيصل بن عبد العزيز النجدي، ص ٥٧٩.

(٣) مسند أحمد (١١/١٩٩)، حديث ٦٦٢٦.

(٤) مسند عبد الله بن المبارك، ص ٥٨، حديث ٩٦.

(٥) المستدرک علی الصحیحین (١/٥٥٤)، حديث ٢٠٣٦.

(٦) شعب الإيمان (٣/٣٧٨)، حديث ١٨٣٩.

(٧) المعجم الكبير، للطبراني (١٣/٣٨)، حديث ٨٨.

(٨) قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، وقال المنذري، والهيثمي مرة: "رواه أحمد والطبراني في الكبير، ورجال الطبراني رجال الصحيح"، وقال الهيثمي مرة أخرى: "رواه أحمد وإسناده حسن". (المستدرک للحاکم، مع التلخیص للذهبي ١/٥٥٤، حديث ٢٠٣٦، ومجمع الزوائد، للهيثمي ٣/٤١٩، ١٠/٦٩٣، والترغيب والترهيب، للمنذري ٢/٥٠).

قال ابن رجب الحنبلي: "الصيام يشفع؛ لأنه منعه الطعام، والشهوات المحرمة كلها، سواء أكان تحریمها بالصيام، كشهوة الطعام والشراب، والنكاح ومقدماتها، أم لا يختص، كشهوة فضول الكلام المحرم، والسماع المحرم، والنظر المحرم، والكسب المحرم، فإذا منعه الصيام من هذه المحرمات كلها، فإنه يشفع عند الله يوم القيامة، ويقول: يا رب منعه شهواته؛ فشفعني فيه، فهذا لمن حفظ صيامه، ومنعه شهواته، فأما من ضيَّع صيامه، ولم يمنعه عما حرمه الله عليه، فإنه جدير أن يضرب به وجه صاحبه، ويقول له: ضيَّعك الله، كما ضيَّعني... وكذلك القرآن، إنما يشفع لمن منعه من النوم بالليل، فإنَّ من قرأ القرآن، وقام به، فقد قام بحقه، فيشفع له" (١).

٣. الأولاد الصالحون: قد بيَّنت في المطلب السابق كيف أن للأبناء دوراً في دخول آبائهم الجنة، وأنهم من الشفعاء لهم، إن أحسنوا تربيتهم، فقد أخرج ابن ماجه (٢)، وأحمد (٣)، وابن أبي شيبة (٤)، والطبراني (٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ ﻻ يَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَّى لِي هَذِهِ؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ" (٦).

قوله: "بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ": دلَّ به على أن الاستغفار يحطُّ الذنوب، ويرفع الدرجات، وعلى أنه يرفع درجة أصل المستغفر إلى ما لم يبلغها بعمله، فما بالك بالعامل المستغفر، وقيل:

(١) انظر: لطائف المعارف، لابن رجب ص ١٧٢-١٧٣.

(٢) سنن ابن ماجه (٤/٦٣١)، كتاب الأدب، بابُ بَرِّ الوَالِدَيْنِ، حديث ٣٦٦٠.

(٣) مسند أحمد (١٦/٣٥٦)، حديث ١٠٦١٠.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٣/٣٨٧)، حديث ١٢٢٠٧.

(٥) المعجم الأوسط (٥/٢١٠)، حديث ٥١٠٨.

(٦) حسنه العراقي، والبوصيري مرة، والسيوطي، وقال الصنعاني: إسناده جيد". (المغني عن حمل الأسفار، للعراقي، ص ٣٧٠، وإتحاف الخيرة المهرة، للبوصيري ٥/٥٢٦، والتنوير شرح الجامع الصغير، للسيوطي ٣/٤٦١).

قلت: وللحديث شاهد عن أبي سعيد الخدري، أخرجه الطبراني في (المعجم الأوسط، ٢/٢٥١، حديث ١٨٩٤).

وبالتالي يرتقي الحديث إلى صحيح لغيره، وقد صححه ابن كثير، والشوكاني، والبوصيري، والهيثمي، قال: "رواه أحمد والطبراني في الأوسط ورجالهما رجال الصحيح غير عاصم بن مهدلة وقد وثق"، ونقل المناوي عن الذهبي قوله: "سنده قوي". (تفسير ابن كثير ٤/٢٤٣، وفتح القدير، للشوكاني ٥/١٠٠، ومصباح الزجاجة، للبوصيري ٤/٩٨، وجمع الزوائد، للهيثمي ١٠/٣٥١، وفيض القدير، للمناوي ٢/٣٣٩).

إِنَّ الابن إذا كان أرفع درجة من أبيه في الجنة سأل أن يُرفع أبوه إليه؛ فيُرفع، وكذلك الأب إذا كان أرفع، وذلك قوله ﷺ: «لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا»^(١). قاله الطيبي^(٢).

قلت: هذا الحديث، كقوله ﷺ: "إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ، إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ"^(٣)، وهذا يؤكد على أهمية تربية الأبناء تربية صالحة، فهذه التربية تنفع صاحبها في حياته ببرّ ولده له، وبعد وفاته في قبره بدعائه، وفي الآخرة بشفاعته.

٤. سُكْنَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ وَالْمَوْتِ فِيهَا: ودليل ذلك؛ ما أخرجه مسلم في صحيحه من

حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: "مَنْ صَبَرَ عَلَيَّ

لَأَوَائِهَا"^(٤)، وَشَدَّتْهَا؛ كُنْتُ لَهُ شَهِيدًا، أَوْ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَعْنِي الْمَدِينَةَ"^(٥).

وفي روايةٍ عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه: "لَا يَصْبِرُ أَحَدٌ عَلَيَّ لَأَوَائِهَا، فَيَمُوتَ؛ إِلَّا كُنْتُ لَهُ

شَفِيعًا، أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِذَا كَانَ مُسْلِمًا"^(٦).

وله شاهد آخر^(٧) عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه بنحوه.

قال القاضي عياض: "فيه دليلٌ على فضل سُكْنَى الْمَدِينَةِ، وَأَنَّ ذَلِكَ مَحْمُولٌ عَلَى اسْتِمْرَارِ

هذا الفضل بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وَإِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"^(٨).

٥. الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَطَلَبُ الْوَسِيلَةِ لَهُ: ودليل ذلك؛ ما أخرجه مسلم في صحيحه من

حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: "إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ،

فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا،

ثُمَّ سَلُّوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ

(١) سورة النساء: الآية ١١.

(٢) الكاشف عن حقائق السنن (٦/١٨٥٥).

(٣) سبق تخريجه، ص ٨٥.

(٤) اللأواء: الشدة وضيق المعيشة. (النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، "لأي"، ٤/٢٢١).

(٥) صحيح مسلم (٢/١٠٠٤)، كتاب الحج، باب الترغيب في سكنى المدينة والصبر على لأوائها، حديث ١٣٧٧.

(٦) صحيح مسلم (٢/١٠٠٢)، كتاب الحج، باب الترغيب في سكنى المدينة والصبر على لأوائها، حديث ١٣٧٤.

(٧) صحيح مسلم (٢/١٠٠٤)، كتاب الحج، باب الترغيب في سكنى المدينة والصبر على لأوائها، حديث ١٣٧٨.

(٨) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٤/٤٩٨).

أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ"^(١).

وفي روايةٍ للبخاريِّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: "مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النَّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَّةُ، وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتُهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ"^(٢).

فإن قيل: كيف جعل ذلك ثوابًا لقاتله، مع أنه ثبت أن الشفاعة للمذنبين؟

فالجواب: أَنَّ للنبي صلى الله عليه وسلم شفاعات متعددة؛ كإدخال الجنة بغير حساب، ورفع

الدرجات، فيشفع لكل أحد بما يناسب حاله. قاله العيني، والشوكاني^(٣).

وقال القاضي عياض: "ويحتمل أن هذا مخصوصٌ لمن فعل ما حضَّه صلى الله عليه وسلم، وأتى به على

وجهه، وفي وقته، وبإخلاصٍ، وصدقٍ نيةً، لا لمن قصد بقوله ودعائه ذلك مجرد الثواب"^(٤).

وأخرج الطبراني^(٥)، وابن أبي عاصم^(٦)، عن أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ

صَلَّى عَلَيَّ حِينَ يُصْبِحُ عَشْرًا، وَحِينَ يُمَسِّي عَشْرًا، أَذْرَكَتُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ"^(٧).

ومعناه كما قال المناوي: "أي تدركه فيها شفاعة خاصة غير العامة، وفي هذا الحديث

دلالة على شرف هذه العبادة من تضعيف صلاة الله، وتكفير السيئات، ورفع الدرجات،

والإغاثة بالشفاعة عند شدة الحاجة إليها، وفيه دليل على فضل الصلاة والسلام على النبي

صلى الله عليه وسلم، وأنه من أفضل الأعمال، وأجل الأذكار، بموافقة الجبار على ما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ

يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾^(٨)، ولو لم يكن للصلاة عليه ثواب إلا رجاء شفاعته لكفى"^(٩).

(١) صحيح مسلم (٢٨٨/١)، كتاب الصلاة، باب اسْتِحْبَابِ الْقَوْلِ مِثْلَ قَوْلِ الْمُؤَدِّنِ لِمَنْ سَمِعَهُ، حديث ٣٨٤.

(٢) صحيح البخاري (٨٦/٦)، كتاب التفسير، باب قَوْلِهِ ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾، حديث ٤٧١٩.

(٣) عمدة القاري (١٢٣/٥)، ونيل الأوطار (٦٥/٢).

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٢٥٣/٢).

(٥) ذكره ابن القيم، عن الطبراني بسنده في المعجم الكبير. (انظر: جلاء الأفهام، لابن القيم، ص ١٢٧، ٤١٨).

قلت: ولم أجده في المطبوع من المعجم الكبير للطبراني.

(٦) الصلاة على النبي، لابن أبي عاصم، ص ٤٧، حديث ٦١.

(٧) قال المنذري، والهيثمي: "رواه الطبراني بإسنادين، أحدهما جيد، ورجاله وثقوا". (الترغيب والترهيب للمنذري ٢٦١/١،

ومجمع الزوائد، للهيثمي ١٠٦٣/١).

(٨) سورة الأحزاب: الآية ٥٦.

(٩) فيض القدير (٦/١٦٩).

٦. المصلُّون على الميت الموحد لله ﷺ: دليل ذلك ما أخرجه مسلم من حديث عائشة ؓ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "مَا مِنْ مَيِّتٍ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ مِئَةَ كُلِّهِمْ يَشْفَعُونَ لَهُ إِلَّا شَفَعُوا فِيهِ"^(١).

وفي روايةٍ له عن عبد الله بن عباسٍ ؓ، قَالَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: "مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا شَفَعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ"^(٢).
قال أبو بكر ابن العربي: "اجهد إذا مات لك ميت أن يصلي عليه أربعون فأكثر، فإنهم شفعا له بنص هذا الخبر"^(٣).

وقال ابن القيم: "فهذا مقصود الصلاة على الميت، وهو الدعاء له والاستغفار، والشفاعة فيه"^(٤).

فإن قيل: هل يوجد تعارض بين الحديثين، لأنَّه قال في الحديث الأول: "يَبْلُغُونَ مِئَةَ"، وقال في الآخر: "أَرْبَعُونَ رَجُلًا؟"

قال القاضي عياض: "وجه اختلاف هذا العدد أنها أجوبة لسائل سأل عن ذلك، ولعله لو سئل عن أقل لأجاب بمثله"^(٥).

وقال النووي: "ويحتمل أن يكون النبي ﷺ أَخْبَرَ بِقَبُولِ شَفَاعَةِ مِئَةٍ؛ فَأَخْبَرَ بِهِ، ثُمَّ بِقَبُولِ شَفَاعَةِ أَرْبَعِينَ؛ فَأَخْبَرَ بِهِ، وَيُحْتَمَلُ أَيْضًا أَنْ يُقَالَ: هَذَا مَفْهُومٌ عَدَدٌ، وَلَا يَحْتَجُّ بِهِ جَمَاهِيرُ الْأَصُولِيِّينَ، فَلَا يَلْزَمُ مِنَ الْإِخْبَارِ عَنْ قَبُولِ شَفَاعَةِ مِئَةٍ مَنَعُ قَبُولِ مَا دُونَ ذَلِكَ، وَكَذَا فِي الْأَرْبَعِينَ، وَحَيْثُ كُلُّ الْأَحَادِيثِ مَعْمُولٌ بِهَا، وَيَحْصُلُ الشَّفَاعَةُ بِأَقْلِ الْأَمْرِينَ"^(٦).

وقال الطيبي: "لا تضاد بين الحديثين؛ لأن السبيل في أمثال هذا المقام أن يكون الأقل من العديدين متأخرًا؛ لأن الله تعالى إذا وعد المغفرة في المعنى الواحد مرتين، وإحدهما أيسر من

(١) صحيح مسلم (٦٥٤/٢)، كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ مِئَةً شَفَعُوا فِيهِ، حَدِيثُ ٩٤٧.

(٢) صحيح مسلم (٦٥٥/٢)، كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ أَرْبَعُونَ شَفَعُوا فِيهِ، حَدِيثُ ٩٤٨.

(٣) انظر: فيض القدير، للمناوي (٤٨٠/٥).

(٤) إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان (٢٠٢/١).

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٤٠٧/٣).

(٦) شرح النووي على مسلم (١٧/٧).

الأخرى، لم يكن من سنته أن ينقص من الفضل الموعود بعد ذلك، بل يزيد عليه فضلاً منه وتكرماً على عباده" (١).

ثانياً: الأسباب التي تمنع الشفاعة:

هناك بعض الأمور إذا وقع بها العبد فإنه يضع حائلاً بينه وبين الشفاعة، منها:

١. الشرك بالله ﷻ: ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرَدَّنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقِذُون﴾ (٢).

وأخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أنه قال: قيل: يا رسول الله، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟، قَالَ: "أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ" (٣).

وأخرج ابن ماجه (٤)، أحمد (٥)، والطبراني (٦) - واللفظ لهما -، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: "أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي ﷻ، فَخَيَّرَنِي بَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ، وَبَيْنَ الشَّفَاعَةِ فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ"، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ ﷻ أَنْ يَجْعَلَنَا فِي شَفَاعَتِكَ، فَقَالَ: "أَنْتُمْ وَمَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً فِي شَفَاعَتِي" (٧).

وللحديث شاهد (٨) عن ابن عمر رضي الله عنهما، بنحوه، دون قوله: "أَنْتُمْ وَمَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ".

قال ابن بطال: "فيه أَنَّ الشفاعة إنما تكون في أهل الإخلاص خاصة، وهم أهل

التصديق بوحداية الله، ورسله" (٩).

(١) الكاشف عن حقائق السنن (٤/١٣٩٦).

(٢) سورة يس: الآية ٢٣.

(٣) صحيح البخاري (٣١/١)، كتاب العلم، باب الحُرْصِ عَلَى الْحَدِيثِ، حديث ٩٩.

(٤) سنن ابن ماجه (٢/١٤٤١)، كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة، حديث ٤٣١١.

(٥) مسند أحمد (٣٢/٣٩٤)، حديث ١٩٦١٨.

(٦) المعجم الكبير (١٨/٧٢)، حديث ١٣٣، والمعجم الأوسط (٢/١٠٤)، حديث ١٣٩٥.

(٧) قال الهيثمي: "رواه أحمد، والطبراني، وأحد أسانيد الطبراني رجاله ثقات". (مجمع الزوائد ١٠/٦٧٠).

(٨) سبق تخريجه، ص ٢٩٨.

(٩) شرح صحيح البخاري (١/١٧٦).

٢. اللعن واللعانون: دليل ذلك ما أخرجه مسلم من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يقول: "إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ وَلَا شَفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"^(١).

قال النووي: "معناه: لا يشفعون يوم القيامة حين يشفع المؤمنون في إخوانهم الذين استوجبوا النار"^(٢).

وقوله: "ولا شهداء": فيه ثلاثة أقوال؛ أصحها وأشهرها: لا يكونون شهداء يوم القيامة على الأمم بتبليغ رسلهم إليهم الرسالات، والثاني: لا يكونون شهداء في الدنيا، أي: لا تقبل شهادتهم لفسقتهم، والثالث: لا يرزقون الشهادة، وهي القتل في سبيل الله"^(٣).

٣. الظلم، والغلو في الدين: دليل ذلك ما أخرجه الطبراني^(٤)، والرويانى^(٥)، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَنْ تَنَالَهُمَا شَفَاعَتِي: إِمَامٌ ظَلَمَ، وَكُلٌّ غَالٍ مَارِقٍ"^(٦).

قال الصنعاني: "مع أنه تقدم أنّ الشفاعة لكلّ من قال: لا إله إلا الله، وأنها لأهل الكبائر، فهذا تخصيص من ذلك العموم"^(٧).

وقوله: "مارقٍ": من مرق السهم من الرمية نفذها، أي: خارج بغلوه من الدين، مع أنّه باق على الإسلام، إلا أنّه بغلوه صار كالخارج عنه"^(٨).

قلت: اقتران الظلم مع الغلو في الحديث؛ فيه تنبيه على أنّ بعضهما من بعض، فأينما وجد الظلم كان الغلو، فالظلم غلو، والغلو ظلم، وما أُتيت الأمة في تاريخها الماضي والحاضر

(١) صحيح مسلم (٤/٢٠٠٦)، كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ وَالْأَدَابِ، باب فضل الرفق، حديث ٢٥٩٨.

(٢) شرح النووي على مسلم (١٤٩/١٦).

(٣) المرجع نفسه (١٤٩/١٦).

(٤) المعجم الكبير (٨/٢٨١)، حديث ٨٠٧٩.

(٥) مسند الرويانى (٢/٢٧٤).

(٦) قال المنذري، والهيثمي، وابن حجر الهيتمي: رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات. (الترغيب والترهيب،

للمنذري ٣/١٢٨، ومجمع الزوائد، للهيثمي ٥/٤٢٣، والزواجر عن اقتراف الكبائر، لابن حجر الهيتمي ٢/١٩٠).

(٧) التنوير شرح الجامع الصغير (٦/٦٠٩).

(٨) المرجع نفسه (٦/٦٠٩).

إلا من هذا الباب الخطير، جَوْر الطغاة، وغلو المارقين من حديثي الأسنان وسفهاء الأحلام،
وعذابات الأمة في زماننا تصور هذا الواقع المرير، وحسبنا الله ونعم الوكيل.



الفصل الرابع

الميزان والصراط والحوض

المبحث الأول: الميزان.

المبحث الثاني: الصراط.

المبحث الثالث: الحوض.

المبحث الأول

الميزان

المطلب الأول: صفة الميزان وحقيقته.

المطلب الثاني: ما يوزن في الميزان والحكمة من ذلك.

المطلب الثالث: الأعمال التي تثقل في الميزان.

المطلب الرابع: وزن أعمال الكفار.

المطلب الأول: تعريف الميزان وصفته

أولاً: تعريف الميزان:

أما في اللغة: فقد قال ابن منظور: "العرب يسمون الأوزان التي يوزن بها التمر وغيره الميسوأة من الحجارة والحديد الموازين؛ واحدها: ميزان، وهي المثاقيل، واحدها مثقال، ويقال للآلة التي يوزن بها الأشياء: ميزان أيضاً.

وفي التنزيل: قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾^(١)، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾^(٢)، أراد: من ثقل وزنه، أو خف وزنه، فوضع الاسم الذي هو الميزان موضع المصدر.

وأوزان العرب: ما بنت عليه أشعارها؛ واحدها وزن، وقد وزن الشعر وزناً فاتنن. وقيل: الميزان: العدل، وقال بعضهم: الميزان الكتاب الذي فيه أعمال الخلق، وقوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾^(٣)، أي قدرًا، العرب تقول: ما لفلان عندي وزن؛ أي قدر؛ لحسنه، وقيل: أي خفة موازينهم من الحسنات.

ويقال: وزن الشيء؛ إذا قدره، وإذا كاله، ووزن ثمر النخل إذا خرصه؛ لأنَّ الحارصَ يحزرها، ويُقدِّرها، فيكون كالوزن لها"^(٤).

وأما في الاصطلاح: فهو الآلة التي توزن بها أعمال بني آدم يوم القيامة، وهو ميزان حقيقي له كفتان حسيّتان ولسان، وأنَّ الله ينصبه لكلِّ أحد^(٥).

ثانياً: وجوب الإيمان بالميزان:

لقد ثبت ذكر الميزان في كتاب الله ﷻ، وفي سنة نبيه ﷺ^(٦)، فلا حجة للشك في

(١) سورة القارعة: الآية ٦.

(٢) سورة القارعة: الآية ٨.

(٣) سورة الكهف: الآية ١٠٥.

(٤) انظر: لسان العرب، "وَزَنَ"، (١٣/٤٤٦-٤٤٧-٤٤٧).

(٥) المرجع نفسه، "وَزَنَ"، (١٣/٤٤٦-٤٤٧-٤٤٧).

(٦) حيث سأعرض لعدد من هذه النصوص في أثناء البحث.

إنكاره وجحوده، ففي حديث جبريل عليه السلام، كما في رواية الإمام أحمد، من حديث أبي عامر الأشعري^(١) رضي الله عنه، وفيه: **ثُمَّ قَالَ جَبْرِيلُ عليه السلام: مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْمَلَائِكَةِ، وَالْكِتَابِ، وَالنَّبِيِّينَ، وَالْمَوْتِ، وَالْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْجَنَّةِ، وَالنَّارِ، وَالْحِسَابِ، وَالْمِيزَانَ، وَالْقَدْرَ كُلَّهُ، خَيْرِهِ، وَشَرِّهِ"**، قَالَ: **فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ آمَنْتُ؟**، قَالَ: **"نَعَمْ" ... الحديث^(٢).**

(١) أبو عامر الأشعري، اختلف في اسمه، فقيل: عبيد بن وهب، وقيل: عبد الله بن وهب، وقيل: عبد الله بن هاني، وقيل: عبد الله بن عمار، وهو ليس بعم أبي موسى، وهو ممن نزل الشام من أصحاب النبي ﷺ، توفي في خلافة عبد الملك بن مروان. (الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر ٤/١٧٠٦).

(٢) مسند أحمد (٤٠٠/٢٨)، حديث ١٧١٦٧.

أولاً: سند الحديث: قال الإمام أحمد: **حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ - هو: الحكم بن نافع - أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ - يعني: ابن أبي حمزة - قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي حُسَيْنٍ، حَدَّثَنَا شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ، عَنْ أَبِي عَامِرٍ الْأَشْعَرِيِّ ... الحديث.** ثانياً: تخريج الحديث: انفرد به أحمد عن أبي عامر الأشعري، وله شاهد في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، دون ذكر الميزان، وقد سبق تخريجه ص ٢٦، وشاهد آخر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد سبق تخريجه، ص ٥١. ثالثاً: دراسة رجال الإسناد:

- شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ الْأَشْعَرِيُّ الشَّامِيُّ مَوْلَى أُمِّ سَلْمَةَ رضي الله عنها، ت ١٠٠هـ، وقيل غير ذلك.

وثقه ابن معين، وأحمد، والبخاري، والعجلي، وابن شاهين، ويعقوب بن شيبه، ويعقوب بن سفيان الفسوي. وقيل لابن المديني: **ترضى حديث شهر بن حوشب؟ فقال: أنا أحدث عنه، قال: وكان عبد الرحمن بن مهدي يحدث عنه، قال: وأنا لا أدع حديث الرجل، إلا أن يجتمعا عليه، يحيى، وعبد الرحمن، يعني على تركه.** وقال صالح جزرة: **"روى عنه الناس، من أهل البصرة، وأهل الكوفة، وأهل الشام، ولم يوقف منه على كذب، وكان رجلاً يتنسك، إلا أنه روى أحاديث يتفرد بها، لم يشركه فيها أحد."**

وقال أبو زرعة: **"لا بأس به"**. وقال ابن حجر: **"صدوق كثير الإرسال والأوهام"**.

وضعه النسائي، وشعبة، وأبو أحمد الحاكم، وموسى بن هارون، وابن عون، وإبراهيم بن يعقوب الجوزجاني. وقال يحيى بن أبي بكير عن أبيه: **"كان على بيت المال، فأخذ خريطة فيها دراهم، فقال القائل: لقد باع شهر دينه بخريطة، فمن يأمن القراء بعدك يا شهر! "**

وقال ابن حبان: **"كان ممن يروي عن الثقات المعضلات، وعن الأثبات المقلوبات"**. وقال ابن عدى: **"ليس بالقوي في الحديث، وهو ممن لا يحتج بحديثه ولا يتدين به"**. وقال الدارقطني: **"يخرج حديثه"**. وقال البيهقي: **"ضعيف"**، وقال ابن حزم: **"متروك"**.

قلت: والقلب يميل إلى ما ذهب إليه ابن حجر من أنه صدوق كثير الإرسال والأوهام، فقد وثقه جماعة على رأسهم البخاري وابن معين، وأما قول ابن عون فيه **"نكوه"** أي طعنوا فيه، فقد بين السبب في ذلك النضر بن شميل فقال: **"وإنما طعنوا فيه لأنه ولي أمر السلطان"**، وأما ما رواه الجوزجاني وغيره عن النضر بن شميل عن ابن عون قوله: **"إن شهراً تركوه، إن شهراً تركوه"** فهو تصحيف، وهذا ما بينه ابن الصلاح، وأبو حاتم السجستاني، والمؤرخ الرافعي القزويني. =

قال ابن بطة^(١): "قد اتفق أهل العلم بالأخبار، والعلماء الزهاد العباد في جميع الأمصار؛ أن الإيمان بذلك - يعني الميزان - واجب لازم"^(٢).

= قال ابن الصلاح: "ذكر مسلم بإسناده، عن ابن عون قوله: في شهر بن حوشب، إن شهرا نركوه، فقوله نركوه أي: طعنوا فيه؛ مأخوذ من النيزك، وهو الرمح القصير، رواه كثير من رواة مسلم تركوه بالتاء والراء، وهو تصحيف، وتفسير مسلم له ينفيه - قال مُسْلِمٌ يَقُولُ (النضر): أَخَذَتْهُ أَلْسِنَةُ النَّاسِ تَكَلَّمُوا فِيهِ -، وشهر قد وثقه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وغيرهما، والذي ذكره فيه ابن أبي خيثمة، أنه ثقة، حكاه عن يحيى بن معين، واقتصر عليه، والقلب إلى هذا أميل، وإن ذكره جماعة في كتبهم في الضعفاء، وقد ذكره أبو نعيم الحافظ فيمن ذكرهم في حلية الأولياء، وما ذكر في جرحه، من أخذه خريطة من بيت المال على جهة الخيانة، له محمل يدرأ عنه القدر المسقط".
وقال أبو حاتم السجستاني: "ذكر شهر بن حوشب عند ابن عون، فقال: ذاك رجل نركوه، يعني: طعنوا فيه، كأنهم ضربوه بالنيازك، قال أبو حاتم: فصحف أصحاب الحديث، فقالوا: ذاك رجل تركوه".
وقال المؤرخ الرافعي القزويني: "وفي حقه قيل: إن شهراً نركوه، يقال: نركه ينركه إذا عابه، وأصل النرك، الطعن بالنيزك، وهو أصغر من الرمح، وصحف بعضهم نركوه، بتركوه".

قلت: وأما تضعيف من ضعفه فواضح أنه بسبب دخوله في أمر السلطان وقصة أخذه الخريطة، وقد دافع عن ذلك الذهبي وأبو الحسن بن القطان، فقال الذهبي معلقاً على الرواية: "إسنادها منقطع، ولعلها وقعت، وتاب منها، أو أخذها متأولاً أن له في بيت مال المسلمين حقاً، نسأل الله الصفح".
وقال أبو الحسن بن القطان الفاسي: "لم أسمع لمضعفه حجة، وما ذكروا من تزييه بزئ الجند، وسماعه الغناء بالآلات، وقذفه بأخذ الخريطة، فإما لا يصح، أو هو خارج على مخرج لا يضره، وشر ما قيل فيه: إنه يروي منكرات عن ثقات، وهذا إذا أكثر منه سقطت الثقة به".

قلت: وأما قول ابن حبان: إنه يروي عن الثقات المعضلات وعن الأثبات المقلوبات، وقول الجوزجاني: إن أحاديثه لا تشبه أحاديث الناس، فقد دافع عنه الذهبي بعدما أورد هذه الأحاديث في ترجمة شهر في السير، فقال: "فهذا ما استنكر من حديث شهر في سعة روايته، وما ذاك بالمنكر جداً"، ثم ختم الذهبي ترجمة شهر بن حوشب في السير بقوله: "الرجل غير مدفوع عن صدق وعلم، والاحتجاج به مترجح". (انظر ترجمته: أحوال الرجال، للجوزجاني، ص ١٥٦، والتدوين في أخبار قزوين للرافعي ١/١١٠، والضعفاء والمتروكين، للنسائي ١/١٩٤، والكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ٤/٣٩، وكتاب المحروحين لابن حبان ١/٣٦١، والمحلى لابن حزم ٨/٣٩٠، والمعرفة والتاريخ للفسوي ٢/٤٢٦، وتاريخ ابن معين - رواية الدوري ٤/٤٣٤، وتاريخ أسماء الثقات، لابن شاهين ١/٢٥٧، وتاريخ دمشق، لابن عساكر ٢٣/٢٣٥، وتقريب التهذيب، لابن حجر ص ٤٤١، وتهذيب التهذيب لابن حجر ٤/٣٧١، وتهذيب الكمال للمزي ١٢/٥٨٤، وجامع الترمذي ٣/٦٢١ حديث ٢٦٩٧، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٤/٣٧٥ - ٣٧٨، وصيانة صحيح مسلم، لابن الصلاح ١/١٢٤، ومعرفة الثقات للعجلي ١/٤٦١، ومقدمة صحيح مسلم ١/١٣).

- باقي رجال الإسناد ثقات.

رابعاً: الحكم على الإسناد: إسناده ضعيف، بسبب شهر بن حوشب، فإنه صدوق كثير الأوهام، ولم يُتابع، إلا أن للحديث شاهداً، كما هو واضح في التخريج، يرتقي به إلى الحسن لغيره.

(١) هو: أبو عبد الله، عبيد الله بن محمد العكبري الحنبلية، الفقيه، المحدث، العابد، شيخ العراق، مُصَنَّفُ كِتَابِ "الإبَانَةِ الكُبْرَى"، ت ٣٨٧ هـ. (سير أعلام النبلاء، للذهبي ١٦/٥٢٩).

(٢) الإبانة الكبرى، ص ٩٧.

وقال السَّفَّارِينِي: "والحاصل أنَّ الإيمان ثابت بالكتاب والسنة والإجماع"^(١).
 وقد بَوَّب البخاري على إثبات الميزان وما يوزن فيه بقوله: "باب قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾"^(٢)، وأنَّ أعمال بني آدم وقولهم يوزن^(٣).
 وقال سفيانُ بن عيينة: "السُّنَّة عشرة، فمن كُنَّ فيه فقد استكمل السُّنَّة، ومن ترك منها شيئاً فقد ترك السُّنَّة"، - وذكر منها-: "الحوض، والشفاعة، والميزان، والصراط"^(٤).
 وقال الإمام أحمد: "أصول السُّنَّة عندنا؛ التمسُّك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والافتداء بهم"، إلى قوله: "والإيمان بالميزان"^(٥).

ثالثاً: حقيقة الميزان وصفته:

إنَّ ميزان الأعمال له كفتان حسيَّتان مشاهدتان ولسان، وهو من الضخامة والوسع والكبر والدقة والحساسية بمكان، بل كفتاه تَسَعان السماوات والأرض، يملأه الله بأقل القليل، فقد أخرج الإمام الترمذي^(٦)، وابن ماجه^(٧)، وأحمد^(٨)، وابن المبارك^(٩)، والطبراني^(١٠)، وابن حبان^(١١)، والحاكم^(١٢)، والبعغوي^(١٣)، من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ سَيَخْلُصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصْرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟، أَظْلَمَكَ

(١) لوامع الأنوار البهية (١٨٤/٢).

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٤٧.

(٣) صحيح البخاري (١٦٢/٩)، كتاب التوحيد.

(٤) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لللالكائي (١٧٥/١).

(٥) المرجع نفسه (١٧٥/١).

(٦) جامع الترمذي (٣٢١/٤)، كتاب الإيمان، بابُ مَا جَاءَ فِيْمَنْ يَمُوتُ وَهُوَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، حديث ٢٦٣٩.

(٧) سنن ابن ماجه (٣٥٦/٥)، كتاب الزهد، بابُ مَا يُرْجَى مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حديث ٤٣٠٠.

(٨) مسند أحمد (٥٧٠/١١)، حديث ٦٩٩٤.

(٩) الزهد والرقائق (١١٠/٢).

(١٠) المعجم الكبير (١٩/١٣)، حديث ٣٠، وكتاب الدعاء، ص ٤٣٦، حديث ١٤٨٢.

(١١) صحيح ابن حبان (٤٦١/١)، حديث ٢٢٥.

(١٢) المستدرک على الصحيحين (٦/١)، حديث ٩، (٥٢٩/١)، حديث ١٩٣٧.

(١٣) شرح السنة (١٣٣/١٥)، حديث ٤٣٢١.

كَتَبْتِي الْحَافِظُونَ؟، فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَاكَ عُذْرٌ؟، فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٍ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزَنِّكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَّلَاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تَظْلَمُ، قَالَ: "فَتَوْضَعُ السَّجَّلَاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتْ^(١) السَّجَّلَاتُ، وَثَقَلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ"^(٢).

قال الطيبي: في قوله ﷺ: "فَتَوْضَعُ السَّجَّلَاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ": "دليل على أنَّ للميزان كفتان؛ إحداهما للحسنات، والأخرى للسيئات، وعن الحسن البصري، قال: له كفتان ولسان"^(٣).

ولذلك يردُّ القرطبي على من أنكروا حقيقة الميزان بأنَّ له كفتان ولسان، وأولوا معناه بأنه من ضرب المثل، وأنه يراد به العدل والقضاء؛ بقوله: "وهذا مجاز، وليس بشيء، وإن كان شائعاً في اللغة؛ للسُّنَّة الثابتة في الميزان الحقيقي، ووصفه بكفتين ولسان، وأنَّ كلَّ كفة منها طباق السموات والأرض"^(٤).

ثمَّ نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما ما يؤيد قوله، حيث قال: "توزن الحسنات والسيئات في ميزان له كفتان ولسان"^(٥).

وفي شعب الإيمان للبيهقي، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "الْمِيزَانُ لَهُ لِسَانٌ وَكِفَتَانِ يُوزَنُ فِيهِ الْحَسَنَاتُ، وَالسَّيِّئَاتُ، فَيُؤْتَى بِالْحَسَنَاتِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فَتَوْضَعُ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ فَتَثْقُلُ عَلَى السَّيِّئَاتِ...، وَيُؤْتَى بِالسَّيِّئَاتِ فِي أَقْبَحِ صُورَةٍ فَتَوْضَعُ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ فَتُخَفَّفُ"^(٦).

(١) الطَّيِّشُ: الحِفَّة. (النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، "طيش"، ٣/٣٣٥).

(٢) قال الترمذي، والبعثي: "حسن غريب"، وقال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم"، ووافقه الذهبي، وصححه ابن الملحق، والسيوطي. (جامع الترمذي ٤/٣٢١، حديث ٢٦٣٩، وشرح السنة، للبعثي ١٥/١٣٣، حديث ٤٣٢١، والمستدرک للحاكم، مع التلخيص للذهبي ١/٦، حديث ٩، والتوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملحق ٣٣/٥٩٦، وتدريب الراوي، للسيوطي ٢/٩٤٧).

(٣) الكاشف عن حقائق السنن (٣٥١٢/١١).

(٤) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص ٧٢٣.

(٥) المرجع نفسه، ص ٧٢٤.

(٦) شعب الإيمان (٤٤٧/١).

وتتابع علماء السنة على إثبات ذلك، منهم: الإمام الطبري^(١)، وأبو إسحاق الزجاج^(٢) وأبو الحسن الأشعري^(٣)، وابن قدامة المقدسي^(٤)، وابن كثير^(٥)، وابن أبي العز الحنفي^(٦). قال أبو الحسن الأشعري: "قال أهل الحق: الميزان له لسان وكفتان، توزن في إحدى كفتيه الحسنات وفي الأخرى السيئات، فمن رجحت حسناته؛ دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته دخل النار، ومن تساوت حسناته وسيئاته، تفضل الله عليه فأدخله الجنة"^(٧). وقال ابن قدامة: "والميزان له كفتان ولسان، توزن به الأعمال، قال تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٨) ﴿٨﴾^(٩). وقال ابن أبي العز: "والذي دلت عليه السنة أنّ ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان"^(١٠).

(١) انظر: تفسير الطبري (٣١١/١٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٣١٩/٢)، وفتح الباري، لابن حجر (٥٣٨ / ١٣). وأبو إسحاق الزجاج: هو إبراهيم بن محمد بن السري، البغدادي، مُصَنِّفُ كِتَابِ مَعَانِي الْقُرْآنِ وإعرابه، وَلَهُ تَأْلِيفُ جَمَّةٍ، ت ٣١١ هـ. (سير أعلام النبلاء، للذهبي ٣٦٠/١٤، والأعلام، للزركلي ٤٠/١).

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين (٣٥٣/٢).

وأبو الحسن الأشعري: هو علي بن إسماعيل بن أبي بشر البصري، مؤسس مذهب الأشاعرة، كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين، كان معتزلياً وتقدم فيهم، ثم رجع، وجاهر بخلافهم، وله مصنّفات في الكلام والأصول والمثل والنحل، والرد على أهل البدع، ومن أشهرها: مقالات الإسلاميين، والإبانة عن أصول الديانة، واللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، ت ٣٢٤ هـ. (تاريخ الإسلام، للذهبي ٤٩٤/٧، وطبقات الشافعيين، لابن كثير، ص ٢١٤، والأعلام، للزركلي ٤/٢٦٣).

(٤) انظر: لمعة الاعتقاد، ص ٣٢.

وإبن قدامة: هو الشيخ موفق الدين، أبو محمد، عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، ت ٦٢٠ هـ، ومن أشهر مؤلفاته: المغني. (انظر: تاريخ الإسلام، للذهبي ٦٠١/١٣).

(٥) انظر: النهاية في الفتن والملاحم (٢٣/٢).

(٦) انظر: شرح الطحاوية، ص ٤١٧.

(٧) مقالات الإسلاميين (٣٥٣/٢).

(٨) سورة المؤمنون: الآيتان ١٠٢، ١٠٣.

(٩) لمعة الاعتقاد، ص ٣٢.

(١٠) شرح الطحاوية، ص ٤١٧.

ونقل ابن حجر، عن أبي إسحاق الزجاج، قال: "أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان، ويميل بالأعمال"^(١).
قلت: تبين لي مما سبق أن للميزان كفتين؛ ولكن ليس كميزان الدنيا وكفتيه، فذلك من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ﷻ.

قال ابن تيمية في تعليقه على حديث البطاقة السابق: "وهذا وأمثاله مما يبين أن الأعمال توزن بموازين تبين بها رجحان الحسنات على السيئات، وبالعكس، وأما كيفية تلك الموازين فهو بمنزلة كيفية سائر ما أخبرنا به من الغيب"^(٢).

وأخرج الحاكم^(٣)، والآجري^(٤)، من حديث سلمان الفارسيؓ، عن النبي ﷺ، قال: "يُوضَعُ الْمِيزَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَوْ وُزِنَ فِيهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ لَوَسِعَتْ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبِّ لِمَنْ يَزِنُ هَذَا؟، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: لِمَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ..." الحديث^(٥).

قلت: قوله ﷺ "فَلَوْ وُزِنَ فِيهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ لَوَسِعَتْ": دليل على أن الميزان يسع ما في السموات والأرض، ومع ذلك فإن الله العليم القدير يملؤه بأقل القليل، والدليل على ذلك ما قاله في الحديث الذي قبله في شأن البطاقة: "فَطَاشَتِ السَّجَّلَاتُ، وَثَقَلَتِ الْبِطَاقَةُ".

رابعاً: وقت الميزان:

الظاهر من خلال النصوص الواردة في الميزان؛ أنه يكون بعد الحساب، وقبل المرور على الصراط، وقد نقل ابن أبي العز عن القرطبي، قوله: "قال العلماء: إذا انقضى الحساب كان

(١) انظر: فتح الباري، لابن حجر (١٣ / ٥٣٨).

(٢) مجموع الفتاوى (٤ / ٣٠٢).

(٣) المستدرک علی الصحیحین (٤ / ٥٨٦)، حديث ٨٧٣٩.

(٤) الشريعة (٣ / ١٣٢٩)، حديث ٨٩٥.

(٥) قال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم"، ووافقه الذهبي، وصححه ابن رجب الحنبلي. (المستدرک للحاکم، مع التلخیص للذهبي ٤ / ٥٨٦، حديث ٨٧٣٩، وجامع العلوم والحكم، لابن رجب ٢ / ١٨).

بعده وزن الأعمال؛ لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها"^(١).

خامساً: الملك الموكَّل بالميزان:

لقد ثبت عن النبي ﷺ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَكَّلَ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِوِزْنِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ، فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا، عَنْ حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "صَاحِبُ الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَرُدُّ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَلَا ذَهَبُ يَوْمَئِذٍ وَلَا فِضَّةٌ"، قَالَ: "فَيُؤْخَذُ مِنْ حَسَنَاتِ الظَّالِمِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ، أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ الْمَظْلُومِ، فَرُدَّتْ عَلَى الظَّالِمِ"^(٢).

(١) انظر: شرح الطحاوية، ص ٤١٧.

(٢) لم أجد في كتب ابن أبي الدنيا، ووجدت ابن كثير ذكره عن ابن أبي الدنيا بسنده. (انظر: النهاية في الفتن والملاحم ٣٢٢/٢).

أولاً: سند الحديث: قَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا: حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ مُوسَى، قَالَ: حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ صُهَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ أَبِي الْمُخْتَارِ، عَنْ بِلَالِ الْعَبْسِيِّ، عَنْ حُدَيْفَةَ... الحديث.

ثانياً: تخريج الحديث: أخرجه الطبري في تفسيره (٣١٠/١٢)، من طريق عبد العزيز بن أبان. وأخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٢٤٥/٦)، حديث (٢٢٠٩)، من طريق حنبل بن إسحاق. كلاهما (عبد العزيز، وحنبل) عن أبي نعيم الفضل بن دكين به، بنحوه.

قلت: الحديث مروى عن حذيفة موقوفاً، لكنه يأخذ حكم المرفوع؛ لأنه يدخل في الغيبيات التي لا مجال للرأي والعقل والاجتهاد فيها.

ثالثاً: دراسة رجال الإسناد:

- بلال بن يحيى العبسي الكوفي، من الثالثة، ذكره ابن حبان في الثقات، وقال يحيى بن معين: "ليس به بأس". وقال الذهبي، وابن حجر: "صدوق". قلت: الراوي صدوق. (الثقات لابن حبان ٦٥/٤، والجرح والتعديل، لابن أبي حاتم ٣٩٦/٢، والكاشف للذهبي ٢٧٧/١، وتقريب التهذيب، ص ١٨٠).

- موسى بن أبي المختار العبسي، الكوفي، والد عبید الله بن موسى، من الرابعة، سكت عنه ابن أبي حاتم، وذكره ابن حبان في الثقات. (الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم ١٦٤/٨، والثقات، لابن حبان ٤٥٦/٧).

- يُوسُفُ بْنُ مُوسَى بْنِ رَاشِدِ الْقَطَّانِ، أَبُو يَعْقُوبَ الْكُوفِيِّ، المعروف بالرازي، من العاشرة، ت ٢٥٣هـ. وثقه مسلمة بن القاسم، والخليلي، والذهبي، وزاد مسلمة: "متفق عليه"، وقال الخطيب البغدادي: "قد وصفه غير واحد من الأئمة بالثقة، واحتج به البخاري"، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال النسائي: "لا بأس به"، وقال ابن معين، وأبو حاتم: "صدوق"، وقد وافقهما ابن حجر. وزاد ابن معين: "أكتب عنه"، قلت: الراوي ثقة. (الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم ٢٣١/٩، وتسمية شيوخ النسائي، ص ١٠٤، وتاريخ بغداد، للخطيب البغدادي ٤٤٥/١٦، =

المطلب الثاني: ما يوزن في الميزان والحكمة من ذلك

أولاً: ما يوزن في الميزان:

اختلف أهل العلم في ما يوزن في الميزان، على أربعة أقوال:

القول الأول: الأعمال: حيث إنها تُجسَّم فتوضع في الميزان، والدليل على ذلك؛ ما

أخرجه الشيخان في صحيحَيْهِمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ"^(١).

وقد أخرج أبو داود^(٢)، والترمذي^(٣)، وأحمد^(٤)، والبخاري في المفرد^(٥)، وابن حبان^(٦)،

والطبراني^(٧)، والبخاري^(٨)، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: "مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ...". الحديث^(٩).

وهذا القول رجَّحه ابنُ حجر، ونصره، فقال: "والحق عند أهل السنة؛ أَنَّ الأعمال

حينئذ تجسد، أو تُجعل في أجسام، فتصير أعمال الطائعين في صورة حسنة، وأعمال المسيئين

= والثقات لابن حبان ٢٨٢/٩، والإرشاد، للخليلي ٦٠٢/٢، وتهذيب الكمال، للمزي ٤٦٧/٣٢، وسير أعلام النبلاء، للذهبي ٢٢١/١٢، وتهذيب التهذيب، لابن حجر ٤٢٥/١١، وتقريب التهذيب، ص ٦١٢.

- باقي رجال الإسناد ثقات.

رابعاً: الحكم على الحديث: إسناده حسن، فيه بلال العبيسي صدوق.

(١) صحيح البخاري (٨٦/٨)، كتاب الدعوات، باب فَضْلِ التَّسْبِيحِ، حديث ٦٤٠٦، وصحيح مسلم (٢٠٧٢/٤)، كِتَابُ الذِّكْرِ وَالِدُّعَاءِ، بِابِ فَضْلِ التَّهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ وَالِدُّعَاءِ، حديث ٢٦٩٤.

(٢) سنن أبي داود (١٧٧/٧)، كتاب الأدب، باب حسن الخلق، حديث ٤٧٩٩.

(٣) جامع الترمذي (٤٣٠/٣)، كتاب البرِّ وَالصَّلَةِ، باب حسن الخلق، حديث ٢٠٠٢.

(٤) مسند أحمد (٤٨٧/٤٥)، حديث ٢٧٤٩٦.

(٥) الأدب المفرد، ص ١٠٣، حديث ٢٧٠.

(٦) صحيح ابن حبان (٢٣٠/٢)، حديث ٤٨١.

(٧) المعجم الكبير (٢٥٥/٢٤)، حديث ٦٥٣، ومسند الشاميين (٢٤٥/٣)، حديث ٢١٧٩.

(٨) مسند البزار (٣٥/١٠)، حديث ٤٠٩٨.

(٩) قال الترمذي: حسن صحيح، وقال الهيثمي: "رواه البزار ورجاله ثقات"، وقال البزار: حسن الإسناد". (جامع

الترمذي ٤٣٠/٣، حديث ٢٠٠٢، ومجمع الزوائد ٥٠/٨، ومسند البزار ٣٥/١٠، حديث ٤٠٩٨).

في صورة قبيحة، ثم توزن،... فالصحيح أن الأعمال هي التي توزن^(١).

القول الثاني: إن الذي يوزن العامل نفسه: فقد جاء في السنة أن العبد يوزن في الآخرة، فإما أن يثقل ميزانه، وإما أن يخف، كل على قدر إيمانه، لا بضخامة جسمه، وعظم لحمه، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال النبي ﷺ: "إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلَ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقرءوا ﴿فَلَا نُفَيْمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾"^(٢)^(٣).
وفي المقابل يؤتى بالرجل النحيف الضعيف دقيق الساقين فإذا به يزن الجبال، فقد أخرج أحمد^(٤)، وأبو داود الطيالسي^(٥)، وابن حبان^(٦)، والطبراني^(٧)، والبخاري^(٨)، وأبو يعلى^(٩)، والشاشي^(١٠)، والحاكم^(١١)، عن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه كان يجتني سواكاً من الأراك، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه^(١٢)، فضحك القوم منه، فقال رسول الله ﷺ: "مِمَّ تَضْحَكُونَ؟" قالوا: يا نبي الله، من دقة ساقيه، فقال: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهْمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ"^(١٣).

(١) فتح الباري (٥٣٩/١٣).

(٢) سورة الكهف: الآية ١٠٥.

(٣) صحيح البخاري (٩٣/٦)، كتاب التفسير، باب ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾، حديث ٤٧٢٩، وصحيح مسلم (٢١٤٧/٤)، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، حديث ٢٧٨٥.

(٤) مسند أحمد (٩٨/٧)، حديث ٣٩٩١، وفضائل الصحابة (٨٤٣/٢)، حديث ١٥٥٢.

(٥) مسند الطيالسي (٢٧٧/١)، حديث ٣٥٣.

(٦) صحيح ابن حبان (٥٤٦/١٥)، حديث ٧٠٦٩.

(٧) المعجم الكبير (٧٨/٩)، حديث ٨٤٥٢.

(٨) مسند البزار (٢٤٥/٨)، حديث ٣٣٠٥.

(٩) مسند أبي يعلى الموصلي (٢٠٩/٩)، حديث ٥٣١٠، (٢٤٧/٩)، حديث ٥٣٦٥.

(١٠) المسند، للشاشي (١٢٤/٢)، حديث ٦٦١.

(١١) المستدرک علی الصحیحین (٣١٧/٣)، حديث ٥٣٨٥.

(١٢) أي: تمثله. (النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، "كفأ"، ١٨٢/٤).

(١٣) قال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي: "رواه البزار، والطبراني، ورجاهما رجال الصحيح"، وقال ابن كثير: "إسناده جيد قوي"، وقال ابن القيم: "رجاله ثقات". (المستدرک للحاکم، مع التلخیص، للذهبي ٣١٧/٣، ومجمع الزوائد، للهيثمي ٤٧٣/٩، والنهاية في الفتن والملاحم، لابن كثير ٢٩/٢، وسبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، لابن القيم ٤٠١/١).

قال ابن هُبيرة: "اعلم أنَّ أوزان القيامة إنما تثقل بالمعاني لا بالصور؛ فإذا كان صاحب جنة وليس فيه من معاني الإيمان ما يثقل الميزان لم يكن له وزن"^(١).

القول الثالث: إن الذي يوزن الصحف؛ أي صحف الأعمال التي كتبها الكتبة فهي التي توزن، ولكنها تخف وتثقل بحسب ما فيها من الأعمال صلاحًا أو فسادًا، والدليل على ذلك حديث البطاقة، حيث قال فيه: "فَتُوضَعُ السَّجَّلاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السَّجَّلاتُ، وَثَقَلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسمِ اللَّهِ شَيْءٌ"^(٢).

قال القرطبي: "والصحيح الذي ورد به الخبر؛ أنَّ الموازين تثقل بالكتب التي فيها الأعمال مكتوبة، وبها تخف، وقال ابن عمر رضي الله عنهما: "توزن صحائف أعمال العباد"^(٣). وقال الشيخ عبد الله سراج الدين: "فهذا الحديث صريح في أنَّ الذي يوضع في الميزان هو كتب الأعمال والأقوال"^(٤).

القول الرابع: الجمع بين الأقوال السابقة، وذلك أن الصحف والأعمال وأصحابها كلاً يوزن، وهو القول الرابع.

قال ابن أبي العز: "فائدة جلييلة؛ وهي أن العامل يوزن مع عمله"^(٥). وقال ابن كثير: "وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار، بأن يكون ذلك كله صحيحًا، فتارة توزن الأعمال، وتارة توزن محالها، وتارة يوزن فاعلها، والله أعلم"^(٦).

وقد جاء في حديث البطاقة رواية تدل على الجمع بين الأقوال الثلاثة، فقد أخرج أحمد^(٧)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِي رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "تُوضَعُ الْمَوَازِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ، فَيُوضَعُ فِي كِفَّةٍ، فَيُوضَعُ مَا أَحْصَى عَلَيْهِ، فَتَمَازِلُ بِهِ الْمِيزَانُ"،

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح (٦/٣٠٥).

(٢) سبق تخريجه، ص ٣٣٣.

(٣) تفسير القرطبي (٧/١٦٥)، والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص ٧٢٢.

(٤) الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها، ص ٣٧٠.

(٥) شرح الطحاوية (٢/٦١٠).

(٦) تفسير ابن كثير (٣/٣٩٠).

(٧) مسند أحمد (١١/٦٣٧)، حديث ٧٠٦٦.

قَالَ: "فَيُبْعَثُ بِهِ إِلَى النَّارِ، فَإِذَا أُذْبِرَ بِهِ إِذَا صَائِحٌ يَصِيحُ مِنْ عِنْدِ الرَّحْمَنِ، يَقُولُ: لَا تَعْجَلُوا، لَا تَعْجَلُوا، فَإِنَّهُ قَدْ بَقِيَ لَهْ، فَيُؤْتَى بِبِطَاقَةٍ فِيهَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَتُوضَعُ مَعَ الرَّجُلِ فِي كِفَّةٍ، حَتَّى يَمِيلَ بِهِ الْمِيزَانُ"^(١).

قال ابن كثير: "وهذا السياق فيه فائدة جليظة، وهي أن العامل يوزن مع عمله"^(٢).

وقال أيضًا: "وهذه الرواية تجمع الأقوال كلها بتقدير صحتها"^(٣).

وقال حافظ الحكمي: "فهذا يدلُّ على أن العبد يوضع هو وحسناته وصحيفتها في كفة، وسيئاته مع صحيفتها في الكفة الأخرى، وهذا غاية الجمع بين ما تفرق ذكره في سائر أحاديث الوزن، والله الحمد والمنة"^(٤).

ثانيًا: الحكمة من وزن الأعمال:

إن لوزن أعمال العباد حكمًا كثيرة، ذكر بعضها ابن الجوزي، فقال: "فيه خمس حكم:

إحداها: امتحان الخلق بالإيمان بذلك في الدنيا.

والثانية: إظهار علامة السعادة والشقاوة في الأخرى.

والثالثة: تعريف العباد ما لهم من خير وشر.

والرابعة: إقامة الحججة عليهم.

والخامسة: الإعلام بأن الله عادل لا يظلم، ونظير هذا أنه أثبت الأعمال في كتاب

واستنسخها من غير جواز النسيان عليه"^(٥).

(١) قال الهيثمي: "رواه أحمد، وفيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وبقيّة رجاله رجال الصحيح". (مجمع الزوائد، للهيثمي ١٠/٨٩).

(٢) النهاية في الفتن والملاحم (٢/٢٤).

(٣) المرجع نفسه (٢/٢٩).

(٤) معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/٨٤٩).

(٥) زاد المسير في علم التفسير (٢/١٠٣-١٠٤).

وأضاف القاضي عبد الجبار^(١) حكمةً أخرى جليلة، فقال: "وفيه فائدة أخرى تتعلق بالتكليف: وهي أن المرء مع علمه أن أعماله توزن على الملاء؛ كان عند ذلك أقرب إلى أداء الواجبات واجتناب المقبحات، وهذه فائدة عظيمة"^(٢).

قلت: أعظم هذه الحكم إظهار عدله ﷻ.

قال ابن أبي العز: "ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله ﷻ لجميع عباده، فإنه لا أحد أحبُّ إليه العذر من الله؛ من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، فكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا اطلاع لنا عليه"^(٣).

وقال محمد رشيد رضا: "إنَّ حكمة وزن الأعمال بعد الحساب: أنه يكون أعظم مظهر لعدل الرب ﷻ - أي لعلمه وحكمته وعظمته في ذلك اليوم العظيم -؛ إذ يرى فيه عباده ذلك بأعينهم، ويعرفونه معرفة إدراك ووجدان في أنفسهم، فإنَّ أعمالهم تتجلى لهم فيها أولاً، ثم تتجلى لهم ولسائر الخلق في خارجها ثانيًا، فإيا له من منظر مهيب، وإيا له من مظهر رهيب، وما أشد غفلة من قال: إنَّه لا حاجة إليه، للاستغناء بعلم الله عنه"^(٤).

قلت: ويتجلى عدل الله تعالى عند الميزان؛ بأنَّه يُكرم المؤمن، ويخزي الكافر والفاجر، وفي ذلك يقول القرطبي: "وإنَّما توزن أعمال المؤمن المتَّقِي لإظهار فضله، كما توزن أعمال الكافر لخزيه وذلك، فإنَّ أعماله توزن تبيكيتًا له على فراغه وخلوّه عن كلِّ خير، فكذلك توزن أعمال المتَّقِي تحسِينًا لحاله، وإشارة لخلوّه من كلِّ شر، وتزيينًا لأمره على رؤوس الأشهاد"^(٥).

قلت: لعلَّ الأمر غير مقتصر على ما تقدم، فإنَّ الله ﷻ قد يخفي هذه الحكم عن عباده، ليعلم من هو مؤمن ممن هو في شك، "فمهما قيل في الحكمة، فإنَّ الأمر لا يزال

(١) القاضي عَبْدُ الْجَبَّارِ بْنِ أَحْمَدَ، أَبُو الْحَسَنِ الْهَمْدَانِيُّ، الْعَلَامَةُ، الْمُتَكَلِّمُ، شَيْخُ الْمُعْتَزِلَةِ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ، مِنْ كِبَارِ فُقَهَاءِ الشَّافِعِيَّةِ، ت ٤١٥هـ، مِنْ أَوْثَانِ التَّنْعِيمِ، وَمِنْ أَعْظَمِ كُتُبِهِ: تَثْبِيْتُ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ. (سير أعلام النبلاء، للذهبي ١٧/٢٤٤-٢٤٥، طبقات الشافعيين، لابن كثير، ص ٣٧٣).

(٢) شرح الأصول الخمسة، ص ٧٣٦.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (٢/٦١٣).

(٤) انظر: تفسير المنار (٨/٢٨٨).

(٥) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص ٧٢٧.

يتطلب الإيمان الكامل، بأنَّ وزن الأعمال هو عين الحكمة، وأنَّ هذه مجرد استنباطات للعلماء،
وتبقى حقيقة علم ذلك إلى الله وحده"^(١).



(١) الحياة الآخرة، لغالب بن علي عواجي (١١٥٣/٢).

المطلب الثالث: الأعمال التي تثقل الميزان

هناك جملة من الأقوال والأعمال لو قام به العبد؛ فإنها ستكون سبباً في تثقيل موازينه

يوم القيامة، منها:

أولاً: التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير؛ تعظيماً لله ﷻ: فقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: "كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ؛ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ"^(١).

قوله: "خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ": "وصفهما بالخفة والثقل؛ لبيان قلة

العمل، وكثرة الثواب". قاله ابن حجر^(٢).

وقال العيني: "الثقل فيه على حقيقته؛ لأن الأعمال تتجسم عند الميزان، والميزان هو

الذي يوزن به في القيامة أعمال العباد"^(٣).

وقال الطيبي: "الخفة مستعارة للسهولة، شبه سهولة جريان الكلمتين على اللسان بما

يخف على الحامل من بعض الأمتعة، فلا يتعبه كالشيء الثقيل، فذكر المشبه به وأراد المشبه،

وأما الثقل فعلى الحقيقة عند علماء أهل السنة؛ إذ الأعمال تتجسم حينئذ، والخفة والسهولة

من الأمور النسبية، فهما مختصران من قوله: "سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله

أكبر، فتدبر"^(٤).

وخصَّ لفظ الرحمن بالذكر في قوله: "حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ"؛ لأن المقصود من الحديث

بيان سعة رحمة الله تعالى على عباده، حيث يجازي على العمل القليل بالثواب الجزيل^(٥).

وبالجملة فالحديث فيه: "حث على المواظبة عليهما، وتخريض على ملازمتيهما، وتعرض

بأن سائر التكاليف صعبة شاقة على النفس ثقيلة، وهذه خفيفة سهلة عليها، مع أنها تثقل في

(١) سبق تخريجه، ص ٣٣٨.

(٢) فتح الباري (١٣/٥٤٠).

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٣/٢٦).

(٤) الكاشف عن حقائق السنن (٦/١٨٢٠).

(٥) فتح الباري، لابن حجر (١٣/٥٤٠).

الميزان ثقل غيرها من التكاليف، فلا يتركوها إذًا". قاله الطيبي^(١)، والقسطلاني^(٢).
وأخرج مسلم عن أبي مالك الأشعري^(٣)، قال النبي ﷺ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ،
وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَنِ، أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..."^(٤) الحديث.
قال النووي: قوله: "الْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ": معناه عظم أجرها، وأنه يملأ الميزان،
وقوله "وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَنِ، أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ": فيحتمل أن
يقال: لو قُدِّرَ ثوابهما جسمًا، لملاً ما بين السماوات والأرض، وسبب عظم فضلها ما
اشتملتا عليه من التنزيه لله تعالى، بقوله: سبحان الله، والتفويض والافتقار إلى الله تعالى، بقوله:
الحمد لله، والله أعلم^(٥).

وأخرج أحمد^(٦)، والنسائي^(٧)، وابن أبي عاصم^(٨)، وابن حبان^(٩)، والطبراني^(١٠)،
والحاكم^(١١)، والبيهقي^(١٢)، من حديث أبي سلمى^(١٣)، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ:
"بَخٍ بَخٍ^(١٤)، خَمْسٌ مَا أَثْقَلُهُنَّ فِي الْمِيزَانِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللَّهُ

(١) الكاشف عن حقائق السنن (١٨٢٠/٦).

(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٣٩٧/٩).

(٣) هو: الحارث بن الحارث الأشعري الشامي، صحابي، تفرد بالرواية عنه أبو سلام - واسمه: مَطْوَرُ الْأَسْوَدِ الْحَبَشِيُّ،
وهو الراوي عنه في هذا الحديث -، والحارث هذا يكنى أبا مالك، وقد خلطه غير واحد بأبي مالك الأشعري، فوهوا، فإن
أبا مالك المشهور بكنيته المختلف في اسمه متقدم الوفاة على هذا، وهذا مشهور باسمه وتأخر حتى سمع منه أبو سلام.
(الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر ١/٦٦١).

(٤) صحيح مسلم (٢٠٣/١)، كِتَابُ الطَّهَارَةِ، بَابُ فَضْلِ الْوُضُوءِ، حديث ٢٢٣.

(٥) شرح النووي على مسلم (٣/١٠١).

(٦) مسند أحمد (٤٣٠/٢٤)، حديث ١٥٦٦٢.

(٧) السنن الكبرى (٧٤/٩)، حديث ٩٩٢٣، وعمل اليوم والليل، ص ٢١٥، حديث ١٦٧.

(٨) الأحاد والمثاني (٣٤٧/١)، حديث ٤٧٠، والسنة (٣٦٣/٢)، حديث ٧٨١.

(٩) صحيح ابن حبان (١١٤/٣)، حديث ٨٣٣.

(١٠) المعجم الكبير (٣٤٨/٢٢)، حديث ٨٧٣، ومسند الشاميين (٣٥٧/١)، حديث ٦١٥.

(١١) المستدرک على الصحيحين (٥١١/١)، حديث ١٨٨٥.

(١٢) شعب الإيمان (٢١٦/١٢)، حديث ٩٢٩٩.

(١٣) أبو سلمى: زاعي النبي ﷺ، واسمُه: حُرَيْثُ. (الاستيعاب، لابن عبد البر ٤/١٦٨٣، والإصابة، لابن حجر ١/٣٧٠).

(١٤) كلمة تُقَالُ عند المدح، والرّضَى بالشّيء، وتُكْرَرُ لِلْمُبَالَغَةِ، وَمَعْنَاهَا تَعْظِيمُ الْأَمْرِ وَتَفْخِيمُهُ. (النهاية في غريب
الحديث والأثر، لابن الأثير، "بَخٍ"، ١/١٠١).

أَكْبَرُ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فَيَحْتَسِبُهُ" الحديث^(١).

وله شاهد عن ثوبان مولى النبي ﷺ، أخرجه الطبراني^(٢)، والبزار، وحسن إسناده^(٣).

وقد بَوَّبَ ابن حبان لهذا الحديث، قائلاً: "ذِكْرُ اسْتِحْبَابِ الْإِكْتَارِ لِلْمَرْءِ مِنَ التَّسْبِيحِ،

والتَّحْمِيدِ، وَالتَّمجِيدِ، وَالتَّهْلِيلِ، وَالتَّكْبِيرِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا؛ رَجَاءً ثَقَلِ الْمِيزَانَ بِهِ فِي الْقِيَامَةِ"^(٤).

ثانياً: المواظبة على الأذكار المأثورة في دبر الصلاة المكتوبة، وعند النوم: فقد أخرج

أبو داود^(٥)، والترمذي^(٦) - واللفظ له -، والنسائي^(٧)، وابن ماجه^(٨)، وأحمد^(٩)، والحميدي^(١٠)،

وعبد بن حميد^(١١)، وعبد الرزاق^(١٢)، والبخاري في المفرد^(١٣)، وابن حبان^(١٤)، والطحاوي^(١٥)،

والطبراني^(١٦)، من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "خَلَّتَانِ لَا

يُحْصِيهِمَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ، أَلَا وَهُمَا يَسِيرٌ، وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ: يُسَبِّحُ اللَّهَ فِي

(١) قال الحاكم: "صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي، والبوصيري: "رجاله ثقات"، وقال

المنذري، والهيثمي: "رجاله رجال الصحيح". (المستدرک للحاکم، مع التلخیص للذهبي ١/٥١١، حديث ١٨٨٥، إتحاف

الخيرة المهرة، للبوصيري ١/٧٨، مجمع الزوائد، للهيثمي ١/٢٠٧، ١٠/١٠١، الترغيب والترهيب، للمنذري ٣/٥٨).

(٢) الدعاء، ص ٤٧٩، حديث ١٦٧٩.

(٣) مسند البزار (١٠/١٢١)، حديث ٤١٨٦.

(٤) صحيح ابن حبان (٣/١١٤).

(٥) سنن أبي داود (٤/٣١٦)، أبواب النوم، باب في التسبيح عند النوم، حديث ٥٠٦٥.

(٦) جامع الترمذي (٥/٣٥٠)، كتاب الدعوات، باب من التسبيح والتكبير والتحميد عند المنام، حديث ٣٤١٠.

(٧) سنن النسائي (٣/٧٤)، كتاب السهو في الصلاة، عَدُّ التَّسْبِيحِ بَعْدَ التَّسْلِيمِ، حديث ١٣٤٨.

(٨) سنن ابن ماجه (١/٢٩٩)، كتاب الصلاة، باب مَا يُقَالُ بَعْدَ التَّسْلِيمِ، حديث ٩٢٦.

(٩) مسند أحمد (١١/٤٠)، حديث ٦٤٩٨.

(١٠) مسند الحميدي (١/٤٩٦)، حديث ٥٩٤.

(١١) المنتخب من مسند عبد بن حميد، ص ١٣٩، حديث ٣٥٦.

(١٢) مصنف عبد الرزاق (٢/٢٣٣)، حديث ٣١٨٩.

(١٣) الأدب المفرد، ص ٤١٧، حديث ١٢١٦.

(١٤) صحيح ابن حبان (٥/٣٥٤، ٥/٣٦١)، حديث ٢٠١٢، (٥/٣٦١)، حديث ٢٠١٨.

(١٥) شرح مشكل الآثار (١٠/٢٨٣)، حديث ٤٠٩١.

(١٦) المعجم الأوسط (٣/٢١٤، ٣/٢٩٥٣)، (٦/٢١١)، حديث ٦٢١٥، الدعاء، ص ٢٣٠، حديث ٧٢٦.

دُبِّرَ كُلُّ صَلَاةٍ عَشْرًا، وَيَحْمَدُهُ عَشْرًا، وَيُكَبَّرُهُ عَشْرًا"، قَالَ: فَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَعْقُدُهَا بِيَدِهِ، قَالَ: "فَتِلْكَ خَمْسُونَ وَمِئَةٌ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ وَخَمْسُ مِئَةٍ فِي الْمِيزَانِ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ تُسَبِّحُهُ وَتُكَبِّرُهُ وَتَحْمَدُهُ مِئَةً، فَتِلْكَ مِئَةٌ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ فِي الْمِيزَانِ...". الحديث^(١).

وله شاهد عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أخرجه النسائي^(٢)، والطبراني^(٣)، بنحوه. قوله: "فَتِلْكَ خَمْسُونَ وَمِئَةٌ": يعني في اليوم واللييلة، وذلك أن عدد الكلمات المحصاة خلف كل صلاة ثلاثون، وعدد الصلوات المفروضات في اليوم واللييلة خمس، فإذا ضرب أحدهما في الآخر بلغ هذا المبلغ، وإنما كانت ألفًا وخمس مئة في الميزان، لأن الحسنه بعشر أمثالها^(٤).

ثالثًا: محاسن الأخلاق وطول الصمت: حيث إنَّها اللَّيْنَةُ الأولى لصلاح العبد واستقامته في الدنيا؛ وهي سبب رفعتة وفلاحه في الآخرة، ففي حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: "مَا شَيْءٌ أَثْقَلَ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ...". الحديث^(٥).

قال الكلاباذي: "هو إذن في الميزان أثقل من الصائم والقائم؛ وذلك إن شاء الله من مجاهدة النفس، فالصائم والقائم يجاهد نفسًا واحدة، وهي نفسه، وذو الخلق الحسن يجاهد نفسه، وأنفسًا كثيرة ممن يعاشروهم ويعاشرونه، ويتحمَّل أثقال نفسه، وأثقال غيره، فلذلك إن شاء الله ثَقُلَ ميزانه"^(٦).

(١) قال الترمذي: "حسن صحيح"، وصححه النووي، وابن حجر. (جامع الترمذي ٥/٣٥٠، حديث ٣٤١٠، الأذكار، للنووي، ص ٧٢، نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار، لابن حجر ٢/٢٨٢).

(٢) السنن الكبرى (٦٧/٩)، حديث ٩٩٠٧، وعمل اليوم واللييلة، ص ٢٠٨.

(٣) الدعاء للطبراني، ص ٢٢٩، حديث ٧٢٤.

(٤) كشف المناهج والتناقيح في تخريج أحاديث المصاييح، لأبي المعالي المناوي (٢/٣١٥).

(٥) سبق تخريجه، ص ٣٣٨.

(٦) بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخبار، ص ٢٦٠.

وأخرج البزار^(١)، وأبو يعلى^(٢)، وابن أبي عاصم^(٣)، والطبراني^(٤)، وأبو علي الطوسي^(٥)، وابن أبي الدنيا^(٦)، والبيهقي^(٧)، من حديث أنس^{رضي الله عنه}، قَالَ: لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَبَا ذَرٍّ ^{رضي الله عنه}، فَقَالَ: "يَا أَبَا ذَرٍّ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى خَصَلَتَيْنِ؛ هُمَا أَحْفُ عَلَى الظَّهْرِ، وَأَثْقَلُ فِي المِيزَانِ مِنْ غَيْرِهِمَا؟"، قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "عَلَيْكَ بِحُسْنِ الخُلُقِ، وَطُولِ الصَّمْتِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا تَجَمَّلَ الخَلَائِقُ بِمِثْلِهِمَا"^(٨).

قوله: "مَا تَجَمَّلَ الخَلَائِقُ بِمِثْلِهِمَا": إذ هما جماع الخصال الحميدة، ومن ثمَّ كانتا من أخلاق الأنبياء، وشعار الأصفياء، وهما جمال المرء في دنياه، وآخרתه، ففي دنياه يحمد الناس حاله، وفي آخره يجمِّله الله بإثابته عليهما^(٩).

قال المناوي: "وقد عدُّوا من محاسن الأخلاق؛ الإصغاء لكلام الجليس، وأنه إذا سمع إنساناً يورد شيئاً عنده منه علم، لا يستلبُ كلامه، ولا يُغالِبُه، ولا يُسَابِقُه؛ فإنَّ ذلك صغر نفس، ودناءة همة، بل يستمعُه منه، كأنَّه لا يعرفه، سيِّمًا في الجامع"^(١٠).

رابعًا: كلمة التوحيد: فهي أفضل الذكر في الدنيا، ولا يعادلها شيء في الآخرة، ففي حديث البطاقة الذي رواه عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ العَاصِ ^{رضي الله عنه}، عن النبي ^{صلى الله عليه وسلم}، وفيه: "فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٍ

(١) مسند البزار (٣٥٩/١٣)، حديث ٧٠٠١.

(٢) مسند أبي يعلى الموصلي (٥٣/٦)، حديث ٣٢٩٨.

(٣) الزهد، ص ١٦، حديث ٢.

(٤) المعجم الأوسط (١٤٠/٧)، حديث ٧١٠٣.

(٥) مستخرج الطوسي على جامع الترمذي، المشهور بمختصر الأحكام (٣٦٢/٦)، حديث ١٥٨٦.

(٦) الصمت، ص ٢٦١، حديث ٥٥٤.

(٧) شعب الإيمان (٢٠/٧)، حديث ٤٥٩١.

(٨) قال أبو علي الطوسي: إسناده حسن غريب"، وقال المنذري: "إسناده جيد، رواه ثقات"، وكذلك قال الهيثمي، والبوصيري: "رجاله ثقات". (مختصر الأحكام، للطوسي ٣٦٢/٦، حديث ١٥٨٦، والترغيب والترهيب، للمنذري ٢٧٤/٣، وجمع الزوائد، للهيثمي ٤٩/٨، إتحاف الخيرة المهرة، للبوصيري ١٨/٦).

(٩) انظر: التنوير شرح الجامع الصغير، للصنعاني (٢٧٨/٧)، وفيض القدير، للمناوي (٣٣٣/٤).

(١٠) فيض القدير (٣٣٣/٤).

فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ... فَتَوَضَّعَ السَّجَّالَاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السَّجَّالَاتُ، وَثَقَلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ وَأَخْرَجَ النَّسَائِيُّ^(٢)، وَابْنُ حَبَانَ^(٣)، وَالطَّبْرَانِيُّ^(٤)، وَأَبُو يَعْلَى^(٥)، وَالْحَاكِمُ^(٦)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ^(٧)، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا رَبِّ عَلَّمَنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ بِهِ وَأَدْعُوكَ بِهِ، قَالَ: يَا مُوسَى قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: يَا رَبِّ كُلُّ عِبَادِكَ، يَقُولُ هَذَا، قَالَ: قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ يَا رَبُّ، إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئًا تَخْصُنِي بِهِ، قَالَ: يَا مُوسَى لَوْ كَانَ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ، وَعَامِرُهُنَّ غَيْرِي، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعُ فِي كِفَّةٍ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ"^(٧).

قال الحكيم الترمذي: "وإنما ثقلت لعظم نورها؛ لأنها خرجت من نور استنار قلبه بالنطق بها، وإذا أراد الله بعبد خيراً منَّ عليه في ساعةٍ من عمره، وَنَبَّهَهُ، فإذا انتبه؛ انفتح قلبه، واستنار صدره من تلك الفتحة، فإذا انفتح القلب؛ خرج النور إلى الصدر، فأشرق، فأبى كلمة نطق بها في ذلك الوقت، فإِنَّمَا ينطق على شرح الصدر، وتلك الكلمة تسمى كلمة الإخلاص، وكلمة يقين تتَّكُلُّ في الوزن، يوم الوزن، وتكون سبباً لنجاة صاحبها"^(٨).

وهناك سببٌ آخر يبين السِّرَّ في تنقيل هذه الكلمة سبباً للميزان؛ وذلك أَنَّهَا أصل كلِّ عمل صالح، حيث يقول ابن القيم: ومنها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿١٦٦﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾^(٩)،

(١) سبق تخريجه، ص ٣٣٣.

(٢) عمل اليوم والليلة، ص ٤٨٢، حديث ٨٣٤.

(٣) صحيح ابن حبان (١٠٢/١٤)، حديث ٦٢١٨.

(٤) الدعاء، ص ٤٣٥، حديث ١٤٨٠.

(٥) مسند أبي يعلى الموصلي (٥٢٨/٢)، حديث ١٣٩٣.

(٦) المستدرک على الصحيحين (٥٢٨/١)، حديث ١٩٣٦.

(٧) قال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي. (المستدرک للحاكم، مع التلخيص للذهبي ٥٢٨/١، حديث ١٩٣٦).

(٨) نواذر الأصول في أحاديث الرسول (١/٣٧٨).

(٩) سورة إبراهيم: الآيتان ٢٤-٢٥.

فشبهه ﷺ الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة؛ لأنَّ الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح، والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع، وهذا ظاهرٌ على قول جمهور المفسرين الذين يقولون: الكلمة الطيبة هي شهادة أن لا إله إلا الله، فإنَّها تثمر جميع الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة، فكلُّ عملٍ صالح مرضي لله ثمرة هذه الكلمة"^(١).

فإن قيل: كيف رجحت بطاقة شهادة هذا على تلك السجلات المليئة بالذنوب، مع أنَّ جميع العصاة من المسلمين عندهم هذه الشهادة، ولم تترجح على كتب معاصيهم وذنوبهم؟
فالجواب، كما يقول الشيخ عبد الله سراج الدين^(٢):

"إنَّ كلمة الشهادتين قد تكون هي بها الإسلام، وقد تكون حسنة من الحسنات التي أتى بها صاحبها بعد الدخول في الإسلام.
فمن كان كافرًا فنطق بالشهادتين، ودخل بها في الإسلام، فإنَّ هذه الشهادة، وهي شهادة الإسلام تَهْدِم ما قبلها من الذنوب والمعاصي.

وأما من كان مسلمًا وتشهَّد أو هلَّل فإنَّ ذلك يعتبر حسنة بل من أكبر الحسنات.
والمعنى: أنَّ لا إله إلا الله تمحو من السيئات على حسب إخلاص قائلها فيها، كما هو شأن سائر الحسنات، بل هي أفضل الحسنات، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾^(٣).

فصاحب البطاقة الوارد ذكره في الحديث، فيه أقوال:

القول الأول: يحتمل أنَّه كان كافرًا ثمَّ أسلم في آخر عمره، وشهد الشهادتين، وختم له بذلك، فحينئذ يكون بها إسلامه، والإسلام يهدم ما قبله من الذنوب.

القول الثاني: أنَّه كان مسلمًا لكنه مسرف على نفسه بكثرة ذنوبه التي ملأت تسعة وتسعين سجلاً بالخطايا والذنوب، ولكنه له حسنة كبيرة قد تقرب بها إلى الله تعالى، وهي الشهادتين، نطق بهما في آخر عمره، تائبًا منيًّا راجيًا رحمة ربه، هكذا كانت خاتمة عمره فكانت المغفرة عاقبة أمره. اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلِّها.

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/١٣٢).

(٢) انظر: الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها، ص ٣٦٩-٣٧٢.

(٣) سورة هود: الآية ١١٤.

القول الثالث: إِنَّ صاحب البطاقة أراد الله الغفور الرحيم أن يكرمه إكرامًا خاصًا، ويعلن ذلك على رؤوس الخلائق، فغفر له جميع ذنوبه، ومحامها عنه بسبب الشهادة التي تقرب بها إلى الله ﷻ.

فهذا من باب الإكرام الإلهي الخاص، كما يشير إلى ذلك قوله ﷺ في صدر الحديث: "إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"^(١).

خامسًا: احتساب الولد الصالح عند موته؛ والدليل عليه: حديث أَبِي سَلَمَى، رَاعِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: "خَمْسٌ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ"، وذكر منها: "وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فَيَحْتَسِبُهُ" الحديث^(٢).

قال الصنعاني: قوله: "وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ"، أي: المسلم، ولعلَّ هذا مراد به موت المكلفين من الأولاد؛ لأنه الذي يتصف بالإسلام، والصلاح حقيقة، فهذه البشرية غير البشرية التي في أحاديث موت الأطفال الذين لم يبلغوا الحنث، فإنَّ تلك تندب بهذا القيد، وهي عبارة عن بلوغ سن التكليف^(٣).

سادسًا: احتساب الفرس وغيره في سبيل الله: فقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "مَنْ أَحْتَسَبَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ إِيْمَانًا بِاللَّهِ، وَتَصَدِيقًا بِوَعْدِهِ، فَإِنَّ شِبَعَهُ، وَرِيَّهُ، وَرَوْتَهُ، وَبَوْلَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"^(٤).

في هذا الحديث من الفقه: "جواز وقف الخيل للمدافعة عن المسلمين، ويستنبط منه جواز وقف غير الخيل من المنقولات ومن غير المنقولات من باب الأولى. قاله المهلب^(٥).

(١) سبق تخريجه، ص ٣٣٣.

(٢) سبق تخريجه، ص ٣٤٥.

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير (٤/٥٣٨).

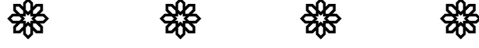
(٤) صحيح البخاري (٤/٢٨)، كتاب الجهاد، بَاب مَنْ أَحْتَسَبَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، حديث ٢٨٥٣.

(٥) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٦/٥٧).

والمهلب هو: ابن أحمد بن أبي صَفْرَةَ أَسِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَسَدِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ، مُصَنِّفُ "شَرْحِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ"، ت ٤٣٥ هـ.

(انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي ١٧/٥٧٩).

وقال ابن أبي جمرة: يستفاد من هذا الحديث؛ أن هذه الحسنات تُقبل من صاحبها،
لتنصيب الشارع على أنها في ميزانه، بخلاف غيرها، فقد لا تُقبل، فلا تدخل الميزان"^(١).
وفي قوله: "وَرَوَّثُهُ": يريد ثواب ذلك، لا أن الأرواث بعينها توزن. قاله ابن حجر،
والعيني^(٢).



(١) فتح الباري، لابن حجر (٥٧/٦).

(٢) فتح الباري، لابن حجر (٥٧/٦)، وعمدة القاري، للعيني (١٤٦/١٤).

المطلب الرابع: وزن أعمال الكفار

سأعرض هنا مسألتين قد وقع فيهما استشكال، هما:

المسألة الأولى: إنَّ وزن أعمال المؤمنين وجهه ظاهر، حيث تُقابل الحسنات بالسيئات، أمَّا الكافر لا يكون له حسنات، فكيف يتحقق في أعماله الوزن؟ والجواب على ذلك من وجهين^(١):

أحدهما: أنَّ الكافر يحضر له ميزان فيوضع كفره، أو كفره وسيئاته في إحدى كفتَيْه، ثمَّ يقال له: هل لك من طاعة تضعها في الكفة الأخرى؟، فلا يجدها، فيشال الميزان، فترتفع الكفة الفارغة، وتقع الكفة المشغولة، فذلك خِفة ميزانه، وهذا ظاهر الآية - يعني قوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾^(٢)؛ - لأنَّ الله تعالى وصف الميزان بالخِفة لا الموزون، وإذا كان فارغاً فهو خفيف.

والوجه الآخر: أنَّ الكافر يكون منه صلة الأرحام، ومؤاساة الناس، وعتق المملوك، ونحوهما مما لو كانت من المسلم لكانت قربة وطاعة، فمن كان له مثل هذه الخيرات من الكفار؛ فإنها تجمع وتوضع في ميزانه، غير أن الكفر إذا قابلها رجح بها، ولم يخل من أن يكون الجانب الذي فيه الخيرات من ميزانه خفيفاً، ولو لم يكن له إلا خيراً واحداً، أو حسنة واحدة؛ لأحضرت، ووزنت.

المسألة الثانية: وهي اعتراض على ما سبق في إثبات وزن أعمال الكفار ، وهي أنه لو احتسبت خيرات الكافر حتى يوزن؛ لجوزي بها جزاء مثلها، ولو تمَّ ذلك فيُحتمل أن ترجح حسناته على سيئاته، فكيف يزال هذا الإشكال؟

يجيب الإمام القرطبي على هذا، حيث يقول: ليس للكافر من حسناته جزاء؛ لأنَّ رسولَ الله ﷺ سئلَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ، وَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُ كَانَ يَقْرِي الضَّيْفَ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُعِينُ فِي النَّوَائِبِ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: "لَا يَنْفَعُهُ إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ"

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، للقرطبي، ص ٧٢٠-٧٢١، وانظر: شعب الإيمان، للبيهقي (١/٤٣٨-٤٤٠).

(٢) سورة الأعراف: الآية ٩.

الدِّينِ"^(١)، فدلَّ أنَّ الخيرات من الكافر ليست بخيرات، وأنَّ وجودها وعدمها بمنزلة واحدة سواء"^(٢).

ومن وجه آخر: فإنَّ الله وَعَلَّمَكَ، يقول: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾^(٣)، ولم يفصل بين نفس ونفس، فخيرات الكافر توزن ويُجزى بها، إلا أنَّ الله تعالى حرَّم عليه الجنة، فجزاؤه أن يخفف عنه؛ بدليل حديث أبي طالب، فإنه قيل: يا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبَا طَالِبٍ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَنْصُرُكَ، فَهَلْ نَفَعَهُ ذَلِكَ؟ قال: "نعم وَجَدْتُهُ فِي غَمْرَاتٍ مِنَ النَّارِ فَأَخْرَجْتُهُ إِلَى ضَحْضَاحٍ"^(٤)، وما قاله ﷺ في ابن جدعان إنما هو في أنهما لا يدخلان الجنة، ولا يتنعمان بشيء من نعيمها"^(٥).

قلت: والخلاصة في قضية وزن أعمال الكفار؛ أن ذلك واقع، "وأنه لا يكون لحسنات الكافر موقع التخليص من النار، والإدخال في الجنة، وقد يجوز أن يخفف عنه من عذابه الذي استوجبه بسببته بما تقدّم منه في الشرك من خيراته"^(٦).



(١) سبق تخرجه، ص ٣٦. وقد بسطت القول هناك في الحديث على مسألة إحباط أعمال الكفار في الآخرة.

(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص ٧٢١.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٤٧.

(٤) سبق تخرجه، ص ٣٧.

(٥) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص ٧٢١-٢٢٢، وانظر: شعب الإيمان، للبيهقي (١/٤٣٩).

(٦) شعب الإيمان، للبيهقي (١/٤٤٣).

المبحث الثاني

الصّراط

المطلب الأول: تعريف الصّراط وصفته

المطلب الثاني: حال الناس أثناء المرور على الصراط

المطلب الثالث: القنطرة

المطلب الرابع: ذبح الموت على الصّراط في الآخرة

المطلب الأول: تعريف الصِّراطِ وصفته

أولاً: تعريف الصِّراط:

الصِّراط، والسِّراط، والزِّراط: أصله في لغة العرب: الطريق، وقيل: معناه: السبيل الواضح، ومنه قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١)، أي ثبتنا على المنهاج الواضح، وقيل: الدين، فيكون المعنى: ديناً مستقيماً، وقرئ السِّراط، من الاستراط بمعنى الابتلاع، كأنَّ الطريق يستترط من يسلكه، فمعنى السِّراط: الطريق المستسهل، أصله من: سرطتُ الطعام وزرذتُه: أي ابتلعته، أمَّا الصُّراط بالضم، فمعناه: السيف الطويل^(٢).

أمَّا في الاصطلاح، فهو: "جسرٌ ممدودٌ على متن جهنم"، قاله الفيروز ابادي^(٣). وقال: السفاريني: "جسمٌ ممدودٌ على متن جهنم، يَرِدُه الأولون والآخرون، فهو قنطرة بين الجنة والنار"^(٤).

ثانياً: وجوب الإيمان بالصراط:

لا شك أنَّ الإيمان بالصِّراط من مقتضيات الإيمان باليوم الآخر، فقد جاء التأكيد على ثبوته وحقيقته على لسان من لا ينطق على الهوى محمد ﷺ في مراتٍ عديدة، حتى أصبح من المعلوم من الدين بالضرورة.

قال ابن أبي العز: "ونؤمن بالصِّراط، وهو جسر على جهنم..."^(٥). وقال السِّفاري: "اتفقت الكلمة على إثبات الصراط في الجملة، لكن أهل الحق يثبتونه

(١) سورة الفاتحة: الآية ٦.

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور، "صَرَطَ"، (٤٣٠/٢)، وتاج العروس، للزبيدي، "سَرَطَ"، (٣٤٥/١٩)، والقاموس المحيط، للفيروز ابادي (٦٧٥/١)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٤٧/١)، والمفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، "صَرَطَ"، ص ٤٨٣.

(٣) القاموس المحيط، للفيروز ابادي (٦٧٥/١).

(٤) لوامع الأنوار البهية (١٨٩/٢).

(٥) شرح العقيدة الطحاوية (٦٠٥/٢).

على ظاهره من كونه جسراً ممدوداً على متن جهنم، أحد من السيف وأدق من الشعر" (١).
وقد أخرج محمد بن نصر المروزي (٢)، وابن خزيمة (٣)، والطبراني (٤)، والدارقطني (٥)،
والحاكم (٦)، واللالكائي (٧)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال النبي ﷺ: "يَجْمَعُ اللَّهُ
النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ... وَيَمْرُونَ عَلَى الصِّرَاطِ، وَالصِّرَاطُ كَحَدِّ السَّيْفِ دَحْضُ مَزَلَّةٍ" (٨)، فيقال:
انجوا على قدر نوركم... الحديث (٩).

وفي رواية في الصحيحين - واللفظ للبخاري -، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه،
وفيه: قال النبي ﷺ: "ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ"، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا
الْجَسْرُ؟، قَالَ: "مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفٌ" (١٠)، وكالآيب... الحديث (١١).

فقوله ﷺ في حديث ابن مسعود رضي الله عنه: "وَيَمْرُونَ عَلَى الصِّرَاطِ، وَالصِّرَاطُ كَحَدِّ
السَّيْفِ"، وفي حديث أبي سعيد رضي الله عنه: "ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ"؛ دليل على
حقيقة الصراط وثبوته، وأنه لا بد من الإيمان به.

قال القاضي عياض: "فيه صحة أمر الصراط والإيمان به، والسلف مجمعون على حمله

(١) لوامع الأنوار البهية (١٩٢/٢).

(٢) تعظيم قدر الصلاة (٢٩٧/١)، حديث ٢٧٨.

(٣) التوحيد (٥٨٣/٢).

(٤) المعجم الكبير (٣٥٧/٩)، حديث ٩٧٦٣.

(٥) رؤية الله، ص ٢٦٤، حديث ١٦٢.

(٦) المستدرک على الصحيحين (٣٧٦/٢)، حديث ٣٤٢٤.

(٧) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥٣٧/٣)، حديث ٨٤٢.

(٨) الدحض والمزلة بمعنى واحد، وهو الموضع الذي تزل فيه الأقدام، ولا تستقر. (النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن
الأثير، "زكّل"، ٣١٠/٢، وشرح النووي على مسلم ٢٩/٣).

(٩) قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ"، ووافقه الذهبي. (المستدرک للحاكم،
والتلخيص للذهبي (٣٧٦/٢)).

(١٠) خَطَاطِيفٌ: جَمْعُ خَاطِيفٍ، وَهُوَ الْحَدِيدَةُ الْمُعْجَاجَةُ كَالْكُلُوبِ يُخْتَطَفُ بِهَا الشَّيْءُ. (النهاية في غريب الحديث والأثر،
لابن الأثير، "خَطَفَ"، ٤٩/٢).

(١١) صحيح البخاري (١٢٩/٩)، كتاب التوحيد، باب قَوْلُهُ: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾، حديث ٧٤٣٩،
وصحيح مسلم (١٦٧/١)، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، حديث ١٨٣.

على ظاهره دون تأويل، والله أعلم بحقيقة صفته، وهو الجِسْر، كما جاء في الحديث الآخر^(١).

ثالثاً: صفة الصراط:

إنَّ للصراط أوصافاً تنخلع منها القلوب، وتشيب منها الرؤوس، وترتجف لها الأبدان، حريٌّ بكلِّ ذي لُبٍّ أن يستحضرها في قلبه؛ كي تكون له زاجرةً عن الوقوع في المعاصي، ولتكن له دافعةً لفعل الطاعات والقربات من ربِّ الأرض والسما.

قال القرطبي: "فتفكر الآن فيما يحلُّ بك من الفزع بفؤادك إذا رأيت الصِّراط ودقَّته، ثمَّ وقع بصرك على سواد جهنَّم من تحته، ثمَّ قرع سمعك شهيق النار وتغيُّظها، وقد كُلفت أن تمشي على الصِّراط، مع ضعف حالك، واضطراب قلبك، وتزلزل قدمك، وثقل ظهرك بالأوزار، المانعة لك من المشي على بساط الأرض، فضلاً عن حدة الصِّراط، فكيف بك إذا وضعت عليه إحدى رجليك، فأحسست بحدَّته، واضطرتت إلى أن ترفع قدمك الثاني، والخلائق بين يديك يزلون، ويعثرون، وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب، وأنت تنظر إليهم كيف ينكسون إلى جهة النار رؤوسهم، وتعلو أرجلهم، فيا له من منظر ما أفضعه، ومرتقى ما أصعبه، ومجاز ما أضيقه"^(٢).

وهذه الصفات قد جاء ذكرها على لسان الصادق المصدوق عليه السلام، وهي كالآتي:

الصفة الأولى: الصراط مثل حدِّ موسى أو حدِّ السيف: والدليل على ذلك؛ حديثُ سَلْمَانَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، قَالَ: "يُوضَعُ الْمِيزَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...، وَيُوضَعُ الصِّرَاطُ مِثْلَ حَدِّ الْمُوسَى فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: مَنْ تُجِيزُ عَلَيَّ هَذَا؟ فَيَقُولُ: مَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي، فَيَقُولُ: سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ" الحديث^(٣).

وجاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه، أَنَّهُ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: "وَيَمُرُّونَ عَلَيَّ الصِّرَاطِ، وَالصِّرَاطُ

كَحَدِّ السَّيْفِ، دَخَضُ مَزَلَّةٍ... " الحديث^(٤).

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/٥٥٠).

(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص ٧٥٧.

(٣) سبق تخريجه، ص ٣٣٦.

(٤) سبق تخريجه، ص ٣٥٧.

الصفة الثانية: الصراط زلق: فقد جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه السابق قوله في وصف الصراط: إنه "دَحْضُ مَزْلَةٍ"، وجاء وصفه بذلك في حديث الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، حيث قال: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْجُسْرُ؟، قَالَ: "مَدْحَضَةٌ مَزْلَةٌ..." الحديث^(١).

قال العيني: "مَدْحَضَةٌ: من دحضت رجله دحضًا زلقت، ومَزْلَةٌ: من زلت الأقدام سقطت"^(٢)، قال النووي: "الدَّحْضُ وَالْمَزْلَةُ بمعنى واحد، وهو الموضع الذي تنزل فيه الأقدام، ولا تستقر"^(٣).

الصفة الثالثة: له جنبتان أو حافتان: فقد أخرج أحمد^(٤)، وابن أبي شيبة^(٥)، وابن أبي عاصم^(٦)، والبخاري^(٧)، والدولابي^(٨)، وأبو بكر الخلال^(٩)، من حديث أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "يُحْمَلُ النَّاسُ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَتَقَادَعُ بِهِمْ جَنْبَتَا الصِّرَاطِ تَقَادَعُ الْفَرَّاشِ فِي النَّارِ"، قَالَ: "فَيُنَجِّي اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ..." الحديث^(١٠).

(١) سبق تخريجه، ص ٣٥٧.

(٢) عمدة القاري (١٢٩/٢٥).

(٣) شرح النووي على مسلم (٢٩/٣).

(٤) مسند أحمد (٩٠/٣٤)، حديث ٢٠٤٤٠.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (١٧٧/١٣)، حديث ٣٥٣٣٣.

(٦) السنن (٤٠٣/٢)، حديث ٨٣٧.

(٧) مسند البزار (١٢٢/٩)، حديث ٣٦٧١.

(٨) الكنى والأسماء للدولابي (٦٠٣/٢)، حديث ١٠٨٠.

(٩) السنن (٤٧/٥)، حديث ١٥٨١.

(١٠) أَبُو بَكْرَةَ: نُفَيْعُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ التَّحْفِيُّ الطَّائِفِيُّ، من الصحابة الكرام، ت ٥١ هـ أو ٥٢ هـ. (الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤/١٥٣٠، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر ٦/٣٦٩).

(١١) قال السيوطي: "إسناده صحيح"، وقال البوصيري: "رواته ثقات"، وقال الهيثمي مرة: "رجاله رجال الصحيح"، وقال مرة أخرى: "إسناده مَرْضِيُونٌ". (البدور السافرة، للسيوطي، ص ٢٥١، وإتحاف الخيرة المهرة، للبوصيري ٨/١٦٦، ومجمع الزوائد، للهيثمي ١٠/٦٥١، وكشف الأستار، للهيثمي ٤/١٧١).

قوله: "فَتَقَادَعُ بِهِمْ جَنَبَاتِ الصَّرَاطِ تَقَادَعُ الْفَرَاشِ فِي النَّارِ": أي تسقطهم فيها بعضهم فوق بعض، وتقادع القوم: إذا مات بعضهم إثر بعض^(١)، فَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ يَتَهَافَتُونَ فِي النَّارِ^(٢).

الصفة الرابعة: ولحافتي الصراط كلاليب: وذلك للحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَحَدِيثَهُ بِنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "وَفِي حَافَتِي الصَّرَاطِ كَاللَّيْبِ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أَمَرْتُ بِهِ..."^(٣) الحديث.

وفي الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ...، وَبِهِ كَاللَّيْبِ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، أَمَا رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهَا لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عَظْمِهَا إِلَّا اللَّهُ، فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ..."^(٤) الحديث.

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْجَسْرُ؟، قَالَ: "مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفٌ، وَكَالَلَيْبِ، وَحَسَكَةٌ مُفْلَطْحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عَقِيفَاءُ، تَكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ..."^(٥) الحديث.

قوله: "كَالَلَيْبِ": جمع كَلُوبٍ، وهو حديدة معطوفة الرأس يعلق عليها اللحم، وقيل: الكَلُوبُ الذي يتناول به الحداد الحديد من النار^(٦).

وقوله: "خَطَاطِيفٌ": جمع خُطَافٍ، وهو الحديدة المعوجة كالكلُوب يختطف بها الشيء^(٧).

وقوله: "حَسَكَةٌ": هي شوكة صلبة معروفة، وقيل: الحسك نبات له ثمر خشن يتعلق بأصواف الغنم، وربما اتخذ مثله من حديد، وهو من آلات الحرب، وقوله: "مُفْلَطْحَةٌ": أي

(١) النهاية في غريب الحديث، "قَدَعٌ"، (٢٤/٤)، وانظر: الفائق في غريب الحديث، للزمخشري، "قَدَعٌ"، (١٦٥/٣).

(٢) غريب الحديث، للقاسم بن سلام، "قَدَعٌ"، (١١٦/٣).

(٣) صحيح مسلم (١٨٦/١)، كتاب الإيمان، باب أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ فِيهَا، حديث ١٩٥.

(٤) صحيح البخاري (١١٧/٨)، كتاب الرقاق، باب الصَّرَاطِ جِسْرُ جَهَنَّمَ، حديث ٦٥٧٣، وصحيح مسلم (١٦٣/١)، كتاب الإيمان، باب مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ، حديث ١٨٢.

(٥) سبق تخريجه، ص ٣٥٧.

(٦) عمدة القاري، للعيني (١٢٦/٢٥).

(٧) المرجع نفسه (١٢٩/٢٥).

عريضة، وقوله: "عُقَيْفَاءٌ": أي معوجة" (١).

وقوله "شَوْكِ السَّعْدَانِ": هو نبات ذو شوك يُضرب به المثل في طيب مرعاه (٢).

وتشبيه الكلاليب بشوك السَّعدان؛ خاص بسرعة اختطافها، وكثرة الانتشاب فيها، مع

التَّحَرُّزِ والتَّصُونِ؛ تمثيلاً لهم بما عرفوه في الدنيا، وألفوه بالمباشرة (٣).

وقوله: "لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عَظْمِهَا إِلَّا اللَّهُ": عَظْمُ الشَّيْءِ عَظْمًا: أي كَبْرٌ، فتقديره: لا يعلم

قَدْرَ كِبَرِهَا إِلَّا اللَّهُ، وَعَظْمُ الشَّيْءِ أَكْثَرُهُ (٤).

قال القاضي أبو بكر بن العربي: "هذه الكلاليب هي الشهوات المشار إليها في

حديث - أنس بن مالك رضي الله عنه، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -: "حُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ" (٥)، قال:

"فالشهوات موضوعة على جوانبها، فمن اقتحم الشهوة سقط في النار، لأنَّها خطاطيفها" (٦).

الصفة الخامسة: الصِّرَاطُ مُظْلَمٌ: والدليل على ذلك ما رواه مسلم عن ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ

ﷺ قَالَ: قَالَ جِبْرٌ مِنْ أَحْبَابِ الْيَهُودِ: أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ

وَالسَّمَوَاتِ﴾ (٧)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "هُمُ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ" (٨).

وسياتي في المطلب الثاني عند الحديث عن أحوال الناس على الصِّرَاطِ، كيف يلتمس كلُّ

واحد منهم نورًا له؛ لعلَّه ينجو بنفسه وسط هذا الظلام الدامس، ولكن كتب الله ﻻ أَنْ

يكون نورهم هذا حسب أعمالهم.



(١) عمدة القاري، للعيني (١٢٩/٢٥).

(٢) فتح الباري، لابن حجر (٤٥٣/١١).

(٣) فتح الباري، لابن حجر (٤٥٣/١١).

(٤) انظر: عمدة القاري، للعيني (١٣٤/٢٣).

(٥) صحيح البخاري (١٠٢/٨)، كتاب الرقاق، باب حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، حديث ٦٤٨٧، وصحيح مسلم

(٤/٢١٧٤)، كتاب الجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، حديث ٢٨٢٢.

(٦) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٤٥٣/١١).

(٧) سورة إبراهيم: الآية ٤٨.

(٨) سبق تخريجه، ص ١٥٣.

المطلب الثاني: حال الناس أثناء المرور على الصراط

يتفاوت الناس في المرور على الصراط تفاوتًا عظيمًا؛ كُلٌّ حسب عمله الذي قدّمه في الحياة الدنيا، ويتلخص هذا التفاوت في الآتي:

أولاً: يُعطي الله ﷻ كلَّ إنسان نورًا على قدر عمله يتبعه على الصراط: والدليل على ذلك حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وفيه: قال النبي ﷺ: "فِيُعْطُونَ نُورَهُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ الْجَبَلِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ فَوْقَ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ النَّخْلَةِ بِيَمِينِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى دُونَ ذَلِكَ بِيَمِينِهِ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُ ذَلِكَ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ يُضِيءُ مَرَّةً، وَيُطْفِئُ مَرَّةً، فَإِذَا أَضَاءَ قَدَمَهُ، وَإِذَا طَفِئَ قَامَ، فَيَمُرُّ وَيَمُرُّونَ عَلَى الصَّرَاطِ وَالصَّرَاطُ كَحَدِّ السَّيْفِ..." الحديث^(١).

وقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قَالَ: "وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ؛ مُنَافِقٍ، أَوْ مُؤْمِنٍ نُورًا، ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ، وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَاللَّيْلِ وَحَسَبُكَ تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ..."^(٢) الحديث.

وقد حدّثنا الله ﷻ عن حال المؤمن كيف يسير على الصراط مبصرًا بنور عمله الصالح، فقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٣). أسأل الله أن نكون من أهلها.

ثانيًا: انطفاء نور المنافقين: والدليل على ذلك حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه السابق، وقال فيه: "ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ".

فبيّن الحديث أنّ الخوف يستحوذ على جميع الناس في هذا الموقف العصيب، كلُّهم يريد النجاة بنفسه من الكاليب، والخطاطيف، فإذا نور المنافقين يُطفأ؛ ليزدادوا خوفًا إلى

(١) سبق تخريجه، ص ٣٥٧.

(٢) صحيح مسلم (١/١٧٧)، كتاب الإيمان، باب أذنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث ١٩١.

(٣) سورة الحديد: الآية ١٢.

خوفهم، وهذا المعنى نظير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾^(١). نسأل الله العافية والسلامة.

ثالثاً: اختلاف سرعة الناس في المرور على الصراط: تختلف سرعتهم باختلاف قوة النور الذي يُعطى لهم على قدر أعمالهم، ويدل عليه حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وقال فيه: "وَيَمُرُّونَ عَلَى الصِّرَاطِ، وَالصِّرَاطُ كَحَدِّ السَّيْفِ، دَحْضُ مِرْلَةٍ، فَيُقَالُ: انجُوا عَلَى قَدْرِ نُورِكُمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَانْقِضَاضِ الْكُوكَبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالطَّرْفِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرَّيْحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَشَدِّ الرَّجْلِ، وَيَرْمُلُ رَمَلًا، فَيَمُرُّونَ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ حَتَّى يَمُرَّ الَّذِي نُورُهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ قَالَ: يَجْرُ يَدًا وَيُعَلِّقُ يَدًا وَيَجْرُ رِجْلًا وَيُعَلِّقُ رِجْلًا وَتَضْرِبُ جَوَانِبَهُ النَّارُ، قَالَ: فَيَخْلَصُوا فَإِذَا خَلَصُوا قَالُوا: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنْكَ بَعْدَ الَّذِي أَرَانَاكَ لَقَدْ أَعْطَانَا اللَّهُ مَا لَمْ يُعْطِ أَحَدًا"^(٢).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾^(٣)، أخرج الحاكم^(٤)، والبيهقي^(٥)، من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: "يَرِدُ النَّاسُ النَّارَ، ثُمَّ يَصْدُرُونَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَأَوْلُهُمْ كَلْنَعِ الْبَرْقِ، ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَحُضْرِ الْفَرَسِ، ثُمَّ كَالرَّكَابِ، ثُمَّ كَشَدِّ الرَّحَالِ، ثُمَّ كَمَشِيهِمْ"^(٦).

وفي حديث البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، وفيه: بعد أن وصف النبي صلى الله عليه وسلم الصراط، وذكر شَوْكَةَ السَّعْدَانِ، قال: "الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرَّيْحِ،

(١) سورة الحديد: الآية ١٣.

(٢) سبق تخريجه، ص ٣٥٧.

(٣) سورة مريم: الآية ٧١.

(٤) المستدرک على الصحيحين (٢/٣٧٥)، حديث ٣٤٢١.

(٥) الاعتقاد، للبيهقي، ص ٢٠٣.

(٦) قال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي. (المستدرک للحاكم، مع التلخيص

للذهبي ٢/٣٧٥، حديث ٣٤٢١).

وَكَاوِيدِ الْخَيْلِ، وَالرَّكَابِ... "الحديث" (١).

قال العيني: قوله: "كَالطَّرْفِ": بكسر الطاء وهو الكريم من الخيل، وبالفتح البصر، وهذا هو الأولى لئلا يلزم التكرار (٢).

قلت: المعنى الثاني هو المراد بدليل أن النبي ﷺ ذكر بعد ذلك البرق، والريح، وممرور الخيل على الترتيب في السرعة.

وقوله: "وَكَاوِيدِ الْخَيْلِ": جمع الجواد، وهو فرس بين الجودة، "وَالرَّكَابِ": الإبل واحدها الراحلة من غير لفظها (٣).

ومنهم من يزحف على الصراط زحفاً كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة وَحَذِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقال ﷺ فيه: "وَنَبِيِّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصَّرَاطِ، يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجَزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ، فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا..." "الحديث" (٤).

ومنهم الذي يُسحب سحباً، وهو آخرهم مروراً على الصراط، كما في حديث البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَالَ فِيهِ: "حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا..." "الحديث" (٥).

وأخرج ابن أبي شيبة (٦)، ومحمد بن نصر المروزي (٧)، والطبراني (٨)، والحاكم (٩)، والبيهقي (١٠)، من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "ثُمَّ يَأْمُرُ بِالصَّرَاطِ، فَيُضْرَبُ عَلَى

(١) سبق تخريجه، ص ٣٥٧.

(٢) عمدة القاري (١٣٠/٢٥).

(٣) المرجع نفسه (١٣٠/٢٥).

(٤) سبق تخريجه، ص ٣٦٠.

(٥) سبق تخريجه، ص ٣٥٧.

(٦) مصنف ابن أبي شيبة (١٩٤/١٥)، حديث ٣٨٧٩٢.

(٧) تعظيم قدر الصلاة (٣٠٧/١)، حديث ٢٨٢.

(٨) المعجم الكبير (٣٥٤/٩)، حديث ٩٧٦١.

(٩) المستدرک على الصحيحين (٤٩٦/٤-٤٩٨)، حديث ٨٥١٩.

قلت: هذا الحديث روي موقوفاً، لكنه يأخذ حكم الرفع؛ لأنه من علم الغيب الذي لا مجال للرأي والاجتهاد فيه.

(١٠) البعث والنشور، ص ٣٢٦، حديث ٥٩٨.

جَهَنَّمَ، فَيَمُرُّ النَّاسُ كَقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ زُمَرًا كَلَمَحِ الْبَرْقِ، ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، ثُمَّ كَأَسْرَعِ الْبِهَائِمِ، ثُمَّ كَذَلِكَ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ سَعْيًا ثُمَّ مَشْيًا، ثُمَّ يَكُونُ آخِرُهُمْ رَجُلًا يَتَلَبَّطُ عَلَى بَطْنِهِ"، قَالَ: فَيَقُولُ: "أَيُّ رَبِّ، لِمَاذَا أَبْطَأَتْ بِي؟"، فَيَقُولُ: لَمْ أَبْطَأْ بِكَ، إِنَّمَا أَبْطَأَ بِكَ عَمَلُكَ" (١).

قلت: الذي يحدد مدى سرعة العبد ونجاته على الصراط هو عمله الصالح، وهذا ظاهر في الأحاديث التي أوردتها.

قال ابن رجب: "وقد تبين بما ذكرنا في هذا الباب، أن اقتسام المؤمنين الأنوار، على حسب إيمانهم وأعمالهم الصالحة، وكذلك مشيهم على الصراط في السرعة والإبطاء" (٢).

رابعًا: الأمانة والرحم على الصراط: حيث يدلُّ على ذلك حديث مسلمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَحَدِيثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَقَالَ فِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحْمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتِي الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا" الحديث (٣).

قلت: هذا الحديث يبيِّن أهمية أداء الأمانة وصلة الأرحام في التخفيف عن العبد في الأهوال، ونجاته على الصراط؛ وفي المقابل محتاجته وخسارته إن هو ضيعهما في الدنيا. قال ابن حجر: "والمعنى أَنَّ الأمانة والرحم لعظم شأنهما، وفخامة ما يلزم العباد من رعاية حقهما، يوقفان هناك للأمين والخائن، والمواصل والقاطع، فيحاجان عن الحق، ويشهدان على المبطل" (٤).

وقال الطيبي: "ويمكن أن يكون المراد بالأمانة ما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (٥)، وصلة الرحم ما في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ (٦)،

(١) قال الحاكم: "على شرط الشيخين، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي. (المستدرک، مع التلخیص ٤/٤٩٨، حديث ٨٥١٩).

(٢) مجموع رسائل ابن رجب الحنبلي (٤/٣٤٦).

(٣) سبق تحريجه، ص ٣٦٠.

(٤) فتح الباري (١١/٤٥٣).

(٥) سورة الأحزاب: الآية ٧٢.

(٦) سورة النساء: الآية ١.

فيدخل فيه معنى التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله، فكأتهما اكتفتا جنبتي الإسلام، الذي هو الصراط المستقيم، وفطرتي الإيمان والدين القويم"^(١).

خامسًا: الناجون والهالكون:

أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفيه: قال صلى الله عليه وسلم في وصف المارين على الصراط: "فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ - في رواية مسلم: مَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ -، وَمَخْدُوشٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا..." الحديث^(٢).

لقد بين الحديث أنَّ الناس ينقسمون على الصراط إلى ثلاثة أصناف:

الأول: الذي ينجو بلا مشقة، وهو الذي عبَّر عنه بقوله: "فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ"، وهذا الصنف

من الناس هم الذين يعطون نورًا عظيمًا، فينطلقون به بسرعة عظيمة كما بينت سابقًا^(٣).

وقد جاء في صفتهم عند مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعًا: "ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ، فَتَنْجُو أَوَّلَ زُمْرَةٍ وَجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يُحَاسِبُونَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَصْوَةٍ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ..." الحديث^(٤).

والصنف الثاني: الذين ينجون بعد ما يتعرضون لعقبات جسام، وذلك أنهم اجترحوا

السيئات واكتسبوا الخطايا، فتخطفهم الكلايب، فتجرح أجسادهم، ثم ينجون برحمة الله عز وجل، ثم بما قدموه من طاعات في الحياة الدنيا، وهذا الصنف هو الذي عبَّر عنه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله:

"وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ"، أي: خموش ممزوق، من الخمش، وهو تمزيق الوجه بالأظافر^(٥).

وفي رواية للبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا، قال: "وَمِنْهُمْ الْمُخْرَدَلُ ثُمَّ يَنْجُو"^(٦).

(١) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٤٥٣/١١).

(٢) سبق تخريجه، ص ٣٥٧.

(٣) انظر: ص ٣٦٣.

(٤) سبق تخريجه، ص ٣٦٢.

(٥) عمدة القاري، للعيني (١٣٠/٢٥).

(٦) صحيح البخاري (١١٧/٨)، كتاب الرقاق، باب الصَّراطِ جَسْرُ جَهَنَّمَ، حديث ٦٥٧٣.

قوله: "المُخْرَدَلُ": أي: المصروع، وما تقطع أعضاؤه، أي جعل كل قطعة منه بمقدار خردلة. قاله الكرمانى^(١).

وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: "وَمِنْهُمْ الْمُجَازَى حَتَّى يُنَجَّى"^(٢)، من المجازاة^(٣).

قلت: والمعنى أنّ هذا التقطيع والترويع الحاصل لهذا الصنف من الناس؛ إنّما هو جزءٌ لهم على أعمالهم الفاسدة، وتقصيرهم في حق ربهم سبحان الله.

أمّا الصنف الثالث: فهو الهالك من أول لحظة، وهم المنافقون الذين ينطفئ نورهم فيساقطون في النار والعياذ بالله، وقد عبّر عنهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ"، أي: مدفوع، وتكدّس الإنسان إذا دُفع من ورائه فسقط، ويروى بالشين المعجمة، من الكدّش، وهو السوّق الشديّد، وهو الطرد والجرح أيضاً^(٤).

وقال عنهم في رواية البخاريّ عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: "فَمِنْهُمْ الْمُؤَبَّقُ؛ بَقِيَ بِعَمَلِهِ"^(٥)، من وبق: أي هلك، أوبقته ذنوبه: أي أهلكته^(٦).

وتأكيداً لما ذكرت من هذه الأصناف الثلاثة؛ قال ابن أبي جمرة: "يؤخذ منه أن المارين على الصراط ثلاثة أصناف: ناج بلا خدش، وهالك من أول وهلة، ومتوسط بينهما يصاب ثم ينجو، وكلُّ قسم منها ينقسم أقساماً تُعرف بقوله: بِقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ"^(٧).

وقال التوريشتي: "جعل المارة على الصراط على طبقات ثلاث، على ما رتبهم عليه في الحشر، وهم الذين نجّاهم من النار، فلن تمسهم على تباين مقاماتهم في العبودية، وتفاوت

(١) الكواكب الدراري، للكرمانى (٦١/٢٣).

(٢) صحيح مسلم (١٦٥/١)، كتاب الإيمان، باب مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ، حديث ١٨٢.

(٣) شرح النووي على مسلم (٢١/٣).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، "كَدَسٌ"، (١٥٥/٤).

(٥) سبق تخريجه، ص ٣٦٠.

(٦) مرقاة المفاتيح، للملا علي القاري (٣٥٥٤/٨).

(٧) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٤٥٤/١١).

درجاتهم في الجنة، ثم الذين استوجبوا العقوبة من عصاة أهل الإيمان على اختلاف نياتهم، ومقادير ذنوبهم، ثم الذين لا ملجأ لهم المقضي عليهم بالخلود"^(١).

وقال النووي: "ومعناه أنهم ثلاثة أقسام؛ قسم يسلم فلا يناله شيء أصلاً، وقسم يُخدش ثم يُرسل فيُخلَّص، وقسم يُكردس ويلقى فيسقط في جهنم"^(٢).

سادساً: أول من يجاوز الصراط:

لقد دلت الأحاديث الشريفة أنّ الأنبياء ﷺ هم أول الناس مروراً على الصراط، وأنّ نبينا ﷺ في مقدمتهم، وأنّ أمته هي أول الأمم تجاوزاً للصراط من بين الأمم، ففي رواية أبي هريرة رضي الله عنه كما في الصحيحين، قال النبي ﷺ: "وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ...". الحديث^(٣).

وقال في رواية البخاري: "فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ وَسَلِّمْ...". الحديث^(٤).

قلت: ومن أول من يجاوز الصراط من أمة محمد ﷺ الفقراء؛ وذلك أنهم تحققت فيهم أنواع الصبر الثلاثة؛ فقد ثبتوا على طاعة الله، وابتعدوا عن الذنوب والمعاصي، وتحملوا ضنك الحياة وشدتها، وألستهم تلهج بذكر الله وشكره، فكان الجزاء كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٥).

روى مسلم في صحيحه من حديث ثوبان رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ جِبْرِ مِنْ أَحْبَابِ الْيَهُودِ: فَمَنْ أَوَّلُ النَّاسِ إِجَارَةً^(٦)؟ قَالَ - أَيْ النَّبِيِّ ﷺ -: "فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ...". الحديث^(٧).

(١) الميسر في شرح مصابيح السنة (٤/١٢٠٥).

(٢) شرح النووي على مسلم (٣/٢٩).

(٣) سبق تخريجه، ص ٣٦٠.

(٤) سبق تخريجه، ص ٣٦٠.

(٥) سورة الزمر: الآية ١٠.

(٦) معناه: جوازاً وعبوراً للصراط. (شرح النووي على مسلم ٣/٢٢٧).

(٧) سبق تخريجه، ص ١٦١.

قلت: ومن حرصه ﷺ على أمته في هذا الموقف العصيب أنه بعدما يتجاوز الصراط لن يتركهم لوحدهم، فيبقى ﷺ قائماً على الصراط حتى يتجاوزه آخر واحدٍ منهم، دلَّ على ذلك رواية أبي هريرة ؓ عند مسلم، حيث قال ﷺ: "وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ... الحديث" (١).

فالصِّراطُ إذًا من المواقف التي تُرجى عنده شفاعَةُ النبيِّ ﷺ؛ لهوله وشِدَّتته، وهذا ما عبر عنه النبيُّ ﷺ كما جاء في حديث أنسٍ ؓ، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ، أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقَالَ فِيهِ: فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟، قَالَ: "أَطْلُبُنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ"... الحديث (٢).

سابعًا: دعاء الرسل وشعار المؤمنين على الصراط:

إنَّ شفقة الأنبياء ﷺ، ورحمتهم بالناس لا تنحصر في الدنيا فحسب، بل يتعدى ذلك إلى الآخرة أيضًا، فعندما يودُّ كلُّ إنسان أن ينجو برأسه يومئذ، ينشغل الأنبياء والرسل بالدعاء لأممهم بالسلامة والنجاة من الكرب، فيقولون: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، دلَّ على ذلك حديث أبي هريرة ؓ كما عند البخاري، حيث قال ﷺ: "وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ... الحديث" (٣).

قال النووي: "هذا من كمال شفقتهم ورحمتهم للخلق" (٤).

ولذلك يقتدي بهم المؤمنون كافة في ترديد هذا الدعاء حتى يصبح لهم شعارًا، فقد أخرج الترمذي (٥)، وابن أبي شيبة (٦)، والحاكم (٧) - واللفظ له -، عن المغيرة بن شعبه ؓ،

(١) سبق تخريجه، ص ٣٦٠.

(٢) سبق تخريجه، ص ٣١١.

(٣) سبق تخريجه، ص ٣٦٠.

(٤) شرح النووي على مسلم (٢١/٣).

(٥) جامع الترمذي (١٩٩/٤)، كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي شَأْنِ الصِّرَاطِ، حديث ٢٤٣٢.

(٦) مصنف ابن أبي شيبة (٥٠٥/١٢)، حديث ٣٤٢٦٣.

(٧) المستدرک على الصحيحين (٣٧٥/٢)، حديث ٣٤٢٢٢.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "شِعَارُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الصَّرَاطِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ"^(١).

قلت: ولا تعارض بين الحديثين في تحديد من هو الذي ينطق بهذا الدعاء؛ الأنبياء أم المؤمنون، فكلُّهم يردد ذلك، قال ابن حجر: "ولا يلزم من كون هذا الكلام شعار المؤمنين أن ينطقوا به، بل تنطق به الرسل يدعون للمؤمنين بالسلامة، فسُمِّي ذلك شعارًا لهم، فبهذا تجتمع الأخبار"^(٢).

فشدة الموقف، وهول الأمر يستلزم من الجميع حينئذ أن يدعو الله بالسلامة، قال النووي: "فيه أن الدعوات تكون بحسب المواطن، فيدعى في كل موطن بما يليق به"^(٣).

وفي نهاية المرور على الصراط، وعند إدراك السلامة والنجاة؛ عندها تلهج الألسنة بحمد الله ﷻ، وشكره، حيث يقول المؤمنون الناجون: الحمد لله الذي نَجَّانَا، وأعطانا ما لم يعط أحدًا من العالمين، ويدلُّ عليه حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وفيه قال رضي الله عنه: "فَإِذَا خَلَصُوا - أي من الصَّرَاطِ -، قَالُوا: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنْكَ بَعْدَ الَّذِي أَرَانَاكَ، لَقَدْ أَعْطَانَا اللَّهُ مَا لَمْ يُعْطِ أَحَدًا"^(٤).

فذكر الله، ودعاؤه، وحمده، وشكره؛ هو ديدن المؤمنين في السَّراء والضَّرَاء، وعند العافية وعند الابتلاء، وفي وقت الكرب، ووقت النجاة؛ نداؤهم يا الله، قال الفخر الرازي: "فاعلموا أيها الناس؛ أي أقول طول حياتي: الله، فإذا مت؛ أقول: الله، وإذا سئلت في القبر؛ أقول: الله، وإذا جئت يوم القيامة؛ أقول: الله، وإذا أخذت الكتاب؛ أقول: الله، وإذا وزنت أعمالي؛ أقول: الله، وإذا جزت الصراط؛ أقول: الله، وإذا دخلت الجنة؛ أقول: الله، وإذا رأيت الله؛ قلت: الله"^(٥).



(١) قال الحاكم: "حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي. (المستدرک للحاکم، مع التلخیص للذهبي ٢/٣٧٥، حديث ٣٤٢٢).

(٢) فتح الباري (١١/٤٥٢).

(٣) شرح النووي على مسلم (٣/٢١).

(٤) سبق تخريجه، ص ٣٥٧.

(٥) مفاتيح الغيب (١/١٥٤).

المطلب الثالث: القنطرة

أخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَقْصُ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضِ مَظَالِمِ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِبُوا وَتُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا"^(١).
وقال في رواية أخرى: "إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ... الحديث"^(٢).

قوله: "قَنْطَرَةٌ": مَعْرُوفَةٌ، وَهِيَ الْجِسْرُ؛ وَهُوَ مَا يُبْنَى بِالْحِجَارَةِ وَنَحْوِهَا عَلَى الْمَاءِ لِيُعْبَرَ عَلَيْهِ، وَقِيلَ: الْقَنْطَرَةُ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْبِنْيَانِ"^(٣)، وَقِيلَ: "الْقَنْطَرَةُ كُلُّ شَيْءٍ يُنْصَبُ عَلَى عَيْنٍ، أَوْ وادٍ"^(٤).

قال ابن حجر: "واختلف في القنطرة المذكورة؛ ف قيل: هي من تنمة الصراط، وهي طرفه الذي يلي الجنة، وقيل: إثمهما صراطان، وبهذا الثاني جزم القرطبي"^(٥).
قال القرطبي: "اعلم رحمك الله أن في الآخرة صراطين: أحدهما مجاز لأهل المحشر كلهم؛ ثقلهم، وخفيفهم، إلا من دخل الجنة بغير حساب، أو من يلتقطه عنق النار، فإذا خلس من هذا الصراط الأكبر الذي ذكرناه - ولا يخلص منه إلا المؤمنون الذين علم الله منهم أن القصاص لا يستنفذ حسناهم - حُبسوا على صراط آخر خاص لهم، ولا يرجع إلى النار من هؤلاء أحدٌ إن شاء الله؛ لأنهم قد عبروا الصراط الأول المضروب على متن جهنم الذي يسقط فيها من أوبقه ذنبه، وأرْبَى على الحسنات بالقصاص جرمه"^(٦).

(١) صحيح البخاري (١١١/٨)، كتاب الرقاق، باب الْقِصَاصِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حديث ٦٥٣٥.

(٢) صحيح البخاري (١٢٨/٣)، كتاب المظالم، بابُ قِصَاصِ الْمَظَالِمِ، حديث ٢٤٤٠.

(٣) انظر: لسان العرب، لابن منظور، "قنطر"، (١١٨/٥)، تاج العروس، للزبيدي، "قنطر"، (٤٨٣/١٣).

(٤) انظر: عمدة القاري، للعيني (٢٨٥/١٢).

(٥) فتح الباري (٣٩٩/١١).

(٦) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص ٧٦٧-٧٦٨.

وقد ذكر العينيُّ نحو ذلك؛ فقال: "قيل: هذا يشعر بأنَّ في القيامة جسرين، هذا والذي على متن جهنم المشهور بالصُّراط، وأجيب بأنَّه لا محذور فيه، ولكن ثبت بالدليل أنَّه واحد؛ فتأويله أنَّ هذه القنطرة من تنمة الأول"^(١).

وقد أيد ابن كثير هذا القول بأنَّهما صراطان، قائلًا: "وقد تكلم القرطبي في التذكرة على الحديث، وجعل هذه القنطرة صراطًا ثانيًا للمؤمنين خاصة، وليس يسقط منه أحد في النار، قلت: هذه بعد مجاوزة النار، فقد تكون هذه القنطرة منصوبةً على هولٍ آخر، ممَّا يعلمه الله، ولا نعلمه، وهو أعلم"^(٢).

أمَّا ابن حجر فقد رجَّح الرأي الأول؛ فقال: "الذي يظهر أنَّها طرف الصُّراط مما يلي الجنة، ويُحتمل أن تكون من غيره بين الصُّراط والجنة"^(٣).

وردَّ عليه العينيُّ قائلًا: "سبحان الله، ما هذا التصرف بالتعسف، فإنَّ الحديث مصرِّحٌ بأنَّ تلك القنطرة بين الجنة والنَّار، وهو يقول: إنَّها طرف الصُّراط، وطرف الصُّراط من الصُّراط، فقولُه: "بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ"، أي: بقنطرةٍ كائنةٍ بين الجنة والصُّراط الذي على متن النَّار، ولهذا سُمِّي بالصُّراط الثاني، وقوله "بَيْنَ": يدلُّ على أنَّها قنطرةٌ مستقلةٌ غيرُ متصلةٍ بالصُّراط، وهذا هو المعنى قطعًا"^(٤).

قلت: الرأي الراجح عندي أنَّ القنطرة شيءٌ مغاير للصُّراط، فلا هي صراطٌ آخر، ولا هي تنمةٌ للصُّراط؛ وذلك لأنَّه لم يرد عن النبيِّ ﷺ ما يثبت هذا ولا ذاك، بل الذي ثبت عنه ﷺ أنَّه صراطٌ واحد.

قال ابن حجر: "وردت أحاديث تدل على أنَّ الصُّراط واحد، ودعوى التَّعدُّد تحتاج إلى دليل لا احتمال فيه، وإذ لم يوجد تعيَّن التَّأويل"^(٥).

(١) عمدة القاري (١١٣/٢٣).

(٢) النهاية في الفتن والملاحم (١٢١/٢).

(٣) فتح الباري (٩٦/٥).

(٤) عمدة القاري (١١٣/٢٣).

(٥) انتقاض الاعتراض في الرد على العيني في شرح البخاري، لابن حجر (١٦٤/٢).

قلت: فتوجيه حديث القنطرة يكون بأنها جسرٌ بين الجنة والنار لا علاقة له بالصراط؛ لأنَّ ظاهر الحديث يدلُّ على أنَّ المؤمنين خلصوا، أي فرغوا وانتهوا من المرور على الصراط، وهذا المعنى يؤكده الشراح أنفسهم الذين اختلفوا في القولين السابقين.
قال ابن حجر: قوله: "إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ": أي نجوا من السُّقوط فيها بعد ما جازوا على الصراط^(١).

وقال القرطبي: "المعنى؛ أي يخلصون من الصراط المضروب على النار"^(٢).

قلت: ومما يشهد لذلك، ويؤيده، ويؤكدده؛ حديث ابن مسعود رضي الله عنه، حيث يقول فيه النبي ﷺ: "حَتَّى يَمُرَّ الَّذِي نُورُهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ، قَالَ: يَجْرُ يَدًا وَيَعْلَقُ يَدًا وَيَجْرُ رِجْلًا وَيَعْلَقُ رِجْلًا وَتَضْرِبُ جَوَانِبَهُ النَّارُ، قَالَ: فَيَخْلُصُوا، فَإِذَا خَلَصُوا قَالُوا: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنْكَ بَعْدَ الَّذِي أَرَانَاكَ، لَقَدْ أَعْطَانَا اللَّهُ مَا لَمْ يُعْطِ أَحَدًا"^(٣).

فهذا نصٌّ صريحٌ في أنَّ المراد بقوله "خَلَصُوا": انتهاء مرور الناس على الصراط، فبذلك يتبيَّن أنَّ القنطرة ليست تنمة للصراط.



(١) فتح الباري (٣٩٩/١١).

(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص ٧٦٨.

(٣) سبق تخريجه، ص ٣٥٧.

المطلب الرابع: ذبح الموت على الصراط في الآخرة

أخرج البخاري ومسلم من حديث ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ؛ جِيءَ بِالْمَوْتِ، حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذَبِّحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ، فَيَزِدَادُ أَهْلَ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزِدَادُ أَهْلَ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ"^(١).

قوله ﷺ: "حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ": أي على الصراط؛ دلَّ على ذلك ما أخرجه ابن ماجه^(٢)، وأحمد^(٣)، وابن حبان^(٤)، والحاكم^(٥)، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "يُوتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُوقَفُ عَلَى الصَّرَاطِ...، فَيُقَالُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالُوا: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذَبِّحُ عَلَى الصَّرَاطِ... الحديث"^(٦).

وفي رواية له عند الترمذي^(٧)، وأحمد^(٨)، وفيه: قَالَ ﷺ: "فَيُقَالُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ هُوَ لَاءِ وَهُوَ لَاءِ: قَدْ عَرَفْنَا، هُوَ الْمَوْتُ الَّذِي وَكَّلَ بِنَا، فَيُضَبَّحُ فَيُذَبِّحُ ذَبْحًا عَلَى السُّورِ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ... الحديث"^(٩).

(١) صحيح البخاري (١١٣/٨)، كتاب الرقاق، باب صِفَةِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، حديث ٦٥٤٨، وصحيح مسلم (٢١٨٩/٤)، كتاب الجنة وصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، باب النَّارُ يَدْخُلُهَا الْجَبَّارُونَ وَالْجَنَّةُ يَدْخُلُهَا الضُّعَفَاءُ، حديث ٢٨٥٠.

(٢) سنن ابن ماجه (٣٧٧/٥)، كتاب الزهد، باب صفة النار، حديث ٤٣٢٧.

(٣) مسند أحمد (٥٠٨/١٢)، حديث ٧٥٤٦.

(٤) صحيح ابن حبان (٤٨٦/١٦)، حديث ٧٤٥٠.

(٥) المستدرک على الصحيحين (٨٣/١)، حديث ٢٧٨.

(٦) قال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم"، ووافقه الذهبي، وقال المنذري: إسناده جيد"، وقال البوصيري: "هذا إسناد صحيح رجاله ثقات"، وقال ابن كثير: "إسناده جيد قوي، على شرط الصحيح". (المستدرک للحاكم، مع التلخيص للذهبي ٨٣/١، حديث ٢٧٨، والترغيب والترهيب، للمنذري ٣١٧/٤، ومصباح الزجاجية، للبوصيري ٢٦٤/٤، والنهاية في الفتن والملاحم، لابن كثير ٢٦٠/٢).

(٧) جامع الترمذي (٢٧٢/٤)، أبواب صِفَةِ الْجَنَّةِ، باب مَا جَاءَ فِي خُلُودِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ، حديث ٢٥٥٧.

(٨) مسند أحمد (٤١٥/١٤)، حديث ٨٨١٨.

(٩) قال الترمذي: إسناده حسن صحيح". (جامع الترمذي ٢٧٢/٤، حديث ٢٥٥٧).

قلت: دلت الأحاديث السابقة على أن الموت ينتهي بذبحه على الصراط، ليهنئ أهل الجنة خالدين في نعيمهم، ويتحسر أهل النار خالدين في عذابهم والعياذ بالله.

قال القرطبي: "هذه الأحاديث مع صحتها نص في خلود أهل النار فيها، لا إلى غاية ولا إلى أمد، مقيمين على الدوام والسرمد من غير موت ولا حياة ولا راحة ولا نجاة، بل كما قال تعالى في كتابه الكريم، وأوضح فيه من عذاب الكافرين: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾^(١)، وقال: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^(٢)، فمن قال: إنهم يخرجون منها، وأن النار تبقى خالية، وبجملتها حاوية على عروشها، وأنها تبنى وتزول، فهو خارج عن مقتضى المعقول، ومخالف لما جاء به الرسول ﷺ، وما أجمع عليه أهل السنة والأئمة العدول"^(٣).



(١) سورة فاطر: الآية ٣٦.

(٢) سورة الحج: الآية ٢٢.

(٣) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص ٩٢٦.

المبحث الثالث

الحوض

المطلب الأول: تعريف الحوض ووجوب الإيمان به.

المطلب الثاني: وصف الحوض والعلاقة بينه وبين الكوثر.

المطلب الثالث: ورود الحوض.

المطلب الأول: تعريف الحوض ووجوب الإيمان به

أولاً: تعريف الحوض:

الحوض في اللغة، من مادة حَوْضَ، والحاء والواو والضاد كلمة واحدة، وهو الهُزْمُ في الأرض، وحاضَ الماءَ وغيره حَوْضًا، وحَوْضَه: أي حاطَه وجمَعَه، وحُضْتُ أَحْوَضُ: أي اتخذتُ حَوْضًا، والحوض: أي حوض الماء، واستَحْوَضَ الماءَ: اتخذ لنفسه حوضًا، واستَحْوَضَ الماءَ: أي اجتمع، والمَحْوُوضُ: كالحوض يُجْعَلُ للنخلة تَشْرِبُ منه^(١).

والمقصود: حَوْضُ الرَّسُولِ ﷺ الذي يسقي منه أُمَّتُه يوم القيامة^(٢).

ثانيًا: وجوب الإيمان بالحوض:

إنَّ الإيمان بالحوض من مقتضيات الإيمان باليوم الآخر، حيث ثبت فيه أحاديثٌ صحيحة عن المعصوم ﷺ، منها ما جاء في الصحيحين عن ابن مسعود^(٣)، وسَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ^(٤)، وجُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ^(٥)، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: "أَنَا فَرَطُكُمْ^(٦) عَلَى الْحَوْضِ".

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، "حَوْضَ"، (١٢٠/٢)، ولسان العرب، لابن منظور، "حَوْضَ"، (١٤١/٧).

(٢) لسان العرب، لابن منظور، "حَوْضَ"، (١٤١/٧).

(٣) صحيح البخاري (١١٩/٨)، كتاب الرقاق، بَابُ فِي الْحَوْضِ، حديث ٦٥٧٦، وصحيح مسلم (١٧٩٦/٤)، كتاب الفضائل، بَابُ إِثْبَاتِ حَوْضِ نَبِيِّنَا ﷺ وَصِفَاتِهِ، حديث ٢٢٩٧.

(٤) صحيح البخاري (١٢٠/٨)، كتاب الرقاق، بَابُ فِي الْحَوْضِ، حديث ٦٥٨٣، وصحيح مسلم (١٧٩٣/٤)، كتاب الفضائل، بَابُ إِثْبَاتِ حَوْضِ نَبِيِّنَا ﷺ وَصِفَاتِهِ، حديث ٢٢٩٠.

(٥) جُنْدَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُفْيَانَ الْبَجَلِيُّ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْعَلَقِيُّ، وَالْعَلَقُ بَطْنٌ مِنْ بَجِيلَةَ، وَقَدْ يَنْسَبُ إِلَى جَدِهِ، فَيُقَالُ: جُنْدَبُ بْنُ سُفْيَانَ، وَيُقَالُ لَهُ: جُنْدَبُ الْحَبِيرِ، وَجُنْدَبُ الْفَارُوقِ، وَجُنْدَبُ بْنُ أُمِّ جُنْدَبٍ، نَزَلَ الْكُوفَةَ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الْبَصْرَةِ، قَدِمَهَا مَعَ مُضْعَبِ بْنِ الرَّبِيعِ، تَوَفَّى بَعْدَ ٦٠ هـ. (معرفة الصحابة لأبي نعيم ٥٧٧/٢، والاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢٥٧/١، الإصابة في تمييز الصحابة ٦١٤/١).

(٦) صحيح البخاري (١٢١/٨)، كتاب الرقاق، بَابُ فِي الْحَوْضِ، حديث ٦٥٨٩، وصحيح مسلم (١٧٩٢/٤)، كتاب الفضائل، بَابُ إِثْبَاتِ حَوْضِ نَبِيِّنَا ﷺ وَصِفَاتِهِ، حديث ٢٢٨٩.

(٧) أي: مُتَقَدِّمُكُمْ إِلَيْهِ. (النهاية في غريب الحديث والأثر، "فَرَطٌ"، (٤٣٤/٣).

وأخرج البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "أمامكم حوض، كما بين جرباء وأذرح"^(١)، وهما موضعان في الشام، كما في رواية: سُئِلَ عَنْهُمَا ابْنُ عَمَرَ رضي الله عنهما، فقال: "قَرَيْتَيْنِ بِالشَّامِ بَيْنَهُمَا مَسِيرَةٌ ثَلَاثَ لَيَالٍ..."^(٢).

وفي الصحيحين أيضاً من حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه في قصة قسم غنائم حنين، وفيها قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثْرَةً"^(٤)، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ"^(٥).

وأخرجه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن أسيد بن حضير رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا مِّنَ الْأَنْصَارِ خَلَا بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي، كَمَا اسْتَعْمَلْتَ فَلَانًا؟، فَقَالَ: "إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ"^(٧).

وأخرجه البخاري^(٨) عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله.

- (١) صحيح البخاري (١١٩/٨)، كتاب الرقاق، باب في الحوض، حديث ٦٥٧٧، وصحيح مسلم (٤/١٧٩٧)، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته، حديث ٢٢٩٩.
- (٢) صحيح مسلم (٤/١٧٩٧)، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته، حديث ٢٢٩٩.
- (٣) عبد الله بن زيد بن عاصم الأنصاري الحزرجي المازني من بني مازن بن النخار، يكنى أبا محمد، ويعرف بابن أم عمارة، ولم يشهد بدرًا، وقد شارك في قتل مسيلمة الكذاب، وقُتِلَ يَوْمَ الْحَرَّةِ سَنَةَ ٦٣ هـ. (معرفة الصحابة، لأبي نعيم ٣/١٦٥٥، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر ٣/٩١٣).
- (٤) أي: استثناهم يستأثرونه عليكم، فيفضل غيركم عليكم، أو يفرد بالاستئثار من الفيء دونكم. (تفسير غريب ما في الصحيحين، لأبي عبد الله الحميدي، ص ١٠٨).
- (٥) صحيح البخاري (١٥٧/٥)، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، حديث ٤٣٣٠، وصحيح مسلم (٢/٧٣٨)، الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه، حديث ١٠٦١.
- (٦) أسيد بن حضير بن سمالك الأنصاري الأشهلي، اختلف في كنيته؛ الأشهر: أبو يحيى، وقيل: أبو عتيك، وقيل: أبو الحضير، وقيل: أبو عمرو، أخذ النقباء ليلة العقبة، واختلف في شهوده بدرًا، وقد شهد أحدًا وما بعدها، وأصيب فيها بجراحات، وكان أحد العقلاء الكاملة من أهل الرأي، وكان من أحسن الناس صوتًا بالقرآن، توفي في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ٢٠ هـ، وقيل سنة ٢١ هـ. (الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر ١/٩٣).
- (٧) صحيح البخاري (٣٣/٥)، كتاب مناقب الأنصار، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لِلْأَنْصَارِ: اصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ، حديث ٣٧٩٢، وصحيح مسلم (٣/١٤٧٤)، كتاب الإمارة، باب الأمر بالصبر عند ظلم الولاة واستئثارهم، حديث ١٨٤٥.
- (٨) صحيح البخاري (٣٣/٥)، كتاب مناقب الأنصار، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لِلْأَنْصَارِ: اصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ، حديث ٣٧٩٣.

فهذه الأحاديث وغيرها مما يؤكد ثبوت أمر الحوض وصحته، ولذلك فقد تواتت أقوال أهل العلم في التأكيد على ذلك، وفي هذا المقام فإنني أذكر شيئاً منها، كآلآتي:

قال سفيان بن عيينة: "السنة عشرة؛ فمن كن فيه فقد استكمل السنة، ومن ترك شيئاً فقد ترك السنة، إثبات القدر...، والحوض"^(١).

وقال أحمد بن حنبل: "ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها... والإيمان بالحوض وأن لرسول الله ﷺ حوضاً يوم القيامة ترد عليه أمته"^(٢).

وقال أبو الحسن الأشعري: "وأجمعوا... على أن لرسول الله ﷺ حوضاً يوم القيامة ترده أمته لا يظماً من شرب منه، ويزداد عنه من بدل وغير بعده"^(٣).

وقال القاضي عياض: "أحاديث الحوض صحيحة، والإيمان به فرض، والتصديق به من الإيمان، وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة، لا يُتَأَوَّلُ، ولا يُخْتَلَفُ فيه"^(٤).

وتبعه القرطبي قائلاً: "مما يجب على كل مكلف أن يعلمه ويصدق به أن الله ﷻ قد خصَّ نبيه محمداً ﷺ بالحوض المصروح باسمه، وصفته، وشرابه في الأحاديث الصحيحة الشهيرة، التي يحصل مجموعها العلم القطعي"^(٥).

وقال ابن تيمية: "الجنة والنار والبعث...، والحوض...، فإن هذه الأصول كلها متفقٌ عليها بين أهل السنة والجماعة"^(٦).

وقال السفاريني: "والحوض والكوثر ثابت بالنص وإجماع أهل السنة والجماعة، حتى عدّه أهل السنة في العقائد الدينية لأجل الرد على أهل البدع والضلال"^(٧).

(١) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لللالكائي (١/١٧٥).

(٢) المرجع نفسه (١/١٧٦).

(٣) رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، ص ١٦٥.

(٤) انظر: شرح النووي على مسلم (١٥/٥٣).

(٥) انظر: فتح الباري (١١/٤٦٩).

(٦) مجموع الفتاوى (١١/٤٨٦).

(٧) شرح ثلاثيات مسند أحمد (١/٥٣٧).

وقد بيّن جمعٌ من أهل العلم بأنَّ أحاديث الحوض قد بلغت حدَّ التواتر، فقد قال القاضي عياض: "وحدِيثه متواتر النقل، رواه خلائق من الصحابة"^(١).

وقال النووي: "وقد جمع ذلك كلُّه الإمامُ الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه البعث والنشور بأسانيده وطرقه المتكاثرات،...، وكل تلك الروايات المتكاثرة تجعل المسلم يجزم دون أي تردد في إثبات الحوض، بل إنَّ في بعض هذا ما يقتضي كون الحديث متواتراً"^(٢).

وقال ابن حجر بعد ما ذكر أسماء الصحابة الذين رووا أحاديث الحوض: "فجميع من ذكرهم عياض خمسة وعشرون نفساً، وزاد عليه النووي ثلاثة، وزدت عليهم أجمعين قدر ما ذكره سواء فزادت العدة على الخمسين"^(٣).

وقال السيوطي: "قد ورد ذكر الحوض من رواية بضعة وخمسين صحابياً؛ منهم الخلفاء الأربعة، وأبيُّ بن كعب، وأنس، والبراء بن عازب، وأبي هريرة، وعائشة، وأم سلمة رضي الله عنهن..."^(٤).
وزاد ابن حجر على ما تقدم، قال: "ولكثير من هؤلاء الصحابة في ذلك زيادة على الحديث الواحد، كأبي هريرة، وأنس، وابن عباس، وأبي سعيد، وعبدالله بن عمرو رضي الله عنهما...، وأحاديثهم بعضها في مطلق ذكر الحوض، وفي صفة بعضها، وفيمن يرد عليه بعضها، وفيمن يدفع عنه بعضها...، وبلغني أن بعض المتأخرين أوصلها إلى رواية ثمانين صحابياً"^(٥).

وقد ذكر ابن كثير عدداً من الصحابة رضي الله عنهم الذين رووا أحاديث الحوض، فقال: "ذكر ما ورد في الحوض المحمدي، سقانا الله منه يوم القيامة، من الأحاديث المشهورة المتعددة من الطرق الكثيرة المتضاربة؛ وإن رغمت أنوف كثيرة من المبتدعة المكابرة، القائلين بجحوده، المنكرين لوجوده، وأخلق بهم أن يحال بينهم وبين وروده، كما قال بعض السلف: من كذب بكرامة لم ينلها..."^(٦).

(١) انظر: شرح النووي على مسلم (٥٣/١٥).

(٢) انظر: المرجع نفسه (٥٣/١٥).

(٣) فتح الباري (٤٦٩/١١).

(٤) البدور السافرة، ص ٢١٥.

(٥) فتح الباري (٤٦٩/١١).

(٦) النهاية في الفتن والملاحم (٣٧٤/١).

المطلب الثاني: وصف الحوض

أولاً: سعة الحوض: "طوله وعرضه":

لقد جاءت عدة روايات تبين سعة الحوض سواء أطوله أم عرضه، وهذه الروايات يبدو أن فيها شيئاً من التعارض، فتارةً يقول النبي ﷺ: إِنَّ سَعْتَهُ كَمَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ وَصَنْعَاءَ، وتارةً يقول: إِنَّ سَعْتَهُ كَمَا بَيْنَ جَرَبَاءَ وَأَذْرَحَ، وهما قريتان بالشام، وتارةً أخرى: كما بين أيلة التي في الشام وصنعاء في اليمن، وغير ذلك، وللإجابة على هذا الإشكال أستعرض هذه الروايات أولاً، ثم أدفع هذا التعارض:

أخرج البخاري ومسلم من حديث حَارِثَةَ بْنِ وَهَبٍ^(١)، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، وَذَكَرَ الْحَوْضَ؛ فَقَالَ: "كَمَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَصَنْعَاءَ"^(٢).

وفي الصحيحين عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَمَامَكُمْ حَوْضٌ، كَمَا بَيْنَ جَرَبَاءَ وَأَذْرَحَ"^(٣). وَسُئِلَ عَنْهُمَا ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فَقَالَ: "قَرَيْتَيْنِ بِالشَّامِ بَيْنَهُمَا مَسِيرَةٌ ثَلَاثَ لَيَالٍ"^(٤).

وفي الصحيحين أيضاً من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ"^(٥) وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ، وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الْبَارِقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ"^(٦).

(١) حَارِثَةُ بْنُ وَهَبٍ الْخُرَاعِيُّ، أَخُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ لِأُمِّهِ. (الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر ٣٠٨/١، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر ٧٠٨/١).

(٢) صحيح البخاري (١٢١/٨)، كتاب الرقاق، بَابُ فِي الْحَوْضِ، حديث ٦٥٩١، وصحيح مسلم (٤/١٧٩٧)، كتاب الفضائل، بَابُ إِثْبَاتِ حَوْضِ نَبِيِّنَا ﷺ وَصِفَاتِهِ، حديث ٢٢٩٨.

(٣) سبق تخريجه، ص ٣٧٨.

(٤) سبق تخريجه، ص ٣٧٨.

(٥) مَدِينَةٌ مَعْرُوفَةٌ فِي عَرَفِ الشَّامِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، مُتَوَسِّطَةٌ بَيْنَ مَدِينَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَدِمَشْقَ وَمِصْرَ، وَقِيلَ: هِيَ الْحِجَازِ وَأَوَّلِ الشَّامِ. (شرح النووي على مسلم ٥٧/١٥).

قلت: وهي مدينة فلسطينية كانت تعرف بأمر الرشاش، تقع على الرأس الشمالي الغربي لخليج العقبة، وقد اغتصبها اليهود الصهاينة عام ١٩٤٨م، وأسموها إيلات. رَدَّهَا اللهُ وَجَمِيعَ بِلَادِنَا فِلَسْطِينَ مِنْ يَدِ الْيَهُودِ الْمُجْرِمِينَ إِلَى حِضْنِ الْإِسْلَامِ. (انظر:

موقع الموسوعة الفلسطينية على شبكة الانترنت <http://www.palestinapedia.net>).

(٦) صحيح البخاري (١١٩/٨)، كتاب الرقاق، بَابُ فِي الْحَوْضِ، حديث ٦٥٨٠، وصحيح مسلم (٤/١٨٠٠)، كتاب الفضائل، بَابُ إِثْبَاتِ حَوْضِ نَبِيِّنَا ﷺ وَصِفَاتِهِ، حديث ٢٣٠٣.

وقد بيّن النبي ﷺ حدّ المسافة بين هذه المدن والقرى الوارد ذكرها في الأحاديث السابقة بمسير شهر، ففي صحيح البخاريّ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال النبي ﷺ: "حَوْضِي مَسِيرَةَ شَهْرٍ... فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا"^(١) الحديث. وفي رواية لمسلم، قال: "حَوْضِي مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ..."^(٢) الحديث. فهذه الرواية تبين أيضًا أنّ عرضه كذلك مسيرة شهر، مثل طوله، وبالتالي فإن الحوض يأخذ شكل المربع.

قال القاضي عياض: قوله ﷺ "وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ": أي أركانه، ذكره بعضهم في الاستدلال على علمه ﷺ بسائر العلوم، واحتوائه على جميع المعارف، وأنّ هذا من علم الهندسة والتكسير والحساب، وأنّ معنى ذلك كونه مربعًا معتدل التريع"^(٣). وقال الطيبي: "هو مربع لا يزيد طوله ولا عرضه"^(٤).

ويؤيد ذلك حديث أبي ذر رضي الله عنه في صحيح مسلم، وقد قال فيه النبي ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسٌ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ... عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ..."^(٥) الحديث. ومما ذكر في تحديد مسافة عرضه؛ ما أخرجه مسلم عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه، قال النبي ﷺ: "إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ وَإِنَّ عَرْضَهُ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى الْجُحْفَةَ..."^(٦) الحديث. قلت: ولا تعارض بين الأخبار السابقة، في اختلاف المدن والقرى عند تحديد هذه المسافة؛ "لأنّ هذه الأماكن متقاربة؛ لأنّها نحو شهر، غاية أنّه خاطب كلّ أحدٍ من تلك الجهات بما يعرفه منها"^(٧).

(١) صحيح البخاري (١١٩/٨)، كتاب الرقاق، باب في الحوض، حديث ٦٥٧٩.

(٢) صحيح مسلم (١٧٩٣/٤)، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبيّنا ﷺ وصفاته، حديث ٢٢٩٢.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٢٥٨/٧).

(٤) الكاشف عن حقائق السنن (٣٥١٥/١١)، وانظر: فيض القدير (٣/٣٩٩)، والتنوير شرح الجامع الصغير، للنعاني (٣٨٧/٥).

(٥) صحيح مسلم (١٧٩٨/٤)، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبيّنا ﷺ وصفاته، حديث ٢٣٠٠.

(٦) صحيح مسلم (١٧٩٦/٤)، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبيّنا ﷺ وصفاته، حديث ٢٢٩٦.

(٧) حاشية السندي على صحيح البخاري (٦٥/٤)، وانظر: مصابيح الجامع، لابن الدماميني (٤٦٦/٩)، وإرشاد الساري، للقسطلاني (٣٣٧/٩).

قال أبو حاتم ابن حبان: "هذه الأخبار قد توهم من لم يحكم صناعة الحديث أنّها متضادة، أو بينها تهاثر، وليس بين هذه الأخبار تضاد، ولا تهاثر؛ لأنها أجوبة خرجت على أسئلة، ذكّر المصطفى ﷺ في كل خبر جانبًا من جوانب حوضه، أنّ مسيرة كل جانب من حوضه مسيرة شهر، فمن صنعاء إلى المدينة مسيرة شهر لغير المسرع، ومن أيلة إلى مكة كذلك..."^(١).

قال القاضي عياض: "هذا الاختلاف في قدر عرض الحوض ليس موجبًا للاضطراب، فإنه لم يأت في حديث واحد، بل في أحاديث مختلفة الرواة، عن جماعة من الصحابة سمعوها في مواطن مختلفة، ضربها النبي ﷺ في كل واحد منها مثلًا؛ لبعده أقطار الحوض، وسعته، وقرب ذلك من الأفهام، لبعده ما بين البلاد المذكورة، لا على التقدير الموضوع للتحديد، بل للإعلام بعظم هذه المسافة، فبهذا تجمع الروايات"^(٢).

وقال النووي: "وليس في القليل من هذه منع الكثير، والكثير ثابت على ظاهر الحديث، ولا معارضة"^(٣).

وقد أيد ابن حجر هذا الجمع باعتبار أنّ المسافة شهر، قد تزيد وقد تنقص؛ لأنّ هذه الأماكن متقاربة، لكنه خالف في جعل التقارب مع رواية ابن عمر، التي قال فيها: "كَمَا بَيْنَ جَرِيَاءٍ وَأَذْرَحٍ... قَرِيَتَيْنِ بِالشَّامِ بَيْنَهُمَا مَسِيرَةٌ ثَلَاثَ لَيَالٍ"^(٤)، وقال: "في هذا نظر، من جهة أن ضرب المثل والتقدير إنما يكون فيما يتقارب، وأمّا هذا الاختلاف المتباعد الذي يزيد تارة إلى ثلاثين يومًا، وينقص إلى ثلاثة أيام فلا"، واعتبر أنّ السياق فيه كلام محذوف، فيكون نص رواية ابن عمر: "كما بين مقامي وبين جرياء وأذرح..."^(٥).

واعترض عليه العيني قائلًا: "في نظره نظر؛ لأنه يُحتمل أنّه ﷺ لما أُخبر بثلاثة أيام كان هذا المقدار، ثمّ إنّ الله تعالى تفضّل عليه باتساعه شيئًا بعد شيء، وكلّما اتّسع أخبره بقدر ما

(١) انظر: صحيح ابن حبان (٣٦٣/١٤).

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٢٥٩/٧).

(٣) شرح النووي على مسلم (٥٨/١٥).

(٤) سبق تحريجه، ص ٣٧٨.

(٥) انظر: فتح الباري (٤٧٢/١١).

اثناع، وكلُّ من روى بمقدار خلاف ما رواه غيره بحسب ذلك، وبهذا الوجه يحصل الجواب الشافى عن الاختلاف المذكور، فلا يحتاج بعد ذلك إلى كلام طويل غير طائل، كما صدر ذلك عن بعضهم^(١).

ثانيًا: لون مائه وطيب ريحه وطعمه:

جاء في الصحيحين، - واللفظ للبخاري -، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال النَّبِيُّ ﷺ: "حَوْضِي مَسِيرَةٌ شَهْرٍ، مَأْوُهُ أْبَيْضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ... فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا"^(٢) الحديث.

دَلَّ الحديث على أَنَّ لون ماء الحوض أبيض من لون اللبن، وأنَّ ريحه أطيب من ريح المسك، يقول السيوطي: قوله: "أْبَيْضُ مِنَ اللَّبَنِ" أبلغ من أشدَّ بياضًا...، والتقدير: مأوهُ أبيض: أصفى، أو أخلص من اللبن"^(٣).

وقوله: "وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ": أي أحلى رائحةً، وأجمل طيبًا من رائحة المسك"^(٤).

وأما عن طعمه فهو أحلى وأعذب وألذَّ من العسل؛ جاء ذلك مصرحًا به عند مسلم في روايات أبي ذرٍّ، وأبي هريرة، وثوبان رضي الله عنهم.

فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ... مَأْوُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ"^(٥) الحديث.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "إِنَّ حَوْضِي... لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الشَّلْحِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ..."^(٦) الحديث.

(١) عمدة القاري (١٣٨/٢٣).

(٢) سبق تخريجه، ص ٣٨٢.

(٣) عقود الزيرجد على مسند الإمام أحمد (٦٤/٢).

(٤) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، لحمزة محمد قاسم (٣٠٥/٥).

(٥) سبق تخريجه، ص ٣٨٢.

(٦) سبق تخريجه، ص ٣٨٢.

وَعَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ شَرَابِهِ، فَقَالَ: "أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ..." (١) الحديث.

قال القاري: "فيه إيماء إلى أن ماءه جامع بين سوغ اللبن ولذة العسل، وإشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ (٢)» (٣).

قلت: ومما يزيد هذا الماء حلاوةً وعذوبةً أنه يكون باردًا أبردًا من الثلج، فقد أخرج أحمد^(٤)، والطبراني^(٥)، واللالكائي^(٦)، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "حَوْضِي... أَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَطْيَبُ رِيحًا مِنَ الْمِسْكِ... مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا..." الحديث (٧).

فهذه الصفات المجتمعة في هذا الماء من شدة بياضه وصفائه ونقاؤه، وحلاوة طعمه وعذوبته، وبرودته؛ تجعل الشارب منه لا يعطش أبدًا، كما قال النبي ﷺ في الحديث السابق، وقبله حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: "فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا" (٨).

قال ابن الملقن: "لَا يَظْمَأُ": أي: لا يعطش، قال تعالى: ﴿وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾ (٩)» (١٠).

-
- (١) صحيح مسلم (٤/١٧٩٩)، كتاب الْفَضَائِلِ، بابِ إِثْبَاتِ حَوْضِ نَبِيِّنَا ﷺ وَصِفَاتِهِ، حديث ٢٣٠١.
(٢) سورة الزخرف: الآية ٧١.
(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/٣٥٩١).
(٤) مسند أحمد (١٠/٣٠٢)، حديث ٦١٦٢.
(٥) المعجم الكبير، (١٣/٣١٢)، حديث ١٤١٠٤.
(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٦/١١٩٧)، حديث ٢١٢٠.
(٧) قال المنذري، وابن حجر الهيتمي: "إسناده حسن"، وقال الهيثمي: "رواه أحمد، والطبراني من رواية عمرو بن أبي عمرو الأحموسي عن المخارق بن أبي المخارق، واسمُ أبيه عبد الله بن جابر، وقد ذكرهما ابن حبان في الثقات، وشيخ أحمد أبو المغيرة من رجال الصحيح". (الترغيب والترهيب ٤/٢٢٧، والزواجر عن اقتراف الكبائر ٢/٤٠٧، ومجمع الزوائد ١٠/٦٦٤).
(٨) سبق تخريجه، ص ٣٨٢.
(٩) سورة طه: الآية ١١٩.
(١٠) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٣٠/١١٥).

ثالثاً: أباريق الحوض وآنيته:

لقد بيّنت الأحاديث الشريفة بأنّ في الحوض أباريق وكيزاناً وأكواب وآنية كنجوم السماء سواء بالكثرة أم باللون، ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: "حَوْضِي مَسِيرَةٌ شَهْرٌ... وَكِيْزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ"^(١). وقال في حديث أنس رضي الله عنه الذي في الصحيحين أيضاً: "وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الْأَبَارِيقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ"^(٢).

وفي رواية عند مسلم؛ قال أنس رضي الله عنه: قال نبي الله ﷺ: "تُرَى فِيهِ أَبَارِيقُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ"^(٣).

وله شاهد في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، بنحوهما^(٤). وأما في صحيح مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه، قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا آيَةُ الْحَوْضِ؟ قَالَ: "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَيُّتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ... آخَرَ مَا عَلَيْهِ يَشْخَبُ فِيهِ مِزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ..."^(٥) الحديث.

وفي صحيح مسلم كذلك من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "أَلَا إِنِّي فَرَطْتُ لَكُمْ عَلَى الْحَوْضِ... كَأَنَّ الْأَبَارِيقَ فِيهِ النُّجُومُ"^(٦) الحديث.

قال ابن الملقن: "الكيزان: جمع كوز، كعود وأعواد، وهي الأقداح والأواني"^(٧). وقال الطيبي، والمناوي: قوله: "كَنُجُومِ السَّمَاءِ": أي في الكثرة والاشراق^(٨).

(١) سبق تخريجه، ص ٣٨٢.

(٢) سبق تخريجه، ص ٣٨١.

(٣) صحيح مسلم (٤/١٨٠١)، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، حديث ٢٣٠٣.

(٤) سبق تخريجه، ص ٣٨١.

(٥) سبق تخريجه، ص ٣٨٢.

(٦) صحيح مسلم (٤/١٨٠١)، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، حديث ٢٣٠٥.

(٧) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٣٠/١١٥).

(٨) الكاشف عن حقائق السنن، للطيبي (١١/٣٥١٦)، والتيسير بشرح الجامع الصغير، للمناوي (١/٥٠١).

وفي قوله: "أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ"؛ قال النووي: "خَصَّ اللَّيْلَةَ الْمُظْلِمَةَ الْمُصْحِيَةَ؛ لِأَنَّ النُّجُومَ تُرَى فِيهَا أَكْثَرَ، وَالْمُرَادُ بِالْمُظْلِمَةِ الَّتِي لَا قَمَرَ فِيهَا، مَعَ أَنَّ النُّجُومَ طَالِعَةٌ، فَإِنَّ وُجُودَ الْقَمَرِ يَسْتُرُ كَثِيرًا مِنَ النُّجُومِ"^(١).

وأما قوله: "يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانُ مِنَ الْجَنَّةِ": قال ابنُ هُبَيْرَةَ: "الشَّخْبُ": هو ما اندفع من اللبن، وهو على معنى السكب، إلا أنه يستعمل في الصَّرْع، ويعني به: أن مدده غير منقطع؛ لأنه من الجنة، فألة مادة الحوض من الجنة، فذلك مشعر بأنه جزء من الجنة، وإنما قال: "مِيزَابَانِ"، ولم يقل ميزاب واحد، وقد كان الواحد يجزئ؛ لأنَّ الاثنين أقلُّ الجمع، فلم يكن واحدًا لثَلَا يُتَوَهَّمُ التقليل قلة الاحتفال، ولم يكن غاية الجمع؛ لثَلَا يُوهم أن آلات الجنة يؤثّر فيها قلة العدد"^(٢).

قلت: وهو كقوله في حديث ثوبان رضي الله عنه عند مسلم: "يَعْتُ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمْدَانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ وَالْآخَرُ مِنْ وَرَقٍ..."^(٣) الحديث.

قال النووي: قوله: "يَعْتُ فِيهِ مِيزَابَانِ": أي يدفقان فيه الماء دفقًا متتابعًا شديدًا، وأصله من إتباع الشيء الشيء، وقيل: يصبَّان فيه دائمًا صبًا شديدًا، لا ينقطع جريانها"^(٤). وقوله: "يَمْدَانِهِ": أي يزيدانه ويكثرانه"^(٥).

رابعًا: علاقة الحوض بنهر الكوثر في الجنة:

قد جاء أن هذين الميزابين ممدودان من نهر الكوثر إلى حوض المصطفى صلى الله عليه وسلم، كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه عند الإمام أحمد في مسنده^(٦)، والطبراني في الكبير^(٧)،

(١) شرح النووي على مسلم (٦٠/١٥).

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح (١٩٢/٢).

(٣) سبق تخريجه، ص ٣٨٥.

(٤) شرح النووي على مسلم (٦٣/١٥)، وانظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض (٢٦٥/٧)، وكشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي (٢١٤/٤)، ومطلع الأنوار على صحاح الآثار، لابن قرقول (١٢٨/٥)، وتحفة الأبرار شرح مصابيح السنة للبيضاوي (٤٠٥/٣)، والمفاتيح في شرح المصابيح، للمظهري (٥٠١/٥).

(٥) شرح النووي على مسلم (٦٤/١٥).

(٦) مسند أحمد (٣٢٨/٦-٣٢٩)، حديث ٣٧٨٧.

(٧) المعجم الكبير (٨٠/١٠)، حديث ١٠٠١٧.

والبزار^(١)، والحاكم^(٢)، وأبو نعيم^(٣)، أن النبي ﷺ، قال: "وَيُفْتَحُ نَهْرٌ مِنَ الْكَوْثَرِ إِلَى الْحَوْضِ... الحديث"^(٤).

قلت: في هذه الأحاديث أيضًا ردُّ على من زعم أن للنبي ﷺ حوضين أحدهما في الموقف قبل الصراط، والآخر داخل في الجنة، وكل منهما يسمى كوثرًا، كالقرطبي^(٥)، واليعني^(٦)، قال ابن حجر: "فيه نظر؛ لأنَّ الكوثر نهر داخل الجنة، وماؤه يصبُّ في الحوض، وظاهر الحديث أنَّ الحوض بجانب الجنة؛ لينصب فيه الماء من النهر الذي داخلها"^(٧).

فإن قيل: هل يوجد إشكال فيما رواه مسلمٌ عن أنسٍ رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: "أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟"، فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: "فإنَّه نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي ﷻ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ^(٨) الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي، فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحَدَثْتَ بَعْدَكَ"^(٩).

قال الداودي: "هو الحوض الذي يدفع عنه أقوام غير النهر الذي في الجنة، أو يكون يراهم ﷺ وهو داخل الجنة، وهم من خارجها، فيناديهم فيصرفون عنه"^(١٠).
قال ابن حجر: "وهو تكلف عجيب، يعني عنه أنَّ الحوض الذي هو خارج الجنة يمدُّ من النهر الذي هو داخل الجنة، فلا إشكال أصلاً"^(١١).

فإن قيل: هل يفهم من قوله ﷺ "فإنَّه نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي ﷻ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ"، أنَّ الحوض والكوثر، شيء واحد؟!!

(١) مسند البزار (٤/٣٣٩-٣٤٠)، حديث ١٥٣٤.

(٢) المستدرک علی الصحیحین (٢/٣٦٤)، حديث ٣٣٨٥.

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٤/٢٣٨).

(٤) قال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه". (المستدرک ٢/٣٦٤، حديث ٣٣٨٥).

(٥) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص ٧٠٢.

(٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٣/١٤٠).

(٧) فتح الباري (١١/٤٦٦)، انتقاض الاعتراض في الرد على العيني في شرح البخاري (٢/٦٥٠).

(٨) أي: يَنْتَزِعُ وَيَقْتَطِعُ. (شرح النووي على مسلم ٤/١١٣).

(٩) صحيح مسلم (١/٣٠٠)، كتاب الصلاة، باب حُجَّةِ الْبَسْمَلَةِ آيَةٌ مِنْ أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ سِوَى بَرَاءَةِ، حديث ٤٠٠.

(١٠) انظر: فتح الباري، لابن حجر (١١/٤٧٣)، وعمدة القاري، لليعني (٢٣/١٤٠).

(١١) فتح الباري (١١/٤٧٣).

فالجواب: لا؛ فإطلاق الحوض على الكوثر هنا، من باب تغليب الأصل على الفرع
وقد أصبح معلومًا أنّ موقع الحوض غير موقع الكوثر، وتسمية الحوض - بغض النظر عن
اتصاله بالكوثر - غير الكوثر^(١).



(١) الحياة الآخرة، لغالب عواجي (١٥٠٩/٢).

المطلب الثالث: ورود الحوض

أولاً: وقت ورود الحوض:

قد اختلف أهل العلم في توقيت الورود على الحوض؛ هل هو قبل المرور على الصراط أو بعده، على ثلاثة أقوال، كالاتي:

القول الأول: أنه يكون قبل الميزان، وقبل المرور على الصراط في عرصات يوم القيامة، واستدلوا على ذلك؛ بأنه يؤخذ بعضُ واردي الحوض إلى النار، فلو كان بعد الصراط لما استطاعوا الوصول إليه، ومُنَّ قال ذلك من العلماء؛ القابسي^(١)، والغزالي، والقرطبي. فقد نقل القرطبي عن أبي الحسن القابسي قوله: "والصحيح أن الحوض قبل"، ثم قال: "والمعنى يقتضيه؛ فإن الناس يخرجون عطاشاً من قبورهم، فيقدم قبل الصراط والميزان والله أعلم"، ثم نقل عن أبي حامد الغزالي قوله: "وحكى بعض السلف من أهل التصنيف: أن الحوض يورد بعد الصراط، وهو غلط من قائله"^(٢).

وقال القرطبي أيضاً: "ولا يخطر ببالك، أو يذهب وهمك إلى أن هذا الحوض يكون على وجه هذه الأرض، وإنما يكون وجوده على الأرض المبدلة على مسافات هذه الأقطار، وفي المواضع التي تكون بدلاً من هذه المواضع في هذه الأرض..."^(٣).

القول الثاني: أنه يكون بعد الصراط، وقد استظهر ابن حجر أن هذا مذهب البخاري؛ لأنه أورد أحاديث الحوض بعد أحاديث الشفاعة، وأحاديث نصب الصراط، حيث قال: "وإيراد البخاري لأحاديث الحوض بعد أحاديث الشفاعة وبعد نصب الصراط؛ إشارة منه إلى أن الورود على الحوض يكون بعد نصب الصراط والمرور عليه"^(٤).

(١) أبو الحسن، علي بن محمد بن خلف، المعافري، القروي، المعروف بابن القابسي، وقابس: مدينة بأفريقية-تونس حالياً- بالقرب من المهديّة، كان إماماً في علم الحديث ومتونته وأسانيده، وجميع ما يتعلق به، ولد سنة ٣٢٤هـ، وتوفي سنة ٤٠٣هـ، ومن أشهر مصنفاته: ملخص الموطأ، ورتب العلم وأحوال أهله، ورسالة الذكر والدعاء. (التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، لمحمد صديق خان القنوجي، ص ٧٤، والأعلام، للزركلي ٣٢٦/٤).

(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص ٧٠٣.

(٣) المرجع نفسه، ص ٧٠٦-٧٠٧.

(٤) فتح الباري (٤٦٦/١١).

وقد احتجَّ وانتصر له ابن حجر^(١) بحديث أنسٍ رضي الله عنه، قال: سَأَلْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ، أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ: قَالَ: "أَنَا فَاعِلٌ"، قَالَ: فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟، قَالَ: "أَطْلُبُنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصَّرَاطِ"، قَالَ: قُلْتُ: فَإِذَا لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصَّرَاطِ؟، قَالَ: "فَأَنَا عِنْدَ الْمِيزَانِ"، قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ؟، قَالَ: "فَأَنَا عِنْدَ الْحَوْضِ، لَا أُحْطِي هَذِهِ الثَّلَاثَ مَوَاطِنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"^(٢).

فالشاهد أنه قد دلَّه على الشفاعة عند الحوض آخرًا.

وقال ابن حجر في معرض الردِّ على القرطبي، ومن قال بأن الحوض قبل الصَّرَاطِ: "قد تقدَّم أن الصَّرَاطِ جسر جهنم، وأنه بين الموقف والجنة، وأنَّ المؤمنين يمرون عليه لدخول الجنة، فلو كان الحوض دونه لحالت النار بينه وبين الماء الذي يصب من الكوثر في الحوض..."^(٣).

قلت: وممَّن قال به من العلماء ورجحه القاضي عياض، حيث قال: "الشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة من النار؛ لأنَّ ظاهر حال من لا يظمأ أن لا يعذب بالنار"^(٤).

وقد وافقه وأيده السيوطي، حيث قال: "فإن قيل: إذا خلصوا من الموقف دخلوا الجنة؛ فلم يحتج إلى الشرب منه، كلاً بل هم محبوسون هناك لأجل المظالم، فكان الشرب في موقف القصاص"^(٥).

لكن القاضي عياض مع ترجيحه لهذا الرأي قد وضع احتمالاً لِنَفْيِهِ، حيث قال: "ولكن يحتمل أنَّ من قُدِّرَ عليه التعذيب منهم أن لا يُعَذَّبَ فيها بالظمأ، بل بغيره"^(٦). وقد دفع ابن حجر هذا الاحتمال بأنَّه صُرِّحَ أنَّ يكون الحوض بعد الصَّرَاطِ"^(٧).

(١) فتح الباري (٤٦٦/١١).

(٢) سبق تحريجه، ص ٣١١.

(٣) فتح الباري (٤٦٦/١١).

(٤) انظر: المرجع نفسه (٤٦٦/١١).

(٥) البدور السافرة، ص ٢٤٠.

(٦) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٤٦٦/١١).

(٧) المرجع نفسه (٤٦٦/١١-٤٦٧).

فقد أخرج عبد الله بن الإمام أحمد^(١)، وابن خزيمة^(٢)، وابن أبي خيثمة^(٣)، والطبراني^(٤)، والحاكم^(٥)، من حديث لَقِيَطِ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه قال النبي ﷺ: "ثُمَّ يَنْصَرِفُ نَبِيكُمْ ﷺ، فَيَمُرُّ عَلَى أَثَرِهِ الصَّالِحُونَ، - أَوْ قَالَ: يَنْصَرِفُ عَلَى أَثَرِهِ الصَّالِحُونَ -"، قَالَ: "فَيَسْأَلُونَ جِسْرًا مِنَ النَّارِ يَطَأُ أَحَدُكُمْ الْجَمْرَةَ، فَيَقُولُ: حَسَنٌ^(٦)، فَيَقُولُ رَبُّكَ، - أَوْ إِنَّهُ قَالَ: فَيَطَّلِعُونَ عَلَى حَوْضِ الرَّسُولِ ﷺ عَلَى أَظْمِيٍّ - وَاللَّهِ - نَاهِلَةٌ^(٧) مَا رَأَيْتَهَا قَطُّ، وَلَعَمْرُ لِلْهَيْكِ مَا يَبْسُطُ - أَوْ قَالَ: مَا يَسْقُطُ - وَاحِدٌ مِنْكُمْ يَدُهُ إِلَّا وَضِعَ عَلَيْهَا قَدْحٌ يُطَهِّرُهُ مِنَ الطَّوْفِ^(٨)، وَالْبَوْلِ، وَالْأَذَى... الحديث^(٩).

القول الثالث: الجمع بين القولين السابقين، وذلك أنه لا مانع من كونهم يردونه مرتين؛ مرة في الموقف عند الحشر، ومرة أخرى بعد المرور على الصِّراط؛ إذ إنَّهم في كلا الحالتين في عطشٍ شديد.

(١) مسند أحمد (٢٦/٢١٢-١٢٥)، حديث ١٦٢٠٦.

(٢) التوحيد (٢/٤٦٠).

(٣) التاريخ الكبير (١/٥٢٧-٥٣٠)، حديث ٢١٦٥.

(٤) المعجم الكبير (١٩/٢١١-٢١٣)، حديث ٤٧٧.

(٥) المستدرک على الصحيحين (٤/٥٦٠-٥٦٢)، حديث ٨٦٨٣.

(٦) معناها كما قال ابن الجوزي: "مثل قَوْلِكَ أَوْه"، وقال ابن الأثير: "كَلِمَةٌ يَقُولُهَا الْإِنْسَانُ إِذَا أَصَابَهُ مَا مَضَّهَ وَأَحْرَقَهُ غَفْلَةً، كَالْجَمْرَةِ وَالضَّرْبَةِ وَنَحْوَهُمَا". (غريب الحديث، لابن الجوزي، ١/٢١٣، النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، "حَسَسَ"، ١/٣٨٥).

(٧) النَّاهِلُ: الرَّيَّانُ وَالْعَطْشَانُ، فَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ، وَقَدْ نَهَلَ يَنْهَلُ نَهْلًا، إِذَا شَرِبَ، يُرِيدُ مَنْ رَوَى مِنْهُ لَمْ يَعْطَشْ بَعْدَهُ أَبَدًا. (النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، "نَهَلَ"، ١/١٣٨، وانظر: غريب الحديث، لابن الجوزي ٢/٤٤٦).
(٨) الطَّوْفُ: الْحَدَثُ مِنَ الطَّعَامِ، وَالْمَعْنَى أَنَّ مَنْ شَرِبَ تِلْكَ الشَّرْبَةَ طَهَّرَ مِنَ الْحَدَثِ وَالْأَذَى. (النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٣/١٤٣).

(٩) قال الحاكم: "هذا حديث جامع في الباب، صحيح الإسناد، كلُّهم مدنيون ولم يخرجاه"، وقال الهيثمي: "رواه عبد الله، والطبراني بنحوه، وأحد طريقتي عبد الله إسنادها متصل ورجحها ثقات..."، وقد أشار ابن القيم إلى تصحيح هذا الحديث، حيث قال: "هذا حديث كبير جليل، تنادي جلالته وفخامته وعظمته على أنه قد خرج من مشكاة النبوة". (المستدرک، للحاكم ٤/٥٦٣، مجمع الزوائد، للهيثمي ١٠/٦١١، زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم ٣/٥٩١).

ولعلَّ كلام القرطبي يدعم هذا الرأي، حيث قال: "الصحيح أنَّ للنبي ﷺ حوضين؛ أحدهما في الموقف قبل الصراط، والثاني في الجنة، وكلاهما يسمى كوثرًا، والكوثر في كلام العرب الخير الكثير"^(١).

قال ابن حجر: "فيه نظر؛ لأن الكوثر نهر داخل الجنة، وماؤه يصب في الحوض، ويطلق على الحوض كوثر؛ لكونه يمد منه"^(٢).

وهناك توجيه آخر للجمع بين القولين؛ "وذلك أنَّه يُحتمل أن يقع الشرب من الحوض قبل الصراط لقوم، وتأخيره بعده لآخرين، بحسب ما عليهم من الذنوب؛ حتى يُهدَّبوا منها على الصَّراط ولعل هذا أقوى"^(٣).

أمَّا الرأي الراجح عندي، فهو القول الثاني؛ وذلك لتظاهر الأدلة وتصريحها بأنَّ الحوض يقع بعد الصَّراط.

ثانيًا: الذين يُطردون عن الحوض:

لقد فضَّل الله تعالى أمة محمد ﷺ على باقي الأمم بفضائل جمَّة، منها: ورود حوض النبي ﷺ، حيث إنَّه لا يظمأ أبدًا من شرب من مائه، ولكن بيَّن النبي ﷺ أنَّ أفرادًا من أمته يُعدون ويُطردون عن حوضه؛ وذلك أنَّهم تركوا سنته وبعَدوا عنها، فأبعَدوا عن حوضه، فالحوض لا يرده إلا المؤمنون المتمسِّكون بهديه، المقتفون أثره ﷺ.

أخرج البخاريُّ ومسلمٌ من حديث ابنِ أبي مُليكة^(٤)، عن أسماء بنتِ أبي بكرٍ رضي الله عنهما، قالت: قال النبي ﷺ: "إني على الحوضِ حتى أنظرَ مَنْ يردُّ عليَّ منكم، وسيؤخذُ ناسٌ دُوني، فأقول: يا ربِّ، منِّي ومن أمتي، فيقال: هلْ شعرتَ ما عملوا بعَدك، واللَّهِ ما برحوا يرجعونَ على أعقابِهِمْ".

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص ٧٠٢، وانظر: فتح الباري، لابن حجر (٤٦٦/١١).

(٢) فتح الباري، لابن حجر (٤٦٦/١١).

(٣) البدور السافرة، ص ٢٤٠.

(٤) عبْدُ اللهِ بنُ عبْدِ اللهِ بنِ عبْدِ اللهِ، ابنِ أبي مُليكة ابن عبْدِ اللهِ بنِ جُدعان، يُقال: اسمُ أبي مُليكة زُهَيْرُ التَّيْمِيِّ المَدِينِيُّ، أدرك ثلاثين من الصحابة، ثقة فقيه من الثالثة، ت ١١٧ هـ. (تقريب التهذيب، لابن حجر، ص ٣١٢).

فَكَانَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجَعَ عَلَى أَعْقَابِنَا، أَوْ نُفْتَرَ عَنْ دِينِنَا^(١).

وفي روايةٍ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "فِيخْتَلِجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي، فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحَدَثْتَ بَعْدَكَ..."^(٢) الحديث.
قال النووي: قوله: "فِيخْتَلِجُ"، أَي: يُتَنَزَّعُ وَيُقْتَطَعُ^(٣).

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي حَازِمٍ^(٤)، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: "لِيرِدُ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ"، قَالَ أَبُو حَازِمٍ: فَسَمِعَنِي النُّعْمَانُ بْنُ أَبِي عِيَّاشٍ^(٥)، وَأَنَا أَحَدُهُمْ هَذَا، فَقَالَ: هَكَذَا سَمِعْتَ سَهْلًا؟، فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: وَأَنَا أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، لَسَمِعْتُهُ يَزِيدُ فِيهِ: "قَالَ: إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا بَدَلُوا بَعْدَكَ؟ فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا، لِمَنْ بَدَلَ بَعْدِي"^(٦).

وفي روايةٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "وَلْيَصِدَّنَّ عَنِّي طَائِفَةٌ مِنْكُمْ فَلَا يَصِلُونَ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ هَؤُلَاءِ مِنْ أَصْحَابِي، فَيُجِيبُنِي مَلَكٌ، فَيَقُولُ: وَهَلْ تَدْرِي مَا أَحَدَثُوا بَعْدَكَ؟..."^(٧) الحديث.

قوله: "إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ": قال النووي: "الْفَارِطُ هُوَ الَّذِي يَتَقَدَّمُ الْوَارِدَ لِيُصْلِحَ لَهُمْ، فَمَعْنَى فَرَطُكُمْ عَلَيَّ الْحَوْضِ: سَابِقُكُمْ إِلَيْهِ، كَالْمَهْيِيِّ لَهُ"^(٨).
وقوله: "سُحْقًا": قال ابن الجوزي: "هو مصدر أسحقه الله سُحْقًا: أَي أَبْعَدَهُ بُعْدًا"^(٩).

(١) صحيح البخاري (١٢١/٨)، كتاب الرقاق، بَابُ فِي الْحَوْضِ، حديث ٦٥٩٣، وصحيح مسلم (٤/١٧٩٤)، كتاب الفضائل، بَابُ إِثْبَاتِ حَوْضِ نَبِيِّنَا ﷺ وَصِفَاتِهِ، حديث ٢٢٩٣.

(٢) سبق تخريجه، ص ٣٨٦.

(٣) شرح النووي على مسلم (٤/١١٣).

(٤) هو: سلمة بن دينار، أبو حازم الأعرج. (سبق ترجمته، ص ١٧٦).

(٥) سبق ترجمته، ص ١٧٦.

(٦) سبق تخريجه، ص ١٧٦.

(٧) صحيح مسلم (١/٢١٧)، كتاب الطهارة، بَابُ اسْتِحْبَابِ إِطَالَةِ الْعُرَّةِ وَالتَّحْجِيلِ فِي الْوُضُوءِ، حديث ٢٤٧.

(٨) شرح النووي على مسلم (١٥/٥٣).

(٩) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٢/٢٨٠).

وقال ابن بطلال: "ومعنى ذلك: الدعاء على من بدّل وغيره، كقوله: أبعده الله"^(١).
وقوله: "وَهَلْ تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ؟": أي: من الارتداد عن الإسلام، أو من المعاصي
الكبيرة البدنية أو الاعتقادية". قاله القسطلاني^(٢).
وقال القاري: "أي: من الارتداد، فإنّ سائر المعاصي لا تمنع المؤمن من ورود الحوض
والشرب من مائه"^(٣).
وقال ابن الجوزي: "وهؤلاء الذين أخذوا بعده، يُحْتَمَلُ أَنْ يُرَادَ بِهِمُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُرْتَدُونَ
وَالْمُبْتَدِعُونَ فِي أَصْلِ الدِّينِ"^(٤).
وقال الشيخ عبد الله سراج الدين: "ذهب أكثر العلماء إلى أن هؤلاء الذين يُمنعون عن
حوض النبي ﷺ هم المنافقون، الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، وكذلك المرتدّون الذين
أسلموا أوّلاً ثمّ كفروا وماتوا وهم كفار"^(٥).
قلت: مما سبق يتبيّن أنّ أهل الكبائر يطردون ويعدون عن الحوض، ولكن لا مانع من
أن تنالهم شفاعة المصطفى ﷺ بعد ذلك في أن يُخرجوا من النار، كما سبق بيان ذلك في
مبحث الشفاعة.
قال الكرماني: "ثمّ التبديل إن كان بالكفر، كالذين قاتلهم أبو بكر رضي الله عنه؛ فبعداً لهم
أبداً من الجنة، والحوض، وسائر الخيرات، وإن كان في البدع، والمظالم، ونحوهما، فبعداً لهم
حالياً، لكن في المال يشفع لهم ويقربون منها"^(٦).
وقال العيني: "واعلم أنّ حال هؤلاء المذكورين إن كانوا ممن ارتدوا عن الإسلام، فلا
إشكال في تبيري النبي ﷺ منهم، وإبعادهم، وإن كانوا ممن لم يرتدوا، ولكن أحدثوا معصية
كبيرة من أعمال البدن، أو بدعة من أعمال القلب، فقد أجابوا بأنه يُحْتَمَلُ أَنَّهُ أَعْرَضَ عَنْهُمْ،

(١) شرح صحيح البخاري (٧/١٠).

(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١٦٧/١٠).

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣٥٣٨/٨).

(٤) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٢٨٠/٢).

(٥) الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها، ص ٢١٦.

(٦) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (١٤٦/٢٤).

ولم يسمع لهم؛ اتباعًا لأمر الله فيهم، حتى يعاقبهم على جنائيتهم، ثم لا مانع من دخولهم في عموم شفاعته لأهل الكبائر من أمته، فيخرجون عند إخراج الموحدين من النار"^(١).

وقد فصل القرطبي القول في ذلك، قال: "قال علماؤنا رحمة الله عليهم أجمعين: فكل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله، فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه، وأشدُّهم طردًا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم كالخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلُّهم مبدلون، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وتطميس الحق، وقتل أهله وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي، وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع.

ثم البعد قد يكون في حال، ويقربون بعد المغفرة، إن كان التبدل في الأعمال، ولم يكن في العقائد، ثم يقال لهم: سحقا. وإن كانوا من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ يظهرون الإيمان، ويُسرِّون الكفر، فيأخذهم بالظاهر، ثم يكشف لهم الغطاء، فيقول لهم: سحقا سحقا، ولا يخلد في النار إلا كافر جاحد مبطل، ليس في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان. وقد يقال: إن من أنفذ الله عليه وعيده من أهل الكبائر إنَّه وإن ورد الحوض، وشرب منه، فإنَّه إذا دخل النار بمشيئة الله تعالى لا يُعذب بعطش، والله أعلم"^(٢).

أسأل الله تعالى أن يجنِّبنا البدع والمنكرات، وأن يلهمنا الرشاد والصواب، وأن يجمعنا بحبيبا محمد ﷺ في أعلى درجات الجنات، إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.



(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٧٧/٢٤).

(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص ٧١٠-٧١١.

الخاتمة:

أولاً: النتائج التي توصل إليها الباحث

ثانياً: التوصيات التي يوصي بها الباحث

الخاتمة

* رَزَقْنَا اللَّهُ حُسْنَهَا وَزِيَادَةَ *

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمده وأشكره على توفيقه في البدء والختام، وأصلي وأسلم على خير الأنام نبينا محمد وعلى آله وصحبه الكرام. فالحمد لله الذي أعانني على إتمام هذا البحث، وأسأله أن يكتب له القبول في الدنيا والآخرة، وأن يجعله من الأعمال المبلّغة إلى دار السلام، الموجبة للفوز بحسن الختام، وفيما يأتي أضع بين يدي القراء الكرام ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات.

أولاً: النتائج:

١. اليوم الآخر يوم القيامة، وسمي بذلك لأنه آخر انقراض الدنيا وآخر أيامها.
٢. إنّ الحكمة من تعدد أسماء اليوم الآخر وكثرتها؛ التنويه بشأنه، وتنبيه العباد ليخافوا منه، ويعتدوا العدة لذلك.
٣. إن للتكذيب باليوم الآخر والغفلة عنه آثار سيئة على العبد في دنياه وأخراه، منها:
 - أنّ ذلك تحدّ وتكذيبٌ للحالِقِ ﷻ.
 - أنّه يُجرّي الفجار على الاستقواء على الضعفاء، وسيادة قانون الغاب وشريعته.
 - يولد الوهن والضعف في النفوس.
 - منكرو اليوم الآخر تحبّط أعمالهم وتذهب هبائاً منتوراً، وإن كانت صالحة.
 - الغفلة عن الآخرة تورث في القلوب طول الأمل والتعلق بالدنيا.
 - إنكار اليوم الآخر، يؤدي إلى الجهل بالمصير.
٤. لقد تنوعت الأدلة المادية مما جاء ذكرها في القرآن والسنة على إثبات اليوم الآخر، منها:
 - الاستدلال على النشأة الأخرى بالنشأة الأولى.
 - القادر على خلق الأعظم قادر على خلق ما دونه.
 - قدرته تبارك وتعالى على تحويل الخلق من حال إلى حال.
 - إحياء بعض الأموات في هذه الحياة.

- ضرب المثل بإحياء الأرض بالنبات.
- ٥. إنَّ للإيمان باليوم الآخر ثمرات طيبة تظهر للعبد في معاشه ومعاذته، منها:
 - تحقيق ركن من أركان الإيمان الستة.
 - تحقيق الإخلاص لله ﷻ والمتابعة لرسوله ﷺ.
 - إشباع الرغبة الفطرية في الإنسان التي تتطلع لاستكشاف ما غاب عنه، واستطلاع ما يحدث في المستقبل من وقائع وكائنات.
 - الحذر من الدنيا والزهد فيها.
 - طلب العلم والقيام بواجب الدعوة إلى الله ﷻ.
 - طلب الجهاد والشهادة في سبيل الله.
 - حصول الأمن واجتناب الظلم بشتى صوره وألوانه.
 - تسلية المؤمن عما يفوته في الدنيا، وتشجيعه على الصبر عند وقوع المحن والشدائد.
 - فتح باب الأمل، والاستبشار بحسن العاقبة والنصر لأهل الإيمان.
- ٦. هناك مجموعة من الأعمال بإمكان العبد القيام بها استعدادًا لقرب قيام الساعة، منها:
 - دوام المحاسبة للنفس، والمبادرة بالتوبة النصوح، والإكثار من الاستغفار.
 - الاستغلال الأمثل للوقت، والدعاء بالثبات وحُسن الخاتمة.
 - زيارة القبور، و عيادة المرضى، واتباع الجنائز، وتجهيز الوصية.
 - الإكثار من ذكر الموت؛ هادم اللذات، وهازم الشهوات، ومفرق الجماعات.
 - الإكثار من قراءة القرآن، والتفكير، والتدبر فيه، وحضور مجالس العلم.
 - محبة الله ﷻ ورسوله ﷺ، وتربية الأهل والأبناء تربية صالحة.
- ٧. يُطلق على الموت القيامة الصغرى؛ لأنَّ كلَّ من مات فقد قامت قيامته، وحلَّ أجله، ويسمى أيضًا المعاد، والبعث الأول، والبرزخ.
- ٨. إنَّ الموت - كقيام الساعة - حتمٌ لازم يقع على جميع المخلوقات، له أجل وكتاب محدد في علم الله ﷻ، لا يستطيع أحد أن يتجاوزه، وقد أخفاه الله عن العباد؛ لئلا يتكلموا، وليكونوا على ترقُّبٍ وحذرٍ شديد، فيجتهدوا في الطاعات، ويتنافسوا فيها.
- ٩. تتمثل القيامة الكبرى في فناء العوالم وانقراضها، حيث يبید الحيُّ القيوم الحياة والأحياء.

١٠. اقتضت حكمة علام الغيوب ألا يُعلم أحدًا من خلقه وقت الساعة، فإنها تقوم بغتة؛ وذلك لئلا يقصروا في أداء الواجبات، وليتقى وحده ﷺ منفردًا بصفات الجلال والكمال.
١١. ما جاء في الأحاديث الصحيحة من إشارة النبي ﷺ إلى وقت قيام الساعة، لم يكن على وجه التحديد، وإنما على وجه التقريب، والإنذار منها، كي تستعد الأمة وتتهيأ لها.
١٢. لقد أخبر النبي ﷺ بأن الساعة ستقوم يوم الجمعة، إلا إنه لم يخبر أي جمعة هي، لأن ذلك من علم الغيب الذي لا يعلم سرّه إلا الله ﷻ.
١٣. الصُّورُ هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام عند بعث الموتى إلى المحشر.
١٤. إنَّ المتتبع لأقوال العلماء يجد ثمَّ اختلافًا في تحديد عدد النفحات في الصور، فمنهم من قال: بأثنتان، ومنهم من قال: ثلاث، ومنهم من قال: أربع، لكن الرأي الراجح عندي أنهما نفختان؛ وذلك أنه يتوافق مع ما جاء في القرآن، والسنة الصحيحة.
١٥. اختلف فيمن استنأهم الله من الصعق اختلافًا كبيرًا، فقيل: إنهم الموتى كلُّهم، وقيل: الشهداء، وقيل: الأنبياء، وقيل: موسى عليه السلام وحده، وقيل: الملائكة كلُّهم، وقيل: بعض الملائكة، ومنهم من توقّف فيهم، وهو الأسلم؛ لأنَّ النبي ﷺ وهو يُوحى إليه لم يجزم بكون موسى عليه السلام ممن استثنى منهم أم لا، فمن باب أولى ينبغي ألا يجزم بذلك من لا يُوحى إليه، وقيل غير ذلك.
١٦. يراد بالبعث: إحياء الله ﷻ الأموات، وإخراجهم من قبورهم للحساب، وللجزاء، وهو معاد جسماني وروحي، حيث تبعث الأجسام على هيئتها التي كانت في الدنيا، وتعود الأرواح فيها، فيقوم الناس لرب العالمين.
١٧. أول من تنشق عنه الأرض، وأول من يبعث من الناس يوم القيامة؛ هو نبيُّنا محمد ﷺ.
١٨. يبعث الناس يوم القيامة على أعمالهم ونياتهم التي ماتوا عليها.
١٩. الأرض والسموات تبدلان وتتغيران يوم القيامة، وإنَّ هناك أرضًا وموقفًا للحشر غير أرض الدنيا، وصفتها أنها بيضاء نقية كالفضة؛ وذلك أنَّ هذا اليوم يومٌ عدل وظهور حق، فاقتضت الحكمة أن يكون المحل الذي يقع فيه ذلك ظاهرًا عن عمل المعصية، وهذا كلُّه دليل على عظيم قدرته ﷻ، وإعلامه بجزئيات يوم القيامة؛ ليكون السامع على بصيرة،

- فيخلص نفسه من ذلك الهول، لأن في معرفة جزئيات الشيء قبل وقوعه رياضة النفس، وحملها على ما فيه خلاصها، بخلاف مجيء الأمر بغتة.
٢٠. يحشر الناس يوم القيامة حفاةً عراةً غرلاً مشاةً، كما ولدتهم أمهاتهم، وهذا من باب إظهار افتقارهم إلى الله ﷻ.
٢١. إبراهيم عليه السلام هو أول من يكسى يوم القيامة من الناس، بعد حشرهم في الموقف حفاةً عراةً؛ وذلك لأنه أول من عري في سبيل الله، عندما أراد المشركون إلقاءه في النار، ولا يلزم باختصاصه بهذه الأفضلية، أن يكون أفضل من نبينا عليه السلام مطلقاً.
٢٢. يتفاضل الناس في الموقف، فالأنبياء أفضل من غيرهم، وكذلك تتفاوت مراتب المؤمنين، وأمة الإسلام تتفاضل على غيرها من الأمم.
٢٣. من عدل الله تعالى أن يتبع الناس في الآخرة ما كانوا يتبعون في الدنيا، فعباد الأوثان والأصنام يستنصرون بأهنتهم، وكذا عباد البقر والنار، أمّا أتباع الرسل والأنبياء والصالحون فإنهم يحشرون معهم، وكذا يحشر المرء مع من أحب.
٢٤. إن أهوال القيامة شديدة، من سلم منها فقد نجى وفاز، ومن زلت قدمه فقد هلك وأصابه الخسران الكبير، ومن المعالم الدالة على هولها: طيُّ السماء، وقبضُ الأرض، واضطراب الكون، واختلال الموازين، ودنوُّ الشمس من رؤوس العباد، حتى لا يكون بينها وبينهم إلا مقدار ميل واحد.
٢٥. لقد تقرّر أنّ الله ﷻ يحاسب عباده على ما قدموه من أعمال في الدنيا، حيث يُسألون عن الدواعي التي دعتهم إلى الأعمال، وعن الصوارف التي صرفتهم عنها، فلا يسألهم هل عملتم كذا وكذا؟؛ لأنه أعلم بذلك منهم، ولكن يقول لهم: لم عملتم كذا وكذا؟
٢٦. محاسبة الله ﷻ لعبده تكون مباشرةً من غير واسطة أو ترجمان، ولا يُعجز الله ﷻ أن يحاسب عباده كلهم في آن واحد، كما رزقهم في آن واحد، فهو على كل شيء قدير.
٢٧. تتفاوت مراتب العباد في الحساب، فبعضهم يكون حسابه عسيراً كالكفرة والمنافقين، وبعضهم يدخلون الجنة بلا حساب، وهم صفوة من هذه الأمة عددهم سبعون ألفاً، وبعضهم يكون حسابهم يسيراً، وهؤلاء لا يُناقشون الحساب، بل تعرض عليهم ذنوبهم،

ثمَّ يعفو الله ويتجاوز عن سيئاتهم، ولذلك تختلف طريقة المحاسبة ونوعها من شخص لآخر حسب مرتبته، ما بين العرض، والمناقشة، ومعاقبة الربِّ ﷻ لعبده على تقصيره.

٢٨. يكون الحساب وفق قواعد عادلة، ونظام حكيم، لا يشوبه الظلم، ولا يعتريه النقص، وهذه القواعد التي يحاسب الله بها العباد تتمثل فيما يأتي:

- العدل المطلق التام.
 - الجزاء من جنس العمل.
 - الرحمة بالعباد.
 - لا يؤخذ الله أحدًا بجريرة غيره.
 - اطلاع العباد على ما قدموه من أعمال.
 - مضاعفة الحسنات دون السيئات.
 - تبديل السيئات إلى حسنات.
 - إقامة الشهادة على العباد، وتشمل: شهادة أعضاء الإنسان على نفسه، وشهادة باقي المخلوقات عليه، والشهادة الأعظم شهادة الأنبياء والملائكة عليه.
٢٩. تحشر البهائم، ويقع الاقتصاص بينها على سبيل المقابلة، لا المجازاة، إذ إنها ليست من المكلفين، ويُقاس عليها الصبيان، والمجانين، ومن لم تبلغه دعوة الله.
٣٠. من أول من يحاسب من العباد يوم القيامة: الأنبياء والرسل، وأمة محمد ﷺ، ومنهم: الذين تبارزوا يوم بدرٍ، وهم: علي بن أبي طالب، وحمزة بن عبد المطلب، وعبيدة بن الحارث ﷺ، ومنهم جاران؛ لم يحسن أحدهما حوار صاحبه، ولم يف له بحقه.
٣١. لا تعارض في الروايات التي تحدد أول ما يسأل عنه العباد يوم القيامة، فهي الصلاة أم الدماء؟، إذ يمكن الجمع بينهما بالقول بأنَّ هذه الأوليات مقيدة بموضوعها، فيقال: أول ما يحاسب عليه العبد في حقوق الله ﷻ والفرائض الصلاة، وأول ما يحاسب عليه في حقوق الناس والخصومات الدماء.
٣٢. من الأسئلة التي لا بد من أن يُسأل عنها كلُّ عبدٍ يوم القيامة:
- الكفر والشرك.
 - ما عمله العبد في دنياه.

- العهود والمواثيق.
 - السمع والبصر والفؤاد.
 - النعيم الذي يتمتع به العبد.
٣٣. من صفات الذين يدخلون الجنة من غير حساب ولا عذاب، التوكل على الله وَعَلَىٰ، وحقيقته: أن تأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء، مع الاعتماد على الله وَعَلَىٰ، وكأنَّ الأسباب لا شيء، ولا يتنافى الأخذ بالتداوي والرقية مع حقيقة التوكل، بشرط أن لا يعتقد المرء أنها تشفي بذاتها، وأنَّ المرض يعدي بطبعه.
٣٤. إِنَّ لِقَبُولِ الشَّفَاعَةِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَرْطَيْنِ، هُمَا: الْإِذْنُ، وَالرِّضَىٰ مِنَ اللَّهِ وَعَلَىٰ بِذَلِكَ.
٣٥. تنقسم الشفاعة إلى قسمين: الشفاعة المثبتة، والشفاعة المنفية؛ وهي الشفاعة التي نفاها الله وَعَلَىٰ، ونفاها رسوله ﷺ؛ لأنها باطلة مبنية على الشرك، والكفر بالله وَعَلَىٰ.
٣٦. الراجح في عدد شفاعاته ﷺ أنها ثمانية شفاعات؛ وذلك حسب ما وقفت عليه من أخبار صحيحة وثابتة، وهي:
- الشفاعة العظمى "المقام المحمود".
 - شفاعته ﷺ في دخول أهل الجنة الجنة بعد الفراغ من حسابهم.
 - الشفاعة في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب.
 - الشفاعة في رفع درجات بعض أهل الجنة.
 - الشفاعة في دخول بعض المؤمنين الجنة بغير حساب ولا عذاب.
 - الشفاعة في أهل الكبائر من أمته ممن دخلوا النار بذنوبهم أن يخرجوا منها.
 - شفاعته ﷺ في أقوام قد أُمر بهم إلى النار أن لا يدخلوها.
 - الشفاعة في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم بأن يدخلوا الجنة.
٣٧. أعظم المواطن التي تُرجى عندها شفاعته النبي ﷺ، عند الصِّراط، وعند الميزان، وعند الحوض.
٣٨. إِنَّ أَمْرَ الشَّفَاعَةِ لَيْسَ مَقْتَصِرًا عَلَىٰ نَبِينَا ﷺ - وَإِنْ كَانَتْ شَفَاعَتُهُ أَعْظَمَ الشَّفَاعَاتِ -، فَإِنَّ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَعَلَىٰ بَعْبَادِهِ أَنَّهُ وَسَّعَ دَائِرَةَ الشَّفَاعَةِ إِلَىٰ غَيْرِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، لِتَشْمَلَ عِدَدًا كَبِيرًا مِنْ خَلْقِهِ.

٣٩. من الأسباب التي توصل العباد إلى شفاعته ﷺ، وتجعلهم من الشفعاء عند الله ﷻ بإذنه:

- القرآن الكريم: وذلك بقراءته، وحفظه، وتدبر معانيه، والعمل بما فيه، من أوامر، ونواه.

- الصيام: وذلك بصوم الفرض، وصوم النفل رغبة وطمعًا في رحمة الله وفضله.

- الأولاد الصالحون.

- سُكنى المدينة المنورة والموت بها.

- الصلاة على النبي ﷺ وطلب الوسيلة له.

- المصلُّون على الميت الموحد لله ﷻ.

٤٠. هناك موانع للشفاعة، منها: الشرك بالله ﷻ، وكثرة اللعن، والظلم، والغلو في الدين.

٤١. الميزان هي الآلة التي توزن بها أعمال بني آدم يوم القيامة، وهي ميزان حقيقي له كفتان

حسيَّتان ولسان، وأنَّ الله ينصبه لكلِّ واحد من عباده.

٤٢. يتضح من خلال النصوص الواردة في الميزان؛ أنَّه يكون بعد الحساب، وقبل المرور على

الصراف، وأنَّ الملك الموكل بوزن أعمال العباد هو الأمين جبريل العليُّ.

٤٣. اختلف أهل العلم في ما يوزن في الميزان، على أربعة أقوال؛ فقليل: الأعمال، وقيل: العامل

نفسه، وقيل: الصحف، وقيل: إنَّ كلَّ ذلك مما يوزن في الميزان، وهذا الذي أرتضيه.

٤٤. إن لوزن أعمال العباد حكمًا كثيرة، أعظمها إظهار عدله ﷻ.

٤٥. هناك جملة من الأقوال والأعمال تكون سببًا في تثقيل الموازين، منها:

- التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير؛ تعظيمًا لله ﷻ.

- المواظبة على الأذكار المأثورة في دبر الصلاة المكتوبة، وعند النوم.

- محاسن الأخلاق وطول الصمت.

- كلمة التوحيد: أفضل الذكر في الدنيا، ولا يعادلها شيء في الآخرة.

- احتساب الولد الصالح عند موته.

- احتساب الفرس وغيره من العتاد في سبيل الله ﷻ.

٤٦. الراجح أن أعمال الكفار توزن في الميزان، ولكن لا يكون لحسناتهم موقع التخليص من

النار، أو الإدخال في الجنة، فقد تقدّم أن الله يجبطها، ولكن يجوز أن تكون سببًا في

التخفيف عنهم من العذاب.

٤٧. الصُّرَّاطُ جِسْرٌ مَمْدُودٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، يَرِدُّهُ الْأَوْلُونَ وَالْآخِرُونَ، وَمِنْ صِفَاتِهِ وَأَحْوَالِ النَّاسِ عَلَيْهِ:

- أَنَّهُ مِثْلُ حَدِّ الْمَوْسَى أَوْ حَدِّ السَّيْفِ.
 - أَنَّهُ زَلِقٌ مَظْلَمٌ، تَزَلُّ وَتَتَسَاوِقُ عَلَيْهِ الْأَقْدَامُ.
 - لَهُ جَنِبَتَانِ أَوْ حَافَتَانِ لُهُمَا كَالِالْيَبِ وَخَطَاطِيفٌ مِثْلُ الشُّوكِ تَحْتَطِفُ الْكُفَّارَ.
 - يُعْطِي اللَّهُ ﷻ كُلَّ إِنْسَانٍ نُورًا عَلَى قَدْرِ عَمَلِهِ يَتَّبِعُهُ عَلَى الصُّرَّاطِ، وَأَمَّا الْمُنَافِقُونَ فَيَنْطَفِئُ نُورُهُمْ عَلَيْهِ.
 - تَخْتَلِفُ سُرْعَةُ النَّاسِ فِي الْمُرُورِ عَلَى الصُّرَّاطِ بِاخْتِلَافِ قُوَّةِ النُّورِ الَّذِي يُعْطَى لَهُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ.
 - تَقِفُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحْمَةُ عَلَى الصُّرَّاطِ لِتَنَافِحَا عَنِ الْعَبْدِ إِنْ قَامَ بِحَقِّهِمَا، أَوْ تَشْهَدَانِ عَلَيْهِ وَتَحَاجَانِهِ إِنْ هُوَ ضَيِعَهُمَا.
 - أَنَّ الْمَارِينَ عَلَى الصُّرَّاطِ ثَلَاثَةٌ أَصْنَافٍ: نَاجٍ بِلَا خَدَشٍ، وَهُمْ خَاصَّةُ الْمُؤْمِنِينَ، وَهَالِكٌ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ، وَهُمْ الْمُنَافِقُونَ، وَتَوَسُّطُ بَيْنَهُمَا يَصَابُ ثُمَّ يَنْجُو، وَهُمْ عَامَّةُ الْمُؤْمِنِينَ.
 - أَوَّلُ مَنْ يَجَاوِزُ الصُّرَّاطَ النَّبِيُّ ﷺ وَأُمَّتُهُ، وَأَوَّلُهُمْ مِنْ أُمَّتِهِ الْفُقَرَاءُ الصَّابِرُونَ.
 - شِعَارُ الْأَنْبِيَاءِ وَدَعَاءُ الرُّسُلِ وَالْمُؤْمِنِينَ عَلَى الصُّرَّاطِ: رَبِّ سَلِّمْ، رَبِّ سَلِّمْ.
٤٨. يَحْشُرُ الْمُؤْمِنُونَ بَعْدَمَا يَخْلُصُونَ مِنَ الصُّرَّاطِ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ؛ كَيْ يَقْتَصِرَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُدْخِلُوا الْجَنَّةَ، ثُمَّ يَأْتِي بِالْمَوْتِ لِيَذْبَحَ عَلَى الصُّرَّاطِ، وَيُقَالُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: خَلُودٌ لَا مَوْتَ، وَيُقَالُ لِأَهْلِ النَّارِ مِثْلَ ذَلِكَ.
٤٩. إِنَّ الْإِيمَانَ بِالْحَوْضِ مِنْ مَقْتَضِيَّاتِ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَهُوَ مِمَّا تَوَاتَرَ خَبَرُهُ مَعْنَوِيًّا عَنِ خَلَائِقِ مِنَ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.
٥٠. مِنْ صِفَاتِ الْحَوْضِ: سَعَةٌ طَوْلُهُ وَعَرْضُهُ، وَشِدَّةُ بَيَاضِ لَوْنِهِ، وَطِيبُ رَائِحَتِهِ وَطَعْمُهُ، وَلَهُ أَبَارِيقٌ وَأَنْيَةٌ كَنَجُومِ السَّمَاءِ كَثْرَةً وَلَوْنًا، وَأَصْلُ مَائِهِ مِنَ الْكَوْثَرِ، فَبَيْنَهُمَا مِيزَابَانِ مَمْدُودَانِ.
٥١. الرَّاجِحُ عِنْدِي أَنَّ وُرُودَ الْحَوْضِ يَكُونُ بَعْدَ الْمُرُورِ عَلَى الصُّرَّاطِ، حَيْثُ يُبْعَدُ عَنْهُ أَهْلُ الْكِبَائِرِ وَالْبَدْعِ، يُقَالُ لَهُمْ: سَحَقًا وَبَعْدًا؛ وَذَلِكَ لِمُخَالَفَتِهِمْ أَمْرَ النَّبِيِّ ﷺ.

ثانياً: التوصيات:

يوصي الباحث بالآتي:

١. الاهتمام بأقوال الشراح على الأحاديث وتعليقاتها؛ خاصةً أركان الإيمان، والغيبات، كحياة البرزخ، والجنة والنار، وأشراف الساعة، والفتن، والملاحم الواقعة في آخر الزمان، على نحو دراستي لليوم الآخر.
٢. أوصي العلماء والدعاة أن يذكروا الناس بأحداث اليوم الآخر وأهواله، ويعلموهم العقيدة الصحيحة، ويُسِّطوا لهم ذلك في مادة سهلة خالية من الموضوعات والخرافات، كي تستعد الأمة وتتهيأ على أحسن حال.
٣. أوصي المرابين والمصلحين بالاعتناء بهذا الجانب العظيم من التربية، مما له الأثر الكبير في الاستقامة على الجادة، وعلاج الأمراض، والمشكلات، وحالات اليأس، والقنوط، والمظالم، الناتجة عن البعد عن الله وَعَلَيْكُمْ، والغفلة عن الدار الآخرة.
٤. أوصي طلبة العلم الشرعي كافةً، وطلبة الحديث الشريف خاصةً بالاهتمام بالدراسات الموضوعية التي تساهم في حلّ مشكلات المجتمع، سواء أكانت العقديّة، أم الفكرية، أم الاقتصادية، أم الاجتماعية، أم السياسية، أم غير ذلك.

وأخيراً: أراني أردد مع الخطّابي: "وكلُّ من عثر منه على حرف، أو معنى يجب تغييره، فنحن نناشده الله في إصلاحه، وأداء حق النصيحة فيه، فإنَّ الإنسان ضعيف لا يسلم من الخطأ، إلا أن يعصمه الله بتوفيقه، ونحن نسأل الله ذلك، ونرغب إليه في دركه إنه جواد وهوب"^(١).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.



(١) انظر: غريب الحديث (٤٩/١).

الفهارس العلمية العامة

أولاً: فهرس الآيات القرآنية.

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية.

ثالثاً: فهرس الرواة والأعلام المترجم لهم.

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.

خامساً: فهرس الموضوعات.

أولاً: فهرس الآيات القرآنية^(١)

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿هَدَيْنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	٦	٣٥٦
سورة البقرة		
﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾	٥٦	١٣٠
﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾	٦١	٦٥
﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِعَظْمِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾	٧٣	٤٨
﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾	١٤٣	١٦٥، ٢٦٦، ٢٧٠
﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ﴾	١٥٥	٦٢
﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابْتَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾	١٥٦	٦٢
﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾	١٥٧	٦٢
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾	١٧٤	٢٠٠
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ﴾	١٨٠	٨٢
﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾	٢٠٢	٢٣٣
﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾	٢٠٣	٢٠
﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾	٢٣٨	٢٠١
﴿أَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾	٢٤٣	٤٨
﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾	٢٥٩	٤٩
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾	٢٦٠	٤٩
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾	٢٦٤	٣٥
سورة آل عمران		
﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾	٣١	١٧٥، ٨٧

(١) مرتبة حسب ورودها في القرآن الكريم.

الآية	رقمها	الصفحة
﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾	٣٢	٨٧
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ﴾	٧٧	٢٠٠
﴿وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾	١٣٤	٢٢٣
﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّوَجَّلًا﴾	١٤٥	٩٣
﴿وَمَنْ يَعْلُنْ يَأْتِ بِمَا عَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾	١٦١	٢١١
﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ﴾	١٨٠	١٩٤
﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾	١٨٥	٩٣
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ﴾	٩١	١٩١
سورة النساء		
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾	١	٣٦٥
﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾	٤١	٢٦٥
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾	٤٨	٢٥٢
﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾	٦٩	٨٨
﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾	٧٧	٩٧
﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾	٨٧	٣١
﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ﴾	١٠٠	١٤٣
﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾	١١١	٣٢٢
﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾	١٢٢	٣١
﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾	١٢٣	٢٤٦
﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾	١٢٥	١٨٠
﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾	١٢٥	١٨٠
﴿مُذَبِّحِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾	١٤٣	٢٠٩
﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾	١٥٩	٢٦٦
سورة المائدة		

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾	٨	٢٢١
﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾	١١٧	٢٦٦
سورة الأنعام		
﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾	٢	٩٥
﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾	٢٨	١٩٢
﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾	٢٩	٥
﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾	٣٨	٨٤
﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾	٥٩	٩٦
﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَمَنْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾	٨٢	٢٠
﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾	٩٤	١٦٢
﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾	٩٥	٤٧
﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾	٩٦	٤٧
﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَلِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا﴾	١٦٠	٢٥١
﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾	١٦٤	١٦٧، ٢٤٨
سورة الأعراف		
﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾	٩	٣٥٣
﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾	٢٥	١٣٤
﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾	٢٦	١٦٢
﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾	٢٩	١٥٨، ١٣٣
﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾	٣٤	٩٣
﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ﴾	١٠٣	١٣٠
﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾	١٥٦	٢٤٨
﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ﴾	١٧٢	١٩٢
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾	١٨٧	٩٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿يَسْأَلُونَكَ كَاتِبًا حَفِيًّا عَنْهَا﴾	١٨٧	١٠٠
سورة الأنفال		
﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾	٦٠	٦٦
سورة التوبة		
﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾	٣٤	١٩٥
﴿يَوْمَ يُجْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ﴾	٣٥	١٩٥
﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾	٦٧	٢٠٥
﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾	١١١	٥٨
﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى﴾	١١٣	٢٩٥
﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ﴾	١١٤	٢٩٦
﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لِأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾	١١٤	١٨٠
سورة يونس		
﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾	١٨	٢٩٥
﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾	٦١	٢٦٤
﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٤﴾ هُمُ الْبَشَرِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾	-٦٢ ٦٤	٢١٤
سورة هود		
﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾	٣	٧٥
﴿وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ﴾	٧	٢٨
﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾	١٥	٢٤٠
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ﴾	١٦	٢٣٢
﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾	١٨	٢٣٧
﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾	٩٨	١٧٤
﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ السَّيِّئَاتِ﴾	١١٤	٣٥٠

الآية	رقمها	الصفحة
سورة يوسف		
﴿أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَب﴾	١٢	٢٨٦
﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ﴾	٣٨	١٧٥
سورة الرعد		
﴿وَإِنْ تَعَجَبَ فَعَجِبْ قَوْلُهُمْ إِذَا كُنَّا تُرَابًا أَلْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾	٥	٣٠
﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾	١٧	١٦٣
﴿يَمْخُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾	٣٩	٩٥
سورة إبراهيم		
﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾	٧	٢٨٥، ٤
﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَاهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾	١٨	٣٥
﴿أَمْ تَرَى كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾	٢٣	٣٤٩
﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾	٤٨	١٤٧، ١٥٣، ٣٦١
سورة الحجر		
﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾	٨٥	٢٢٣
﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٠٠﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	٩٢-٩٣	٢٣٤، ٢٧٧
سورة النحل		
﴿آتَىٰ أَمْرَ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾	١	٧١
﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ يَمُوتٍ﴾	٣٨	٢٨
﴿تَاللَّهِ لَنَسْأَلَنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾	٥٦	٢٧٦
﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾	٧٧	٧١
﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤَدُّنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾	٨٤	٢٦٥
﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا﴾	٨٩	٢٦٥
﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾	٩٧	٥١
﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ بِجَادِلٍ عَنْ نَفْسِهَا﴾	١١١	٢٤

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الإسراء		
﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ﴾	٤	٦٣
﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾	٥	٦٣
﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ﴾	٦	٦٣
﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾	٧	٦٣
﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا﴾	١٣	٢٥٠
﴿أَفْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾	١٤	٢٥٠، ٢٣٣
﴿وَلَا خَيْرَ لَهُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾	٢١	١٦٣
﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا﴾	٢٤	٨٧
﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾	٣٤	٢٨٠
﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾	٣٦	٢٨٠
﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾	٧١	١٧٥
﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾	٧٢	١٧٦
﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾	٧٩	٢٩٩
﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِّيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾	٩٧	١٨٩
﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَيْنَا لِمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾	٩٨	٤٦
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ﴾	٩٩	٤٦
سورة الكهف		
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾	٣٠	١٤١
﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاَهُمْ﴾	٤٧	١٤٧
﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِي هَذَا الْكِتَابِ لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾	٤٩	٢٥٠
﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾	١٠٣	١٩٣
﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾	١٠٤	١٩٣
﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾	١٠٥	١٩٣، ٣٥ ٣٣٩

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُؤًا﴾	١٠٦	١٩٣
﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾	١١٠	٥٢
سورة مريم		
﴿وَأَعْتَبْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾	٤٨	١٨٠
﴿وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾	٤٩	١٨٠
﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾	٦٦	٤٥
﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا﴾	٦٧	٤٥
﴿وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾	٧١	٣٦٣
﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾	٧٧	٣٢،٢٩
سورة طه		
﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾	٩	٢٩٤
﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾	٢٠	٢٤٣
﴿فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾	٥٢	٩٨
﴿وَمِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾	٥٥	١٣٣
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَا تَبْقَى فِيهَا جَبَلٌ وَلَا أَمْتًا﴾	١٠٥- ١٠٧	١٥٢
﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾	١٠٨	١٥٢
﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾	١٠٢	١١٢
﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾	١١١	٦٠
﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾	١١٢	٦٠
﴿وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾	١١٩	٣٨٥
﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾	١٢٤	٤٣
﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾	١٢٥	٤٣
﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾	١٢٦	٢٨٦،٤٣

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنِ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾	١٢٧	٤٣
سورة الأنبياء		
﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾	١	٧١
﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مَّتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾	٣٤	٩٣
﴿وَوَضِعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾	٤٧	٦٠، ٣٣٣ ٣٥٤
﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾	٩٠	٥٦
﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾	١٠٤	١٥٥ ١٨٣، ١٦٢
سورة الحج		
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾	١	١٨٢
﴿يَوْمَ تَرُؤُنَهَا تُدْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾	٢	١٨٢
﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾	١٩	٢٧٠
﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾	٢٢	٣٧٥
﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾	٤٧	١٠٨
﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾	٧٨	١٨٠
سورة المؤمنون		
﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾	٥٣	١٧٩
﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ هَاهُنَا سَابِقُونَ﴾	٦١	٥٦
﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾	٩٩	١٨٧
﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾	١٠٠	١٨٧
﴿وَمِنْ وَّرَائِهِمْ بَرَزِحَ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾	١٠٠	٩١
﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	١٠٢	٣٣٥
﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾	١٠٣	٣٣٥
﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾	١١٥	٢٤٢
﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾	١١٦	٢٣٥

الآية	رقمها	الصفحة
سورة النور		
﴿يَوْمَ نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	٢٤	٢٥٦
﴿يَوْمَئِذٍ يُؤْفِكُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾	٢٥	٢٤٩
﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾	٣٧	٧
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَاهُمْ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً﴾	٣٩	٣٥
سورة الفرقان		
﴿وَقَدَّمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾	٢٣	١٩٣، ٣٥
﴿الَّذِينَ يُحْشِرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا﴾	٣٤	١٨٩
﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾	٦٨	٢٥٢
﴿يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا﴾	٦٩	٢٥٢
﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ﴾	٧٠	٢٥٢
سورة الشعراء		
﴿فَاتَّبَعْتُمُ عَذْوِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾	٧٧	١٨٠
﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٧﴾ إِلَّا مَنْ آتَىٰ اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾	٨٧-٨٨	٨٨
﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ﴾	٩٢-٩٣	٢٧٦
سورة النمل		
﴿وَيَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾	٨٧	١٢٢، ١١٨ ١٢٥،
سورة القصص		
﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَحْبَبْتُمْ الْمُرْسَلِينَ﴾	٦٥	٢٧٦
﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾	٦٦	٢٧٧
﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	٨٨	٩٣
سورة العنكبوت		
﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾	١٢	٢٤٩
﴿وَلْيَحْمِلْنَ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْفَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾	١٣	٢٤٩

الآية	رقمها	الصفحة
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾	١٩	٤٥
﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾	٢٠	٤٦
سورة الروم		
﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾	٤	٦٢
﴿بَنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾	٥	٦٢
﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾	٢٧	٤٦
﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾	٤٧	٦٢
﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾	١٥٠	٥٠
سورة لقمان		
﴿مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بَعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾	٢٨	٢٣٥
﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْعَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾	٣٤	٩٦، ٢٥
سورة السجدة		
﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾	٥	١٠٨
﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾	١٧	١٠٥، ٥٤
﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾	١٨	١٦٣
سورة الأحزاب		
﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾	١٥	٢٨٠
﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾	٥٦	٣٢٣
﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾	٦٣	٩٩
﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا﴾	٧٢	٣٦٥
سورة فاطر		
﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُبْرِئُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾	٩	٥٠
﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾	١٨	٢٤٥
﴿كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾	٢٨	٨٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾	٣٦	٣٧٥
﴿أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾	٣٧	٢٢٨
سورة يس		
﴿أَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا﴾	٢٣	٣٢٥
﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾	٤٩ - ٥٠	١١٥، ١٢٠
﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾	٥١	١١٢، ١٨٨، ١١٦
﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾	٥٢	١٨٨
﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ﴾	٦٥	٢٥٦
﴿أَوْ لَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾	٧٧	٢٩
﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾	٧٨	٢٩
﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾	٧٩	٢٩
﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ﴾	٨٠	٢٩
﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ﴾	٨١	٤٧، ٣٠
﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	٨٢	٣٠
﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	٨٣	٣٠
سورة ص		
﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْتَحِنَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾	٥٠	٣١٩
سورة الزمر		
﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾	٣	٢٩٣
﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ﴾	٩	٧
﴿إِنَّمَا يُؤْتِي الصَّابِرِينَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾	١٠	٣٦٨
﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾	٣٠	٩٣
﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	٤٤	٢٩٤

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ﴾	٤٧	١٩٢
﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾	٦٥	٥٣
﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾	٦٧	١٨٤، ١٤٧
﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ بِنُظُرٍ﴾	٦٨	١١٥، ١١٢ ١٢٥، ١٢٢
﴿وَقَالَ لَهُمْ خزانَتُهَا أَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ﴾	٧١	٢٥٩
سورة غافر		
﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾	١٦	١٤٨
﴿الْيَوْمَ يُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾	١٧	٢٤٢، ٢٣٥
﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾	١٨	٢٩٥، ١٨٨
﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾	٣١	٢٤٣
﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾	٣٩	٥٥
﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾	٥١	٦٢
﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾	٥٧	٤٧
سورة فصلت		
﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾	١٩	٢٥٦، ١٣٢
﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ﴾	٢٠	٢٥٦، ١٣٢
﴿وَقَالُوا لَوْلَا جُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾	٢١	٢٥٦، ١٣٢
﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾	٢٢	٢٥٦، ١٣٢
﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾	٣٠	٥٢
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾	٣٣	٥٦
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾	٣٩	٥٠
سورة الزخرف		
﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾	١١	٥٠

الآية	رقمها	الصفحة
﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾	٦٧	١٧٨
﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾	٧١	٣٨٥
سورة الجاثية		
﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾	٢٤	٥
﴿الْيَوْمَ نَنسَأُكُمْ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَأُكُمْ النَّارُ﴾	٣٤	٢٨٦
سورة الأحقاف		
﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾	١٥	٨٧
﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِبْ عَنْهُنَّ بِقَادِرٌ﴾	٣٣	٤٧
سورة الحجرات		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾	١٢	٢٨١
سورة ق		
﴿فَحَقَّ وَعِيدٌ﴾	١٤	٥
﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾	١٥	٣١
﴿هُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾	٣٥	١٠٥
سورة النجم		
﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُعْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا﴾	٢٦	٣١٢
﴿أَلَا تَنْزِرُ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَىٰ ﴿٢٦﴾ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾	٣٨-٣٩	٢٤٩
﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٢٧﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ﴾	٤٠-٤١	٢٤٩
سورة القمر		
﴿اقتربت الساعةُ وانشقَّ القمرُ﴾	١	٧١
﴿خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾	٧	١٣٠
﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾	٨	١٨٨
سورة الرحمن		
﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾	٢٦-٢٧	٩٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾	٦٠	٢٤٦، ٢١٨
سورة الواقعة		
﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾	٧	١٦٣
﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾	٦٠	٩٤
سورة الحديد		
﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾	١٢	٣٦٢
﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسَبْ مِنْ نُورِكُمْ﴾	١٣	٣٦٣
سورة المجادلة		
﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾	٦	٢٣٣
﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾	٢٢	١٧٨
سورة الحشر		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾	١٨	٧٥، ٧١
﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾	١٩	٧٥
سورة الجمعة		
﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾	٤	١٣٦
سورة المنافقون		
﴿رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ وَأَكُنُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾	١٠	١٨٧
سورة الطلاق		
﴿ذَلِكَمُ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾	٢	٢٦
سورة التحريم		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾	٦	٨٦
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾	٨	٧٥
سورة الملك		
﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾	٢	٩٦

الآية	رقمها	الصفحة
﴿فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾	١١	١٧٦
سورة المعارج		
﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾	٤	١٠٧
﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾	٥	١٠٧
﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾	٦-٧	١٠٧، ٧٢
﴿يُصْرَوْنَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِنَبِيٍّ ﴿١١﴾ وَصَاحِبِيهِ وَأَخِيهِ ﴿١٥﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٥﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾	١١-١٥	١٩١
﴿يَوْمَ يُخْرَجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾	٤٣	١٣٠
سورة نوح		
﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾	١٧-١٨	١٣٣
سورة المدثر		
﴿وَيْبَاكَ فَطَهَّرْ﴾	٤	١٦٢
﴿فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ﴾	٨	١١٥
﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾	٩-١٠	١٨٨، ١٠٨
﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾	٤٨	٣٠٣، ٢٩٥
سورة الإنسان		
﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾	١٠	٢١٤
﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاءً بِمَا صَبَرُوا﴾	١١-١٢	٢١٤
سورة النبأ		
﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾	٢٦	٢٤٦
﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾	٤٠	١٨٧
سورة النازعات		
﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّجِيفَةُ ﴿٦﴾ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾	٦-٧	١١٩
﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾	١٣	١١٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾	٤٢	٩٩
﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾ ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾	٤٣-٤٤	١٠٠
سورة عبس		
﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾	٤٠-٤١	١٩١
سورة التكويد		
﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾	٥	٢٤٣
سورة المطففين		
﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	٦	١٠٨، ١٨٥
سورة الانشقاق		
﴿فَأَمَّا مَنْ أُوِّيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾	٧-٨	٢٣٧
سورة الغاشية		
﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ ﴿تَصَلَّىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾	٣-٤	١٤٠
سورة الفجر		
﴿وَالشَّفَعِ وَالْوَتْرِ﴾	٣	٢٩٢
﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾	٢١	١٥٤
سورة البلد		
﴿فَلَا افْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ ﴿فَكُ رَقِيَةً﴾	١١-١٣	٢٢٥
سورة الضحى		
﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾	٤	٥٤
﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾	٥	١٦٩
سورة الزلزلة		
﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ﴾ ﴿مَا هَذَا﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾	١-٥	٢٦١
﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾	٦	٢٤

الآية	رقمها	الصفحة
سورة القارعة		
﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾	٦	٣٣٠
﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾	٨	٣٣٠
سورة التكاثر		
﴿ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾	٨	٢٨١
سورة الماعون		
﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحِضُّ ﴿٣﴾ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾	١-٣	٢٠٣



ثانياً: فهرس أطراف الأحاديث النبوية^(١)

الصفحة	الحديث
٣٠٢	آتِي بَابِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَسْتَفْتِحُ، فيقول الخازن: من أنت؟
٣٢٥	أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي وَعَلَيْكَ، فَخَيَّرَنِي بَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ، وَبَيْنَ الشَّفَاعَةِ
٣٨٨	أَتَدْرُونَ مَا الْكُؤُتْرُ؟
٦٠	أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟
١٦٨	أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟
٢٤٤	اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلَمَاتُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ
٢٧٨	اِثْنَانِ يَكْرَهُهُمَا ابْنُ آدَمَ: الْمَوْتُ، وَالْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ الْفِتْنَةِ
٢٥٦	اجْتَمَعَ عِنْدَ الْبَيْتِ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ
١٦١	أَحْسِنُوا أَكْفَانَ مَوْتَاكُمْ، فَإِنَّهُمْ يُحْشَرُونَ فِيهَا
١٨٣	أَخْرَجَ بَعَثَ النَّارِ
١٩٩	أَخْنَى الْأَسْمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الْأَمَلَاكِ
٦٥	إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ
١٤٠ - ١٣٩	إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ خَيْرٍ اسْتَعْمَلَهُ
١٣٩	إِذَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِقَوْمٍ عَذَابًا أَصَابَ الْعَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ ثُمَّ بُعِثُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ
٢٠٧	إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ
٣٧١	إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُسِبُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ
٣٢٢	إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَدِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ
٣٧٤	إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ؛ جِيءَ بِالْمَوْتِ
١٧٢	إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَدِّنٌ تَتَّبِعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ
١٦٧	إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللَّهُ رَجُلًا إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا
٨٥	إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ

(١) مرتبة على حروف المعجم، ولا اعتبار لـ"أل" التعريف في الترتيب.

الصفحة	الحديث
٣١٢	إِذَا مَيَّرَ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ... قَامَتِ الرُّسُلُ فَشَفَعُوا
٦٧	أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَتِهِ، وَيَوْمٌ كَشَهْرِهِ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَتِهِ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ
٣٢٥	أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ
٣٨٥	أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ
٣١١	اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبْنِي عَلَى الصِّرَاطِ
١٠٥	أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ
٢٣٨	اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا
١٤٣	اعْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفَّنُوهُ فِي ثَوْبَيْنِ، وَلَا تُحْطَوْهُ، وَلَا تُحْمَرُوا رَأْسَهُ
١٩٩	أَعِظُ رَجُلٍ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأُخْبِتُهُ وَأَعِظُهُ عَلَيْهِ
٣٢٠	اقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ
٨٢	أَكْتَبُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ يَعْنِي الْمَوْتَ
٢٠٧	الْأَكْثَرُونَ هُمْ الْأَسْفَلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا مَنْ قَالَ بِالْمَالِ هَكَذَا وَهَكَذَا
٢٢٨	أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟
٦٦	أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ
٣٨٦	أَلَا إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ عَلَى الْحَوْضِ... كَانَ الْأَبَارِيقَ فِيهِ النُّجُومُ
٢٥٨	أَلَا تُحَدِّثُونِي بِأَعَاجِيبِ مَا رَأَيْتُمْ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ؟
٣٠٠	أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟
١٥٩	أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَاتِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمَ <small>عَلَيْهِ السَّلَامُ</small>
٧٤	أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ
٣٠٤	اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ
٣٠٤	اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين
٩٥	اللَّهُمَّ افْسِمَ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ
٩٣	اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ
٢٥	اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ

الصفحة	الحديث
٨٥	اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ
١٨٩	أَلَيْسَ الَّذِي أَمْسَاهُ عَلَى الرَّجُلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمِشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ
١٩٣	أَمَّا الْيَهُودُ فَكَذَّبُوا مُحَمَّدًا ﷺ، وَأَمَّا النَّصَارَى فَكَفَرُوا بِالْجَنَّةِ
٨١	أَمَا إِنَّ الْأَمْرَ أَعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ
٧٣	أَمَا بَعْدُ؛ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنْتَ بِصَرْمٍ، وَوَلَّتْ حَدَاءً
٣١٨	أَمَا تُحِبُّ أَنْ لَا تَأْتِيَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، إِلَّا وَجَدْتَهُ يَنْتَظِرُكَ؟
٥١	أَمَا مَرَزْتَ بِأَرْضٍ مِنْ أَرْضِكَ مُجْدِبَةٍ، ثُمَّ مَرَزْتَ بِهَا مُخْصَبَةً؟
٥٠	أَمَا مَرَزْتَ بِوَادِي أَهْلِكَ مَخْلًا؟
٣٧٨	أَمَامَكُمْ حَوْضٌ، كَمَا بَيْنَ جَزْيَاءَ وَأُدْرُحَ
٣٠٨	أَمُرُّ بِقَوْمٍ مِنْ أُمَّتِي قَدْ أَمَرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ: نَشُدُّكَ الشَّفَاعَةَ
٢٠٤	إِنَّ الَّذِي يَأْتِي امْرَأَتَهُ فِي ذُبْرِهَا، لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِ
٨٥	إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمْنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُحْتَمُّ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ
٣٠٠	إِنَّ الشَّمْسَ تَدْنُو يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَبْلُغَ الْعِرْقَ نِصْفَ الْأُذُنِ
٨٥	إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ
٣٢٦	إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ وَلَا شُفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
٣٢١	إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَّى لِي هَذِهِ؟
٢١٧	إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي الْيَوْمَ أَظْلَهُمْ فِي ظِلِّي
٢٤٠	إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ، مَرَضْتُ فَلَمْ تَعُدَّنِي
٩٧	إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَرَادَ قَبْضَ رُوحِ عَبْدٍ بِأَرْضٍ، جَعَلَ لَهُ فِيهَا حَاجَةً
٦٣	إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا
٣٣٣	إِنَّ اللَّهَ سَيَخْلَصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
٢٨٤	إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ، فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا
١٥٢	إِنَّ اللَّهَ يَجْمَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ
١٨٧	إِنَّ اللَّهَ يَخْشُرُ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ، كُلَّ دَابَّةٍ وَطَائِرٍ وَإِنْسَانٍ

الصفحة	الحديث
٢٣٧	إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟
٢٤٧	إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا
٢٢٠	إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ
٢٠٦	إِنَّ الْمُكْثِرِينَ هُمْ الْمُقْلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ خَيْرًا
١٦١	إِنَّ الْمَيِّتَ يُبْعَثُ فِي ثِيَابِهِ الَّتِي يَمُوتُ فِيهَا
٢٩	إِنَّ النَّاسَ يُبْعَثُونَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ إِلَى دَارٍ فِيهَا جَنَّةٌ وَنَارٌ يُجْزَوْنَ فِيهَا بِأَعْمَالِهِمْ
١٥٧	إِنَّ النَّاسَ يُخْشَرُونَ ثَلَاثَةَ أَفْوَاجٍ: فَوْجٌ رَاكِبِينَ طَاعِمِينَ كَاسِينَ
١٧٥	إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُنًّا، كُلُّ أُمَّةٍ تَتَّبِعُ نَبِيَّهَا
٢٠٦	إِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَثُودًا، لَا يَجُوزُهَا الْمُثْقَلُونَ
٢٢٩	إِنَّ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ
٢٣٩	إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُفْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ
٢٧٢	إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الصَّلَاةُ الْمَكْتُوبَةُ
٢٨٢	إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَغْنِي الْعَبْدَ مِنَ النَّعِيمِ
٥٢	أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ
٣٣١	أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ... وَالْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْجَنَّةِ، وَالنَّارِ، وَالْحِسَابِ، وَالْمِيزَانَ
٢٠٠	أَنَّ رَجُلًا أَقَامَ سِلْعَةً وَهُوَ فِي السُّوقِ فَحَلَفَ بِاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَى بِهَا مَا لَمْ يُعْطِ
٢٤٧	إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي
١١٣	إِنَّ طَرْفَ صَاحِبِ الصُّورِ مُدٌّ وَكُلٌّ بِهِ مُسْتَعِيدٌ
١٣٤	إِنَّ فِي الْإِنْسَانِ عَظْمًا لَا تَأْكُلُهُ الْأَرْضُ أَبَدًا فِيهِ يُرَكَّبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
٣٧١	إِنَّ قَدَرَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ
٨٢	إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ
٢٤٧	إِنَّ لِلَّهِ مِئَةَ رَحْمَةٍ، أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ
٢٦٢	إِنَّ لِهَذَا الْحَجَرِ لِسَانًا وَشَفَتَيْنِ، يَشْهَدُ لِمَنْ اسْتَلَمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَقِّ
١١٨	إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْحَةُ

الصفحة	الحديث
٣٠٥	إِنَّ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَشْفَعُ لِلْفَنَامِ مِنَ النَّاسِ
٩١	إِنْ يَعِشْ هَذَا لَا يُدْرِكُهُ أَهْرَمٌ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ
٣٠٢	أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ، لَمْ يُصَدَّقْ نَبِيٌّ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ مَا صُدِّقْتُ
٢٧٠	أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَجْتُو بَيْنَ يَدَيْ الرَّحْمَنِ لِلْخُصُومَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
١٣٧	أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
٣٧٧	أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ
٨٧	أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ
٣٧٨	إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَهُ، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ
١٥٥	إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُقَاةً عُرَاهُ غُرْلًا
١٥٧-١٥٦	إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ: رِجَالًا، وَرُكْبَانًا، وَبُحْرُونَ عَلَى وَجْهِكُمْ
١٥٥	إِنَّكُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ حُقَاةً عُرَاهُ مَشَاهَ غُرْلًا
٧٢	إِنَّمَا أَجَلُكُمْ فِي أَجَلٍ مَنْ خَلَا مِنَ الْأُمَّمِ مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ
٧٢	إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيَمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَّمِ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ
٢٧	إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ
٣٣٩	إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ
١٢٦	إِنِّي أَوَّلُ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ بَعْدَ النَّفْخَةِ الْآخِرَةِ
٣٩٣	إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، وَسَيُؤَخَذُ نَاسٌ دُونِي
٣٨٢	إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ وَإِنَّ عَرَضَهُ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى الْجُحْفَةِ
١٦٩	أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِئَةٌ صَفٌّ، تَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ
٣٠٣	أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ، وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِبَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاعُهُ
٢٧١	أَوَّلُ خَصْمَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَارَانِ
٢٧٣	أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ الصَّلَاةُ، وَأَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الدِّمَاءِ
٢٧٢	أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ بِالدِّمَاءِ
٢٨١	إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ

الصفحة	الحديث
٨٣	أَتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ
٢٥	الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَبَلْقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ
٧٧	بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا
٧٦	بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا
٧٢	بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَذِهِ مِنْ هَذِهِ، أَوْ كَهَاتَيْنِ، وَقَرَنَ بَيْنَ السَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى
٧٢	بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ هَكَذَا، وَيُشِيرُ بِإِصْبَعِيهِ، فَيَمُدُّ بِيَمَانِي
٢٣٠	تَبْلُغُ الْحَلِيَّةُ مِنَ الْمُؤْمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الْوُضُوءُ
٢١٠	تَجِدُ مِنْ شَرِّ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ ذَا الْوَجْهَيْنِ
١٨٣	تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاهُ غُرْلًا
١٨٥	تُدْنِي الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ
٣٨٦	تُرَى فِيهِ أَبَارِيقُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، كَعَدَدِ بُحُومِ السَّمَاءِ
١٠٥	تُقَوْمُ السَّاعَةُ وَالرَّجُلُ يَخْلُبُ اللَّفْحَةَ، فَمَا يَصِلُ الْإِنَاءُ إِلَى فِيهِ حَتَّى تُقَوْمَ
١٤٩	تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْرَةً وَاحِدَةً
٣٤٠	تَوْضَعُ الْمَوَازِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ، فَيَوْضَعُ فِي كِفَّةٍ
١٧٨	ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ
٢٠٣	ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ: شَيْخُ زَانٍ
٢٠٢	ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ: الْمُسْبِلُ
٢٠١	ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ: رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ
٢٠٤	ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْعَاقُ لِوَالِدَيْهِ، وَالْمَرْأَةُ الْمُرْجَلَةُ، وَالِدَيْوُثٌ
٣٦٤	ثُمَّ يَأْمُرُ بِالصِّرَاطِ، فَيُضْرَبُ عَلَى جَهَنَّمَ، فَيَمُرُّ النَّاسُ كَقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ
١٣٢	ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ
١٢١	ثُمَّ يَقُومُ مَلَكٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ بِالصُّورِ فَيَنْفُخُ فِيهِ
١٣٤	ثُمَّ يَنْزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ
٣٩٢	ثُمَّ يَنْصَرِفُ نَبِيِّكُمْ ﷺ، فَيَمُرُّ عَلَى أَنْرِهِ الصَّالِحُونَ

الصفحة	الحديث
١١٦	ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْعَى لَيْتًا
٣٥٧	ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ
١١٤	جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: مَا الصُّورُ؟، قَالَ: قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ
٨١	جَاءَتْ الرَّاجِفَةُ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ
١٨٥	حَتَّى يَغِيبَ أَحَدَهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ
٣٦١	حُقَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ
٨٠	حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رُدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ...
٣٤٥	الْحَمْدُ لِلَّهِ تَمَلُّ الْمِيزَانَ
٢١٩	حَوْسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ
٣٨٢	حَوْضِي مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ
٣٨٢	حَوْضِي مَسِيرَةَ شَهْرٍ... فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا
٣٨٥	حَوْضِي... أَفْرَدٌ مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَطْيَبُ رِيحًا مِنَ الْمِسْكِ
٣٤٦	خَلَّتَانِ لَا يُحْصِيهِمَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ
٣٤٥	خَمْسٌ مَا أَنْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانَ
١٠١	خَيْرٌ يَوْمٌ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ
٣٠٧	خَيْرُ ثِيَابٍ بَيْنَ الشَّفَاعَةِ، وَبَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ
٥٥	الدُّنْيَا سِحْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ
١٨٢	ذَلِكَ يَوْمٌ يُنَادِي اللَّهُ فِيهِ آدَمَ
٥٩	رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا
٢٢٢	رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ
٢١٧	سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ
٣٧٠	شِعَارُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ
٣٠٧	شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي
٢٩٩	شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَمَنْ يَبْقُ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ

الصفحة	الحديث
٣٣٧	صَاحِبُ الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جِبْرِيلُ <small>عليه السلام</small>
٣١٧	صِعَاؤُهُمْ دَعَامِيسُ الْجَنَّةِ
٣٢٦	صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَنْ تَنَاهُمَا شَفَاعَتِي: إِمَامٌ ظَلَمَ، وَكُلُّ غَالٍ مَارِقٍ
٣٢٠	الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
٧٦	طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا
١٠٤	عُرِضَتْ الْجُمُعَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ <small>ﷺ</small> جَاءَ جِبْرِيلُ فِي كَفِّهِ كَالْمِرَاةِ الْبَيْضَاءِ
١٧٠	عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلَانِ
١٣٥	فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ
١٣٥	فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ
١٣٥	فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُعْفَقُ
٢٦١	فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا
٢٢٦	فَإِنَّهُ لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَدِّنِ حِنًَّ وَلَا إِنْسًا وَلَا شَيْءًا، إِلَّا شَهِدَ لَهُ
٢١٢	فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى الْعَمَلِ بِمَا وَلاَئِي اللَّهِ
١٥١	فَأَيُّنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: عَلَى الصِّرَاطِ
٧٨	فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُدَكِّرُ الْمَوْتَ
٢٤٨	فَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَيْتَسَسْ مِنَ الْجَنَّةِ
٨٦	فَنَسَأَلُ اللَّهَ رَبَّنَا أَنْ لَا يُرِيْعَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَنَسَأَلُهُ أَنْ يَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً
٥٦	فَوَ اللَّهُ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ
٣٧٤	فَيُقَالُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟
١٧٢	فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا بَدَّلُوا بَعْدَكَ؟ فَأَقُولُ: سَحَقًا سَحَقًا، لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي
٢٨٥	فَيَلْقَى الْعَبْدَ، فَيَقُولُ: أَيُّ فُلٍ، أَلَمْ أُكْرِمَكَ، وَأُسَوِّدَكَ، وَأُزَوِّجَكَ، وَأُسَخِّرَ لَكَ الْخَيْلَ
٣٤٩	قَالَ مُوسَى <small>عليه السلام</small> : يَا رَبِّ عَلَّمَنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ بِهِ وَأَدْعُوكَ بِهِ
٢٥١	قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: رَبِّ ذَاكَ عَبْدُكَ، يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً
٧٩	الْقَبْرُ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ

الصفحة	الحديث
١٩٢	قد أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ، أَنْ لَا تُشْرِكَ، وَلَا أُدْخِلَكَ النَّارَ
٣٧٨	فَرَيْتَيْنِ بِالشَّامِ بَيْنَهُمَا مَسِيرُهُ ثَلَاثَ لَيَالٍ
٢٦٥	قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ؟
٢١٨	كَانَ الرَّجُلُ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهُ إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِرًا فَتَجَاوَزْ عَنْهُ
١٣٣	كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ، قَالَ لِبَنِيهِ: إِذَا أَنَا مِتُّ
٢٠٦	كُفِّتْ عَنَّا جُشَاءَكَ، فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ شَبَعًا فِي الدُّنْيَا أَطْوَهُمْ جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ
٢٢٢	كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً
١٣٤	كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلَّا عَجَبَ الذَّنْبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ
٢٩٩	كُلُّ أُمَّةٍ تَتَّبِعُ نَبِيَّهَا، يَقُولُونَ: يَا فُلَانُ اشْفَعْ... حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ
٨٨	كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبِي
٧٧	كُلُّ امْرِئٍ مُصَبِّحٌ فِي أَهْلِهِ، وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ
٨٦	كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ
٣٣٨	كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ
٣٨١	كَمَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَصَنْعَاءَ
٥٥	كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ
١١٣	كَيْفَ أَنْعَمَ، وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ التَّقَمَ الْقَرْنَ...؟
١٠٨	كَيْفَ بِكُمْ إِذَا جَمَعَكُمْ اللَّهُ كَمَا يُجْمَعُ النَّبْلُ فِي الْكِنَانَةِ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ
١٧٧	لَسْتُ بَعْنٌ سَنَنْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شَبِيرًا شَبِيرًا
٢٤٣	لَتُؤَدَّنَ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ
٣٠٣	لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ
٢٠٨	لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ عِنْدَ اسْتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
٢٠٨	لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لَهُ بِقَدْرِ غَدْرِهِ، أَلَا وَلَا غَادِرَ أَعْظَمُ غَدْرًا مِنْ أَمِيرٍ
٢٢١	لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُعْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ،
١٠٠	لَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُسْأَلُ عَنِ السَّاعَةِ

الصفحة	الحديث
٢٤٧	لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي
٣١٥	لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ لَيْسَ بِنَبِيِّ مِثْلِ الْحَيَّيْنِ
٣١٥	لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَكْثَرُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ
١٧٦	لَيَرِدُ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ
٥٩	مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا وَلَهُ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا الشَّهِيدُ
١٢٠	مَا بَيْنَ النَّفَّخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ
١٩٨	مَا بَيْنَ مَنْكَبِي الْكَافِرِ مَسِيرَةٌ ثَلَاثَةٌ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ الْمُسْرِعِ
٨٢	مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ بَيْتٌ لِيَلْتَمِسَ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ
٣٣٨	مَا شَيْءٌ أَنْقَلَ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ
٣١٧	مَا مِنْ النَّاسِ مِنْ مُسْلِمٍ يُتَوَفَّى لَهُ ثَلَاثٌ، لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْتَ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ
٣٢٤	مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا
١٠٧	مَا مِنْ صَاحِبٍ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا
١٩٦	مَا مِنْ صَاحِبٍ كَنْزٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهُ إِلَّا أُحْمِيَ عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ
٣١٨	مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ لَهْمَا ثَلَاثَةٌ أَوْلَادٍ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْتَ
٦٢	مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا عَنْهُ حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُهَا
٣٢٤	مَا مِنْ مَيِّتٍ تُصَلَّى عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ مِائَةً كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ
٢٣٥	مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَسَيَكَلَّمُهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ
٦٢	مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَدَى وَلَا غَمٍّ...
٥٩	مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بآيَاتِ اللَّهِ لَا يَقْتَرُ
١٧٩	الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ
١٢٧	مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عِنْدَ الْكَيْثِ الْأَحْمَرِ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ
٢٢٠	الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُظْلَمُهُ
٩٦	مَفَاتِيحُ الْعَيْبِ خَمْسٌ
١٩٤	مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ، مَثَلُ لَهُ مَالُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَفْرَعٌ لَهُ زَيْبَانٍ

الصفحة	الحديث
٨٠	مَنْ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا وَيُفْرَغَ مِنْ دَفْنِهَا
٣٥١	مَنْ احْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ إِيمَانًا بِاللَّهِ، وَتَصَدِيقًا بِوَعْدِهِ
٥٣	مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ
٢١٢	مَنْ أَخَذَ مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا بَغَيْرِ حَقِّهِ؛ خُسِفَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ
٢٢٤	مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً، أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ عَضْوًا مِنَ النَّارِ
١٢٨	مَنْ آذَى دِينَ لَمْ يَشَأْ اللَّهُ عَجْلًا أَنْ يَضَعَهُمْ؟، قَالَ: هُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
٢١٨	مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ؛ أَظَلَّهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ
٨٠	مَنْ تَبِعَ جَنَازَةً فَلَهُ قِيرَاطٌ
٢١٣	مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُفِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَلَنْ يَفْعَلَ
٢٠٣	مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرْ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
٢٠٠	مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ وَهُوَ فِيهَا فَاجِرٌ، لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ
٥٧	مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورٍ مَنْ تَبِعَهُ
٥٧	مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أُجْرِ فَاعِلِهِ
٩٤	مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ
٢١٩	مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللَّهُ مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلْيَنْقَسِ عَنِ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ
١٨٥	مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأَى عَيْنٍ، فَلْيُقْرَأْ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ
٢٢٧	مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ
٣٢٢	مَنْ صَبَرَ عَلَى لِأَوَائِهَا، وَشِدَّتِهَا؛ كُنْتُ لَهُ شَهِيدًا، أَوْ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ
٣٢٣	مَنْ صَلَّى عَلَيَّ حِينَ يُصْبِحُ عَشْرًا، وَحِينَ يُمَسِي عَشْرًا، أَذْرَكَتُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ
٣٢٣	مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَّةُ، وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ
٢١٠	مَنْ كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فِي الدُّنْيَا، كَانَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِسَانَانِ مِنَ النَّارِ
١٧٣	مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعْ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ
٢٦	مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ
٢٤٤	مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ تَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ

الصفحة	الحديث
٦١	مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ
٢٢٣	مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ
٢٢٣	مَنْ مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أُجْرِي عَلَيْهِ أَجْرُ عَمَلِهِ الصَّالِحِ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ
٢١٩	مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ
٢٥١	مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ
٢٠٩	مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ وَجْهَكَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ
٢٢٦	الْمُؤَدَّبُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ
١٧٢	بِحَيٍّ نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ كَذَا وَكَذَا
٤٩	نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ <small>عَلَيْهِ السَّلَامُ</small>
١٦٥	نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
٣٧	نَعْمَ وَجَدْتُهُ فِي عَمْرَاتٍ مِنَ النَّارِ فَأَخْرَجْتُهُ إِلَى ضَحَضَاحٍ
١٤٢	نَعَمْ، فِيهِمُ الْمُسْتَبْصِرُ، وَالْمَجْبُورُ، وَابْنُ السَّبِيلِ، يَهْلِكُونَ مَهْلَكًا وَاحِدًا
٥	نَعَمْ، يَبْعَثُ اللَّهُ هَذَا، يُمِيتُكَ، ثُمَّ يُحْيِيكَ، ثُمَّ يُدْخِلُكَ نَارَ جَهَنَّمَ
٧٧	نِعْمَتَانِ مَعْبُودٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ
٧٨	نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَرُزُّوْهَا
٤٢	هَذَا الْأَمَلُ، وَهَذَا أَجَلُهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذْ جَاءَهُ الْخَطُّ الْأَقْرَبُ
٤٢	هَذَا الْإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ
١٣٢	هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟ مِنْ مُحَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ!؟
٥٩	هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ الْمُجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتَقُومَ وَلَا تَقْتَرُ...؟
٢٨٧	هُمُ الَّذِينَ لَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَكْتُمُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ
١٥٣	هُمُ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ
٥٨	وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ
٣٨٢	وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ... عَرَضُهُ مِثْلُ طُولِهِ مَا بَيْنَ عَمَانَ إِلَى أَيْلَةَ
٢١٦	وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهُ لِيُخَفِّفُ عَلَى الْمُؤْمِنِ

الصفحة	الحديث
٢٨٤	وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَسْأَلَنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
٣٣٩	وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، هُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ
٦٧	وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْثَمَ حَكَمًا مُفْسِطًا
٢٩	وَاللَّهُ لَا أَكْفُرُ حَتَّى يُمِيتَكَ اللَّهُ، ثُمَّ يَبْعَثَكَ
٢٦٢	وَاللَّهُ لَيَبْعَثَنَّ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا، وَلِسَانًا يَنْطِقُ بِهِ
٧٦	وَاللَّهُ مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْطَعُ مِنْهُ
٣٦	وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ
٢٦٣	وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرٌ حُلْوٌ، وَنِعْمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ هُوَ لِمَنْ أَعْطَى مِنْهُ الْمِسْكِينَ
١٦٤	وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشِرُ النَّاسَ عَلَى قَدَمِي
٢٤٦	وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحَمَاءَ
٣٦	وَتُوبِيَهُ مَوْلَاةٌ لِأَبِي لَهَبٍ، كَانَ أَبُو لَهَبٍ أَعْتَقَهَا فَأَرْضَعَتْ النَّبِيَّ ﷺ
٢١٤	وَعَزَّتِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَأَمْنَيْنِ
٣٠٥	وَعَزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظْمَتِي، لِأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
٣٦٠	وَفِي حَافَتِي الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أَمَرَتْ بِهِ
١٦٥	وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ
١٩٤	وَلَا مِنْ صَاحِبِ مَالٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهُ؛ إِلَّا تَحَوَّلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ
١١٧	وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا، فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ وَلَا يَطُوبِيَانِهِ
٩٤	وَلَوْ كُنْتُ سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يُعِيدَكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ أَوْ عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ كَانَ خَيْرًا
٥٩	وَلَوْ دِدْتُ أَنِّي أَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أَقْتُلُ ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أَقْتُلُ
٣٨٤	وَلَيُصَدَّنَّ عَنِّي طَائِفَةٌ مِنْكُمْ فَلَا يَصِلُونَ
١٠٢	وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا وَهِيَ مُصِيخَةٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ
٢٣٨	وَمَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ
٣٦٧	وَمِنْهُمْ الْمُجَازَى حَتَّى يُنَجَّى
٣٦٦	وَمِنْهُمْ الْمُخَرَّدَلُ ثُمَّ يَنْجُو

الصفحة	الحديث
٣٦٠	وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ...، وَبِهِ كَاللَّيْبِ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ
٣٦٢	وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ؛ مُنَافِقٍ، أَوْ مُؤْمِنٍ نُورًا، ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ
٣٨٨	وَيُفْتَحُ نَهْرٌ مِنَ الْكُوْثَرِ إِلَى الْحَوْضِ
٢١١	لَا أَلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا نَعَاءٌ
٢٨٣	لَا بَأْسَ بِالْغَنِيِّ لِمَنِ اتَّقَى اللَّهُ، وَالصَّحَّةُ لِمَنِ اتَّقَى اللَّهُ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى
١٢٦	لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعُقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
١٢٦	لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعُقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَصْعُقُ مَعَهُمْ
٢٧٧	لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ
١٢٥	لَا تُفْضَلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ
٢٥٠	لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ إِلَّا كَمَا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْهَا
٦٤	لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ
٢٦	لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تُحَدِّثَ فَوْقَ ثَلَاثِ إِلَّا عَلَى زَوْجٍ
٢٧	لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تُسَافِرَ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لَيْسَ مَعَهَا حُرْمَةٌ
٤١	لَا يَزَالُ قَلْبُ الْكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ: فِي حُبِّ الدُّنْيَا، وَطَوْلِ الْأَمَلِ
٣٢٢	لَا يَصْبِرُ أَحَدٌ عَلَى لَأْوَائِهَا، فَيَمُوتَ؛ إِلَّا كُنْتَ لَهُ شَفِيعًا، أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ
١٤٣	لَا يَكَلِّمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ
١٣٩	لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
٢٠٥	لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى رَجُلٍ أَتَى رَجُلًا، أَوْ امْرَأَةً فِي الدُّبْرِ
٢٠٣	لَا يَنْظُرُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطْرًا
٣٦	لَا يَنْفَعُهُ إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ
٣٤٨	يَا أَبَا ذَرٍّ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى خَصْلَتَيْنِ؛ هُمَا أَحْفُ عَلَى الظَّهْرِ، وَأَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ
٦٤	يَا ابْنَ حَوَالَةَ إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتْ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ فَقَدْ دَنَتْ الزَّلَازِلُ
٧٥	يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تُوبُوا إِلَى اللَّهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ، فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ
٨٨	يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ إِنَّكَ لَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، وَإِنَّكَ لَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي وَمَالِي

الصفحة	الحديث
٢٤٢	يَا عِبَادِي إِنِّي حَزَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا
١٨٤	يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا بَجَدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ
٨٦	يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ، ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ
٦٥	يَأْتِي الْمَسِيحُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، هَمَّتُهُ الْمَدِينَةُ، حَتَّى يَنْزِلَ دُبُرَ أَحَدٍ
١٣٩	يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ
٦٥	يَتَّبِعُ الدَّجَالَ مِنْ يَهُودٍ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ
١٩١	يُجَاءُ بِالْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ لَهُ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِنْ الْأَرْضِ ذَهَبًا
٢٦٦	يُجَاءُ بِنُوحٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَغْتَ؟، فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ
٣٥٧	يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...، وَيَمْشُونَ عَلَى الصِّرَاطِ
٣٠٥	يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا، حَتَّى يُرِيحَنَا
٣٠٢	يَجْمَعُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ
٢٧٨	يَجِيءُ فُقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى كُورِهِمْ
١٦٦	يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ؛ فَيَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ
١٩٨	يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرِّجَالِ
١٥٦	يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ
١٥٧	يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ
١٤٨	يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ
٣٥٩	يُحْمَلُ النَّاسُ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَتَقَادِعُ بِهِمْ جَنبَتَا الصِّرَاطِ تَقَادِعُ الْفَرَّاشِ
٣٠٦	يُخْرَجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، يُسَمَّوْنَ الْجَهَنَّمِيِّينَ
١٤٢	يُخْسَفُ بِهِ مَعَهُمْ، وَلَكِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى نَبِيِّهِ
٣٧١	يُخْلَصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى فَنطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ
٣٦٣	يُرِيدُ النَّاسُ النَّارَ، ثُمَّ يَصُدُّوْنَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَأَوْهَمُ كَلَمَعِ الْبَرِّقِ
٣١	يُسْتَمِينِي ابْنُ آدَمَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَسْتَمِينِي وَيُكَذِّبُنِي وَمَا يَنْبَغِي لَهُ
٣١٧	يُشَفِّعُ الشَّهِيدُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ

الصفحة	الحديث
١٨٤	يَطْوِي اللهُ سَجَّكَ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
١٨٦	يَعْرِقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
١٤١	يَغْزُو جَيْشُ الْكَعْبَةِ
١٤٧	يَقْبِضُ اللهُ الْأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ
٢١٦	يُقَوْمُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مِقْدَارَ نِصْفِ يَوْمٍ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ
٤٢	يَكْبُرُ ابْنُ آدَمَ وَيَكْبُرُ مَعَهُ اثْنَانِ حُبُّ الْمَالِ وَطُولُ الْعُمُرِ
١٩٠	يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتْرَةٌ وَعَبْرَةٌ
١٢٢	يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ثَلَاثَ نَفْحَاتٍ
٨٤	يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِيهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ
٣٧٤	يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُوقَفُ عَلَى الصِّرَاطِ
٣٣	يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أَفْقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا
٣٣٦	يُوضَعُ الْمِيزَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَوْ وُزِنَ فِيهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ لَوَسِعَتْ



ثالثاً: فهرس الرواة والأعلام المترجم لهم^(١)

الاسم	الصفحة
ابن أبي العز	٤٧
ابن أبي جمرة	١٤٩
ابن أبي مُيَنَكَةَ	٣٩٣
ابن الأثير الجزري	١١٤
ابن الجوزي	٤٢
ابن الملقن	١٦٦
ابن المنير	٤١
ابن بطل	٣٩
ابن بطة العُكْبَرِيُّ	٣٣٢
ابن حجر الهيتمي	١٩٧
ابن حزم الأندلسي	١٢٣
ابن خلدون	٥٣
ابن رجب الحنبلي	٥٥
ابن عَقِيلٍ	١٣٥
ابن علان	٢٦١
ابن فورك	٢٤١
ابن قُتَيْبَةَ الدِّينَوْرِيُّ	٢٩٠
ابن قُدَامَةَ المُقَدِّسِيِّ	٣٣٥
ابن هبيرة	١٥٦
أبو إسحاق الرِّجَّاحُ	٣٣٥
أبو البقاء الكفوي	٢٠

(١) مرتبة على حروف المعجم، ولا اعتبار لـ"أل" التعريف في الترتيب.

الاسم	الصفحة
أبو الحسن ابن حيدرَة	١٥٣
أبو الحسن الأشعري	٣٣٥
أبو الحسن القابسي	٣٩٠
أبو الحسن المباركفوري	٢٧
أبو الزبير المكي	٣١٣
أبو أمامة الباهلي <small>رحمته الله</small>	٨٣
أبو بركة الأسلمي <small>رحمته الله</small>	٢٧٧
أبو بكر ابن العربي	١٢١
أبو بكر الجزائري	٢٢
أبو بكر الكلاباذي	٢٥٠
أبو بكرَة نُفَيْعُ بْنُ الْحَارِثِ <small>رحمته الله</small>	٣٥٩
أبو حامد الغزالي	٢٣
أبو حميد الساعدي <small>رحمته الله</small>	٢١٢
أبو رزين العقيلي؛ لقيط بن عامر <small>رحمته الله</small>	٥٠
أبو سلمى: راعي النبي <small>صلى الله عليه وسلم</small>	٣٤٥
أبو عامر الأشعري <small>رحمته الله</small> - رجل آخر، ليس بعم أبي موسى -.	٣٣١
أبو عامر الأشعري، عم أبي موسى <small>رحمته الله</small>	٣٠٤
أبو عبد الله الحلبي	١١٦
أبو عبد الله المازري	٩٥
أبو عمر ابن عبد البر	١٠١
أبو فتادة الأنصاري <small>رحمته الله</small>	٢١٩
أبو مسعود البدري <small>رحمته الله</small>	٥٧
أبو معاوية الصريز	٢٠٣
أبو هلال العسكري	١٣٠

الاسم	الصفحة
أَبِي بِنُ كَعْبٍ <small>رضي الله عنه</small>	٨١
إِسْمَاعِيلُ بِنُ رَافِعِ بْنِ عُوَيْمِرٍ	١١٩
أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ <small>رضي الله عنه</small>	٣٧٨
الْأَعْرَضُ بْنُ يَسَارِ الْمُرَيْطِيِّ <small>رضي الله عنه</small>	٧٥
الْأَلُوسِي	٩٩
أُمُّ الدَّرْدَاءِ الصَّغْرَى	٣١٦
أَوْسُ بْنُ أَوْسِ التَّقْفِيِّ <small>رضي الله عنه</small>	١١٨
بُرَيْدَةُ بْنُ الْحُصَيْنِ الْأَسْلَمِيِّ <small>رضي الله عنه</small>	٧٨
بلال بن يحيى العبسي	٣٣٧
تاج الدين الفاكهازي	١٠٢
التَّوْرَيْسِيُّ	١٤٨
الثعلبي	٢٣٣
ثَوْبَانُ بْنُ جَحْدَرٍ، مولى رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small>	٦٣
ثوية مولاة لأبي لهب	٣٧
جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمِ بْنِ عَدِيِّ <small>رضي الله عنه</small>	١٦٤
جعفر بن بُرْقَانَ	١٨٧
جُنْدَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ	٣٧٦
الحَارِثُ بْنُ الحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ <small>رضي الله عنه</small>	٣٤٥
حَارِثَةُ بْنُ وَهْبِ الحَزَاعِيِّ	٣٨١
حافظ الحكمي	٢٩٣
الحسن البصري	١٠٩
الحكيم الترمذيّ	٢٢٢
خَالِدُ بْنُ غَلَّاقِ الْقَيْسِيِّ	٣١٧
الحَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِّ <small>رضي الله عنه</small>	٢٨

الاسم	الصفحة
الخطّابي	١٤١
الداودي	٢٨٩
الزحيلي	١٢٢
زَيْنُ الْعَابِدِينَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ	٢٢٤
سَرِيْعُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْوَاسِطِيُّ	٢٧٣
سَعِيدُ بْنُ عَامِرِ الْجَمَحِيِّ <small>رضي الله عنه</small>	٢٧٨
سَعِيدُ بْنُ مَرْجَانَةَ	٢٢٤
السفاريني	١٢١
السَّفِيرِيُّ	٢٢٩
سَلْمَةُ بْنُ دِينَار	١٧٦
سهل بن سعد <small>رضي الله عنه</small>	٥٦
الشريف الجرجاني	١٩
شريك بن عبد الله النخعي	٢٧٤-٢٧٣
شَهْرُ بْنُ حَوْشَب	٣٣١
الشوكاني	٢٨٨
صَفْوَانُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمَازِنِيِّ	٢٣٧
الصنعاني	٢٩٠
الصَّحَّاحُ بْنُ مُزَاحِمٍ	١٢٩
الطبي	٣٤
العاص بن وائل السهمي	٢٨
عبد الحق الإشبيلي	١٠٩
عبد الرحمن المَعْلَمِي	٢٥٩
عبد الكريم الحُضَيْر	١٣٦
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْجَدْعَاءِ <small>رضي الله عنه</small>	٣١٥

الاسم	الصفحة
عَبْدُ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى <small>رضي الله عنه</small>	٥٨
عَبْدُ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ	٢١٩
عبد الله بن جُدَعَانَ	٣٦
عَبْدُ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ <small>رضي الله عنه</small>	٢٢٤
عَبْدُ اللَّهِ بْنِ حَرَامٍ <small>رضي الله عنه</small>	١٣٦
عبد الله بن حَوَالَةَ الْأَزْدِيِّ <small>رضي الله عنه</small>	٦٤
عَبْدُ اللَّهِ بْنِ خُبَيْبِ الْجُهَنِيِّ <small>رضي الله عنه</small>	٢٨٣
عَبْدُ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ <small>رضي الله عنه</small>	٣٧٨
عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ الْقَارِي	٢٧٩
عبد الله سراج الدين	٢٣٠
عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنِ عَطَاءِ الْخَقَّافِ	٢١٥
عبدالرحمن بن ناصر السعدي	٢٢٥
عُثْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ <small>رضي الله عنه</small>	٧٣
العراقي	١٤٤
عز الدين بن عبد السلام	١٧٠
عُثْبَةُ بْنُ عَامِرٍ <small>رضي الله عنه</small>	٦٦
عمر سليمان الأشقر	٤٨
عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ <small>رضي الله عنه</small>	٣٠٦
عَمْرُو بْنُ الْأَسْوَدِ الْعَنَسِيِّ	١٦١
عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ السُّلَمِيِّ <small>رضي الله عنه</small>	٢٢٧
عَمْرُو بْنُ مُرَّةِ الْجُهَنِيِّ	٢٠٩
العيني	٣٨
الفخر الرازي	١١٤
الفيروز ابادي	٢٣

الاسم	الصفحة
القاضي البيضاوي	١٥٠
القاضي عَبْدُ الجَبَّارِ	٣٤٢
القاضي عياض	٣٨
قَتَادَةُ بْنُ دِعَامَةَ السَّدُوسِيُّ	١٣٤
قُرَّةُ بْنُ إِيَّاسِ المُرِّيُّ <small>رضي الله عنه</small>	٣١٨
القرطبي "المحدث"	٤٠
القرطبي "المفسر"	٢٣
القَسْطَلَانِي	١٦٩
قَيْسُ بْنُ عَبَادِ الصُّبَعِيِّ	٢٧١
الكرماني	٣٨
كَعْبُ بْنُ عَمْرٍو السلمي <small>رضي الله عنه</small>	٢١٨
المُبَارِكُ بْنُ فَضَالَةَ	٣٤
مُجَاهِدُ بْنُ جَبْرِ المَكِّيُّ	١٣٣
محمد بن عمرو الليثي	٢١٤
مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ	١٢٣
محمد رَشِيدِ رِضَا	٩٨
مُحَمَّدُ بْنُ لَيْدٍ <small>رضي الله عنه</small>	٢٧٨
مرزوق، أبو عبد الله الشامي	٣٤
المُرِّي	١٢٧
مظهر الدين الزَيْدَانِي	٩٢
مُعَاذُ بْنُ أَنَسِ الجُهَيْنِيِّ <small>رضي الله عنه</small>	٢٢٣
المُقَدَّامُ بْنُ مَعَدٍ يَكْرَبُ <small>رضي الله عنه</small>	٢٢١
الملا علي القاري	١٦٩
المنائوي	١٣٦

الاسم	الصفحة
الْمِنْهَالُ بْنُ عَمْرٍو	٣٠٩
المُهَلَّبُ	٣٥١
مُوسَى بْنُ أَبِي الْمُخْتَارِ الْعَبْسِيُّ	٣٣٧
موسى لاشين	٣٣
التُّعْمَانُ بْنُ أَبِي عِيَّاشِ الزُّرْقِيُّ	١٧٦
نَمْرَانُ بْنُ عُتْبَةَ	٣١٦
النَّوَّاسُ بْنُ سَمْعَانَ <small>رضي الله عنه</small>	٦٦
هَشَامُ بْنُ حَكِيمِ بْنِ حِزَامِ الْأَسَدِيِّ	٢٤٧
هشام بن عروة بن الزبير	٩١
يَحْيَى بْنُ سَلَامٍ	١٢٨
يَسَارُ بْنُ عَبْدِ، أَبُو عَزَّةَ الْهَدَلِيِّ <small>رضي الله عنه</small>	٩٧
يُوسُفُ بْنُ مُوسَى الْقَطَّانُ	٣٣٧



رابعاً: فهرس المصادر والمراجع^(١)

١. الإبانة الكبرى، لأبي عبد الله، عبيد الله بن محمد، المعروف بابن بَطَّة العُكْبَرِي، ت ٣٨٧هـ، تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، دار الراجة للنشر والتوزيع، الرياض.
٢. إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، ت ٨٤٠هـ، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار الوطن - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٣. إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، لأبي الفضل، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ، تحقيق: مركز خدمة السنة والسيره، بإشراف: د. زهير بن ناصر الناصر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة، ومركز خدمة السنة والسيره النبوية بالمدينة، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
٤. الإتيقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت ٩١١هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
٥. آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، اعتنى به: مجموعة من الباحثين، منهم: المدير العلمي للمشروع علي بن محمد العمران، وفق المنهج المعتمد: من الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٣٤هـ.
٦. إثبات الشفاعة، لشمس الدين، أبي عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ت ٧٤٨هـ، تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد، أضواء السلف، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٧. الأحاد والمثاني، لابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو بن الضحاك الشيباني، ت ٢٨٧هـ، تحقيق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراجة - الرياض، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
٨. الأحاديث المختارة، أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، لضياء الدين، أبي عبد الله، محمد بن عبد الواحد الحنبلي المقدسي، ت ٦٤٣هـ، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ٣، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(١) مرتبة على حروف المعجم، ولا اعتبار لـ"أل" التعريف في الترتيب.

٩. أحاديث حياة البرزخ في الكتب التسعة - جمعًا وتخريجًا ودراسة -، لمحمد بن حيدر بن مهدي بن حسن، رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراه في الحديث الشريف وعلومه من قسم السنة وعلوم الحديث، بكلية أصول الدين، بجامعة أم درمان الإسلامية، بجمهورية السودان، بإشراف د. الفاتح الخبر عمر أحمد .
١٠. أحوال الرجال، لأبي إسحاق، إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق السعدي الجوزجاني، ت ٢٥٩هـ، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي، حديث أكاديمي، فيصل آباد - باكستان.
١١. إحياء علوم الدين، لأبي حامد، محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ت ٥٠٥هـ، دار المعرفة - بيروت.
١٢. أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، لأبي عبد الله، محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي، ت ٢٧٢هـ، تحقيق: د. عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر - بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ.
١٣. الآداب، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ت ٤٥٨هـ، تحقيق: أبي عبد الله السعيد المندوه، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
١٤. الأدب المفرد، لأبي عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، ت ٢٥٦هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط ٣، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
١٥. الأذكار، لأبي زكريا، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ت ٦٧٦هـ، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
١٦. الأربعون في إرشاد السائرين إلى منازل المتقين - الأربعون الطائية -، لأبي الفتوح، محمد بن محمد بن علي، الطائي الهمداني، ت ٥٥٥هـ، تحقيق: عبدالستار أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
١٧. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لشهاب الدين، أبي العباس، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني، القتيبي، المصري، ت ٩٢٣هـ، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط ٧، ١٣٢٣هـ.
١٨. الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، لصالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، دار ابن الجوزي، ط ٤، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٩. الإرشاد في معرفة علماء الحديث في البلاد، لأبي يعلى، الخليل بن عبد الله الخليلي القزويني، ت ٤٤٦هـ، تحقيق: محمد سعيد بن عمر، مكتبة الرشد - الرياض، ١٤٠٩هـ.
٢٠. أساس البلاغة، لأبي القاسم، محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، ت ٥٣٨هـ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٢١. أسباب نزول القرآن، لأبي الحسن، علي بن أحمد الواحدي، النيسابوري، الشافعي، ت ٤٦٨هـ، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١١هـ.
٢٢. الاستذكار، لأبي عمر، يوسف بن عبد الله ابن عبد البر النمري القرطبي، ت ٤٦٣هـ، تحقيق: سالم محمد عطا، ومحمد علي معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٢٣. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، ت ٤٦٣هـ، تحقيق: علي محمد الجاوي، دار الجليل - بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٢٤. أسد الغابة في معرفة الصحابة، لأبي الحسن، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد، المعروف بابن الاثير، ت ٦٣٠هـ، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
٢٥. أسماء المدلسين، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت ٩١١هـ، تحقيق: محمود محمد محمود حسن نصار، دار الجليل - بيروت، ط ١.
٢٦. الإصابة في تمييز الصحابة، لأبي الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.
٢٧. إصلاح المال، لأبي بكر، عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي، المعروف بابن أبي الدنيا، ت ٢٨١هـ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٢٨. الاعتصام، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، ت ٩٠هـ، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٢٩. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، لأحمد بن الحسين البيهقي، ت ٤٥٨هـ، تحقيق أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة- بيروت، ط ١، ١٤٠١هـ.

٣٠. أعلام الحديث - شرح صحيح البخاري-، لأبي سليمان، حمد بن محمد الخطابي، ت ٣٨٨هـ، تحقيق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، جامعة أم القرى- مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، ط ١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.

٣١. إعلام الموقعين عن رب العالمين، لشمس الدين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت ٧٥١هـ، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية- بيروت، ط ١، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٣٢. الأعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط ٦، ١٩٨٤م.

٣٣. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لشمس الدين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ابن قيم الجوزية، ت ٧٥١هـ، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٣٤. الاغتباط بمن رمي من الرواة بالاختلاط - المطبوع مع نهاية الاغتباط-، لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن خليل سبط ابن العجمي، تحقيق ودراسة: علاء الدين علي رضا، دار الحديث، القاهرة، ط ١، ١٩٨٨م.

٣٥. الإفصاح عن معاني الصحاح، عون الدين، أبي المظفر، يحيى بن هُبَيْرَة الذهلي الشيباني، ت ٥٦٠هـ، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، ١٤١٧هـ.

٣٦. إكمال تهذيب الكمال، للحافظ علاء الدين مغلطي بن قليج الحنفي، ت ٧٦٢هـ، تحقيق: أبي عبد الرحمن، عادل بن محمد، وأبي محمد أسامة بن إبراهيم، دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٣٧. الإلزامات والتبع، للإمام الحافظ أبي الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الشهرير بالدارقطني، ت ٣٨٥هـ، تحقيق: مقبل بن هادي الوادعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٠٥هـ.

٣٨. الإمام بأحاديث الأحكام، لتقي الدين، أبي الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد، ت ٧٠٢هـ، تحقيق: حسين إسماعيل الجمل، دار المعراج الدولية - دار ابن حزم، السعودية - الرياض، لبنان - بيروت، ط ٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٣٩. الأمالي المطلقة، أبي الفضل، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، المكتب الإسلامي - ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
٤٠. انتقاض الاعتراض في الرد على العيني في شرح البخاري، لأبي الفضل، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي - صبحي بن جاسم السامرائي، مكتبة الرشد، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٤١. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين، أبي سعيد، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، ت ٦٨٥هـ، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ.
٤٢. الأهوال، لأبي بكر، عبد الله بن محمد بن عبيد البغدادي الأموي القرشي، المعروف بابن أبي الدنيا، ت ٢٨١هـ، تحقيق: مجدي فتحي السيد، مكتبة آل ياسر - مصر، ١٤١٣هـ.
٤٣. الأوائل لابن أبي عاصم، لأبي بكر، أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، المعروف بابن أبي عاصم، ت ٢٨٧هـ، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت.
٤٤. الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها، لعبد الله محمد نجيب سراج الدين، ت ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، مكتبة دار الفلاح - حلب، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٤٥. الإيمان حقيقته، حوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، لعبد الله بن عبد الحميد الأثري، بمراجعة وتقديم: فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن صالح، دار الوطن للنشر، الرياض، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٤٦. الإيمان، أركانه، حقيقته، نواقضه، لمحمد نعيم ياسين، دار عمر بن الخطاب رضي الله عنه - الإسكندرية، ط ١.
٤٧. بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، لأبي بكر، محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم الكلاباذي البخاري الحنفي، ت ٣٨٠هـ، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، وأحمد فريد المزدي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٤٨. البداية والنهاية، لأبي الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، ت ٧٧٤هـ، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٤٩. البدور السافرة في أحوال الآخرة، للإمام جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت ٩١١هـ، تحقيق أبي عبد الله محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
٥٠. بشرى السلامة من أهوال القيامة، لجميلة المصري، مراجعة وتقديم: الشيخ أحمد المحلاوي، دار البيان للنشر والتوزيع - الإسكندرية، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٥١. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ت ٨١٧هـ، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
٥٢. البعث والنشور، لأبي بكر، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جردى الخراساني، البيهقي، ت ٤٥٨هـ، تحقيق: الشيخ عامر أحمد حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٥٣. بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، لأبي عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، ت ١٣٧٦هـ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط ٤، ١٤٢٣هـ.
٥٤. بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام، لأبي الحسن، علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي، المشهور بابن القطان، ت ٦٢٨هـ، تحقيق: د. الحسين آيت سعيد، دار طيبة - الرياض، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٥٥. تاج العروس من جوهر القاموس، لأبي الفيض، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى الزبيدي، ت ١٢٠٥هـ، تحقيق: إبراهيم التريزي، وآخرون، دار الهداية.
٥٦. التاج المكمل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، لأبي الطيب، محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، ت ١٣٠٧هـ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٥٧. تاريخ ابن معين - رواية أحمد بن محمد بن القاسم بن محرز، لأبي زكريا، يحيى ابن معين، ت ٢٣٣هـ، تحقيق: محمد كامل القصار، مجمع اللغة العربية - دمشق، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٥٨. تاريخ ابن معين - رواية الدارمي، لأبي زكريا، يحيى بن معين، ت ٢٣٣هـ، تحقيق: أحمد نور سيف، دار المأمون للتراث - دمشق، ١٤٠٠هـ.
٥٩. تاريخ ابن معين - رواية الدوري، لأبي زكريا، يحيى بن معين، ت ٢٣٣هـ، تحقيق: أحمد نور سيف، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي - مكة المكرمة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٦٠. تاريخ أسماء الثقات، لأبي حفص، عمر بن أحمد، الشهير بابن شاهين، ت ٣٨٥هـ، تحقيق: صبحي السامرائي، الدار السلفية - الكويت، ط ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٦١. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين، أبي عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ت ٧٤٨هـ، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط ١، ٢٠٠٣م.
٦٢. تاريخ الثقات، لأحمد بن عبد الله بن صالح العجلي، ت ٢٦١هـ، بترتيب نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، ت ٨٠٧هـ، ومعها تضمينات الحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد المعطي القلعجي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.
٦٣. التاريخ الكبير - تاريخ ابن أبي خيثمة -، لأبي بكر، أحمد بن أبي خيثمة، ت ٢٧٩هـ، تحقيق صلاح هلال، الفاروق الحديثة - القاهرة، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٦٤. التاريخ الكبير، لأبي عبد الله إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٨٦م.
٦٥. التاريخ الكبير، لأبي عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، ت ٢٥٦هـ، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن.
٦٦. تاريخ بغداد، لأبي بكر، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، ت ٤٦٣هـ، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
٦٧. تاريخ دمشق، لأبي القاسم، علي بن الحسن بن هبة الله، المعروف بابن عساكر، ت ٥٧١هـ، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٦٨. التبصرة، لجمال الدين، أبي الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت ٥٩٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٦٩. التبصير في معالم الدين، لأبي جعفر، محمد بن جرير الطبري، ت ٣١٠هـ، تحقيق: علي بن عبد العزيز بن علي الشبل، دار العاصمة، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٧٠. التبيان في أقسام القرآن، لشمس الدين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ابن قيم الجوزية، ت ٧٥١هـ، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
٧١. التبيين لأسماء المدلسين، لبرهان الدين الحلبي أبو الوفاء إبراهيم بن محمد بن خليل سبط ابن العمري الشافعي، ت ٨٤١هـ، تحقيق: يحيى شفيق حسن، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٧٢. تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، للقاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي، ت ٦٨٥هـ، تحقيق: نور الدين طالب، وآخرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
٧٣. تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي، لأبي العلا، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، ت ١٣٥٣هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
٧٤. تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، لأبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزني، ت ٧٤٢هـ، تحقيق: عبد الصمد شرف الدين، الدار القيمة، والمكتب الإسلامي - بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
٧٥. التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، لزين الدين، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، ت ٧٩٥هـ، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد - الطائف، دار البيان - دمشق، ط ٢، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
٧٦. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت ٩١١هـ، تحقيق: أبي قتيبة نظر محمد الفارياي، دار طيبة.
٧٧. التدوين في أخبار قزوين، لأبي القاسم، عبد الكريم بن محمد الراجعي القزويني، ت ٦٢٣هـ، تحقيق: عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
٧٨. تذكرة الحفاظ، لمحمد بن أحمد الذهبي ٧٤٨هـ، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٧٩. التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، لشمس الدين، أبي عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي، ت ٦٧١هـ، تحقيق: د. الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ١٤٢٥هـ.

٨٠. الترغيب والترهيب، للإمام الحافظ أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الجوزي الأصبهاني المعروف بقوام السنة، ت ٥٣٥هـ، اعتنى به أيمن بن صالح بن شعبان، دار الحديث، القاهرة، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٨١. تسمية مشايخ النسائي، وذكر المدلسين، لأبي عبد الرحمن، أحمد بن شعيب النسائي، ت ٣٠٣هـ، تحقيق: الشريف حاتم بن عارف العوني، دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، ط ١، ١٤٢٣هـ.
٨٢. تطريز رياض الصالحين، فيصل بن عبد العزيز الحرمللي النجدي، ت ١٣٧٦هـ، تحقيق: د. عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد، دار العاصمة، الرياض، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٨٣. التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ت ٨١٦هـ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٨٤. تعظيم قدر الصلاة، لأبي عبد الله، محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، ت ٢٩٤هـ، تحقيق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار - المدينة المنورة، ط ١، ١٤٠٦هـ.
٨٥. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ت ٧٧٤هـ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٨٦. تفسير القرآن العظيم، لأبي محمد، عبد الرحمن بن محمد، التميمي، الحنظلي، المعروف ابن أبي حاتم الرازي، ت ٣٢٧هـ، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط ٣، ١٤١٩هـ.
٨٧. تفسير المنار، لمحمد رشيد بن علي رضا، ت ١٣٥٤هـ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
٨٨. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر - بيروت، دمشق، ط ٢، ١٤١٨هـ.
٨٩. التفسير الوسيط، للدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر - دمشق، ط ١، ١٤٢٢هـ.
٩٠. تفسير حدائق الروح والريحان في روائع علوم القرآن، للشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: د. هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٩١. تفسير غريب ما في الصحيحين، لأبي عبد الله، محمد بن فتوح الأزدي الميورقي الحميدي، ت ٤٨٨هـ، تحقيق: د. زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة - القاهرة - مصر، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٩٢. التقرب إلى الله تعالى "فضله، طريقه، مراتبه"، لعبد الله محمد نجيب سراج الدين، ت ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، مكتبة دار الفلاح - حلب، ط ٢، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٩٣. تقريب التهذيب، لأبي الفضل، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد - سوريا، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٩٤. تكملة معجم المؤلفين، لمحمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٩٥. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر، يوسف بن عبد الله ابن عبد البر النمري القرطبي، ت ٤٦٣هـ، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، ١٣٨٧هـ.
٩٦. تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت ٩١١هـ، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩هـ.
٩٧. التَّنْوِيرُ شَرْحُ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ، لعز الدين، أبي إبراهيم، الأمير محمد بن إسماعيل الحسيني، الكحلاني، ثم الصنعاني، ت ١١٨٢هـ، تحقيق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، ط ١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
٩٨. تهذيب التهذيب، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ، دار الفكر - بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٩٩. تهذيب الكمال، ليوسف بن عبد الرحمن المزني، ت ٧٤٢هـ، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
١٠٠. تهذيب اللغة، لأبي منصور، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، ت ٣٧٠هـ، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ٢٠٠١م.
١٠١. التوحيد وإثبات صفات الرب عَلَيْهِ، لأبي بكر، محمد بن إسحاق بن خزيمة، ت ٣١١هـ، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد، السعودية - الرياض، ط ٥، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١٠٢. التوشيح شرح الجامع الصحيح، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت ٩١١هـ، تحقيق رضوان جامع رضوان، مكتبة الرشد- الرياض، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
١٠٣. التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لسراج الدين، أبي حفص، عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، المعروف بابن الملقن، ت ٨٠٤هـ، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: دار النوادر، دمشق - سوريا، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
١٠٤. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ت ١٣٧٦هـ، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
١٠٥. تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، لأبي عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، ت ١٣٧٦هـ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٢هـ.
١٠٦. التيسير بشرح الجامع الصغير، لزين الدين محمد، المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، ت ١٠٣١هـ، مكتبة الإمام الشافعي - الرياض، ط ٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
١٠٧. الثقات، لمحمد بن حبان البستي، ت ٣٥٤هـ، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر - بيروت، عام ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
١٠٨. جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر، محمد بن جرير الطبري، ت ٣١٠هـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
١٠٩. جامع التحصيل في أحكام المراسيل، لأبي سعيد خليل بن كَيْكَلدي العلائي، ت ٧٦١هـ، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار عالم الكتب - بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
١١٠. الجامع الصحيح، للإمام أبي عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري، ت ٢٥٦هـ، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة - بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.
١١١. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، لزين الدين، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، ت ٧٩٥هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٧، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١١٢. الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي، لشمس الدين، أبي عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخرجي القرطبي، ت ٦٧١هـ، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
١١٣. الجرح والتعديل، لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، ت ٣٢٧هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ١٢٧١هـ - ١٩٥٢م.
١١٤. جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، لشمس الدين، محمد بن أبي بكر، المشهور بابن قيم الجوزية، ت ٧٥١هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط، دار العروبة - الكويت، ط ٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
١١٥. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لشمس الدين، محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، ت ٧٥١هـ، مطبعة المدني، القاهرة.
١١٦. حاشية السندي على صحيح البخاري، لأبي الحسن، محمد بن عبد الهادي السندي المدني الحنفي، ت ١١٣٨هـ، دار الفكر، ط ١.
١١٧. الحافظ عبد الله سراج الدين رحمته الله وأثره في الحديث وعلومه، لشيخنا الأستاذ الدكتور علي نايف بقاعي - حفظه الله -، كلية الإمام الأوزاعي - بيروت، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
١١٨. الحاوي للفتاوي، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت ٩١١هـ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
١١٩. الحبائك في أخبار الملائك، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت ٩١١هـ، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
١٢٠. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت ٩١١هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر، ط ١، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
١٢١. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، ت ٤٣٠هـ، دار السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ثم صورتها عدة دور منها: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٩هـ.

١٢٢. الحياة الآخرة، ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النار، للدكتور غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية - جدة، ط ٢، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
١٢٣. الخصائص الكبرى، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت ٩١١هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
١٢٤. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، لمحمد أمين بن فضل الله بن محب الدين المحيي الحموي الأصل، الدمشقي، ت ١١١١هـ، دار صادر - بيروت.
١٢٥. خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام، لمحيي الدين، أبي زكريا، يحيى بن شرف النووي، ت ٦٧٦هـ، تحقيق: حسين إسماعيل الجمل، مؤسسة الرسالة - بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
١٢٦. الدر الثمين في أسماء المصنفين، لتاج الدين، أبي طالب، علي بن أنجب بن عثمان بن عبد الله، المشهور بابن السّاعي، ت ٦٧٤هـ، تحقيق وتعليق: أحمد شوقي بنين - ومحمد سعيد حنشي، دار الغرب الاسلامي، تونس، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
١٢٧. الدر المنثور، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت ٩١١هـ، دار الفكر - بيروت، ١٩٩٣م.
١٢٨. درء تعارض العقل والنقل، لتقي الدين، أبي العباس، أحمد بن عبد الحليم، ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ت ٧٢٨هـ، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط ٢، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
١٢٩. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لأبي الفضل، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد - الهند، ط ٢، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
١٣٠. الدعاء، لأبي القاسم، سليمان بن أحمد الطبراني، ت ٣٦٠هـ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٣.
١٣١. دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي، ت ١٣٩٣هـ، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، توزيع: مكتبة الخراز - جدة، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

١٣٢. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأبي بكر، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجَرْدِي الخراساني، البيهقي، ت٤٥٨هـ، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
١٣٣. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، لمحمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي، ت١٠٥٧هـ، اعتنى بها: خليل مأمون شيخنا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط٤، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
١٣٤. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لبرهان الدين، إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون اليعمري، ت٧٩٩هـ، تحقيق: د. محمد الأحمد أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.
١٣٥. الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت٩١١هـ، تحقيق: أبو اسحاق الحويني الأثري، دار ابن عفان - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
١٣٦. ديوان الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، ت٢٠٤هـ، تحقيق: محمد عفيف الزغبى، حمص، دار المعرفة، وجدة، دار العلم، ١٩٧٤م.
١٣٧. ديوان الضعفاء والمتروكين وخلق من المجهولين وثقات فيهم لين، لشمس الدين، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز الذهبي، ت٧٤٨هـ، تحقيق: حماد بن محمد الأنصاري، مكتبة النهضة الحديثة - مكة، ط٢، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
١٣٨. ديوان ديك الجن، تحقيق: د. أحمد مطلوب، وعبد الله الجبوري، دار الثقافة بيروت، ١٩٨١م.
١٣٩. ذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثق، لشمس الدين، أبي عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز الذهبي، ت٧٤٨هـ، تحقيق: محمد شكور بن محمود الحاجي أمرير المياديني، مكتبة المنار - الزرقاء، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١٤٠. ذكر النار أجازنا الله منها، تقي الدين، أبي محمد، عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي الجماعيلي الدمشقي الحنبلي، ت٦٠٠هـ، تحقيق: أديب محمد الغزاوي، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
١٤١. رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، لأبي الحسن، علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، ت٣٢٤هـ، تحقيق: عبد الله

شاعر محمد الجنيدى، عمادة البحث العلمى بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٣هـ.

١٤٢. روح المعاني فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسينى الألوسى، ت ١٢٧٠هـ، تحقيق: على عبد البارى عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.

١٤٣. الروح فى الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، لشمس الدين، محمد بن أبى بكر بن أيوب، المشهور بابن قيم الجوزية، ت ٧٥١هـ، دار الكتب العلمية - بيروت. ١٤٤. الروض الأنف فى شرح السيرة النبوية، لأبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، ت ٥٨١هـ، دار إحياء التراث العربى - بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ.

١٤٥. رؤية الله، لأبى الحسن، على بن عمر البغدادي الدارقطني، ت ٣٨٥هـ، قدم له وحققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: إبراهيم محمد العلى، أحمد فخري الرفاعي، مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، ١٤١١هـ.

١٤٦. رياض الأفهام فى شرح عمدة الأحكام، لتاج الدين، أبى حفص عمر بن على اللخمي الإسكندري المالكي الفاكهاني، ت ٧٣٤هـ، تحقيق ودراسة: نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

١٤٧. رياض الصالحين، لأبى زكريا، محيى الدين يحيى بن شرف النووي، ت ٦٧٦هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٤٨. زاد المسير فى علم التفسير، لجمال الدين، أبى الفرج، عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزي، ت ٥٩٧هـ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربى - بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.

١٤٩. زاد المعاد فى هدى خير العباد، لشمس الدين، محمد بن أبى بكر ابن قيم الجوزية، ت ٧٥١هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط ٢٧، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

١٥٠. الزهد والرقائق لابن المبارك، لأبى عبد الرحمن، عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المروزي، ت ١٨١هـ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٥١. الزهد، لأبى مسعود، المعافى بن عمران الأزدي الموصلي، ت ١٨٥هـ، دار البشائر الإسلامية - بيروت، تحقيق: الدكتور عامر حسن صبرى، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٥٢. الزواجر عن اقتراف الكبائر، لشهاب الدين، شيخ الإسلام، أبي العباس، أحمد بن محمد ابن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، ت ٩٧٤هـ، دار الفكر، ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
١٥٣. سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، لمحمد بن يوسف الصالحى الشامى، ت ٩٤٢هـ، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
١٥٤. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، لشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، ت ٩٧٧هـ، مطبعة بولاق الأميرية - القاهرة، ١٢٨٥هـ.
١٥٥. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف - الرياض، ١٤١٥هـ.
١٥٦. السنة، لأبي بكر، أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، المشهور بابن أبي عاصم، ت ٢٨٧هـ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، ط ١، ١٤٠٠هـ.
١٥٧. سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله، محمد بن يزيد القزويني، الشهير بابن ماجه، ت ٢٧٣هـ، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الجليل - بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ.
١٥٨. سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله، محمد بن يزيد القزويني، الشهير بابن ماجه، ت ٢٧٣هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
١٥٩. سنن الترمذي، لأبي عيسى، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، ت ٢٧٩هـ، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الجليل - بيروت، ودار العرب الإسلامي - بيروت، ط ٢، ١٩٩٨م.
١٦٠. سنن الدارمي - مسند الدارمي، لعثمان بن سعيد الدارمي، ت ٢٨٠هـ، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المغني - الرياض، ط ١، ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م.
١٦١. السنن الكبرى، لأبي بكر، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، البيهقي، ت ٤٥٨هـ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
١٦٢. السنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن، أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، ت ٣٠٣هـ، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

١٦٣. سنن النسائي - المجتبى من السنن -، لأبي عبد الرحمن، أحمد بن شعيب النسائي، ت ٣٠٣هـ، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ط ٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٦٤. السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراتها، لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبي عمرو الداني، ت ٤٤٤هـ، تحقيق د. رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، ط ١، ١٤١٦هـ.

١٦٥. السنن، لأبي داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، ت ٢٧٥هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

١٦٦. سؤالات ابن الجنيد لأبي زكريا يحيى بن معين ت ٢٣٣هـ، تحقيق: أحمد محمد نور سيف، مكتبة الدار - المدينة المنورة، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٦٧. سؤالات أبي عبيد الآجري أبا داود السجستاني في الجرح والتعديل، لأبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، ت ٢٧٥هـ، تحقيق: محمد علي قاسم العمري، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٦٨. سؤالات البرقاني للدارقطني، لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني، ت ٣٨٥هـ، تحقيق: د. عبد الرحيم محمد أحمد القشقرى، دار كتب خانه جميلي - باكستان، ١٤٠٤هـ.

١٦٩. سؤالات محمد بن عثمان بن أبي شيبة، لأبي الحسن، علي بن عبد الله السعدي البصري، المعروف بابن المدني، ت ٢٣٤هـ، تحقيق: موفق عبد الله عبد القادر، مكتبة المعارف - الرياض، ط ١، ١٤٠٤هـ.

١٧٠. سؤالات محمد بن عثمان بن أبي شيبة، لعلي بن المدني ت ٢٣٤، تحقيق: موفق عبد الله عبد القادر، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٤هـ.

١٧١. سؤالات مسعود بن علي السجزي مع اسئلة البغداديين عن أحوال الرواة، لأبي عبد الله الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، ت ٤٠٥هـ، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

١٧٢. سير أعلام النبلاء، لشمس الدين، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ت ٧٤٨هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٧٣. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن أحمد، الشهير بابن العماد الحنبلي،
ت ١٠٨٩هـ، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط - محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير - دمشق،
١٤٠٦هـ.

١٧٤. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لأبي القاسم، هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري
الرازي اللالكائي، ت ٤١٨هـ، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة - السعودية،
٨، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

١٧٥. شرح الأربعين النووية، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، ت ١٤٢١هـ، دار الثريا للنشر،
١.

١٧٦. شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار بن أحمد، أبو الحسن الهمداني، ت ٤١٥هـ،
تقديم د. عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبه، القاهرة - ط ٣، ١٩٩٦م.

١٧٧. شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، لأبي عبد الله، محمد بن عبد الباقي بن
يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي، ت ١١٢٢هـ، دار الكتب العلمية،
١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

١٧٨. شرح السنة، لمحبي السنة، أبي محمد، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي،
ت ٥١٦هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، ط ٢،
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٧٩. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، المسمى: بالكاشف عن حقائق السنن، لشرف الدين،
الحسين بن عبد الله الطيبي، ت ٧٤٣هـ، تحقيق: د. عبد الحميد هندراوي، مكتبة نزار مصطفى
الباز - مكة المكرمة، الرياض، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٨٠. شرح العقيدة الطحاوية، لصدر الدين، محمد بن علاء الدين علي بن محمد، المعروف بابن
أبي العز الحنفي، الأذري الصالحى دمشقي، ت ٧٩٢هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله
بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١٠، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٨١. شرح النووي على صحيح مسلم - المنهاج، لأبي زكريا، يحيى بن شرف النووي، دار إحياء
التراث العربي - بيروت، ط ٢، ١٣٩٢هـ.

١٨٢. شرح ثلاثيات مسند أحمد، لأبي العون، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي،
ت ١١٨٨هـ، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٣٩٩هـ.

١٨٣. شرح رياض الصالحين، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، ت ١٤٢١ هـ، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦ هـ.

١٨٤. شرح سنن ابن ماجه: مجموع من ٣ شروح؛ مصباح الزجاجه، لجلال الدين للسيوطي، ت ٩١١ هـ، وإنباح الحاجه، لمحمد عبد الغني المجددي الحنفي، ت ١٢٩٦ هـ، وما يليق من حل اللغات وشرح المشكلات، لفخر الحسن بن عبد الرحمن الحنفي الكنكوهي، ت ١٣١٥ هـ، الناشر: قديمي كتب خانه - كراتشي.

١٨٥. شرح سنن أبي داود، لبدر الدين، أبو محمد، محمود بن أحمد الغيتابي الحنفي العيني، ت ٨٥٥ هـ، تحقيق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، مكتبة الرشد - الرياض، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

١٨٦. شرح سنن أبي داود، لعبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، وهو عبارة عن دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية <http://www.islamweb.net> والكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - ٥٩٨ درسًا.

١٨٧. شرح سنن النسائي المسمى: ذخيرة العقبي في شرح المجتبى، لمحمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الؤلوي، دار المعراج (ج ١ - ٥)، دار آل بروم (ج ٦ - ٤٠)، ط ١، ١٤١٦ هـ - ١٤٢٤ هـ، ١٩٩٦ م - ٢٠٠٣ م.

١٨٨. شرح صحيح البخاري، لابن بطلال، أبي الحسن، علي بن خلف بن عبد الملك، ت ٤٤٩ هـ، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط ٢، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

١٨٩. شرح صحيح مسلم، المُسمّى: إكمالُ المُعلّمِ بقَوَائِدِ مُسلم، لأبي الفضل، القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، ت ٥٤٤ هـ، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء، مصر، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

١٩٠. شرح علل الترمذي، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، ت ٧٩٥ هـ، تحقيق: الدكتور همام عبد الرحيم سعيد، مكتبة المنار - الزرقاء، الأردن، ط ١، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

١٩١. شرح مُسْنَد الشَّافِعِيِّ، لأبي القاسم، عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، الرافعي القزويني، ت ٦٢٣هـ، تحقيق: أبو بكر وائل محمد بكر زهران، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، إدارة الشؤون الإسلامية، قطر، ط ١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
١٩٢. شرح مشكل الآثار، للإمام أبي جعفر، أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، ت ٣٢١هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.
١٩٣. شرح مصابيح السنة للإمام البغوي، لمحمد بن عزّ الدين عبد اللطيف بن عبد العزيز بن أمين الدين بن فرشتا، الرُّومِي الكرماني، الحنفي، المشهور بابن الملك، ت ٨٥٤هـ، تحقيق: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، إدارة الثقافة الإسلامية، ط ١، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.
١٩٤. الشريعة، لأبي بكر، محمد بن الحسين بن عبد الله الآجزيّ البغدادي، ت ٣٦٠هـ، تحقيق: د. عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن - الرياض، السعودية، ط ٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
١٩٥. شعب الإيمان، لأبي بكر، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرُوْجِردِي الخراساني، البيهقي، ت ٤٥٨هـ، تحقيق وتخرّيج: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، بإشراف: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية بيومباي بالهند، ط ١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
١٩٦. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، ت ٣٩٣هـ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط ٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
١٩٧. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان البُستي، ت ٣٥٤هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٢، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٣ م.
١٩٨. صحيح ابن خزيمة، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري، ت ٣١١هـ، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، ط ٣، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
١٩٩. صحيح الترغيب والترهيب، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف - الرياض، السعودية، ط ٥، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٠٠. صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، ١٤٢٠هـ، المكتب الإسلامي.
٢٠١. صحيح سنن أبي داود، لأبي عبد الرحمن، محمد ناصر الدين الألباني، ت ١٤٢٠هـ، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٢٠٢. صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٢٠٣. صفة الجنة، لأبي بكر، عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي، المعروف بابن أبي الدنيا، ت ٢٨١هـ، تحقيق: عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة - مصر، مكتبة العلم، جدة - السعودية.
٢٠٤. صفة الجنة، للحافظ ضياء الدين، أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد الحنبلي المقدسي، ت ٦٤٣هـ، تحقيق: صبري بن سلامة شاهين، دار بلنسية - الرياض، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٢٠٥. الصَّلَاة عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، لأبي بكر أحمد بن عمر بن أبي عاصم، ت ٢٨٧هـ، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار المأمون للتراث، دمشق، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٢٠٦. الصمت وآداب اللسان، لأبي بكر، عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي، المعروف بابن أبي الدنيا، ت ٢٨١هـ، تحقيق: أبو إسحاق الحويني، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ.
٢٠٧. صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط، لتقي الدين، أبي عمرو، عثمان بن عبد الرحمن، المعروف بابن الصلاح، ت ٦٤٣هـ، تحقيق: موفق عبدالله عبدالقادر، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٤٠٨هـ.
٢٠٨. صيد الخاطر، لجمال الدين، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت ٥٩٧هـ، بعناية: حسن المساحي سويدان، دار القلم - دمشق، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٢٠٩. الضعفاء الصغير، لمحمد بن إسماعيل البخاري، ت ٢٥٦هـ، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي - حلب، ١٣٩٦هـ.
٢١٠. الضعفاء الكبير، لأبي جعفر، محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي، ت ٣٢٢هـ، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٢١١. الضعفاء والمتروكون، لأبي عبد الرحمن، أحمد بن شعيب النسائي، ت ٣٠٣هـ، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي - حلب، عام ١٣٩٦هـ.
٢١٢. الضعفاء والمتروكون، لجمال الدين، أبي الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت ٥٩٧هـ، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ.
٢١٣. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين، أبي الخير، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي، ت ٩٠٢هـ، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت.
٢١٤. طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين، عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، ت ٧٧١هـ، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلوة، دار هجر، ط ٢، ١٤١٣هـ.
٢١٥. طبقات الشافعيين، لأبي الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ت ٧٧٤هـ، تحقيق: د. أحمد عمر هاشم، و د. محمد زينهم محمد عذب، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٢١٦. الطبقات الكبرى - القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم -، لأبي عبد الله محمد ابن سعد بن منيع الهاشمي، ت ٢٣٠، تحقيق: زياد محمد منصور، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٠٨هـ.
٢١٧. الطبقات الكبرى، لأبي عبد الله، محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري، ت ٢٣٠هـ، دار صادر - بيروت، ط ١، ١٩٦٨م.
٢١٨. طبقات المدلسين، لأبي الفضل، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: د. عاصم ابن عبد الله القريوتي، مكتبة المنار - عمان، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٢١٩. طرح الشريب في شرح التقريب - المقصود بالتقريب: تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد، لأبي الفضل، زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، ت ٨٠٦هـ، وقد أكمله ابنه: ولي الدين، أبو زرعة، أحمد بن عبد الرحيم العراقي، ت ٨٢٦هـ، الطبعة المصرية القديمة، وصورتها دور عدة منها: دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي.
٢٢٠. الطريق إلى الإسلام، لمحمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، دار ابن خزيمة، ط ٢.
٢٢١. العاقبة في ذكر الموت، لعبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الأزدي، الأندلسي الأشبيلي، المعروف بابن الخراط، ت ٥٨١هـ، تحقيق: خضر محمد خضر، مكتبة دار الأقصى - الكويت، ط ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢٢٢. العظمة، لأبي محمد، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري، المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني، ت ٣٦٩هـ، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة - الرياض، ط ١، ١٤٠٨هـ.

٢٢٣. العقوبات، لأبي بكر، عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي، المعروف بابن أبي الدنيا، ت ٢٨١هـ، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٢٢٤. عُقُودُ الزَّيْرَجِدِ عَلَى مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت ٩١١هـ، تحقيق: د. سلمان القضاة، دار الجليل، بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٢٢٥. عقيدة المؤمن، لأبي بكر، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر الجزائري، دار العقيدة - القاهرة، ومكتبة العلوم والحكم - السعودية، ط ١، ٢٠٠٤م.

٢٢٦. العقيدة الواسطية، اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة، لتقي الدين، أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، ت ٧٢٨هـ، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف - الرياض، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢٢٧. علل الترمذي الكبير، لأبي عيسى، محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، ت ٢٧٩هـ، رتبه على كتب الجامع: أبو طالب القاضي، تحقيق: صبحي السامرائي، أبو المعاطي النوري، محمود خليل الصعيدي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية - بيروت، ط ١، ١٤٠٩هـ.

٢٢٨. العلل الواردة في الأحاديث النبوية، لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني، ت ٣٨٥هـ، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله السلفي، دار طيبة - الرياض، ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٢٢٩. العلل ومعرفة الرجال، للإمام أحمد بن حنبل ت ٢٤٢هـ، تحقيق: وصي الله عباس، دار الخاني - الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٣٠. العلل، لعبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، المشهور بابن أبي حاتم الرازي، ت ٣٢٧هـ، تحقيق: د. سعد بن عبد الله الحميد، و د. خالد بن عبد الرحمن الجريسي، مطابع الحميضي، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٢٣١. العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها، لشمس الدين، أبي عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز الذهبي، ت٧٤٨هـ، تحقيق: أبي محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف - الرياض، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
٢٣٢. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين، أبي محمد، محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي، الحنفي، العيني، ت٨٥٥هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٢٣٣. عمل اليوم والليلة، لأبي عبد الرحمن، أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، ت٣٠٣هـ، تحقيق: د. فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.
٢٣٤. عنوان الدرّاية فيمن عُرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية، لأبي العباس، أحمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد، العَبْرِيّني، ت٧١٤هـ، وتحقيق وتعليق: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.
٢٣٥. عون المعبود شرح سنن أبي داود، مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزية، أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، ت١٣٢٩هـ، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥هـ.
٢٣٦. غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، لشمس الدين، أبي العون، محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي، ت١١٨٨هـ، مؤسسة قرطبة - مصر، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٢٣٧. غريب الحديث، لأبي إسحاق، إبراهيم بن إسحاق الحربي، تحقيق: د. سليمان إبراهيم محمد العايد، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٥هـ.
٢٣٨. غريب الحديث، لأبي سليمان، حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، المعروف بالخطابي، ت٣٨٨هـ، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، دار الفكر - دمشق، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٢٣٩. غريب الحديث، لأبي عُبيد، القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي، ت٢٢٤هـ، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، ط١، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
٢٤٠. الفائق في غريب الحديث والأثر، لأبي القاسم، محمود بن عمرو الزمخشري جار الله، ت٥٣٨هـ، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة - لبنان، ط٢.

٢٤١. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأبي الفضل، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، ت ٨٥٢، تحقيق: محب الدين الخطيب، ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

٢٤٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لزين الدين، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، ت ٧٩٥هـ، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية، مكتب تحقيق دار الحرمين - القاهرة، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٢٤٣. فتح القدير، لمحمد بن علي الشوكاني اليمني، ت ١٢٥٠هـ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ.

٢٤٤. فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين للنووي وابن رجب رحمهما الله، لعبد المحسن بن حمد العباد البدر، دار ابن القيم، الدمام - المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٢٤٥. الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت ٩١١هـ، تحقيق: يوسف النبهاني، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٢٤٦. فتح المنان شرح وتحقيق كتاب الدارمي أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن المسمّى بالمسند الجامع، لأبي عاصم، نبيل بن هاشم بن عبد الله الغمري، دار البشائر الإسلامية - المكتبة المكية، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٢٤٧. فتح المنعم شرح صحيح مسلم، د. موسى شاهين لا شين، دار الشروق، ط ١.
٢٤٨. الفتن، لأبي عبد الله، نعيم بن حماد المروزي، ت ٢٢٨هـ، تحقيق: سمير أمين الزهيري، مكتبة التوحيد - القاهرة، ط ١، ١٤١٢هـ.

٢٤٩. الفتن، لأبي علي، حنبل بن إسحاق الشيباني، ت ٢٧٣هـ، تحقيق: عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية - لبنان، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٢٥٠. الفروق اللغوية، لأبي هلال، الحسن بن عبد الله العسكري، ت ٣٩٥هـ، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.

٢٥١. الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، ت ٤٥٦هـ، مكتبة الخانجي - القاهرة.

٢٥٢. فضيلة الشكر لله على نعمته، لأبي بكر، محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي السامري، ت٣٢٧هـ، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، د. عبد الكريم اليافي، دار الفكر - دمشق، ط١، ١٤٠٢هـ.
٢٥٣. فقه أشراف الساعة، لمحمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم، الدار العالمية للنشر والتوزيع، ط٦، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٢٥٤. فوات الوفيات، لصلاح الدين، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر، ت٧٦٤هـ، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، ط١، ١٩٧٣ - ١٩٧٤م.
٢٥٥. الفوائد، لتمام بن محمد الرازي أبو القاسم، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة الرشد - الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.
٢٥٦. في ظلال القرآن، للشهيد سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، ت١٣٨٥هـ، دار الشروق - بيروت - القاهرة، ط١٧، ١٤١٢هـ.
٢٥٧. فيض التقدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد، المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، ت١٠٣١هـ، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.
٢٥٨. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، لتقي الدين، أبي العباس، أحمد بن عبد الحليم، ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ت٧٢٨هـ، تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، مكتبة الفرقان - عجمان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٢٥٩. القاموس المحيط، لمجد الدين، أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ت٨١٧هـ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٢٦٠. قوت المغتذي على جامع الترمذي، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت٩١١هـ، دراسة وتحقيق: ناصر بن محمد بن حامد الغريبي، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الكتاب والسنة، بإشراف: الأستاذ الدكتور سعدي الهاشمي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة - كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، ١٤٢٤هـ.
٢٦١. القيامة الصغرى، لعمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، دار النفائس - الأردن، مكتبة الفلاح - الكويت، ط٤، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٢٦٢. القيامة الكبرى، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، دار النفائس، الأردن، ط٦، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٢٦٣. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، لشمس الدين، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَإِمَاز الذهبي، ت٧٤٨هـ، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٢٦٤. الكامل في ضعفاء الرجال، لأبي أحمد، عبد الله بن عدي الجرجاني، ت٣٦٥هـ، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، دار الفكر - بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٢٦٥. كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة، تأليف، الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: المحدث الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م

٢٦٦. كشف الخفاء ومزيل الإلباس، لأبي الفداء، إسماعيل بن محمد الجراحي العجلوني الدمشقي، ت١١٦٢هـ، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هندأوي، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٢٦٧. كشف المشكل من حديث الصحيحين، لجمال الدين، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت٥٩٧هـ، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن - الرياض.

٢٦٨. كَشْفُ الْمَنَاهِجِ وَالتَّنَاقِيحِ فِي تَحْرِيجِ أَحَادِيثِ الْمَصَابِيحِ، لصدر الدين، أبي المعالي، محمد بن إبراهيم بن إسحاق السلمى المِنَاوِي ثم القاهري، الشافعي، ت٨٠٣هـ، دِرَاسَة وَتَحْقِيق: د. مُحَمَّدُ إِسْحَاقُ مُحَمَّدُ إِبرَاهِيم، تقديم: الشيخ صالح بن محمد اللحيان، الدار العربية للموسوعات، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٢٦٩. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأبي إسحاق، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، ت٤٢٧هـ، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٢٧٠. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبي البقاء، أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي الحنفي، ت١٠٩٤هـ، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

٢٧١. الكنى والأسماء، لأبي بشر، محمد بن أحمد الأنصاري الدولابي الرازي، ت ٣١٠هـ، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٢٧٢. الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، لشمس الدين، محمد بن يوسف، الكرمانى، ت ٧٨٦هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
٢٧٣. الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، لأحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد الكوراني الشافعي ثم الحنفي، ت ٨٩٣هـ، تحقيق الشيخ أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٢٧٤. كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، لمحمد الخضر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي، ت ١٣٥٤هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٢٧٥. اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، شمس الدين الزماوي، أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي العسقلاني المصري الشافعي، ت ٨٣١هـ، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، ط ١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
٢٧٦. لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين، أبي الحسن، علي بن محمد الشيجي، المعروف بالخازن، ت ٧٤١هـ، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.
٢٧٧. لسان العرب، لأبي الفضل، جمال الدين، محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الرويفعي الإفريقي، المشهور بابن منظور، ت ٧١١هـ، دار صادر - بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ.
٢٧٨. لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، ت ٧٩٥هـ، دار ابن حزم للطباعة والنشر، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
٢٧٩. لمعة الاعتقاد، لأبي محمد، موفق الدين عبد الله بن أحمد الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي، ت ٦٢٠هـ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٢٨٠. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية، لشمس الدين، أبي العون، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، ت ١١٨٨هـ، مؤسسة الخافقين ومكبتها - دمشق، ط ٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٢٨١. مباحث العقيدة في سورة الزمر، ناصر بن علي عايض حسن الشيخ، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٢٨٢. المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية عليه السلام من صحيح الإمام البخاري، لشمس الدين محمد بن عمر بن أحمد السفيري الشافعي، ت ٩٥٦هـ، تحقيق: أحمد فتحي عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٢٨٣. المجالسة وجواهر العلم، لأبي بكر، أحمد بن مروان الدينوري المالكي، ت ٣٣٣هـ، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية - البحرين، أم الحصم، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ١٤١٩هـ.
٢٨٤. المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، لأبي حاتم، محمد بن حبان التميمي، الدارمي، البُستي، ت ٣٥٤هـ، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، الوعي - حلب، ط ١، ١٣٩٦هـ.
٢٨٥. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلي بن أبي بكر الهيثمي، ت ٩٠٧هـ، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.
٢٨٦. مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، لجمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي، ت ٩٨٦هـ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط ٣، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
٢٨٧. مجموع الفتاوى، لتقي الدين، أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، ت ٧٢٨هـ، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
٢٨٨. المجموع المغيث في غربي القرآن والحديث، لأبي موسى، محمد بن عمر بن الأصبهاني المدني، ت ٥٨١هـ، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - مكة المكرمة، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٠٦-١٤٠٨هـ، ١٩٨٦-١٩٨٨م.
٢٨٩. مجموع رسائل الحافظ، زين الدين، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، ت ٧٩٥هـ، تحقيق: أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ١٤٢٤هـ - ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤م.

٢٩٠. محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، ت ١٣٣٢هـ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ.
٢٩١. المحلى بالآثار، لأبي محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، ت ٤٥٦هـ، دار الفكر - بيروت.
٢٩٢. مختصر الأحكام - مستخرج الطوسي على جامع الترمذي، لأبي علي، الحسن بن علي ابن نصر الطوسي، تحقيق: أنيس بن أحمد بن طاهر الأندونوسي، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة، ط ١، ١٤١٥هـ.
٢٩٣. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لشمس الدين، محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، ت ٧٥١هـ، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٢٩٤. المدلسين، لأبي زرعة، ولي الدين أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين، المعروف بابن العراقي، ت ٨٢٦هـ، تحقيق: د. رفعت فوزي عبد المطلب، د. نافذ حسين حماد، دار الوفاء، ط ١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.
٢٩٥. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لأبي الحسن، عميد الله بن محمد عبد السلام الرحماني المباركفوري، ت ١٤١٤هـ، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند، ط ٣، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٢٩٦. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للملا علي بن (سلطان) محمد، أبي الحسن نور الدين الهروي القاري، ت ١٠١٤هـ، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
٢٩٧. المستدرک على الصحيحين وبذيله التلخيص للذهبي، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، ت ٤٠٥هـ، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة - بيروت.
٢٩٨. المستفاد من مبهمات المتن والإسناد، لولي الدين أبي زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي، ت ٨٢٦هـ، تحقيق: د. عبد الرحمن بن عبد الحميد البر، دار الوفاء، المنصورة - جمهورية مصر العربية، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
٢٩٩. مسند أبي يعلى، لأحمد بن علي بن المثنى، أبي يعلى الموصلي، ت ٣٠٧هـ، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث - دمشق، عام ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٣٠٠. مسند الإمام أبي عبد الرحمن، عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المزوزي، ت ١٨١هـ، تحقيق: صبحي البدرى السامرائي، مكتبة المعارف - الرياض، ط ١، ١٤٠٧هـ.
٣٠١. مسند الإمام أبي عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ت ٢٤١هـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث - القاهرة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
٣٠٢. مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت ٢٤١هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
٣٠٣. مسند البزار، لأبي بكر، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، ت ٢٩٢هـ، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله، وآخرون، مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط ١، بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م.
٣٠٤. مسند الشاشي، لأبي سعيد الهيثم بن كليب الشاشي، ت ٣٣٥هـ، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤١٠هـ.
٣٠٥. مسند الشاميين، لأبي القاسم، سليمان بن أحمد اللخمي الشامي، الطبراني، ت ٣٦٠هـ، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.
٣٠٦. المسند، لأبي بكر، عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي الحميدي المكي، ت ٢١٩هـ، تحقيق: حسن سليم أسد الداراني، دار السقا، دمشق - سوريا، ط ١، ١٩٩٦م.
٣٠٧. المسند، لأبي بكر، محمد بن هارون الروياني، ت ٣٠٧هـ، تحقيق: أيمن علي أبو يماني، مؤسسة قرطبة - القاهرة، ط ١، ١٤١٦هـ.
٣٠٨. المسند، لأبي بكر، محمد بن هارون الروياني، ت ٣٠٧هـ، تحقيق: أيمن علي أبو يماني، مؤسسة قرطبة - القاهرة، ١٤١٦هـ.
٣٠٩. المسند، لأبي داود، سليمان بن داود الفارسي البصري الطيالسي، ت ٢٠٤هـ، دار المعرفة - بيروت.
٣١٠. مشكل الحديث وبيانه، لأبي بكر، محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، ت ٤٠٦هـ، تحقيق: موسى محمد علي، عالم الكتب - بيروت، ط ٢، ١٩٨٥م.

٣١١. مصابيح الجامع، لبدر الدين، محمد بن أبي بكر بن عمر، المخزومي القرشي، المعروف بالدماميني، وبابن الدماميني، ت ٨٢٧هـ، اعتنى به تحقيقاً وضبطاً وتخریجاً: نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٣١٢. مصباح الزجاجاة في زوائد ابن ماجه، لأبي العباس، شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري الكناني الشافعي، ت ٨٤٠هـ، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية - بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ.

٣١٣. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأبي العباس، أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي، توفي نحو ٧٧٠هـ، المكتبة العلمية - بيروت.

٣١٤. المصنف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر، عبد الله بن محمد، ابن أبي شيبة العبسي، ت ٢٣٥هـ، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، ط ١، ١٤٠٩هـ.

٣١٥. المصنف، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، ت ٢١١هـ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ.

٣١٦. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ، تحقيق: مجموعة من طلاب العلم، بإشراف وتنسيق الدكتور: سعد بن ناصر الشثري، دار العاصمة - الرياض، دار الغيث - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٣١٧. مطالع الأنوار على صحاح الآثار، لأبي إسحاق، إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي، المشهور بابن قرقول، ت ٥٦٩هـ، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - دولة قطر، ط ١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

٣١٨. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، لحافظ بن أحمد بن علي الحكمي، ت ١٣٧٧هـ، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم - الدمام، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٣١٩. معالم التنزيل في تفسير القرآن - تفسير البغوي -، لمحيي السنة، أبي محمد، الحسين بن مسعود البغوي الشافعي، ت ٥١٠هـ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ.

٣٢٠. معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، لأبي سليمان حمد بن محمد ابن الخطاب البستي، المعروف بالخطابي، ت ٣٨٨هـ، المطبعة العلمية - حلب، ط ١، ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م.

٣٢١. معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق، إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، ت ٣١١هـ، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، دار عالم الكتب - بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٣٢٢. مُعْجَمُ أَعْلَامِ الْجَزَائِرِ - مِنْ صَدْرِ الْإِسْلَامِ حَتَّى الْعَصْرِ الْحَاضِرِ، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
٣٢٣. المعجم الأوسط، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ت ٣٦٠هـ، تحقيق: طارق عوض الله، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة، ١٤١٥هـ.
٣٢٤. معجم البلدان، لشهاب الدين، أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، ت ٦٢٦هـ، دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٥م.
٣٢٥. معجم الصحابة، لأبي القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان بن سابور ابن شاهنشاه البغوي، ت ٣١٧هـ، تحقيق: محمد الأمين بن محمد الجكني، مكتبة دار البيان - الكويت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٣٢٦. المعجم الصغير - الروض الداني -، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ت ٣٦٠هـ، تحقيق: محمد شكور محمد الحاج أمير، المكتب الإسلامي - بيروت، دار عمار - عمان، ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٣٢٧. المعجم الكبير، لأبي القاسم، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، الطبراني، ت ٣٦٠هـ، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط ٢.
٣٢٨. معجم اللغة العربية المعاصرة، ل د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، ت ١٤٢٤هـ، عالم الكتب، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٣٢٩. معجم المفسرين، من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، لعادل نويهض، قدّم له: مُفْتِي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، ط ٣، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
٣٣٠. معجم المؤلفين، لعمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي، ت ١٤٠٨هـ، مكتبة المثني - بيروت، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٣٣١. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة - إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة.
٣٣٢. المعجم، لأبي يعلى، أحمد بن علي بن المثني التميمي، الموصلي، ت ٣٠٧هـ، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، إدارة العلوم الأثرية - فيصل آباد، ط ١، ١٤٠٧هـ.

٣٣٣. معرفة الثقافات، لأبي الحسن، أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي، ت ٢٦١هـ، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي، مكتبة الدار - المدينة المنورة، ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٣٣٤. معرفة السنن والآثار، لأبي بكر، أحمد بن الحسين البيهقي، ت ٤٥٨هـ، تحقيق: عبد المعطي أمين قلججي، جامعة الدراسات الإسلامية - كراتشي بباكستان، دار الوعي - حلب، دمشق، دار قتيبة - دمشق، بيروت، دار الوفاء - المنصورة، القاهرة، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
٣٣٥. معرفة الصحابة، لأبي نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ت ٤٣٠هـ، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٣٣٦. المعرفة والتاريخ، لأبي يوسف يعقوب الفسوي، ت ٢٧٧هـ، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٢، ١٤١٠هـ.
٣٣٧. المُعَلَّم بفوائد مسلم، لأبي عبد الله، محمد بن علي التميمي المازري المالكي، ت ٥٣٦هـ، تحقيق: الشيخ محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للنشر، والمؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، والمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات - بيت الحكمة، ط ٢، ١٩٨٨م، ١٩٩١م.
٣٣٨. معلمة زايد للقواعد الأصولية والفقهية، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، أبو ظبي، الإمارات، المجموعة الطباعية للنشر والتوزيع، لبنان.
٣٣٩. المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار - مطبوع بهامش إحياء علوم الدين -، لأبي الفضل، زين الدين، عبد الرحيم بن الحسين العراقي، ت ٨٠٦هـ، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٣٤٠. المغني في الضعفاء، لمحمد بن أحمد الذهبي، ت ٧٤٨هـ، تحقيق: نور الدين عتر، دار الفكر - سوريا.
٣٤١. مفاتيح الغيب - التفسير الكبير -، لفخر الدين، أبي عبد الله، محمد بن عمر التيمي الرازي، ت ٦٠٦هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ.
٣٤٢. المفاتيح في شرح المصاييح، للحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزيداني الكوفي الضري الشيرازي الحنفي المشهور بالمطهر، ت ٧٢٧هـ، تحقيق: نور الدين طالب، وآخرون، دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية - وزارة الأوقاف الكويتية، ط ١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

٣٤٣. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لشمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت ٧٥١هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
٣٤٤. المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ت ٥٠٢هـ، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ.
٣٤٥. المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، للإمام المحدث الحافظ أبي العباس أحمد بن أبي حفص عمر بن إبراهيم، الأنصاري القرطبي، ت ٦٥٦هـ، تحقيق: محي الدين مستو، ويوسف علي بديوي، أحمد السيد، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، ط ١، ١٤١٧هـ.
٣٤٦. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن، علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، ت ٣٢٤هـ، تحقيق: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٣٤٧. مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، ت ٣٩٥هـ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر - بيروت، ١٣٩٩هـ.
٣٤٨. من كلام أبي زكريا يحيى بن معين في الرجال - رواية ابن طهمان -، تحقيق الدكتور: أحمد محمد نور سيف، دار المأمون للتراث - دمشق، عام ١٤٠٠هـ.
٣٤٩. منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، لحمزة محمد قاسم، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرنؤوط، وعني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق - سورية، مكتبة المؤيد، الطائف - المملكة العربية السعودية، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٣٥٠. المنتخب من مسند عبد بن حميد، لأبي محمد، عبد الحميد بن حميد بن نصر الكشي، ويقال له: الكشي، ت ٢٤٩هـ، تحقيق: صبحي البدر السامرائي، ومحمود محمد خليل الصعيدي، مكتبة السنة - القاهرة، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٣٥١. المنتقى من السنن المسندة، لأبي محمد، عبد الله بن علي بن الجارود النيسابوري، الجاور بمكة، ت ٣٠٧هـ، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، مؤسسة الكتاب الثقافية - بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٣٥٢. موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، لنور الدين، علي بن أبي بكر الهيثمي، ت ٨٠٧هـ، تحقيق: حسين سليم أسد، دار الثقافة العربية، دمشق، ط ١، ١٩٩٠م.

٣٥٣. موجبات الجنة، لأبي أحمد، معمر بن عبد الواحد القرشي العبشمي السمرقندي، المشهور بابن الفاخر الأصبهاني، ت ٥٦٤هـ، تحقيق: ناصر بن أحمد بن النجار الدمياطي، مكتبة عباد الرحمن، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٣٥٤. الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، ٤٥ جزءاً: الأجزاء (١ - ٢٣)، ط ٢، دار السلاسل - الكويت، الأجزاء (٢٤ - ٣٨)، ط ١، مطابع دار الصفوة - مصر، الأجزاء (٣٩ - ٤٥)، الطبعة الثانية، طبع الوزارة، (من ١٤٠٤ - ١٤٢٧هـ).

٣٥٥. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، لمحمد بن علي، ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، توفي بعد ١١٥٨هـ، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، والترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ط ١، ١٩٩٦م.

٣٥٦. موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، لأبي سهل، محمد بن عبد الرحمن المغراوي، المكتبة الإسلامية، القاهرة - مصر، النبلاء للكتاب، مراكش - المغرب، ط ١.

٣٥٧. موطأ الإمام مالك - رواية أبي مصعب الزهري -، للإمام مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، ت ١٧٩هـ، تحقيق: بشار عواد معروف، ومحمود خليل، مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ.

٣٥٨. ميزان الاعتدال، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ت ٧٤٨هـ، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وغيره، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٣٥٩. الميسر في شرح مصابيح السنة، لشهاب الدين، أبو عبد الله، فضل الله بن حسن بن حسين الثوريشتي، ت ٦٦١هـ، تحقيق: د. عبد الحميد هندراوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط ٢، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٣٦٠. نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار، للحافظ أبي الفضل، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار ابن كثير - دمشق، بيروت، ط ٢، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٣٦١. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لجمال الدين، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت ٥٩٧هـ، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة - لبنان، بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٣٦٢. النهاية في الفتن والملاحم، لأبي الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ت ٧٧٤هـ، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، دار الجيل، بيروت - لبنان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣٦٣. النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني، المشهور بابن الأثير الجزري، ت ٦٠٦هـ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣٦٤. نوارد الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، لأبي عبد الله، محمد بن علي بن الحسن، المشهور بالحكيم الترمذي، ت ٣٢٠هـ، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل - بيروت.

٣٦٥. نيل الأوطار، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، ت ١٢٥٠هـ، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٣٦٦. هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصاييح والمشكاة، للحافظ ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، ت ٨٥٢هـ، تحقيق: علي بن حسن الحلبي، دار ابن القيم - الدمام، السعودية، دار ابن عفان - القاهرة، مصر، ط ١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٣٦٧. هدي الساري مقدمة فتح الباري - المطبوع مع فتح الباري بشرح صحيح البخاري -، للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ، وعليها تعليقات: عبد العزيز ابن باز، و عبد الرحمن البراك، اعتنى بها: نظر الفارياي، دار طيبة - الرياض، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٣٦٨. هدي القرآن الكريم إلى معرفة العوالم والتفكير في الأكوان، لعبد الله محمد نجيب سراج الدين، ت ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، مكتبة دار الفلاح - حلب، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٣٦٩. الوايل الصيب من الكلم الطيب، لشمس الدين، محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، ت ٧٥١هـ، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث - القاهرة، ط ٣، ١٩٩٩م.

٣٧٠. الوحي المحمدي، محمد رشيد بن علي رضا، ت ١٣٥٤هـ، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٣٧١. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأحمد بن محمد بن خلّكان، ت ٦٨١هـ، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - لبنان.

٣٧٢. موقع الشبكة الإسلامية: (<http://www.islamweb.net>).

٣٧٣. موقع الشيخ أبي بكر الجزائري: (<http://algzaeri.com/algzaeri/index.php>).

٣٧٤. موقع الشيخ سلمان العودة: (<http://www.islamtoday.net/salman/index.htm>).

٣٧٥. موقع الشيخ عبد الكريم الخضير: (<http://shkhudheir.com>).

٣٧٦. موقع الموسوعة الحرة "ويكيبيديا": (<https://ar.wikipedia.org/wiki>).

٣٧٧. موقع الموسوعة الفلسطينية: (<http://www.palestinapedia.net>).



خامسًا: فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	الإهداء
٤	الشكر
٥	المقدمة
٦	أولًا: أهمية البحث وبواعث اختياره
٨	ثانيًا: أهداف البحث
٩	ثالثًا: منهج البحث وطبيعة عمل الباحث
١٠	رابعًا: الدراسات السابقة
١٣	خامسًا: خطة البحث
الفصل التمهيدي:	
اقتراب اليوم الآخر وموقف المؤمنين والمشركين منه	
١٨	المبحث الأول: اليوم الآخر والإيمان به وموقف المشركين منه
١٩	المطلب الأول: تعريفه والإيمان به
٢٣	المطلب الثاني: أسماؤه والحكمة من كثرتها
٢٥	المطلب الثالث: وجوب الإيمان به وأهميته
٢٨	المطلب الرابع: موقف المشركين منه وإنكارهم له
٣١	المطلب الخامس: الآثار المترتبة على إنكاره والغفلة عنه
٤٤	المبحث الثاني: الأدلة المادية على ثبوته وثمرات الإيمان به
٤٥	المطلب الأول: الأدلة المادية على ثبوته
٥٢	المطلب الثاني: ثمرات الإيمان به وآثاره
٦٩	المبحث الثالث: قرب قيام الساعة واستعداد المؤمنين لها
٧٠	المطلب الأول: قرب قيام الساعة

الصفحة	الموضوع
٧٣	المطلب الثاني: الاستعداد للآخرة
الفصل الأول	
القيامة وبعث الناس	
٨٩	المبحث الأول: حقيقة القيامة ووقوعها بغتة ومقدار يومها
٩٠	المطلب الأول: حقيقة القيامة الصغرى
٩٨	المطلب الثاني: القيامة الكبرى ووقوعها بغتة
١٠٧	المطلب الثالث: طول يوم القيامة ومقداره
١١١	المبحث الثاني: النفخ في الصور وبعث الناس من القبور
١١٢	المطلب الأول: النفخ في الصور
١٣٠	المطلب الثاني: بعث الناس من القبور وأول من يبعث منهم
١٣٩	المطلب الثالث: بعث الناس على أعمالهم ونياتهم
الفصل الثاني	
الحشر وأهواله	
١٤٦	المبحث الأول: الحشر وصفة الناس فيه
١٤٧	المطلب الأول: أرض الحشر ومكان الناس فيه
١٥٥	المطلب الثاني: صفة الناس يوم الحشر
١٦٣	المطلب الثالث: التفاضل بين الأمم والعباد في الحشر
١٧١	المبحث الثاني: اتباع الأمم يوم الحشر
١٧٢	المطلب الأول: اتباع الأمم ما كانت تعبد
١٧٥	المطلب الثاني: اتباع الأمم أنبيائها
١٧٨	المطلب الثالث: المرء مع من أحب
١٨١	المبحث الثالث: الأهوال وأحوال الناس فيها
١٨٢	المطلب الأول: شدة الموقف

الصفحة	الموضوع
١٨٧	المطلب الثاني: أحوال الكفار
١٩٤	المطلب الثالث: أحوال العصاة والمذنبين
٢١٤	المطلب الرابع: أحوال المؤمنين
الفصل الثالث	
الحساب والشهادة والشفاعة	
٢٣٢	المبحث الأول: صفة الحساب والقواعد التي يحاسب عليها العباد
٢٣٣	المطلب الأول: وصف الحساب
٢٤٢	المطلب الثاني: القواعد التي يحاسب على وفقها العباد
٢٥٥	المبحث الثاني: الشهادة على العباد
٢٥٦	المطلب الأول: شهادة الأعضاء والجوارح
٢٦١	المطلب الثاني: شهادة الأرض وسائر المخلوقات
٢٦٥	المطلب الثالث: شهادة الأنبياء
٢٦٨	المبحث الثالث: ما يحاسب عليه العباد
٢٦٩	المطلب الأول: أول من يحاسب وأول ما يحاسب عليه العباد
٢٧٦	المطلب الثاني: ما يُسأل عنه العباد من الأعمال
٢٨٧	المطلب الثالث: الذين يدخلون الجنة بغير حساب
٢٩١	المبحث الرابع: الشفاعة
٢٩٢	المطلب الأول: تعريف الشفاعة وشروطها
٢٩٨	المطلب الثاني: شفاعة النبي ﷺ وأقسامها
٣١٢	المطلب الثالث: أنواع الشفاعة غير النبي ﷺ
٣٢٠	المطلب الرابع: الأسباب التي تحصل فيها الشفاعة وموانعها
الفصل الرابع	
الميزان والصراط والحوض	

الصفحة	الموضوع
٣٣٢	المبحث الأول: الميزان
٣٣٣	المطلب الأول: صفة الميزان وحقيقته
٣٣٨	المطلب الثاني: ما يوزن في الميزان والحكمة من ذلك
٣٤٤	المطلب الثالث: الأعمال التي تثقل الميزان
٣٥٣	المطلب الرابع: وزن أعمال الكفار
٣٥٥	المبحث الثاني: الصراط
٣٥٦	المطلب الأول: تعريف الصراط وصفته
٣٦٢	المطلب الثاني: حال الناس أثناء المرور على الصراط
٣٧١	المطلب الثالث: القنطرة
٣٧٤	المطلب الرابع: ذبح الموت على الصراط في الآخرة
٣٧٦	المبحث الثالث: الحوض
٣٧٧	المطلب الأول: تعريف الحوض ووجوب الإيمان به
٣٨١	المطلب الثاني: وصف الحوض
٣٩٠	المطلب الثالث: ورود الحوض
الخاتمة	
٣٩٨	أولاً: النتائج
٤٠٦	ثانياً: التوصيات
الفهارس العلمية العامة	
٤٠٨	أولاً: فهرس الآيات القرآنية
٤٢٥	ثانياً: فهرس أطراف الأحاديث النبوية
٤٤١	ثالثاً: فهرس الرواة والأعلام المترجم لهم
٤٤٨	رابعاً: فهرس المصادر والمراجع
٤٨٦	خامساً: فهرس الموضوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ